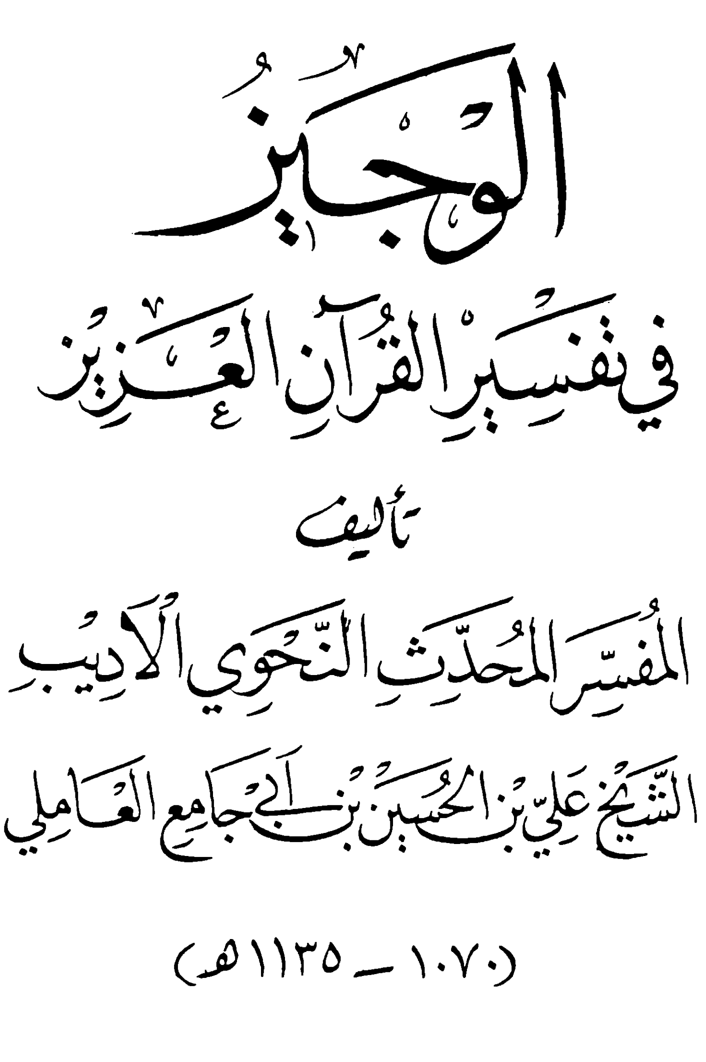

الوجيز
في تفسير القرآن العزيز
تأليف
المفسر المحدث النحوي الأديب
الشيخ علي بن الحسين بن أبي جامع العاملي
(١٠٧٠ ـ ١١٣٥هـ)
حققه وراجعه
الشيخ مالك المحمودي
الجزء الأول



الوجيز

في تفسير القرآن العزيز

بسم الله الرحمن الرحيم



حقّقه وراجعه

الشّيخ مالك المحموديّ

الجزء الأوّل

الوجيز في تفسير القرآن العزيز

الجزء الأول

□ التأليف :	الشيخ علي بن الحسين بن ابي جامع العاملي
□ التحقيق :	الشيخ مالك المحمودي
□ الناشر:	دارالقرآن الكريم
□ تنضيد الحروف والإخراج الفني :	دارالقرآن الكريم
□ الطبعة :	الأولى
□ تاريخ الطبع :	١٤١٣هـ
□ عدد النسخ :	٣٠٠٠
□ ليتوگرافی:	حميد - قم

كلمة دارالقرآن الكريم

بسم الله الرّحمن الرّحيم

كان الشيعة ولايزالـون السباقين في شتى العلوم والفنون ومـا زالت تآليفهم القيّمة ومنـــها ما كـان في مجـال تفسير القرآن العـزيز تعتبـر من المصـادر الهامـة في فهم الكتاب المجيد .

ولكن الحكومات الحاقدة حاولت بكل السبل منع انتشار الفكر الإمامي الرافض لكل أنواع الظّلم والإستعمار، فمارست ضـدّ حملة علوم أهل البيت أنواع التنكيل من حبس وتشريد وكيـل التهم وافتراء الأكاذيب، وحتى القتل والإعدام في محـاولة منها لإطفاء نورهم ومحو آثارهـم **﴿يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلاّ أن يتمّ نوره ولوكره الكافرون﴾** .[1]

وفي هذا العصر، عصر التحرر الفكري ـ حيث وقف الكثير من شباب اليوم على حقيقة الإمامية وزيف المفتريات والأكاذيب ـ التي دأب المستعمرون وعملاؤهم طيلة قرون علـى إلصاقها بهـم ـ ظهر الحـق وبطل ماكـانوا يفتـرون، خاصةً بعـد ان تمكن الشيعة من تأسيس أول دولةٍ اسلامية ساعين لتطبيق الإسلام على المجتمع والحياة في

---

(١) سورة التوبة : ٩/ ٣٢.

العصر الحاضر، غير انّ الذي نعتقده هو لزوم التحرك نحو بيان النظرة الشيعية تجاه القرآن العزيز، الذي هو المصدر الأساسي للفكر الإسلامي، والذي طالما افتري على الشيعة بتحريفه.

لذلك عمدت دار القرآن الكريم بأمر زعيم الحوزات العلمية، فقيه اهل بيت العصمة سماحة آية الله العظمى السيّد محمّد رضا الموسوي الگلپايگاني دام ظلّه منذ تأسيسها الى تكريس جهودها في المجالات التالية:

١ـ تدوين معجم مخطوطات الشيعة حول القرآن الكريم.

٢ـ تدوين معجم مصنّفات الشيعة حول القرآن الكريم.

٣ـ تأسيس مكتبة تخصصية في مجال القرآن وعلومه والتي حوت لحد الآن آلاف المجلدات في مختلف علوم القرآن.

٤ـ العمل على جمع النسخ المخطوطة أو المطبوعة من القرآن الكريم، وقد تألف منها خزانة ثمينة تحتوي على مئات المجلدات وفيها انفس وابدع النسخ الخطية للقرآن الكريم.

٥ـ تشكيل مؤتمر سنوي للبحث عن مفاهيم القرآن الكريم في ذكرى المبعث النبوي الشريف من كلّ عام.

٦ـ العمل على نشر ما يرتبط بالقرآن الكريم من كتب أو مقالات في مجلة «رسالة القرآن».

٧ـ العمل على إحياء تراث الشيعة حول القرآن الكريم، والذي يعتبر هذا الكتاب «الوجيز في تفسير القرآن العزيز» باكورة اعمالها في هذا المجال.

دواعي اختيار هذا الكتاب :

وامـا اختيار هـذا الكتاب من بيـن مئات المـؤلفات الشيعيـة في مجال التفسيـر فلجهات عديدة أهمها :

الإيجاز مـع المحافظة علـى أداء المعاني بأبلغ العبـارات واحتواؤه على مـا يهمّ المسلـــم فـي فهـم الكـتاب الـــعزيز بأفـضل بيان، وجهات اخـرى اشير الى قسم منها في المقدمة .

ومن هنا حظي هذا الكتـاب برغبة علمين عظيمين من أعلام الشيعـة وقادتها في العصور الأخيرة على نشره وهما :

سماحة آية الله العظمى فقيه عصره السيّد محسن الطباطبائي الحكيم ـ قدس سرّه ـ كما ظهر ذلك في مصورة الطبعة الاولى من هذا الكتاب .

وسمـــاحة آيـة الله العظمـى فقيــه العصــــر السيّـد محمـّد رضـا المـوسـوي الگپايگاني دام ظلّه الوارف .

وفي هذا دلالة واضحة على موقع هذا التفسير من بين التفاسير الاخرى .

ولا يفوت الدّار أن تتقدم بـالشكر إلى المحققين اصحاب السماحة الـذين بذلوا جهدهم في تحقيق هذا السفر الجليل لاسيّما سماحة الشيخ مالك المحمودي الذي قام بتحقيـق القسم الثانـي ـ القسم المخطـوط ـ ابتـداء من سـورة «الإسراء» الى آخـر الكتاب بمفرده، ومراجعة جميع التفسير من اوله الى آخره .

فإليهم جميعاً الشكر الجزيل ومن الله الأجرَ والثواب والله وليّ التّوفيق .

قم المقدسة ـ دار القرآن الكريم

[illegible]:

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

المقدمـة

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمـــد لله ربّ العالمـين والصّـلاة والسّـلام علـى رسولـه محمّد الأمين وعلى آله الطاهرين .

إنّ القـران الكريـم منهج حيـاة للفرد والمجتمـع الإنسانـي ولا غنى عن دراسته وفهمه من خلال التفسير ولذا كان شرف التفسير مترشح عن شرف القرآن العظيم .

وقد بادر أول مـن بادر الى تفسيره وبيانه صـاحب الشريعة الغراء الـرسول الأكرم صلّى الله عليه وآله وسلّم الذي نزل الوحي على قلبه المبـارك كما أنّ كتب التفاسير المختلفة ينسب إليه اعداداً غفيرة من الروايات في بيان آيات القرآن الكريم .

ولمّا انتقل صلّى الله عليه وآله وسلّم الى الرفيق الأعلى ، كان الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السّلام هو المرجع الاول في تفسير القـرآن والفصل في حلّ النزاعات حول معاني آيـاته الكريمة واهتم بذلـك ايّما اهتمام فربّى الطليعة من الصحابة وبثّ علومه من خلالهم ولنـا في تلاميذه ابرز مثال كحبر الأمة عبـد الله بن عباس وغيره مما يثبت لنا دون أي شـك أن علوم الصحابـة جميعاً تنتهي إليه ودأب على ذلك المنوال اولاده الإمامان الهمامان الحسن والحسين وباقي ذريتة من الأئمة المعصومين ، حيث

قام بقية أئمـة أهل البيت عليهم السّلام ـ كلّ بـدوره ـ بنشر علـوم القرآن ومفاهيمـه وبيان أحكامـه وتفسير آياته، وقـد دوّن كثير من تلاميذهـم رواياتهم التفسيرية فـي كثير من الكتب التي ألّفوها في هذا المجال.

وبعد انتهـاء عصر النَّـص، قام العلمـاء الأعلام بـالنهوض بأعبـاء هذه المهمـة الخطيرة، فصنفوا ودونوا الكثيـر من التفاسير مواصلين ذلك قرناً بعـد قرن حتى العصر الحديث، علمـاً بأنّ هذه التفـاسير قد وقعت ضمن منـاهج تفسيريـة شتى أتت على مختلف ومعظم جوانب القرآن الكريم.[١]

وبالرغم من ان التأليف على هذا النمط الموجز من التفسير كان له جذور ضاربة في تاريخ علم التفسير حيـث ألف الكثيرون من العلماء قديماً.وحديثاً تفـاسير موجزة في عبارتها غنية بمحتواها، إلاّ ان هذا التفسير «**الوجيز في تفسيـر القرآن العزيز**» امتاز من بينها بوضوح فكرته وجزالة عبارته وقوة ادائه، وهو للمفسر النحرير والمطّلع الخبير المحقق المدقـق العـلامة الأجل الشيخ **علـي بن الحسين بـن ابي جـامع العـاملي**، حوالي(**١٠٧٠ـ ١١٣٥**).[٢]

وقـد طبع الجـزء الأوّل من هـذا التفسير بمطبعـة «الـزهـراء» ببغداد سنـة **١٩٥٣**م وحصلت «دار القرآن الكريم» على نسخة من هذه المطبوعة لكنّها كانت ناقصة الأوّل وتبدأ بأول تفسير سورة «الفاتحة».

ولأهمية هذا التفسير رغبت دار القرآن الكريـم في طبع هذا الكتاب وتقديمه الى الأمـة الإسلاميـة ليسدّ فـراغـاً في المكتبة القـرآنيـة لما فيـه من النفع العميـم لجميع المسلمين فإنه أيسر تفسير جامع لكل ما يرتبط بألفاظ القرآن الكريم ومعانيه، ولذلك

---

(١) انظر مقدمة معجم مصنفات الشيعة حول القرآن الكريم، وفيه بيان لتاريخ بروز التدوين في علم التفسير وباقي علوم القرآن منذ العصر الاسلامي الاول.

(٢) الحالي والعاطل/ ٧٥.

اوعزت الدار الى عدة من فضلاء محققيها للقيام بهذا المشروع الهام .

وبما انّ المرحوم الدكتور عبد الرزاق محي الدين ــ وهو الذي قام بطبع الجزء الأوّل من التفسير ــ قد طلب من العلامة الكبير الشيخ آغا بزرك الطهراني ان يكتب مقدمةللطبعة الاولى من الكتاب وهذه المقدمة موجودة عندنا ، لهذا فقد اكتفينا بها عن كتابة مقدمة في التعريف بالمؤلف رحمه الله ومؤلفاته القيّمة .

وتمتاز هذه الطبعة عن سابقتها :

بشمولها واستيعابها لجميع التفسير من اوله الى آخره فيما اشتملت الطبعة السابقة على أقلّ من نصف التفسير فقط ـ حتى سورة النحل ـ .

كما تمتاز باشتمالها على مجموعة من الهوامش والتعليقات المفيدة ، و جودة الإخراج ، والحرص ــ قدر الإمكان ـ على سلامتها وخلوّها من الاخطاء ، فضلاً عن نسبة الأقوال والآراء في الكتاب الى مؤلفيها ، وغير ذلك من الجهود التحقيقية التي بذلت فيها .

النسخ المعتمد عليها في التحقيق

اعتمدت لجنة التحقيق على اربعة نسخ ، ثلاث منها مخطوطة وهي كالآتي :

١ ـ نسخة مكتبة آية الله السيد المرعشي قدس سره :

المحفوظة في مكتبته العامة بقم برقم ٦٤٩٩ وهي بالقطع الرقعي في٢٠٤ورقة .

وكل صفحة منها تشتمل على ثلاثين سطراً وطول كل سطر ٥/ ٨سم .

جاء في آخرها : وهذا منتهى سعي القلم في تحرير ما قصدنا إحكام نظامه ، قدمنّ الله بالتوفيق لإتمامه فما كان منه صواباً فمن فيض انعامه ، وما كان خطأً فمن فتور الذهن وخمود ضرامه .

اسأل الله سبحانه [...][1] عمّا وقع فيه من التقصير، والعفو عن الزلل والذنوب من كبير وصغير، وان يجعل اجتهادي في تأليفه خالصاً لوجهه الكريم وموجباً لنيل ثوابه الجسيم انه بعباده رؤوف رحيم.

وقد منّ الله بلطفه وتوفيقه لنقله من السواد الى هذا البياض، وتنميقه على يدي مؤلفه المفتقر الى عفو سيده ومولاه عما اقترفه من الذنوب وما جناه، المعترف بالقصور والتقصير والمقرّ بالتفريط في جنب من إليه الامور تصير، العبد الذليل الحقير علي بن حسين بن أبي جامع العاملي، عامله الله ووالديه والمؤمنين بلطفه الخفي والجلي.

وقد وافق الفراغ من تحبيره [أصيل يوم الأحد][2] ثلاث وعشري جمادى الآخرة من سنة المائة وعشرين بعد الالف على مشرفها اشرف الصلوات وعلى آله سادات البريات. والحمدلله وحده.

وتمتاز هذه النسخة بأنها كاملة وعليها تعليقات عديدة، منها: ما ورد في ذيلها كلمة «منه».

ومنها ما جاء في آخرها بالرمز (ع. ق).

هذا وأن تاريخ الكتابة يرجّح الظن بأنها بخط المؤلف نفسه. لولا وجود بياض كلمات في مصوّرتها في سطور الصفحة الأخيرة.

ولعلها تركت بياضاً لتكتب بخط يغاير سائر المتن أو بلون آخر لتمييزها عن سائر الكلمات.

وقد رمزنا لهذه النسخة باعتبار كمالها بالنسخة «الف».

٢ـ نسخة مكتبة آستان قدس في مشهد:

(١) في النسخة بياض بمقدار كلمة واحدة. ولعلها: الغض.

(٢) ما بين المعقوفتين من«ب». وكان موضعه بياضاً في«الف».

وهي ناقصة من آخرها عدة اوراق. ومجموع اوراقها **٤٦٤** ورقة من القطع الرحلي وفي كل صفحة **٢١** سطراً وطول كل سطر ١٠سم.

وقد رمزنا لهذه النسخة بالرمز «ب».

٣ـ نسخة مكتبة دار القرآن الكريم في قم:

وهي في **٧٣٦** صفحة بالقطع الرحلي وفي كل صفحة **٢٦** سطراً وطول كل سطر **١٢/٥**سم، جاء في آخرها بعد ايراد ما كان في نهاية نسخة «أ» مايلي:

والحمدلله حق حمده وصلى الله على من لانبي بعده وسلم تسليماً كثيراً مباركاً برحمتك يا ارحم الراحمين وأكرم الأكرمين.

وقد وافق الفراغ من نسخ هذا الكتاب المستطاب عظيم اللفظ والخطاب، عصر يوم الثاني والعشرين من شهر شعبان احد شهور سنة «**١٢٧٣**» الثالثة والسبعين بعد المأتين والالف من الهجرة المحمدية على مهاجرها وآله أفضل الصلاة وأشرف التحية، على يد الأقل الجاني محمد بن علي بن محمد بن عبدالله بن أحمد الشويكي البحراني عفى الله عنهم أجمعين بمنّه وكرمه. آمين آمين.

وقد رمزنا لهذه النسخة بالرمز «ج».

وأما النسخة المطبوعة والتي رمزنا لها بالرمز «ط» فهي المطبوعة ببغداد سنة **١٩٥٣**م بإشراف وتقديم الدكتور عبدالرزاق محي الدين.

وكان قد اعتمد فيها على عدة نسخ مخطوطة ذكرها في مقدمة الكتاب. وارفق بالكتاب صور لبعض الصفحات من ثلاث نسخ حرّر عليها الاصل، وهي:

نسخة العلامة السيد حسن الصدر.

ونسخة العلامة السيد أمين الصافي.

ونسخة العلامة الشيخ قاسم محي الدين.

العمل في الكتاب

قام المحققون بمايلي :

١ـ إجراء مقابلة دقيقة للنسخ المتوفرة لديهم وضبط موارد الاختلاف بين النسخ .

٢ـ نسبة الأقوال الواردة في الكتاب إلى قائليها اعتماداً على كتب التفسير المعتبرة .

٣ـ استخراج الروايات من المصادر الحديثية المعتبرة .

٤ـ الإشارة الى كلمات علماء الفريقين الواردة في تضاعيف هذا التفسير.

٥ـ الإقتصار ـ في اثبات موارد اختلاف النسخ ـ على ما كان مغيّراً للمعنى فقط ، وحذف موارد الإختلاف البسيطة التي لا تخلّ بالمعنى والتي يحتمل قوياً كونها من خطأ النساخ .

٦ـ مراجعة النّص ومقابلته على المصادر المحتملة وتصحيحه مع الإشارة الى ذلك في الهامش .

٧ـ العمل على اخراج التعليقات بصورة متناسقة .

٨ـ قد نقل المؤلف عدة قراءات في كتابه وربّما رجّح بعض تلك القراءات فجعلها الأصل في التفسير فحبذنا الاشارة الى قراءة «حفص» في الهامش في كل مورد رجّح المؤلف قراءة غيره ، وذلك لان هذه القراءة هي المتداولة بين المسلمين في

الوقت الحاضر.

وفي الختام نسأل الله تعالى أن يجزل الثواب لكلّ من ساهم وشارك في اخراج هذا التفسير الى حيّز الوجود ووضعه تحت تصرّف العلماء والباحثين في حقل الدراسات القرآنية والله وليّ التّوفيق.

ولا يفوتنا التنويه باسم سماحة الشيخ مالك المحمودي الذي بذل جهداً مشكوراً وابدى مثابرة متواصلة في اتمام هذا التفسير النافع من كل جوانبه ودأب من أجل أن يرى هذا الكتاب النور.

لجنة التحقيق في دار القرآن الكريم

نَمَاذِجُ مُصَوَّرَةٌ مِنَ النُّسَخِ المَخْطُوطَةِ

المُعْتَمَدِ عَلَيْهَا فِي التَّحْقِيقِ

تفسير الوجيز

لابن ابي جامع العاملي

رحمه الله



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي انزل على عبده القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فتحدى به الفصحاء من اهل اللسان فعجزوا عن معارضة اقصر سورة في حسن نظمها والبيان والصلوة على الخطيب على ذرى كثب الانس والجان الناسخ بدينه سائر الكتب والاديان محمد المبعوث بالمعجزة والحجة والبرهان وآله الذين هم كالكتاب في شرعه حفظة وخزان عليهم صلوات الرحمن في كل زمان **وبعد** فان اسير الذنوب العظام ورهين الاجرام الجسام الراجي من فضل مولاه في كل غد فكه من اغلال الخطايا العبد الجاني علي بن حسين بن ابي جامع العاملي عامله الله بعفوه ورافته وشمله ووالديه والمؤمنين بفضله ورحمته يقول ان علم التفسير من اجل العلوم الشرعية موضوعا وافضل المعارف قدرا لا سيما اصلا وفرعا لانه الكشاف عن انوار التنزيل الحجاب ومن شانه الاسعاف بمجمع البيان والتبيان لاولي الالباب وفي ضمنه كشف عن حقائق علوم جمة وفي طيه نشر لدقائق فنون مهمة وكثيرا ما كنت احدث نفسي في تاليف مختصر منتخب من منتقى جامع وجمع ملخص ملتقط من جواهر كتب عرفانهم ويثنيني عنه قصر الباع عن نيل هذا المرام وقصور الاستعداد عن بلوغ ذلك المقام فقلت لنفسي لا تقنطي من فضل الكريم وثقي بفيض جوده العميم فشرعت فيه مع توزع البال وعروض الشواغل من سفر وغيره من الاشغال سالكا فيه طريق الايجاز في التعبير مشيرا الى اكثر الاقوال المحتملة من وجوه التفسير منبها على القليل من النكت اذ البسيط بكثيرها اصناف فمن يتكفل بتحقيقه [illegible] تمام المعنى من وجوه الاعراب مقتصرا على ذكر القراءات السبع المشهورة وربما ذكرت غيرها في مواضع يسيرة جاريا في عدد الآيات على المشهور تاركا عد البسملة حذوا من خط القرآن المسطور في المصاحف الشريفة المجللة وان كان الاعتقاد انها آية من كل سورة الا التوبة للاخبار الصحيحة من المتواترة [illegible] واذ قد وفق الله بلطفه للاتمام على ما ذكرت من التاليف والنظام ناسب ان يسمى بالوجيز في تفسير القرآن العزيز ثم اني اسال الله تعالى ان يجعله وسيلة الى عفوه وغفرانه وذريعة الى الفوز بثوابه ورضوانه وان ينفع به الطالبين ويهدي به المسترشدين بمحمد وعترته الاكرمين صلى الله عليهم اجمعين ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

سورة الفاتحة

مكية وقيل انها نزلت ثانيا بالمدينة تسمى فاتحة الكتاب لانها مفتتحه وام الكتاب لاشتمالها على مجمل معانيه والحمد لذكره فيها والسبع المثاني لانها سبع آيات اتفاقا لكنهم بين عاد للبسملة دون انعمت عليهم وعاكس وتثنى في الفرض او لانها نزلت مرتين ولها اسماء اخر والمذكور اشهر **بسم الله الرحمن الرحيم** آية من الفاتحة ومن كل سورة

شبها الظلمة من غسق الليل انصبابه ... او السيلان ظلامه اذا وقب دخل ظلامه

وتخصيصه ... في السواد ومن شر النفاثات في العقد

او النفوس السواحر اللواتي ينفثن ... في العقد التي يعقدنها

عرفت ... ومن شر حاسد اذا حسد اظهر حسده وعمل

عليه وتخصيص ... سورة الناس ست آيات مدنية او مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

قل اعوذ برب الناس خصوا بالذكر لتشريفهم ولان الاستعاذة من شر الموسوس اليهم مناسب

المدبر لهم ملك الناس اله الناس عطفا بيان اذ ليس كل رب ملكا وليس كل ملك الها

الثلاثة ... وتكرير الناس لزيادة التشريف والبيان من شر الوسواس اسم بمعنى الوسوسة

او بمعنى الشيطان ... والمصدر بالكسر كالزلزال الخناس لانه يخنس اي يتأخر اذا ذكر العبد ربه الذي

يوسوس في صدور الناس ... من الجنة والناس

بيان للوسواس ... الشيطان يكون جنيا وانسيا وقد ذكر في الفلق المستعاذ

به بصفة واحدة والمستعاذ منه ... بثلاث صفات والمستعاذ منه آفة واحدة

... من مضار الآلام اعاذنا الله

واياكم من مضار الدنيا والدين ووفقنا لما يوصل الى سعادة الدارين بحق محمد وآله الطاهرين

رب العالمين ... بحمد الله بالتوفيق لاتمامه ...

في فهم ... ما كان ... اسأل الله سبحانه عما وقع فيه من التقصير

والعفو عن الزلل والذنوب عن كبيره وصغيره وان يجعل ... لوجهه الكريم وموجبا

لنيل الثواب الجسيم انه بعباده رؤوف رحيم وفقني الله بلطفه وتوفيقه لنقله من السواد الى ...

... المفتقر الى عفو ... عما اقترفه من الذنوب ... المعترف

بالقصور والتقصير والمقر بالتفريط في جنب الله ... العبد الذليل الحقير علي بن حسين

بن ابي جامع العاملي عامله الله ووالديه والمؤمنين بلطفه الخفي والجلي وقد وافق الفراغ من ...

... وعشرين جمادى الاخرى من سنة ... والصلوة

وعلى الرسالات ... والحمد لله وحده



الوجيز في تفسير القرآن العزيز

للعالم العلامة الشيخ علي بن حسين بن ابي جامع العاملي عامله الله بلطفه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي انزل على عبده القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فتحدى به الفصحاء من اهل اللسان فعجزوا عن معارضة اقصر سورة في حسن نظمها والبيان والصلوة على الخطيب به على رؤس الانس والجان الناسخ به وبدينه سائر الكتب والاديان محمد المبعوث بابلغ حجة واقوى برهان وآله الذين هم لكتابه وشرعه حفظة وخزان عليهم صلوات الرحمن في كل زمان ومكان فان اسير الذنوب العظام ورهين الجرائم الجسام الراجي من فضل مولاه فك رقبته من اغلال خطاياه العبد الجاني علي بن حسين بن ابي جامع العاملي عامله الله بعفوه ورافته وشمله ووالديه والمؤمنين بفضله ورحمته يقول ان علم التفسير من اجل العلوم الشرعية موضوعا وافضل المعارف الدينية اصولا وفروعا لانه الكشاف عن انوار التنزيل الحجاب ومن شانه الاسعاف بجمع البيان والتبيان لاولى الالباب وفي ضمنه كشف عن حقائق علوم جمة وفي طيه نشر لدقائق فنون مهمة وكثيرا ما كنت احدث نفسي في تاليف مختصر منتخب من منتقى جمانه وجمع ملخص ملتقط من جواهر كنز عرفانه ويعوقني عنه قصر الباع عن تناول هذا المرام وقصور الاستعداد عن بلوغ ذلك المقام فقلت لنفسي لا تقنطي من فيض الكريم وثقي بفضل جوده العميم فشرعت فيه مع توزع البال وعروض الشواغل من سفر وغيره من الاشغال سالكا فيه طريق الايجاز في التفسير مشيرا الى اكثر الاقوال المحتملة من وجوه التفسير منبها

على قليل من النكت اذ لا يحيط بكلها حساب معرضًا على ما يتوقف عليه فهم المعنى
من وجوه الاعراب مقتصرًا على ذكر القراءات السبع المشهورة وربما ذكرت غيرها
في مواضع يسيرة جاريًا في عدد الايات على المشهور من اغفال البسملة خوفًا من مخالفة
المسطور في المصاحف الشريفة المبجلة وان كان الاعتقاد انها اية من كل سورة الا التوبة
لاخبار صحيحة من المتواترات محسوبة وانه قد وفق الله بلطفه للاتمام على ما ذكرت من
التاليف والنظام ناسب ان يسمى الوجيز في تفسير القرآن العزيز ثم اني اسال الله
تعالى ان يجعله وسيلة الى عفوه وغفرانه وذريعة الى الفوز بثوابه ورضوانه وان ينفع
به الطالبين ويهدي به المسترشدين بمحمد وعترته الاكرمين صلى الله عليهم اجمعين
ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم سورة الفاتحة مكية وقيل نزلت ثانيًا بالمدينة



تسمى فاتحة الكتاب لانها مفتتحه وام الكتاب لاشتمالها على جل معانيه والحمد لكونه
فيها والسبع المثاني لانها سبع ايات اتفاقًا لكنهم بين عاد للبسملة دون انعمت
عليهم وعاكس وتثنى في الفريضة او الانزال ولها اسماء اخر والمذكورة اشهر بسم الله
الرحمن الرحيم اية من الفاتحة ومن كل سورة عدا براءة باجماعنا والمخالفون بين موافق
ومخالف والباء للاستعانة وزعم بان جعل اسمه تعالى الة للفعل مشعر بزيادة
مدخليته فيه حتى كانه لا يوجد بدونه او المصاحبة وزعم بان التبرك باسمه تعالى
ادخل في الادب من جعله الة انه تابعة مبتذلة وفي الرد على المشركين في تبركهم
باسم آلهتهم والحوالة التبرك بجامع كل منهما فان ذكر اسمه تعالى بتمره مطلقًا
والسورة مقولة على السنة عباده تعليمًا للتبرك باسمه وحمده وسؤاله ومتعلق
الظرف الاولى تقديره فعلًا لاصالته في العمل وقلة الاضمار مؤخرًا لاهمية اسمه تعالى
وقصر التبرك عليه خاصًا هكذا بسم الله اتلو لدلالة الحال عليه اذ ما يتلو التسمية
متلو وكل فاعل يضمر ما جعلها مبدأ له كاذبح واحل واستحل فالذبح والحل والارتحال

وصغير وان يجعل اجتهادی فی تالیفه خالصا لوجهه الکریم وموجبا
لنیل ثوابه الجسیم انه بعباده رؤف رحیم وقد منّ الله بلطفه وتوفیقه
لنقله من المسودة الی هذا البیاض وتبییضه علی یدی مؤلفه المفتقر الی عفو
سیده ومولاه عما اقترفه من الذنوب وماجناه المعترف بالقصور والتقصیر
والمقر بالتفریط فی جنب من الیه الامور تصیر العبد الذلیل الحقیر علی بن
حسین بن ابی جامع العاملی عامله الله ووالدیه والمؤمنین بلطفه الخفی
والجلی وقد وافق الفراغ من تحبیره اصیل یوم الاحد ثالث وعشری جمادی
الآخرة من سنة المائة والعشرین بعد الالف علی مشرفها اشرف الصلوات
واتم التسلیمات والسادات البریات
والحمد لله وحده لاشریك له

ه

هذا الكتاب تفسير الوجيز من مصنفات الامام النحرير البارع الخبير المحقق المدقق
العلامة الاجل الشيخ علي بن حسين بن ابي جامع العاملي عفا الله عنه [illegible]
بمحمد وآله

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين اجمعين

الحمد لله الذي انزل على عبده القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان
فتحدى به الفصحاء من اهل اللسان فعجزوا عن معارضة اقصر سورة في حسن نظمها والبيان
والصلاة على الخطيب به على رؤس الانس والجان الناسخ به وببينته سائر الكتب والاديان
محمد المبعوث بابلغ حجة واقوى برهان وآله الذين هم لكتابه وشرعه حفظة وخزان
عليهم صلوات الرحمن في كل زمان **وبعد** فان اسير الذنوب العظام ورهين
الجرائم الجسام الراجي من فضل مولاه فك رقبته من اغلال خطاياه العبد الجاني علي
بن حسين بن ابي جامع العاملي عامله الله تعالى بعفوه ورأفته وشمله ووالديه و
المؤمنين بفضله ورحمته **يقول** ان علم التفسير من اجل العلوم الشرعية
موضوعاً وافضل المعارف الدينية اصولاً وشروعاً لانه الكشاف عن انوار التنزيل
الحجاب وهو شأنه الاسعاف بمجمع البيان والتبيان لاولي الالباب وفي ضمنه كشف
عن حقائق علوم جمة وهو في نشر طي لدقائق فنون مهمة وكثيراً ما كنت احدث نفسي في
تأليف مختصر ملتقط من جواهر كنوز عرفانه ويعوقني عنه قصر الباع عن تناول هذا المرام
وقصور الاستعداد عن بلوغ ذلك المقام فقلت لنفسي لا تقنطي من فيض الكريم وثقي بفضل
جوده العميم فشرعت فيه مع توزع البال وعروض الشواغل من سفر وغيره من الاشغال د
سالكاً فيه طريق الايجاز في التعبير مشيراً الى اكثر الاقوال المحتملة من وجوه التفسير منبهاً على
قليل من النكت اذ لا يحيط بكلها حساب معرباً لما يتوقف عليه فهم المعنى من وجوه الاعراب
مقتصراً على ذكر القراءات السبع المشهورة وربما ذكرت غيرها في مواضع يسيرة جارياً في عد
الآيات على المشهورة من اغفال البسملة خوفاً من مخالفة المسطورة في المصاحف الشريفة المجللة
وان كان الاعتقاد انها آية من كل سورة الا التوبة لاخبار صحيحة من المتواترات محسوبة فاذا
وفق الله تعالى بلطفه للاتمام على ما ذكرت من التأليف والنظام كان حرياً ان يسمى **بالوجيز**
في تفسير القرآن العزيز ثم اني اسأل الله تعالى ان يجعله وسيلة الى عفوه وغفرانه وذريعة
الى الفوز بثوابه ورضوانه وان ينفع به الطالبين ويهدي به المسترشدين بمحمد وعترته الاكرمين
صلى الله عليهم اجمعين ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

سورة الفاتحة

مكية وقيل انزلت ثانياً بالمدينة تسمى فاتحة الكتاب لانها مفتتحه وام الكتاب لاشتمالها

علي بن حسين بن ابي جامع العاملي عاملهالله ووالديه والمؤمنين بلطفه الخفي
والجلي وقد وافق الفراغ من تحريره اصيل يوم الاحد ثالث وعشرين جمادى الآخرة
من سنة المائة والعشرين بعد الالف على مشرفها وآله اشرف
الصلوات واتم التسليمات الناميات واهل بيته سادة
البريات والحمد لله حق حمده وصلى الله على من
لا نبي بعده وسلم تسليما كثيرا مباركا برحمتك
يا ارحم الراحمين واكرم الاكرمين

وقد وافق

الفراغ

من

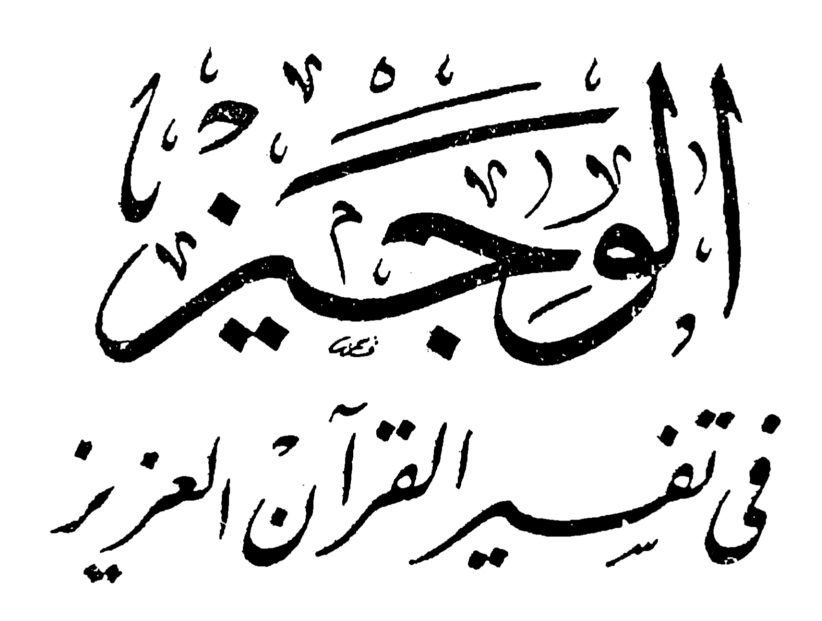
نسخ هذا الكتاب المستطاب عظيم اللفظ والخطاب عصر

يوم الثاني والعشرون من شهر شعبان احد شهور سنة ١٢٧٣
الثالثة والسبعين بعد المائتين والالف من الهجرة
المحمدية على مهاجرها وآله افضل الصلوة واشرف
التحية على يد الاقل الجاني محمد علي بن محمد
بن عبد الله بن احمد الكوتكي
البحراني عفى الله عنهم
جميعين بمنه وكرمه
آمين
آمين

[illegible]

[illegible]

[illegible]



لعلى بن الحسين بن محى الدين

العاملي الحارثي الهمداني

الجزء الاول

فرغ من تأليفه في النجف الاشرف في ١٧ من ربيع الاول سنة ١١١٨ هـ
طبع برغبة آية الله السيد محسن الحكيم الطباطبائي

حرر نصه و كتب مقدمته عبد الرزاق محى الدين
مقابلا له على أربع نسخ مخطوطة .

مطبعة الزهراء



مقدمة الطبعة السابقة[1]

بسم الله والصّلاة على محمّد وآله

قبل نيّف وعشرين عـاماً، كنت أدرج إلى مباديء العربية في صبـاي الباكر، وإذ شدوت منهـا قليلاً ألقى إلـيّ والدي، ـ نضـر الله وجهه ـ بنسخة من كتـاب مخطوط يطلب مني نسخه، مشجعاً لي بأنّه كتاب في تفسيـر كتاب الله، وانه من مؤلفات أحد آبائه، ولم يك لي حينها بدّ من الإستجابـة لرغبته، وان لـم أدرك على وجه مقنع ما يبرر تلك الرغبة الملحة، فنسخت المخطـوط نسخ من لا يستقيم له فهم النص، وتنقصه بعض قـواعد الإمـلاء. تمّ نسخي للجـزء الاول منه، وحفظتـه أوراقاً بيـن ما أوثـر من أوراق، وتقلبت بي الحال فلم أعد أتذكر مـا نسخت بله العودة إلى نسخ الجزء الثاني من المخطوط.

وقبل عـامين زرت مـوطن دراستي الأولى «النجـف» وعرجـت على زيارة آيـة الله السيد الحكيم فـي بيته، فكان مما تحـدّث به إليّ رغبتـه في نشر «**الوجيـز في تفسير القرآن العزيز**» شافعاً ذلك بما قدّره من حاجة الخاصة من أهل العلم إلى تفسير يجمع صفتي الايجاز والإحاطة، ومن حاجة العـامة من قارىء القرآن إلى تفسير ميسّر مفهم

(١) اتحفنا بهذه المقدمة فضيلة الاخ السيد محمّد المجتهدي النجفي.

يقف عند حدود الابـانة عن مقاصد كتاب الله، ورأى أنّ خير مـا يجمع هذه الصفات من كتب التفسير كتاب «الوجيز» وقال ـ وهو بسبيل حملي على نشره ـ:

إن هذا الكتاب من مـؤلفات رجل تربطك به صلة من قربـى، في إحيائها بعض الوفاء لحقوق الآباء.

ومع بليغ رغبتي فـي امتثال أمره فقـد ساورني تخوّف مـن ثقل العمل، ولكني إذ عدت من زيارته تذكرت الرغبـة التي حملت والدي في طلائع تكويني على نسخ هذا الكتاب، وقدرت أنّ نشره بين النـاس يحقّق استجابة أخرى لرغبة كنت يـومها حريصاً على أن أُوليها الطاعة والوفاء.

بهذا بدأت فكرة نشـر «الوجيز» ومن حينها أخذت أطلب ما يـوجد في المكتبات من نسخ مخطـوطة له، وكـان من حسن التوفيق أن وجـدت له عدة نسخ فـي مكاتب العراق، سخا بها أصحابها الأفاضل في غير مكافأة أو ممانعة وهو سخاء لا أشك في أنّ باعثه الغيرة العلمية والحرص على نشر هذا الأثر الكريم.

نسخ الكتاب

والذي وقفت عليه من نسخ «الوجيز» عدد غير قليل:

اوليها: نسخة المؤلف وهي التي نسخت عليها الجزء الاول، ولكني أجهل كيف خرجت مـن مكتبة والدي، ويقال: إنهـا بيعت خفية إلى بعض الـوراقين في النجف وانها انتقلت من يده إلى بعض مكتبات الهند.

وثانيتها: نسخـة الامام محمد الحسين آل كاشف الغطـاء، وقد اطلعني عليها، وعلى تعليقات قيمـة لسماحته سجّلهـا أثناء مراجعـاته المتّصلة للكتـاب، وقد كنت أرغب في نشرها مـع الجزء الأول، ولكنه ـ حفظه الله ـ رغب فـي ان يزيد في التعليق، حتى اذا انتهيت من نشر الجزء الثاني ألحقتها بالكتاب.

وثالثتها: نسخة العلامة الشهير السيد حسن الصدر وهي الآن في مكتبة ولده العلامة السيد علي الصدر، وقد تلطّف ـ حفظه الله ـ بإعارتها لي للرجوع اليها عند تحقيق نص الكتاب.

ورابعتها: نسخة العلامة السيد أمين الصافي، وقد تفضّل ـ حفظه الله ـ بإعارتها لي كذلك.

وخامستها: نسخة العلامة استاذي الأول الشيخ قاسم محي الدين وقد سمح بها عند نشر الكتاب.

وسادستها النسخة التي نسختها على خط المؤلف: وقد أشرت اليها في طلائع المقدمة.

وقد جرى تحرير الأصل على نسخة الصدر والصافي ومحي الدين.

نسخة الصدر:

بخط النسخ الجيد، وعلى الآيات القرآنية وأسماء السور خط أحمر، وورقها: من نوع الترمة «الترمذي» وهي بجزء واحد في ٣١٠ ورقات بقطع الربع، سقط منها سبع ورقات من جزء «عم»، في كل صحيفة منها ١٦ سطراً، وكل سطر يتألف من ١٣ـ١٥ كلمة، وقد تمّ نسخها سنة ١١٤٧ هـ، بيد «محمد بن نصّار» وكانت في عام ١٢٥٨ بحيازة «بن ملا مقصود علي» وقد تملّكها السيد حسن الصدر سنة ١٣٤٢ هـ، وهي لا تزال بحيازة أُسرته.

وهذه النسخة أفضل النسخ التي تحت يدي، وأقربها إلى السلامة، وعليها كان اعتمادي في نشر الكتاب.

نسخة الصافي:

وهي بجزءين، الجزء الأول ١٩٣ ورقة بقطع الثمن تقريباً في كل صحيفة ٢١

سطراً، وفي كل سطر ما يتراوح بين ١١ ـ ١٣ كلمة، وخطها يشبه الخط المغربي في طول الحروف و إلتوائها، وورقها سميك أسمر، وأقدم من وقّع عليها رجل اسمه «محمد حسين»، وكان تاريخ ختمه ١٢٦٩ هـ، وقد كانت في حيازة العلامة المعاصر السيد جعفر بحرالعلوم سنة ١٣٢٧ هـ، وفي حيازة السيد أمين الصافي ١٣٣٤هـ.

وتمتاز هذه النسخة بتعقيبات للمؤلف نفسه كتبت على هوامش النسخة، وسأنشرها في ذيل الكتاب عند تمامه، وعلى هذه النسخة اعتمدت تقسيم المؤلّف إلى جزئين.

نسخة محي الدين:

بخط النسخ الدقيق، والآيات القرآنية وأسماء السور خط عليها بالحبر الأحمر، وعدد اوراقها ٢٥٠ ورقة وكلّ صفحة ٢٨ سطراً. وكل سطر يتألف من ١٩ ـ ٢٢ كلمة، وقد نسخها «حسين بن باقر بن الشيخ مظفر الجزائري الصيمري» وتم نسخها صباح الثلاثاء في الثامن والعشرين من شهر صفر سنة ١٢٠٧هـ، وفي نهايتها صورة ما كتبه المؤلف على نسخته يوم انهى تأليف الكتاب.

وتمتاز هذه النسخة على أخواتها بأن المفردات القرآنية اللغوية مشار اليها بعناوين في الهامش وبأن مختلف المسائل الواردة فيه معنونة وبأن جملة نقول وروايات ومقتبسات عن كتب التفسير الأخرى كتبت على الهوامش، ويخيّل لي ان ذلك من عمل الناسخ إذ الخط واحد فيها جميعاً، وان كان سقم كتابته وضبطه لايدلان على ان التعليقات منه، فلعل الناسخ أخذها من نسخة أُخرى كانت فيها هذه النقول والعناوين.

وبالجملة فالنسخ الثلاثة يظهر فيها اثر العناية والضبط إما من عمل الناسخين أو من عمل الاعلام الذين قرأوا الكتاب من بعدهم والخلاف بينها لم يك ذا بال. وقد

فضلت من نصوصها عند الاختلاف (وهو اختـلاف ـ كما قلت ـ ليس ذا بال) ما اتفق عليه أكثرها وما بدا لي أنّه أولى بالتفضيل كما نقلت قواعد الخط «الإملاء» من رسومها القديمة إلى ما يأتلف مع قواعد الـرسم الحديث وأضفت قواعد الترقيم وشكل بعض الكلمات التي فـي لغتها أو اعرابها محـل للبس في القراءة وسيـرى القارىء أن بعض الجمل ـ لمكانها من الإيجاز ـ يستعصي فهمها لولا هذا الشكل والترقيم.

وقد بـذلت جهدي في التصحيح ولكني لـم أسلم من غلط فاتنـي رغم الحرص والحـــذر وسيعذرني مـن يمـارس النـشر المشكـول وبخـاصة الشكل للقـرآن في مطابع العراق.

خصائص الكتاب

ولهذا التفسير جملة خصائص تميّزة عن باقي كتب التفسير:

أولهـا: فهم المؤلّـف للنصوص القـرآنية فهمـا أدبيّاً يبعـد به عمّـا ألفه كثيـر من المفسرين في القـديم والحديث من وصل النـص القرآني بمختلف ثقافـاتهم في غلوّ واسـراف وصلاً طـالماً ظهـر فيه اثـر التكلّف والصنـاعة واضـاع على النـاس الروعـة الاسلوبية التي هي أبرز خصائص القرآن واقواها برهاناً على أعجازه.

ثانيها: ذكر الآراء المختلفة للمفسرين الذين سبقوه بأمانة وضبط في غير لجاجة من دحـــض فكرة أو تفضيـل رأي، ثم ذكـر ما يـذهب المـؤلف اليـه بنفس الـروح الهادىء المستقيم.

ثالثها: عدم التبسط في ناحية وتحيف ناحية اخرى، بل يعطي المؤلف لكل أمر حقه مـن الوفاء المـوجز، فالقـراءات، وأسباب النـزول، واللغة، والنحو، والبـلاغة، والاحكام الفقهيـة، والمسائل الكلامية، والتـاريخ القصصي، جميعاً؛ تأخـذ نصيباً واحداً من العنـاية. وهذا حظّ في التأليـف قلّ من وهبه، وهو دليل استيعـاب الرجل

لأكثر علـوم العربية والدراسـات الاسلامية استيعابـاً جعل منه مؤلّفاً قـادراً على ضبط قلمه متى شاء.

رابعها: ان الايجاز عنده ليس ايجازاً في الأفكـار وانما هو ايجاز في الأداء فأنت واجد من وراء كل كلمة قصداً تومىء اليه لـو رجعت تستوضحه في الكتب المطوّلة ما أفدت جـديداً فـاتته الاشـارة اليه، وهـو بهذا يصح ان يكـون متناً لـدراسة مطـولة أو ملخصاً للحفظ والتذكّر عند الحاجة أو ثبتاً يومىء إلى مواطن الرأي في كل آية ومسألة

ترجمة المؤلّف

وقد فضّلت أن تكتب بغير قلمي فاخترت لها رجـلاً تشهد بحوثه في سير الرجال بالاستيعاب والتثبّت فكتبت إلى العلاّمة الجليل محمد محسن الشيخ المعروف بـ«آغا بزرك» أن يكتب سيرة الرجل بقلمه فتفضل وأرسل إليّ الترجمة الآتية:

الحمـد لله والصلاة والسـلام على سيـدنا ونبينـا محمد خـاتم الـرسل وعلى آلـه وأوصيائه ومعادن حكمـة الهادين الى أوضح السّبل صلاة زاكيـة دائمة من الآن إلى ان يجمع الله بيننا في مستقر رحمته.

وبعد فـإن النظرة العـابرة في هـذا التفسير «الـوجيز» تغني القـارىء عن تقـريظه والإطراء عليه.

إنّ نسبة هذا السفر الجليل الى مؤلفه بلغت حدّ التواتر المفيد للعلم الضروري لا سيّما وجود النسخة الـراجعة كتابتها إلى عصر المؤلف والمقـروءة عليه، فالبحث في خصوصيات متن هذا التفسير وما حوتـه دفّتاه والتحقيق عن سنده ونسبته الى المؤلّف لايثمران غير التطويل لذا نفلت القراء الى مكانة المؤلّف لنفسه وشرح أحواله وتواريخه التي محيت عن صفحات التاريخ كتراجم كثير من سلفنا الصالح وعلمائنا الأبرار.

نعم جنى التأريخ على هـذا العالم الجليل، لكن تصانيفـه الجليلة أحيت ذكراه

وآثاره الباقيه دلت على فضله وهي براهين جليّة على أنّه العلامة الجامع للمعقول المبرّز في سائر الفنون والمؤلف في كثير منها، فهو مفسّر، محدث، فقيه، أُصولي، نحوي، منطقي، رياضي، فلكي، اديب، شاعر كما ستعرفه عند ذكر تصانيفه.

نسبه

رأيت بعضه بخطه النسخ الجيد هكذا: علي بن الحسين بن محي الدين بن عبداللطيف بن نور الدين علي بن شهاب الدين أحمد بن محمّد بن أحمد بن علي ابن أحمد (أبي جامع) العاملي، فبينه وبين (أبي جامع) تسعة آباء، وأبو جامع عاشرهم.

وجده الخامس أعني (محمداً) بين (أحمدين) كان عصره أواخر الثمانمائة وأوائل التسعمائة للهجرة، فانه كتب (التنقيح الرائع) للعلامة الشيخ أبي عبدالله المقداد السيوري المتوفى سنة ٨٢٦هـ، وفرغ من كتابة جزئه الأول أوائل سنة ٩٠٨ ومن كتابة جزئه الثاني أواخر سنة ٩٠٩هـ، والنسخة جميعها بخط واحد رأيتها بمكتبة العلامة الشيخ (هادي كاشف الغطاء) وكتب في آخرها اسمه وبقية نسبه الى (أبي جامع) كما مرّ، يعني انه ذكر بينه وبين أبي جامع ثلاثة آباء اعني علياً بين أحمدين، فيكون عصر أبي جامع أواخر السبعمائة وأوائل الثمانمائة يعني انه كان حياً في نيف وثمانمائة، فان البطن الرابع من حفدته كان حياً في نيف وتسعمائة يعني ٩٠٩ سنة كتابة (التنقيح).

فآل أبي جامع بيت قديم في جبل عامل من علماء الشيعة.

وأول من عرفناه منهم بالعلمية كاتب (التنقيح) المذكور، فانه كتبه في مدّة طويلة تزيد على السنتين تقريباً كما ذكرنا، ولعل ذلك كان أوان اشتغاله به وقراءته فيه، وإلاّ فمجرّد الكتابة لاتستغرق هذه المدة وقد كتب في آخره ما لفظه: فرغ من مشقّة مشقه

العبد المحتاج إلى المنزه عن الأولاد والأزواج، وبارىء الخليقة من نطفة أمشاج، أقل الناس جرماً واكثرهم جُرماً، القليل عملاً، الجسيم أملاً، الكثير زللاً «محمد بن أحمد بن علي بن أحمد بن أبي جامع» رزقه الله من العيش أرغده وجعل خير يوميه غده بمحمد وآله الطاهرين. في عدّة أيام آخرها قريب الزوال يوم الجمعة ثاني شهر ذي الحجة المبارك من شهور سنة تسعة بعد التسعمائة (انتهى).

وذكر انه كتبه عن نسخة سقيمة مغلوطة ولم يتيسّر له مقابلته وتصحيحه.

وبالجملة ان في نفس النسخة أمارات تدل على أنّ كاتبها من أهل العلم والفضيلة مضافاً إلى شهادة «المحقق الكركي» له بذلك في الإجازة التي كتبها بخطه: الشيخ «شهاب الدين أحمد» ابن هذا الشيخ. وصورة الاجازة مدرجة في مجلد إجازات «البحار» صرح فيها بأن والد المجاز منه كان من المشايخ الصلحاء، فقد عبّر عنه بقوله: الشيخ شهاب الدين أحمد بن الشيخ الصالح ابن أبي جامع، فالظاهر أنّ المحقق الكركي إنما وصفه بذلك علماً منه بحاله وصلاحه يوم كان في بلاده أوان كتابة «التنقيح»، ولعل ذلك كان بمرأى منه، بل يغلب على الظّن مشاركته مع «الكركي» في التلمذة على الشيخ «علي بن هلال الجزائري» الذي أجاز الكركي، فإن هجرة الكركي من بلاده إلى مجاورة العتبات كانت سنة ٩٠٩ يعني بعد كتابة «التنقيح» وحين عزمه على التوّجه إلى العراق أجازه بتلك السنة شيخه علي بن هلال كما صرح الكركي بجميع ذلك في اجازته لصفي الدين في سنة ٩٣٧ وصورتها مدرجة في آخر مجلدات «البحار» أيضاً.

وبعد تشرف المحقق الكركي إلى العراق تشرف الشيخ شهاب الدين أحمد بن هذا الشيخ الصالح وتلمّذ على المحقق الكركي سنين حتى كتب له الاجازة في سنة ٩٢٨، مصرحاً فيها بتلمذته عنده، ثم عاد الشيخ شهاب الدين أحمد الى بلاده واشتغل هناك ولده الشيخ نور الدين «علي» على «الشهيد الثاني» وكتب بخطه

«الروضة البهيـة» في سنة ٩٦٠ يعني بعـد تأليفه بثـلاث سنين عن نسخة خـط استاذه المؤلف، وقـرأه عليه وصحّحه وقابله مـع نسخة خط استاذه، وشهد الاستـاذ بمقابلته وتصحيحه وقراءته عليه. وكتب له عليها الإجازة ورأى هذه النسخة صاحب«الرياض» وقال خطـه متوسّط فـي الجودة. ذكره فـي صفحة ٤٠٥ من النسخة المخطـوطة لكن تحت عنوان الشيخ «زيـن الدين» بدل (نور الـدين) علي بـن أحمد بـــن محـمد بـن أبي جامع العاملي، ففيـه صرح باسم والد شهاب الدين أحمـد المجاز من الكركي، وان اسمه كان محمـداً وكذا صرح بذلـك حفيد الشيخ علي، المترجم فـي الرياض، وهو الشيخ علي بن رضي الدين بن علي بن شهاب الدين أحمد بن محمد الجامعي، والحفيد أعرف بنسب جـــده، ذكره في رسالـته التي وصلت الـــى العلامـــة الشيخ جواد محي الدين.

وبالجملـة: فالجـدّ الخامس لهـذا المفسّر هـو الشيخ محمد الكـاتب للتنقيح الملقب بالصالح في اجازة المحقق الكركي، والمعاصر معه ومن طبقة تلاميذ الشيخ علي بن هلال الجزائري.

وجده الرابع هو الشيخ شهاب الدين أحمـد بن محمد المذكور الذي كان تلميذ المحقق الكركي والمجاز منه سنة ٩٢٨.

وجده الثالث هو الشيخ زين الدين (أو نورالدين) علي بن شهاب الدين أحمد، تلميذ الشهيد الثاني وقارىء الروضة عليه والمجاز منه.

وجده الثانـي هو الشيخ عبد اللطيف الـذي كان شيخ الاسلام في (تستـر) وتوفي سنة ١٠٥٠ وكـان تلميـذ صـاحب (المعـالم) الشيـخ حسن بـن الشيخ زيـن الـدين الشهيدالثاني.

وجده الأول هو الشيخ محي الدين بن عبـد اللطيف الذي صار شيخ الإسلام في (تستر) بعد وفاة الشيخ جواد الكاظمي قال في (الأمل): كـان فاضلاً عالماً عابداً ورعاً

يروي عن أبيه الشيخ عبد اللطيف.

وأما والده فهو الشيخ العالم الجليل الشيخ حسين بن محي الدين الذي عدّه شيخنا العلامة النوري ـ رحمه الله ـ في خاتمة المستدرك (صفحة ٤٠٦) سابع مشايخ السيد المحدث الجزائري والمجاز منه مدبّجاً سنة ١٠٩٠، وصورة تلك الإجازة عندي في كتابي المخطوط «اجازات الرواية والوراثة في القرون الأخيرة الثلاثة».

وقد ترجمه الشيخ الحرّ في «الأمل» فقال: انه عالم فاضل فقيه معاصر، له «شرح القواعد» للعلامة وكتاب في الفقه وكتاب في الطّب وديوان شعر، وغير ذلك، وهو يروي عن أبيه الشيخ محي الدين عن أبيه الشيخ عبد اللطيف عن الشيخ البهائي (انتهى).

وأما الشيخ علي بن الحسين بن محي الدين، مؤلف هذا التفسير «الوجيز» فقد أشرنا إلى جناية التاريخ عليه لكن الشمس الطالعة لا يحجبها السّحاب المتراكم، وقد استفدنا كثيراً من أحواله من كلمة واحدة صدرت في حقه من العلامة السيد عبدالله الجزائري قالها في آخر اجازته الكبيرة التي ذكر في آخرها: «معدوداً من رجالات العلم الذين فاز بالتشرف بخدمتهم والاستفادة من علومهم ومعارفهم دون غيرهم من معاصريه» وكان أحد المعدودين الشيخ حسن أخو الشيخ علي هذا. الذي كان أصغر منه سنّاً وأدون رتبة وعلماً، لأنه تلمّذ عليه وأخذ العلم منه، ويروي الحديث عنه، وكان أقصر منه عمراً لأنه توفي سنة ١١٣٠ مع كونه أصغر، وبقي الشيخ علي كما في ظاهر عبارة الإجازة الى سنة ١١٦٨ التي كتب الجزائري الإجازة فيها. حيث قال في وصف الشيخ حسن: انه كان عالماً فاضلاً أديباً جامعاً للفنون مهذباً وقوراً كثير الصمت ليناً هيّناً يروي عن أبيه الشيخ حسين وعن أخيه الشيخ علي الساكن ببلدة «خلف آباد» كان يقدم علينا «الحويزة» مراراً وكنت اُلازمه ليلاً ونهاراً الى قوله: يلاطفني ملاطفة الوالد الشفيق على الولد البارّ، توفي سنة الثلاثين من المائة

الثالثة عشر (انتهى).

فدلنا الجزائري بقوله عنه وعن أخيه الشيخ علي، على أنّ صاحب هذه الأوصاف الكثيرة المذكورة تلميذ لهذه الشخصية الفذّة، وكان أخاه الأصغر منه والآخذ عنه فكيف به نفسه، وقوله: الساكن ببلدة «خلف آباد» تصريح بأنه كان في تاريخ الاجازة من الساكنين بتلك البلدة، وكان قائماً في مقام آبائه بمنصب شيخ الاسلام وبما علمنا أنه كان بدء سنة تأليفاته سنة ١٠٩٠ أو قبلها بقليل فتكون ولادته تقريباً حدود سنة ١٠٧٠ وعلى هذا الفرض فبقاؤه الى سنة تأليف الإجازة ١١٦٨ وان كان ممكناً لكنه في غاية البعد فمن المحتمل انه استعمل (المشتق) في المنقضي عنه المبدء مجازاً، بقرينة شهرة موته قبل ذلك التاريخ بسنين والله العالم.

وبالجملة، انّا قد علمنا من إشارة السيد عبدالله أنّه في سنة تاريخ الإجازة أو قبلها بسنتين كان من العلماء القائمين بالوظائف الشرعية وشيخوخة الاسلام في سنين من عمره الشريف في بلدة «خلف آباد» في مقام آبائه، وله الرواية عن أبيه الحسين، عن جده محي الدين، عن والده عبد اللطيف، عن الشيخ البهائي، ويروي عنه تلميذه الشيخ جعفر بن عبدالله كما يأتي، وأخواه الأصغران منه، وهما: الشيخ حسن المذكور المتوفى سنة ١١٣٠ والشيخ محي الدين الثاني الذي كان شيخ إجازة الميرزا ابراهيم بن غياث الدين القاضي الاصفهاني على ما ذكره هذا القاضي في إجازته للسيد نصرالله المدرس الحائري الموجودة صورتها.

وإلى الشيخ محي الدين الثاني ينتهي نسب «آل محي الدين» الموجودين في النجف وغيرها. ولنكتف بهذه الالمامة من أحواله ومشايخه وتلاميذه، ولنعطف على ذكر آثاره القيّمة المخلّدة لذكره من منظوم ومنثور التي هي رمز لحياته الباقية ودلالات على نبوغه وإلمامه بالفنون، وبرهان جلّي على عبقريته.

١ـ الوجيز في التفسير الذي وفق الله بعض مخلصيه لطبعه ونشره لانتفاع سائر

الناس وهو دليل على مهارته.

٢ـ شرح أربعين حديثاً، في الطهارة مع التحقيق والبيان ويؤسف انه لم يتم ويوجد منه شرح إحدى وعشرين حديثاً. والنسخة رأيتها بالخزانة الرضوية من موقوفات الحاج عماد الفهرسي تاريخ كتابتها ١١٢٩.

٣ـ توقيف السائل على دلائل المسائل، وهو من أنفس الكتب ودليل واضح على تبحّر هذا الحبر في الفقه، ذكرناه في الجزء الرابع من كتابنا (الذريعة) صفحة ٥٠١ كما ذكرنا ان النسخة توجد في خزانة كتب العلامة الشيخ هادي كاشف الغطاء، لكنها اليوم في مكتبة العلامة الشيخ قاسم محي الدين مع نسخة أخرى ناقصة.

٤ـ الإفادة السّنيّة في مهم الصلوات اليومية، فرغ من تأليفه اثنى عشر شعبان سنة ١١٠٦ فاستنسخ عنه تلميذه الشيخ جعفر بن عبدالله في سنة التأليف وقرأها على استاذه فكتب له عليها الإجازة وعلى النسخة حواشي كثيرة من المؤلف.

٥ـ أُرجوزة في أصول الفقه، ذكرناها في «الذريعة» صفحة ٥٠٣.

٦ـ أُرجوزة في النحو، ذكرنا بنفس الصحيفة وقد فرغ من نظمها سنة ١٠٩٥.

٧ـ تحفة المبتدي، في المنطق منظومة جميلة نظمها بأمر من والده وذلك سنة ١٠٩٠ وأمره والده بعد ذلك بشرحها فشرحها وكتب على الشرح حواشي.

٨ـ ارشاد المتعلم إلى الطريق ـ رسالة في المنطق.

٩ـ شرح حاشية المولى عبدالله الشاه آبادي على مبحث التصديقات، رأيتها مع ما قبلها ضمن مجلد واحد في مكتبة العلامة الشيخ قاسم محي الدين، ويقال أن له شرح التصورات أيضاً لكني لم أعثر عليه.

١٠ـ رسالة في أن النسبة ثلاثية أو رباعية.

١١ـ أُرجوزة في علم الفلك أسماها «تبصرة المبتدي» رأيت قطعة منها بخطه النسخ الجيد.

فهـذه التآليف مـن نظم ونثر تـراث علمي وأثـر باق يحتفـظ بها ويحـرص على جمعها العلامة المفضال الشيخ قاسـم محي الدين في النجف الأشرف، ولعل هناك ما لم نعثر عليه من مؤلفات هذا الحبر المتضلّع، وفوق كل ذي علم عليم.

فجـزى الله روحـه الطيبـة خيـر جـزاء المحسنيـن، وحشـره وإيّـانـا مـع الأئمـة الطاهرين، وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين.

وبعد، فإن يك في صنيعي هذا ما يقرب من خير، أو يعلى من درجة فثواب ذلك مهديّ إلـى روح والدي وهي رهينـة ربّها، وإن لـم اك أحسنـت صنيعاً فمعـذرتي إلى الأعلام الذين أحسنوا بي الظن فساعدوني على نشره.

عبدالرزاق محي الدين

بغداد

٤ـ ٩ـ ١٣٧٣هـ

١٩ـ ٥ـ ١٩٥٣م

مُصَوَّرَاتُ النُّسَخِ الخَطِّيَّةِ

الَّتِي اسْتَفَادَ مِنْهَا الدُّكْتُورُ مُحيِي الدِّينِ

انه اسم الله الاعظم ... فاتحة الكتاب سورة البقرة مائتان وست وثمانون آية مدنية .

بسم الله الرحمن الرحيم الم وباقي الالفاظ المتهجى بها اسماء مسمياتها الحروف التي ركب

الكلام منها لصدق حد الاسم عليها وقبولها خواصه وتدل ... مجاز ... وفي حديث من قرأ حرفا من كتاب الله فله

والحسنة بعشر امثالها لا اقول الم حرف بل الف حرف ولام حرف وميم حرف ... عرف طارئ ...

اسماؤها ... ليكون اوائلها ... لا ... استعير مكان ... السكون الا الالف المتحركة ...

بالهمزة وهي ... موقوفة بلا اعراب لعدم مقتضيه مع قبولها له اذ لم تشابه مبني الاصل ولذا جمع

فيها بين الساكنين نحو صاد ونون ولم تحرك ... وانما افتتح السور بطائفة منها تنبيها على المتحدى بالقرآن

وتنبيها على ان المتلو عليهم كلام منظوم مما ينظمون منه كلامهم فلو كان من عند غير الله لما عجزوا بجمعهم عن

مثله مع فصاحتهم وتظاهرهم وليستقل ... الاسماع ... اذ لم يعهد النطق باسماء الحروف

من الامي الذي لا يخط ولا يتلو مع ان المورد منها في الفواتح ... نصفها الاكثر وقوعا

في تراكيب الكلم وانما فرقت على السور ولم تعد ... القرآن ... التحدي والتنبيه وقيل هي اسماء

للسور ... التسمية ... انما هو ... تركيب ... الا ...

... بانها ... ومن لطائف القرآن ...

في التعدي ... وغيره ... ايضا ... الاشتراك في الاعلام من وضع

واحد المنافي للغرض منها وقيل ... من كلمات ... اي انا الله اعلم ونحوه وقيل اشارة الى

مدد ... وقيل مقسم بها ... الحروف ... مباني اسمائه تعالى وكتبه وقيل اسماء للقرآن

... وبالكتاب وقيل اسماء الله تعالى ... الم ... المص ... حمعسق وقيل ...

وقيل من المتشابه الذي استأثر الله بعلمه ... جعلت اسماء الله تعالى او السور او القرآن فحلها الرفع على الابتداء

او الخبر او النصب بتقدير اتل او فعل القسم او الجر باضمار حرف القسم ... معانيها ... فان

اولت بالمؤلف فالرفع كما مر وان جعلت مقسما بها ... ذلك الكتاب ... الاشارة

لوحة «١»

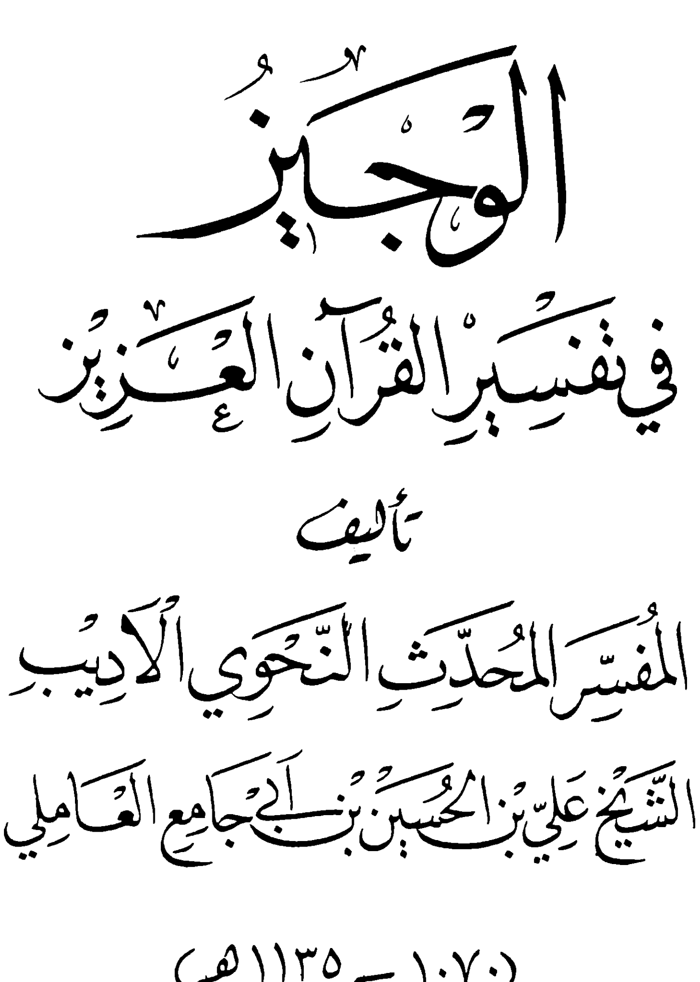
سورة البقرة من نسخة الصدر

لوحة «٢»

سورة آل عمران من نسخة الصافي

لوحة «٣»

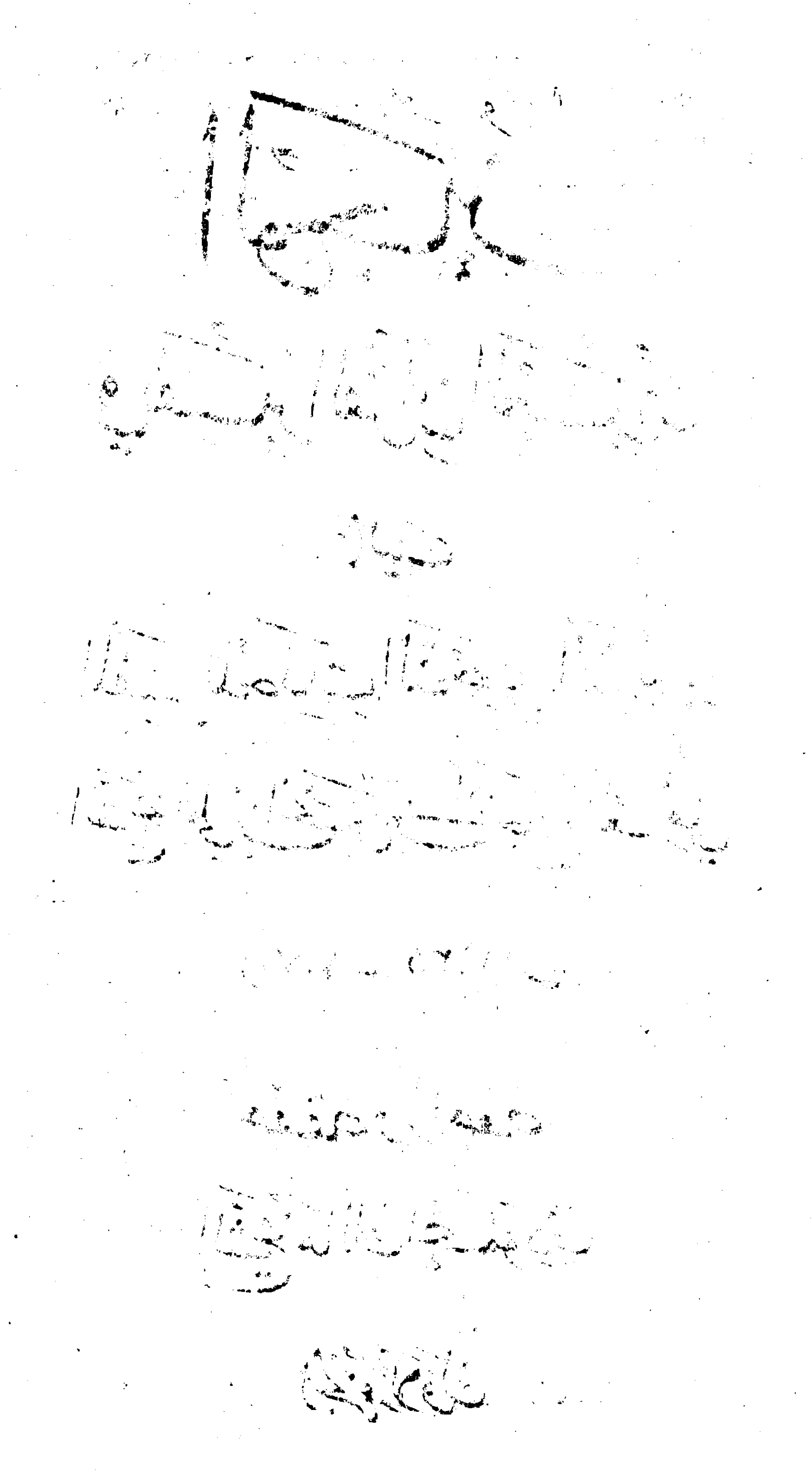
سورة المائدة من نسخة محيي الدين



حقّقه وراجعه

الشّيخ مالك المحموديّ

الجزء الأوّل



[مقدمة المؤلف]

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمد لله الذي أنزل على عبده القرآن، هدى للنّاس وبيّناتٍ من الهدى والفرقان، فتحدّى به الفصحاء من أهل اللّسان، فعجزوا عن معارضة أقصر سورة في حسن نظمها والبيان.

والصّلاة على الخطيب به على رؤس الإنس والجانّ، النّاسخ به وبدينه سائر الكتب والأديان محمد المبعوث بأبلغ حجةٍ وأقوى برهان.

وآله الذين هم لكتابه وشرعه حفظة وخزّان عليهم صلوات الرحمٰن في كلّ زمان.

«وبعد» فإنّ أسير الذّنوب العظام، ورهين الجرائم الجسام، الرّاجي من فضل مولاه، فكّ رقبته من أغلال خطاياه، العبد الجاني، علي بن حسين[١] بن أبي جامع العاملي ـ عامله الله بعفوه ورأفته، وشمله ووالديه والمؤمنين بفضله ورحمته ـ يقول:

إن علم التفسير من أجلّ العلوم الشّرعية موضوعاً، وأفضل المعارف الدينيّة أصولاً وفروعاً، لأنه «الكشّاف» عن «أنوار التنزيل» الحجاب، ومن شأنه الإسعاف[٢] بـ«مجمع البيان» و «التبيان» لأُولى الألباب. وفي ضمنه كشف عن حقائق علوم جمّة، وفي طيّة نشر لدقائق فنون مهمّة.

---

(١) هذه النسبة الى الجدّ الخامس، والصحيح: عليّ بن الحسين بن محي الدين بن عبداللطيف بن علي بن احمد بن ابي جامع.

(٢) الإسعاف: الإعانة ـ كما في مجمع البحرين«سعف».

وكثيراً مـا كنت أُحدّث نفسي في تأليـف مختصر منتخب من «منتقى جمـانه»، وجمع ملخّص ملتقط من «جواهر كنز عرفانـه» ويعوّقني عنه قصر الباع عن تناول هذا المرام، وقصور الإستعداد عن بلـوغ ذلك المقام، فقلت لنفسي: لا تقنطي من فيض الكريم، وثقي بفضل جوده العميم.

فشرعـت فيه مع تـوزّع البال، وعـروض الشواغل من سفـر وغيره مـن الأشغال، سالكـاً فيه طـريق الإيجـاز في التعبير، مشيـراً إلى أكثر الأقـوال المحتملة مـن وجوه التفسير، منبّهاً على قليل من النّكت إذ لا يحيط بكلّها حساب معرباً عمّا يتوقف عليه فهم المعنى من وجوه الإعراب، مقتصراً على ذكر «القراءات السّبع» المشهورة[1] وربّما ذكرت غيرها[2] في مـواضع يسيرة، جـارياً فـي عدّ الآيـات على المشهور مـن إغفال البسملة، خـوفاً من مخـالفة المسطـور في المصاحف الشّـريفة المبجّلـة، وإن كان الإعتقـاد: أنّهـا آيـة من كـلّ سورة إلاّ التّـوبـة، لأخبـار صحيحـة[3] من المتـواترات محسوبة، وإذ قد وفّق الله بلطفه للإتمام، على ما ذكرت من التأليف والنّظام، ناسب أن يسمى بـ:

«الوجيز في تفسير القرآن العزيز»

ثمّ إني أسـأل الله تعالى أن يجعله وسيلـة الى عفوه وغفـرانه، وذريعة الـى الفوز بثوابه ورضوانه، وأن ينفع به الطالبين، ويهدي به المسترشدين، بمحمّد وآله الأكرمين صلّى الله عليهم أجمعين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

---

(١) القراء السبعـة هم: نافع ـ المـدني ـ وابن كثيـر ـ المكي ـ ويطلـق عليهما: الحرميان، أحيـاناً ـ وابوعمرو ــ البصري ـ، وعبدالله بن عامـر ـ الدمشقي ـ وعـاصـم ـ الكوفي ـ وحمـزة ـ الكوفي ـ والكسايي ـ كما في حجة القراءات: ٥١ـ.

(٢) هناك قـرّاء لـم يشتهروا كإشتهـار السبعة منهم: يـزيد بن القعقـاع، ويعقوب بن اسحـاق والبزاز وغيرهـم.

(٣) الاحاديث في هذا المضمار كثيرة جداً، انظر جامع احاديث الشيعة ٥: ١١٤.

سورة الفاتحة

[١]

مكيّة، وقيل: أُنزلت ثانياً في المدينة(١)

تسمّى «**فاتحة الكتاب**» لأنها مفتتحة، و«**أُمّ الكتاب**» لاشتمالها على جمل معانيه، و«**الحمد**» لذكره فيها، و«**السبع المثاني**» لأنها سبع آيات إتفّاقاً،(٢) لكنّهم بين عادّ للبسملة دون «أنعمت عليهم» وعاكسٍ.(٣) وَتُثنّى في الفريضة أو الإنزال.(٤) ولها أسماء أُخر،(٥) والمذكورة أشهر.

[١] ـ ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ آية من الفاتحة، ومن كلّ سورة، عدا «براءة»

---

(١) نقل معناه الطبرسي في تفسير مجمع البيان ١: ١٧.

(٢) في تفسير القرطبي ١: ١١٤: اجمعت الامة على انّ فاتحة الكتاب سبع آيات.

(٣) قال القرطبي في تفسيره ١: ٩٤ عن ابن بكير عن مالك قوله «انعمت عليهم» آية، ثم الآية السابعة: الى آخرها وكذا عدّ اهل المدينة واهل الشام واهل البصرة وامّا وأهل الكوفة ـ من القراء والفقهاء ـ فإنهم عدّوا فيها: «بسم الله الرحمن الرحيم»، ولم يعدّوا: «انعمت عليهم».

(٤) وهذا تعليل آخر لتسمية السورة بالسبع المثاني. ونقل هذا الطبرسي في تفسير مجمع البيان ١: ١٧ وفيه: قيل لأنها نزلت مرّتين.

(٥) منها: «الكافية» و«الوافية» و«الاساس» و«الشفاء» وغيرها مما ورد في تفسير مجمع البيان ١: ١٧ وتفسير روح المعاني ٣٣.

بإجماعنا، [١] والمخالفون بين موافق ومخالف . [٢]

و«البـاء» للإستعـانة ؛ وتـرجّح بأن جعل اسمـه تعالـى آلة للفعل مشعـراً بزيـادة مدخليته فيه حتى كأنه لايوجد بدونه .

أو للمصاحبة وترجّح بأن التبرّك باسمـه تعالى أدخل في الأدب من جعلـه آلةً ، إذ هي تابعة مبتذلة ، وفي الردّ على المشركين في تبرّكهم باسم آلهتهم .

والحق أنّ التبرّك يجـامع كلاً منهما ، فإنّ ذِكـر اسمه تعالى يثمره مطلقـاً والسّورة مقولة على ألسنة عباده تعليماً للتبرّك بإسمه وحمده وسؤاله .

ومتعلّق الظرف ، الأولى تقديـره فعلاً ؛ لأصالته في العمل وقلّة الإضمـار مؤخّراً ؛ لأهميّة اسمه تعالى ، وقصر التبرّك عليه خاصّـاً ؛ هكذا : باسم الله أتلو؛ لدلالة الحال عليه ، إذ ما يتلو التّسمية متلوّ.

وكل فـاعل يضمر ما جعلهـا مبدءاً له كـأذبح وأحلّ وارتحل : في الـذّبح والحلّ والإرتحال ، [٣] والإيهـــام العـام كأبدأ قصـــر التبرّك علـى الإبتداء ، ولمطابقـة ﴿إقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ . [٤]

و «الإسم» من : السّموّ وأصله «سمو» حذف عجزه ، وسكّن أوّله ، وزيد فيه مبتدأ

---

(١) كما في تفسير التبيان ١ : ٢٤ وتفسير مجمع البيان ١ : ١٨ .

(٢) في تفسير القرطبي ١ : ٩٢ : اختلف العلماء في هذا المعنى علي ثلاثة اقوال :

الاول : انها ليست بآية من الفاتحة ولاغيرها ـ وهو قول مالك ـ .

الثاني : انها آية من كل سورة ـ وهو قول عبدالله بن المبارك ـ .

الثالث : قول الشافعي : هي آية في الفاتحة ، وتردد قوله في سائر السور ، فمرّة قال : هي آية من كل سورة ، ومرّة قال : ليست بآية الأ في الفاتحة وحدها .

(٣) أي : وكل فاعل (بمعنى القائم بالعمل) يجعل مبدأ عمله بسم الله . . . كأن يضمر في نفسه أذبحُ بسم الله . . . وأحلُّ . . . وأرتحلُ . . .

(٤) سورة العلق : ٩٦/ ١ .

به همزة، بشهادة التّكبير والتّصغير.

أو: من «السّمة» وأصله «وَسْم» حذفت الواو وعوّض عنها الهمزة.

ولم يقل بالله، لأنّ التبرّك باسمه، وليعمّ كل اسمائه.

و«الله» أصله: «إله»، حذفت الهمزة وعوّض عنها أداة التعريف[1] لكنّه مختصّ بالمعبود بالحقّ. و«الإله» كان لكلّ معبود، ثم غلّب في المعبود بالحقّ. وهو مِن «ألَهَ» بالفتح: عَبَدَ أو تحيّر، أو ـ الكسر ـ: سكن أو فزع أو ولع، لأنه معبود تتحيّر فيه العقول، وتطمئن بذكره القلوب، ويفزع اليه، ويولع بالتضرّع لديه.

وقيل: أصله «لاه» مصدر لاه ليهاً ولاهاً: إحتجب وإرتفع. فأُدخلت عليه الأداة.[2]

وفي الحديث إشارة إلى جُلّ هذه المعاني: فعن أمير المؤمنين عليه السلام: «الله، معناه: المعبود الذي تألّه فيه الخلق، ويؤله اليه، المستور عن إدراك الأبصار، المحجوب عن الأوهام والخطرات».[3]

وهو علم شخصي للذات المقدّس الجامع لكلّ كمال؛ لا إسم لمفهوم واجب الوجود، وإلاّ لم تفد كلمة الشّهادة: التوحيد؛ لإحتمال اعتقاد قائلها تعدّد أفراد ذلك المفهوم.

وعورض بأنّه لو كان كذلك لم يفده: ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾ لجواز علميّته لأحد أفراد الواجب، مع عدّهم السّورة من أدلّة التّوحيد.

---

(١) قال سيبويه: «الله» مشتق، وأصله: «اله» دخلت عليه الالف واللام فبقي الاله ثم نقلت حركة الهمزة الى اللام وسقطت فاسكنت اللام الاولى وادغمت. ينظر مجمع البحرين ٦: ٣٤٠.

(٢) نقل هذا القول الشيخ الطوسي في تفسير التبيان: ١/ ٢٧، والطبرسي في تفسير مجمع البيان ١: ١٩.

(٣) رواه الصدوق في كتاب التوحيد: ٨٩ مع اختلاف يسير.

ويجاب: بأن آخرها يفيد الواحديّة وصدرها يفيد الأحدية: أي نفي قبول القسمة بأنحائها، وما مرّ في الحديث[1] لا ينافي العلمية.

وتُفَخَّم لامه اذا فُتِحَ ما قبلها أو ضُمّ. وحذف ألفه لحن.

﴿الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ﴾ صفتان مشبّهتان من «رحم» ـ بالكسر ـ بعد نقله الى المضموم؛ كغضبان من غضب، وعليم من علم.

والرّحمة: رقة القلب المقتضية للإحسان. واتّصافه تعالى بها باعتبار غايتها التي هي فعل، لا مبدئها الّذي هو إنفعال.

و «الرحمن» أبلغ؛ لاقتضاء زيادة البناء زيادة المعنى. وهي هنا إما باعتبار الكمّ بحسب كثرة أفراد المرحومين وقلّتها، وعليه حمل «يا رحمن الدنيا» لشمول المؤمن والكافر «ورحيم الآخرة» للإختصاص بالمؤمن. أو باعتبار الكيف، وعليه حمل: «يا رحمن الدنيا والآخرة ورحيم الدنيا»، لجسامة[2] نعم الآخرة ـ كلّها ـ بخلاف نعم الدّنيا.

فمعنى «الرّحمن»: البالغ في الرّحمة غايتها؛ ولهذا اختص به تعالى، لأن من عداه مَستعيض بأنعامه ثواباً أو ثناءً أو إزالة الرّقة الجنسية أو البخل.

ثم هو كالواسطة، لأن ذات النّعم وسوقها الى المنعم وإقداره على إيصالها منه تعالى فهو المنعم الحقيقيّ.

وإنّما قُدّم «الرّحمن» ـ ومقتضى التّرقّي العكس ـ لصيرورته بالإختصاص كالواسطة بين العلم والوصف، فناسب توسيطه بينهما. أو لأنّ الملحوظ في مقام التّعظيم جلائل النّعم وغيرها كالتّتمة، فقدّم.

وأردف بـ«الرّحيم» للتّعميم، تنبيهاً على أن جلائلها ودقائقها منه تعالى؛ لئلا

---

(١) أي: الحديث المروي عن اميرالمؤمنين عليه السّلام ـ المتقدم آنفاً ـ.

(٢) الجسامة: العظمة

يأنف عباده من سؤال الحقير من جنابه، وللفاصلة.

وخصّ البسملة بهذه الأسماء الثّلاثة إعلاماً بأنّ الحقيق بأن يُستعان به في جميع الأُمور[1] هو المعبود الحقيقيّ البالغ في الرّحمة غايتها المولي للنّعم كلّها.

[٢] - ﴿الْحَمْدُ للهِ﴾ الحمد: هو الثّناء على جميلٍ اختياريّ، نعمة وغيرها وحمده تعالى على صفاته حمد على الآثار الإختيارية الصّادرة عن ذاته العينيّة كما هو الحقّ. ونقيضه: الذّم، ويرادفه: المدح، أو يعمّ غير الإختياري.

والشكر: ما قابل النّعمة من قول أو عمل أو اعتقاد، ومنه الحمد على النّعمة، بل هو أظهر شعبه دلالة عليها؛ لخفاء الإعتقاد واحتمال عمل الجوارح؛ ولذا قال صلّى الله عليه وآله وسلّم:

«الحمد رأس الشّكر، ما شكر الله من لم يحمده»[2] فجعله كأشرف الأعضاء، فكأنّ الشكر منتف بانتفائه. وخصّه بعض بالقول، فيتساويان. ونقيضه: الكفران.

ورفع «الحمد» بالإبتداء، وخبره «لله». وهو من المصادر التي تنصب بأفعال مضمرة، فأصله النّصب، وعدل الى الرفع ليفيد الثبات دون التجدّد. ولامه للجنس.

أو الإستغراق، أو العهد، أي: حقيقة الحمد، أو: كل أفراده، أو: أكملها ثابت له تعالى على وجه الإختصاص - كما تفيده اللام - ولو بمعونة المقام. ﴿رَبِّ العَالَمِينَ﴾ مالكهم.

و «الربّ» مصدر، بمعنى: التّربية، وهي: تبليغ الشّيء كماله تدريجاً. وصف به للمبالغة. أو: صفة مشبّهة من: رَبَّهُ يربّه، بعد جعله لازماً كما في «الرحمن» واضافته حقيقية لانتفاء العمل النّصب لاشتقاقه من اللازم، ولقصد الإستمرار الثّبوتيّ ككريم البلد، فساغ وصف المعرفة به، وسمّي به: المالك، لحفظه ما يملكه وتربيته

(١) في النسخ: مجامع الأمور.

(٢) رواه البيضاوي في تفسيره ١: ٢٢.

له. ولا يطلق على غير تعالى إلاّ مضافاً كربّ الدّار، أو مجموعا كالأرباب.

و«العالم» اسم لما يعلم به كالطابع غلّب في كل جنس مما يعلم به الصانع من الجواهر والأعراض، كما يقال: عالم الأرواح، وعالم الأفلاك وعالم العناصر، ويطلق على مجموعها ـ أيضاً ـ، ولا يجمع إلاّ بالإطلاق الأول، فيتعيّن هنا. وإنما جمع ليشمل كلّ أجناس مسمّاه وأفرادها أيضاً. وجمع بالواو والنون لمعنى الوصفيّة فيه، وتغليب العقلاء.

وقيل: اسم لكل جنس من ذوي العلم من الملائكة والثقلين ودخول غيرهم بالتّبعيَّة.[1]

[٣] ـ ﴿الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ﴾ كررا في مفتتح الكتاب الكريم إشعاراً بشدة اعتنائه سبحانه بالرّحمة، وتثبيتاً للرّجاء بأنّ مالك يوم الجزاء هو البالغ في الرحمة غايتها، فلايقنط من عفوه المذنبون.

[٤] ـ ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ قراءة «عاصم» و«الكسائي».[2] ويؤيّده: ﴿يَوْمَ لاٰتَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالأَمْرُ يَومَئِذٍ لله﴾.[3]

وقرأ الباقون: «مَلِكِ»[4] ويؤيّده: ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ للهِ الْوٰاحِدِ الْقَهَّارِ﴾[5] وأنه أدخل في التّعظيم، وأنسب بالإضافة الى «يوم الدين» كملك العصر، ولوصفه تعالى بالملكية بعد الرّبوبية في خاتمة الكتاب،[6] ليوافق الإفتتاحُ الإختتام.

---

(١) نقل هذا القول البيضاوي في تفسيره ١: ٢٧ ولم ينسبه.

(٢) الكشف عن وجوه القراءات ١/ ٢٥.

(٣) سورة الانفطار: ٨٢/ ١٩.

(٤) الكشف عن وجوه القراءات ١/ ٢٥.

(٥) سورة المؤمن: ٤٠/ ١٦.

(٦) في سورة الناس: ١١٤/ ٢، قوله تعالى: «ملك النّاس».

والمالك: مَن له التّصرّف فيما في حوزته، والمَلِك: من له التّصرّف في الأُمور ـ في الأمر والنّهي ـ بالغلبة.

والدين: الجزاء، ومنه: «كما تَدين تُدان».[١]

وعن الباقر عليه السلام: أنه الحساب.[٢]

وإضافة إسم الفاعل الى الظّرف لإجرائه مجرى المفعول به توسّعاً، وسوّغ وصف المعرفة به قصد معنى المضيّ؛ تنزيلاً لمحقّق الوقوع منزلة ما وقع، أو قصد الإستمرار الثّبوتيّ. والمعنى: ملك الأمر كلّه في ذلك اليوم، أو له الملك ـ بكسر الميم ـ فيه، فإضافته حقيقيّة، وكذا إضافة «ملك» إذ لامفعول للصّفة المشبّهة.

وتخصيص اليوم بالإضافة ــ مع أنه تعالى مالك وملك لجميع الاشياء في كلّ الأوقات ــ لتعظيم اليوم، أو لتفرّده تعالى بالملك والملك فيه؛ لأن ماحصل منهما للبعض في الدنيا بحسب الظاهر يزول وينفرد سبحانه بهما ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ للهِ الْواحِدِ الْقَهّارِ﴾.[٣]

وفي التّعبير باسم الذّات الدّالّ على استجماع الكمالات، وتعقيبه بتلك الصّفات المنتفية عمّا سواه تعالى، دلالة على إنحصار إستحقاق الحمد فيه، وقصر العبادة والإستعانة عليه تعالى، وإرشاد الى المبدأ والمعاد، وتنبيه على أنّ من يحمده النّاس إمّا أن يحمدوه لكماله الذّاتيّ، أو لإنعامه عليهم، أو لرجائهم إحسانه في المستقبل، أو لخوفهم من كمال قهره، فكأنّه تعالى يقول: أيها النّاس إن كنتم تحمدون للكمال الذّاتي؛ فأنا الله، أو للإنعام والتّربية؛ فأنا ربّ العالمين، أو للرجاء في المستقبل؛ فأنا الرّحمن الرّحيم، أو للخوف من كمال القهر؛ فأنا مالك

(١) وهو قول أميرالمؤمنين عليه السّلام كما ورد في نهج البلاغة (الخطبة: ١٥٣).

(٢) تفسير التبيان ١: ٣٦ وتفسير مجمع البيان ١: ٢٤.

(٣) سورة المؤمن: ٤٠/١٦.

يوم الدّين.

[٥] ـ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ «إيّا»: ضمير منصوب منفصل، ولواحقه من «الكـاف» و«الياء» و«الهـاء» حروف لبيـان الخطاب والتكلّم والغيبـة لا محل لهـا من الإعراب ككاف «ذلك» ـ على أصحّ الأقوال ـ.[١]

والعبـادة أعلىٰ مراتـب الخضوع والتـذلّل؛ ولذا لا يستحقهـا إلاّ المولـي لأعْظمِ النّعم ـ من الوجود والحياة وتوابعها ـ.

والإستعانة: طلب المعونـة في الفعل، ويراد بها ـ هنا ـ: طلـب المعونة في كلّ المهمات، ولذا حذف المستعان فيه، أو: في أداء العبادة بـوظائفها، بقرينة توسّطها بين «نعبد» و«إهدنا» فحذف إختصاراً للقرينة.

وتقديم المفعول، لقصر العبادة والإستعانة عليـه تعالى قصراً حقيقيّاً، أو إضافياً إفراديّاً، ولتقدّمه تعالى في الوجود، وللتّنبيه على أنّ العابد والمستعين ينبغي أن يكون نظرهما ـ بالذّات ـ الى الحقّ سبحانه، ثم منه الى أنفسهما،[٢] لا من حيث ذواتهما، بل من حيث انّهـا ملاحظة لـه تعالى، ثم الى عبـادتهما[٣] ـ ونحـوها ـ لا من حيث صدورها عنهما،[٤] بل من حيث إنها وصلة بينهما[٥] وبينه تعالى.

وتكرير الضّميـر للتنصيص على التّخصيص بالإستعانة، فينتفي إحتمـال تقدير مفعـولها مـؤخّراً، ويـرتفع توّهـم إرادة التخصيص بمجموع الأمـرين لا بكلٍ منهمـا، ولبسطِ الكلام مع المحبوب كآية: ﴿هِيَ عَصَايَ﴾.[٦]

وتقديـم العبادة على الإستعـانة ليتـوافق الفـواصل في متلـوّ الآخر؛ ولأنّ تقـديم الوسيلـة على طلب الحاجة أدعى إلـى الإجابة، ولمناسبـة تقديم مطلوبه تعـالى من

---

(١) راجع الاقوال المتعددة الواردة عن كبار النحويين في تفسير مجمع البيان ١: ٢٥.

(٢ـ٥) وردت الكلمة بصيغة الجمع ـ في المواضع الأربعة ـ وصححناه نظراً الي السياق.

(٦) سورة طه: ٢٠/ ١٨.

العباد على مطلوبهم منه، ولأنّ المتكلّم لمّا نسب العبادة الى نفسه كان كالمعتدّ بما يصدر منه فعقّبه[1] بـ«إيّاك نَسْتَعينُ»، إيذاناً بأنّ العبادة لا تتمّ إلاّ بمعونته.

وإيثار صيغة المتكلّم مع الغير على المتكلّم وحده، ليلاحظ القارىء دخول الحفظة أو حاضري صلاة الجماعة، او كلّ موجود ﴿وَإِنْ مِنْ شَيءٍ إِلاّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾،[2] وليؤذن بحقارة نفسه عن عَرْض العبادة وطلب المعونة منفرداً على باب الكبرياء بدون انضمامه إلى جماعة تشاركه في العرض، كما يُصنع في عرض الهدايا، ورفع الحوائج إلى الملوك، وليحترز عن الكذب لو انفرد في إدّعائه: قصر خضوعه التّام واستعانته عليه تعالى، مع خضوعه التّام لأهل الدنيا من الملوك ونحوهم.

وفي الجمع يمكن أن يقصد تغليب الخلّص على غيرهم فيصدق، وليدرج عبادته وحاجته في عبادة المقرّبين وحاجتهم لعلّها تقبل وتجاب ببركتهم.

والعدول من الغيبة الى الخطاب إلتفات، ويكون بالعكس، ومن أحدهما الى التّكلّم وبالعكس، ومن عادة العرب العدول من أسلوب الى آخر تفنّناً في الكلام، وتطرية له، وتنشيطاً للسّامع، وتختصّ مواقعه بنكتٍ.

وممّا اختص به هذا الموضع: أنّ الحمد إظهار مزايا المحمود، فالمخاطب به غيره تعالى، فالمناسب له طريق الغيبة.

وأما العبادة والإستعانة، فينبغي كتمانهما من غير المعبود والمستعان؛ ليكون أقرب الى الإخلاص وأبعد عن الرّياء، فالمناسب له طريق الخطاب.

ومنه: التّلويح إلى ما في حديث: «أُعبد الله كأنّك تراه»[3] إذ العبادة الكاملة هي مايكون العابد حال اشتغاله بها مستغرقاً في الحضور، كأنّه مشاهد لجناب معبوده.

---

(١) في «ج»: فعقّب.

(٢) سورة الإسراء: ١٧/ ٤٤.

(٣) عوالي اللآلي ١: ٤٠٥ الحديث ٦٥.

ومنه التّنبيه على علوّ مرتبة الذّكر، وأنّ العبد بإجراء هذا القدر منه على لسانه صار أهلاً للخطاب، فكيف لو لازمه ليلاً ونهاراً.

ومنه الإيماء إلى أنّ من تأدّب وكسر نفسه ورآها بعيدةً عن ساحة القرب حقيق أن تدركه رحمة إلهيّة توصله إلى مقام أهل القرب والخطاب.

[٦] ـ ﴿إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ فصل عمّا قبله لكمال الإنقطاع؛ لتخالفهما خبراً وإنشاءً، أو لكمال الإتّصال لأنّه بيان للمعونة المطلوبة كأنّه قيل: كيف أُعينكم؟ فقالوا: «اهدنا».

والهداية: الدّلالة بلطف ـ أوصلت إلى المطلوب أم لا ـ، وقيل: الموصلة.[١] ويدفعه ﴿فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ﴾.[٢]

وقيل: إراءة ما يوصل،[٣] ويدفعه: ﴿إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾[٤] وقيل إن تعدّت الى ثاني مفعوليها بنفسها فالموصلة، ولا تسند إلاّ اليه تعالى، أو بالحرف فالإراءة وتسند الى النبّي صلّى الله عليه وآله وسلّم والقرآن، ويدفعه: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾[٥] والإسناد إلى غيره تعالى في: ﴿فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِراطاً سَوِيّاً﴾.[٦]

ثمّ إنّ أصناف هديته سبحانه ـ وإن لم يحصرها العدّ ـ على أربعة أوجه:

الاول: إفاضة القوى والحواس لجلب النّفع ودفع الضّرر ﴿أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ﴾.[٧]

---

(١) ذكره البيضاوي في تفسيره ١: ٣٤.

(٢) سورة فصّلت: ٤١/ ١٧ وتمامه: «وأمّا ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى علي الهدى».

(٣) أشار اليه البيضاوي في تفسيره ١: ٣٥.

(٤) سورة القصص: ٢٨/ ٥٦.

(٥) سورة البلد: ٩٠/ ١٠.

(٦) سورة مريم: ١٩/ ٤٣.

(٧) سورة طه: ٢٠/ ٥٠.

الثاني: نصب الدلائل الفارقة بين الحقّ والباطل ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾.[1]
الثالث: إرسال الرّسال وإنزال الكتب ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ﴾.[2]
الرابع: إزالة الغواشي البدنيّة وإراءة الأشياء كما هي، بالوحى أو الإلهام أو المنام الصّادق، والإستغراق في ملاحظة جماله وجلاله، وهذا يختصّ به الأنبياء والأولياء ونحوهم ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللهُ﴾،[3] ﴿فَبِهُدَيْهُمُ اقْتَدِهْ﴾،[4] فإذا تلا هذه الآية غير الواصلين أرادوا بالهداية: المرتبة الرّابعة، وإذا تلاها الواصلون أرادوا: زيادة ما مُنِحوه من الهدى ﴿وَالَّذِينَ اهتَدَوا زادَهُمْ هُدًى﴾.[5] والثبات عليه.
عن أمير المؤمنين عليه السّلام: «إهدنا»: ثبّتنا.[6]
والصّراط: الجادّة، من: سرط الطّعام، أي ابتعله، فكأنّه يسترط السّابلة وهم يسترطونه، كما سمّي: لَقماً كأنّه يلتقمهم. وجمعه: ككتب، ويذكّر ويؤنّث كالسّبيل، وأصله: السين، قلبت صاداً لتطابق الطاء في الإطباق، وقد يشمّ الصّاد صوت الزّاء.
وقرأ «ابن كثير» بالأصل[7] و «حمزة» بالإشمام،[8] والباقون بالصّاد ـ وهي لغة قريش ـ.[9]
والمراد بـ«الصراط المستقيم»: طريق الحقّ أو دين الإسلام، أو كتاب الله.
[٧] ـ ﴿صِراطَ الَّذِينَ أَنْعَمتَ عَلَيْهِمْ﴾ بدل كلّ من: «الصّراط المستقيم»،

---

(١) سورة البلد: ٩٠/ ١٠
(٢) سورة فصّلت: ٤١/ ١٧.
(٣) سورة الزمر: ٣٩/ ١٨.
(٤) سورة الانعام: ٦/ ٩٠.
(٥) سورة محمّد صلّي اللّه عليه وآله وسلّم: ٤٧/ ١٧.
(٦) رواه الزمخشري في تفسير الكشّاف: ١/ ٦٧.
(٧ـ٩) الكشف عن وجوه القراءات ١: ٣٤.

للتأكيد والتّنصيص على أنّ الطريق الذي هو علم في الإستقامة هو طريق المنعَم عليهم، حيث جعل كالتّفسيرله .

والمراد بهم المذكورون في قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيّينَ وَالصّدّيْقِينَ والشُّهَداءِ والصَّالِحِينَ﴾ .[١] وقيل: المراد بهم المسلمون،[٢] فإنّ نعمة الإسلام أصل كلِّ النِّعم. وقيل: الأنبياء.[٣]

والإنعام: إيصال النّعمة، وهي ـ في الأصل ـ مصدر، بمعنى: الحالة المستلذّة، ككون الإنسان مليّاً ـ مثلاً، ثمّ أُطلقت على نفس الشّيء المستلذّ، تسمية للسّبب باسم المسبّب .

ونِعمه سبحانه ـ على كثرتها وتعذّر حصرها ﴿وإنْ تَعُدُّوا نِعمَةَ الله لاتُحْصُوها﴾[٤] ـ ثمانية أنواع: إمّا دنيويّ موهبيّ روحاني ـ كإفاضة العقل ـ، أو جسمانيّ ـ كخلق الأعضاء ـ.

وإمّا دنيويّ كسبيّ روحانيّ ـ كتحلية النّفس بالأخلاق الزّكية ـ، أو جسمانيّ ـ كتزيين البدن بالهيئات المطبوعة .

وإمّا أخرويّ موهبيّ روحانيّ ـ كغفران ذنب من لم يتب ـ، أو جسماني كأنهار العسل، وامّا اخرويّ كسبى روحانيّ كغفران ذنب التائب او جسماني كاللذّات الجسمانية المستجلبة بالطّاعات .

والمراد ـ هنا ـ: الأربعة الأخيرة، وما يكون وصلة اليها من الأربعة الأُوَل ـ لاشتراك المؤمن والكافر فيما عدا ذلك ـ. ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلاَ الضَّالِّيْنَ﴾ .

---

(١) سورة النساء: ٤/ ٦٩.

(٢) قاله وكيع كما في تفسير ابن كثير ١: ٢٨.

(٣) اورد هذا القول ابن كثير في تفسيره (١: ٢٨) أيضاً .

(٤) سورة النحل: ١٦/ ١٨.

الغضب: ثوران النفس[1] لإرادة الإنتقام، فإن أُسند إليه تعالى فباعتبار الغاية ـ كالرّحمة ـ.

والعدول عن اسناده إليه تعالى إلى صيغة المجهول، وإسناد عديله اليه سبحانه تأسيس لمباني الرّحمة، فكأنّ الغضب صادر من غيره تعالى، وإلاّ فالظّاهر: غير الذين غضبت عليهم، ومثله ـ في التّصريح بالوعد والتّعريض بالوعيد ـ كثير في الكتاب المجيد، ومنه: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾[2] والمقابل: لأُعذبنّكُم.

والضّلال: العدول عن الطّريق السّويّ ولو خطأً، وشعبه كثيرة، بشهادة قوله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «ستفترق أُمّتي ثلاثاً وسبعين فرقة، فرقة ناجية والباقون في النار».[3]

وتفسير «المغضوب عليهم» باليهود، و«الضّالين» بالنصاري مشهور.[4]

وقيل: المراد بهما مطلق الكفار،[5] وقيل: مطلق الموصوفين بالعنوانين من الكفّار وغيرهم.[6]

و «غير» بدل كلّ من «الذين»، والمعنى: أنّ المنعم عليهم هم الذين ـ سلموا من الغضب والضّلال، فيفيد التأكيد والتنصيص ـ كما مرّ ـ، أو صفة له.

ويبتني ـ كونها مبيّنةً او مقيّدة ـ على تفاسير «المنعم عليهم»، و«المغضوب عليهم» و«الضّالّين»، ولا يكاد يخفى على المتدبّر.

---

(١) اي: هيجانها ـ كما في مجمع البحرين «ثور».

(٢) سورة ابراهيم: ١٤/ ٧.

(٣) اورده السيوطي في الجامع الصغير ١: ١٨٤ والدر المنثور ١: ١٣٦ وغيره، وقد أُلّف في هذا الحديث عدّة كتب، فينظر.

(٤) ذهب اليه كثير من علمائنا ومنهم العياشي في تفسيره ١: ٢٢ والطبرسي في تفسير مجمع البيان ١: ٣١.

(٥) نقل هذا القول الطبرسي في تفسير مجمع البيان ١: ٣٠.

(٦) قاله عبدالقاهر الجرجاني ـ كما في تفسير مجمع البيان ١: ٣٠.

وكيف كـان: فتعرّف الموصـوف، وتوغّل الصّفـة في النّكارة يحوِج إلـى إخراج أحدهمـا عن صرافتـه، اما: بجعل المـوصول مقصوداً بـه جماعة ــ لا بأعيانهـم ــ، فيصير معهوداً ذهنيـاً، فيجرى مجرى النّكرات كـالمعرّف بلام الجنس ـ المـراد به فرد غير مغيّن ـ.

أو بجعل «غير» بـالإضافة الى ذي الضـد الواحد معيّناً تعيّن المعـارف، فينكسر إبهامه، فيصّح وصف المعرفة به كقولهم: «عليك بالحركة غير السكون».

ورجّح هـذا على سابقـه بأنّ إرادة بعض غيـر معيّن تخدش بـدليّة صـراطهم من «الصراط المستقيم»، إذ مدارهـا على عَلميّة صراطهم في الإستقامـة، وذلك انّما هو من حيث انتسابه الى كلّهم لا إلى البعض.

ولفظة «لا» بعـد «واو» العطف في سياق النّفي، تفيد تـوكيده والتّصريح بشمـوله كلاً من المتعـاطفين لا أنّه لمجموعهما. وصحّـح مجيئها هنا تضمّن «غير» المغـايرة والنّفي، ولـذا جاز «أنـا زيـداً غير ضـارب» رعايـة لجـانب النّفي، فتكـون الإضافـة كالعـدم، فيجوز تقـديم معمول المضاف اليـه على المضاف، كمـا جاز: «أنـا زيداً لاضارب» وإن لـم يجـز في: «أنا مثل ضارب زيـدا»: «أنا زيداً مثل ضـارب» لإمتناع وقوع المعمول حيث يمتنع وقوع العامل.

روي عنه صلّى الله عليه وآله وسلّم: «إنّ أفضل سورة أنزلها الله فـي كتابه هي«الحمد»، أمّ الكتاب، وانّها شفاء من كلّ داء». (١)

وعن الصّادق عليه السّلام: «لو قـرئت الحمد على ميّت سبعين مـرة، ثم ردّت فيه الرّوح، ما كان عجباً». (٢)

وعنه عليه السّلام أنه قال: إسم الله الأعظم مقطّع في أمّ الكتاب». (٣)

---

(١) رواه العياشي في تفسيره، ١: ٢٠ الحديث ٩.

(٢) رواه الكليني في الكافي ٢: ٤٥٦ــ كتاب: فضل القرآن ـ الحديث ١٦.

(٣) رواه الصدوق في ثواب الاعمال: ١٣٠.

سورة البقرة

[٢]

مائتان وستّ وثمانون آية

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ـ ﴿الٓمٓ﴾ وباقي الألفـاظ المتهجّى بها، [1] أسماء مسمّياتهـا: الحروف التي منها ركّبت الكلم، لصدق حدّ الإسم عليها وقبولها خواصّه، وقد تُسمّى حروفاً مجازاً.

وما في حديث: «من قرأ حرفاً من كتـاب الله فله حسنة والحسنة بعشر أمثالها».

لا أقول: «الـم» حرف، بل «الف» حـرف و«لام» حرف و«ميـم» حرف[2] فلغوي، إذ

---

(١) وهي الالفـاظ الـواردة في الوائل السّـور التـالية: آل عمـران: ٣، والاعراف: ٧، يونس: ١٠، هود: ١١، يوسف: ١٢، الرعد: ١٣، ابراهيم: ١٤، الحجر: ١٥، مريم: ١٩، طه: ٢٠، الشعراء: ٢٦، النمل: ٢٧، القصص: ٢٨، العنكبوت: ٢٩، الروم: ٣٠، لقمان: ٣١، السجدة: ٣٢، يس: ٣٦، ص: ٣٨، والحـواميم السبعـة وهي: غـافـر: ٤٠، فصّلـت: ٤١، الشورى: ٤٢، الزخرف: ٤٣، الدخان: ٤٤، الجاثية: ٤٥ والاحقاف: ٤٦، والألفـاظ الواردة فـي اول سـورتي ق: ٥٠ والقلم: ٦٨.

(٢) رواه الترمـذي في سننه ٥: ١٧٥ـ كتـاب فضائل القرآن، الحـديث: ٢٩١٠، والسيوطي في الدر المنثور ١: ٢٢ عن النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم.

العرف طارٍ .

وصدّرت اسماؤها بها لتكون أول ما يقرع السّمع ، إلاّ الألف اللّينة ، استعير مكان مسمّاها ؛ لسكون الألف المتحرّكة المسماة بـ«الهمزة» .

وهي بدون العوامل موقوفة بلا إعراب ؛ لعدم مقتضيه ، مع قبولها له ، إذ لم تشابه مبنيّ الأصل ، ولذا جمع فيها بين السّاكنين ، فقيل : «صاد نون» ولم ترك كـ«أين» .

و إنمّا افتتحت السّور بطائفة منها : ايقاظاً للمتحدّى بالقرآن ، وتنبيهاً على أنّ المتلوّ عليهم كلام منظوم ممّا ينظمون منه كلامهم ، فلو كان من عند غير الله لماعجزوا بأجمعهم عن الإتيان بمثله مع فصاحتهم وتظاهرهم .[1]

وليستقلّ أول ما يقرع الأسماع بنوع إعجاز إذ لم يعتد النطق بأسماء الحروف من الأُمي الذي لا يخطّ ولا يتلو، مع ان المورد منها في الفواتح .

---

(١) تحدّى القرآن الكريم عموم العرب في جميع الازمنة بأن يأتوا بمثل القرآن لكنهم عجزوا ولايزالون عاجزين عن ذلك مع توفّر الدواعي على اتيانه ـ خصوصاً في عصرنا الحاضر الذي يحاول المستعمرون فيه بكل ما اوتوا من حول وقوة صرف الناس عن الإسلام والقرآن ـ .

وآيات التحدي على انواع هي :

أ ـ التحدّي بإتيان كتاب يكون مثل القرآن :

قول تعالى : «قل لئن اجتمعت الإنس والجنُّ على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لايأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً» (الاسراء : ١٧/ ٨٨) .

وقوله تعالى : «أم يقولون تقوّله بل لايؤمنون فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين»(الطور: ٥٢/ ٣٣ـ ٣٤) .

ب ـ التحدّي بإتيان عشر سور:

قوله تعالى : «أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سورٍ مثله مفترياتٍ وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين»(هود : ١١/ ١٣) .

ج ـ التحدّي بإتيان سورة واحدة فقط :

قوله تعالى : «أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورةٍ مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين»(يونس : ١٠/ ٣٨) .

ويجمعها: «صراط علي حق نمسكه».

نصفها[1] الأكثر وقوعاً في تراكيب الكلم. وإنمّا فرّقت على السّور ولم تعدّ متجمعة في أوّل القرآن تكريراً للتحدّي والتّنبيه.

وقيل: هي أسماء للسّور.[2]

واستكراههم التسمية بثلاثة أسماء فصاعداً إنمّا هو إذا رُكّبت تركيب «بعلبك»، لا إذا نثرت نثر أسماء العدد، فإنّها كالتسمية بالجمل المحكيّة.

وترجيح السّابق ـ بأنه أوفق بلطائف القرآن ـ، يخدشه: أن النكات المذكورة في التّعديد من التّحدي وغيره توجد مع العلمية ـ أيضاً ـ.

نعم يلزمها النّقل والإشتراك في الأعلام من واضع واحد، المنافي للغرض منها.

وقيل: مختصرة من كلمات، كقولهم «لم» معناه «أنا الله أعلم» ونحوه.[3]

وقيل: إشارة الى مدد وآجال بحساب الجُمَّل.[4] وقيل: مقسم بها؛ لشرف الحروف لأنّها مباني أسمائه تعالى وكتبه.[5]

وقيل: اسماء القرآن للإخبار عنها به وبالكتاب.[6]

وقيل: اسماء الله تعالى، لقول علي عليه السّلام: «يا كهيعص، يا حمعسق»[7]

---

(١) قال نظام الدين الحسن بن محمّد القمي (ت/ ٧٢٨ هـ) في تفسيره غرائب القرآن ١: ١٣٧: واعلم ان الباقية ـ بعد حذف المكرر ـ اربعة عشر، نصف عدد حروف المعجم بعد الكسر. . . الى اخر ما قال.

(٢) قاله زيد بن أسلم والحسن ـ كما في تفسير التبيان ١: ٤٧ـ.

(٣) قاله ابن عباس ـ كما في تفسير مجمع البيان ١: ٣٢ـ.

(٤) ينظر تفسير التبيان ١: ٤٧.

(٥) قاله ابن عباس وعكرمة ـ كما في تفسير التبيان ١: ٤٧ـ.

(٦) قاله قتادة ومجاهد وابن جريج ـ كما في تفسير التبيان ١: ٤٧ـ.

(٧) رواه الطبرسي في تفسير مجمع البيان ٣: ٥٠٢.

وقيل: سرّ الله[١] تعالى.[٢]

وقيل: من المتشابه الذي استأثر الله تعالى به.[٣]

فإن جعلت أسماءاً لله تعالى أو السور أو القرآن فمحلّها: الرّفع ـ على الإبتداء أو الخبر ـ. أو النصب ـ بتقدير «اتل» أو فعل القسم ـ، أو الجرّ بإضمار حرف القسم ـ.

وان عددت مبقاة على معانيها فإن أُولت بـ«المؤلّف» فالرفع ـ كما مرّ ـ وإن جعلت مُقسماً بها فالنصب أو الجر، وإلاّ فلا محل لها.

[٢] ـ ﴿ذٰلِكَ الْكِتابُ﴾ الإشارة الى «الم» أي هذه الحروف الّتي ينتظم منها كلامكم، أو هذا المؤلّف منها أو القرآن أو السّورة. وحيث شابه البعيد لتقصيه، أتى بصيغته، أو الى الكتاب فتكون صفته، أي: الكتاب الموعود به. وهو مصدر اطلق على المكتوب، ثمّ على العبارة قبل الكتب لأنّها مما يكتب.

وأصله: الجمع، فـ«الم» ـ ان جعلت إسماً للسّورة أو القرآن أو مؤوّلة بالمؤلّف ـ مبتدأ، و«ذلك» مبتدأ ثانٍ و «الكتاب» خبره، والجملة خبر الأوّل. ومعناه: انه الكتاب الكامل الحقيق بأن يسمّى كتاباً، أو الخبر «ذلك» و «الكتاب» صفته. أو «الم» خبر لمحذوف. و «ذلك» خبرٌ ثان، أو بدل، و«الكتاب» صفته أو «ذلك» مبتدأ و«الكتاب» خبره، أو صفته والخبر: ﴿لا رَيْبَ فِيهِ﴾.

و «الرّيب» مصدر رابه كذا: إذا وجد فيه الرّيبة، وهي: قلق النّفس. سمّي به «الشك» لأنه يقلقها. وهو مبنيّ لتضمّنه معنى «مِن» ومحلّه النّصب بـ«لا»، و «فيه» خبره، ولم يقدّم لعدم قصد القصر. ومعناه أنه لوضوحه دلالةً وبرهاناً بحيث لا يرتاب

---

(١) في «ط»: أمر الله.

(٢) في تفسير التبيان ١: ٤٨: قال بعضهم لكلّ كتاب سرّ، وسرّ القرآن في فواتحه.

(٣) ذكر هذا القول الطبرسي في تفسير مجمع البيان ١: ٣٢.

فيـه عاقـل. أو صفته، و«للمتّقيـن» خبره، و «هـدًى» حال عـن الضّمير المجـرور، وعامله: الظـرف. أو: الخبر محذوف ولذا وقف على «ريب»، و«فيـه» خبر «هدى» قدّم عليه لتنكيره، والتّقدير: لاريب فيه، فيه هدى.

وعلى الاوّل ﴿هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾ خبر مبتدأ محذوف أو خبر لـ«ذلك» كـ«لاريب».

والهدى: مصدر، وهو: الدلالة، والتوصيف به للمبالغة، وتنكيره للتعظيم.

وإختصاصه بالمتّقين ـ وإن كان هـدى للناس ـ، لأنهـم المهتدون به. والمراد: زيادته وثباته لهم كـ﴿إهدِنا الصِّراطَ المُسْتَقِيمَ﴾ أو يراد بهم المشارفون للتّقوى.

والمتقي ـ لغة ـ: اسم فاعل من وقاه فاتّقى.

والوقاية: فرط الصّيانة، وشرعاً: من يقي نفسه الذنوب.

هذا، وأوفـق الوجـوه الإعرابيـة: كون الآية أربـع جمل متناسقـة تقرّ كـلّ لاحقةٍ سابقتها، ولذا لم يتخللها العاطف.

فـ«الم» جملـة تفيد التّحدّي، و«ذلك الكتـاب» ـ ثانيـة ـ تقرير جهـة التّحدّي، و«لا ريب فيــه» ـ ثالثــة ـ تسجــّل كــماله. وهدى للمتقين ـ رابعة ـ تقرر كونه يقيناً لا يشك فيه.

[٣] ـ ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾. إمّا صفـة لـ«المتّقين» مجرورة مخصّصـة ـ إن فسّرت التّقوى بترك المعاصي ـ، أو موضحـة ـ إن فسّرت بفعل الطّاعة وترك المعصية ـ، لاشتمالها علـى أساس الأعمال القلبيّة، وأُم العبادات البدنية والمـالية من الايمان والصّلاة والصّدقة المستتبعة لسائر الطّاعـات وترك المعاصي غالباً ﴿إنّ الصَّلَوةَ تَنْهى عَنِ الْفَحْشَاء﴾،[1] أو مادحـة بأفضل ما تضمّنه التّقـوى، أو منصوبة أو مرفـوعة على المدح بتقـدير: أعنـي، أو: هم. وإمّا إستئنـاف مرفوع بـالإبتداء، وخبـره «أُولئِكَ»، فالوقف على المتّقين تام.

(١) سورة العنكبوت: ٢٩/ ٤٥.

والإيمان ــ لغةً ـ: التصديق، أُخِذَ من الأمن، وعدَّته الهمزة الى مفعولين كأنَّ المصدَّق أمِنَ المصدِّق التكذيب. ولتضمّنه معنى الإقرار عدّيَ بالباء.

وشرعاً ـ: التصديق بما جاء به النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم مع الإقرار باللسان ـ شرطاً ـ أو بدونه، وعليه الأشاعرة. أو معه ــ شطراً ــ وهو متصور الإماميّة. أو هما مع العمل، وعليه المعتزلة.

فالمخلّ بالإعتقاد منافق، وبالاقرار كافر، وبالعمل فاسق، لا كافر ــ كقول الخوارج ـ، ولا بين المنزلتين ـ كقول المعتزلة ـ، لاقتران الايمان بالمعاصي في آية: ﴿وإنْ طَائِفَتانِ﴾[1] ونحوها، وبعض الأخبار.[2] وما في بعضها من الخروج عنه بها،[3] محمول على نقص كماله بها، فبطل ـ أيضاً ـ إدخالهم «العمل» فيه.

و«الغيب» مصدر بمعنى: الغائب ــ ان جعلت الباء صلة للإيمان ـ فتكون للتّعدية. والمراد به: الخفيّ الّذي لا يعلمه العباد إلاّ بتعليمه تعالى كالصانع وصفاته والنبوّة والشرائع والإمامة وغيبة المهدي عليه السّلام وخروجه والقيامة وأحوالها.

وإن جعل «بالغيب» حالاً، أي: متلبّسين بالغيب، فهو بمعنى: الغيبة، والباء: للمصاحبة، أي: يؤمنون حال غيبتهم لا كالمنافقين.

وقيل: الغيب: القلب[4] فالباء للإستعانة ﴿وَيُقِيمُون الصَّلوةَ﴾ أي يعدِّلون أركانها وأفعالها، فلا يقع فيها زَيغ، من: أقامَ العود: إذا قوّمه.

---

(١) في سورة الحجرات: ٤٩/ ٩ وتمام الآية: «وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحديهما على الأخرى فقاتلوا الّتي تبغي حتّى تفيء إلى أمر الله فإن فآءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إنَّ الله يحبُّ المقسطين».

(٢) ذكر العلامة المجلسي اخباراً في هذا المجال في بحارالأنوار ٦٩: ٢٢٣ الباب ١١٤ من باب الكذب. الحديث ٤٧ ومابعده.

(٣) كما ورد في بحارالأنوار ٦٦: ٧٣ الباب ٣٠ الحديث ٢٨.

(٤) ذكر ذلك الآلوسي في تفسير روح المعاني ١: ٣٣.

أو: يدومون عليها، من أقمت السّوق: إذا جعلتها نافقة، كأنّها بالمداومة عليها جعلت نافقة.

أو: يؤدّونها، ـ تعبيراً عن أدائها بإقامتها، لاشتمالها على القيام ـ.

والصّلاة ـ لغة ـ الدعاء، وسميت بها العبادة المخصوصة، لاشتمالها عليه.

﴿ومِمَّا رَزَقْناهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ الرّزق ـ لغة ـ: الحظّ، وعرفاً: إعطاء الله تعالى الحيوان ماينتفع به. ويستعمل بمعنى: المرزوق.

ودلَّ إسناده اليه تعالى ومدحهم بالإنفاق منه، على أنَّ الحرام ليس منه لتعاليه سبحانه عن القبائح وعدم اقتضاء إنفاق الحرام المدحَ. وأنفق ـ وما وافقه في «الفاء» و «العين» ـ دال على معنى الخروج والذّهاب. وتقديم المفعول للإهتمام به لحلّيته. ورعايته الفواصل و إدخال «مِن» التبعيضية عليه للكفّ عن التّبذير.

والمراد به، قيل: كلّ مال صرف في سبيل الخير ـ فرضاً أو نفلاً ـ[1] وقيل: الزكاة المفروضة،[2] لاقترانه بأُختها. وقيل: نفقة الرّجل على أهله،[3] لنزولها قبل فرض الزكاة. وعن الصادق عليه السّلام: «معناه ممّا علّمناهم يبثّون».[4]

[٤] ـ **﴿وَالَّذينَ يُؤْمِنُونَ﴾** هم إمّا: مؤمنو أهل الكتاب كعبدالله بن سلام وأمثاله، عطف على «الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ» فيشاركونهم في صفة التّقوى، أو: على «المتّقين»، كأنّه قيل: هدى لأُولئك وهؤلاء.

و إمّا الأوّلون بأعيانهم. ووسّط العاطف على معنى: انهم الجامعون بين تلك الصفات وهذه **﴿بما أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾** القرآن والشريعة بأسرهما. والتّعبير بالماضي مع أنَّ

---

(١) ذكره الطوسي في تفسير التبيان ١: ٥٨.

(٢) قاله ابن عباس ـ كما في تفسير مجمع البيان: ١: ٣٩ وتفسير التبيان ١: ٥٨ والجامع ١: ١٧٩د.

(٣) قاله ابن مسعود ـ كما في تفسير مجمع البيان: ١: ٣٩ وتفسير التبيان ١: ٥٨ والجامع ١: ١٧٩د.

(٤) رواه الحويزي في نورالثقلين ١/ ٢٦ الحديث ٥ والطبرسي في تفسير مجمع البيان ١: ٣٩.

بعضه مترقّب، تغليب للموجود، أو تنزيل للمترقّب منزلة الواقع. ﴿وَما أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ الكتب السابقة، ووصف الإعراض بالإنزال بتبعية المحلّ وهو الملك ﴿وَبالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ إيقاناً زال معه ما كانوا عليه من أنّه لا يدخل الجنة ألا من كان هودا أو نصارى، [1] ولن تمسهم النار إلا اياما معدودة[2] واختلافهم في نعيم الجنة أهو من جنس نعيم الدنيا أم غيره، دائم أم لا. وفي تقديم الظّرف. وبناء «يوقنون» على «هم» تعريضٌ بغيرهم من أهل الكتاب، وأنَّ ما هم عليه من أمر الآخرة غير مطابق ولا عن إيقانٍ ـ و«الايقان»: إحكام العلم بنفي الشك عنه ـ.

و«الآخرة» تأنيث: آخر، صفةً الدار، لقوله تعالى: ﴿تِلْكَ الَّدَارُ الآخِرَةُ﴾[3] فغلبت كالدّنيا و «نافع» يحذف الهمزة ويلقي حركتها على اللام للتخفيف.[4]

[٥] ـ ﴿أُولئِكَ عَلى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ﴾ الجملة محلّها: الرّفع، خبر عن «الذين يؤمنون بالغيب» ـ ان جعل مبتدأ ـ فكأنّه لمّا قيل: «هدى للمتقين» قيل: لما[5] خُصّوا بذلك؟ فقيل: «الذين يؤمنون بالغيب» إلى آخره، وإلاّ فاستئناف لا محلّ لها، كأنّه قيل: ما نتيجة الإتّصاف بتلك الأوصاف؟ فقيل: الثّبات على الهدى الكامل عاجلاً؛ والفوز بالفلاح آجلا.

ومعنى الإستعلاء في «على هدى»: تشبيه تمسّكهم بالهدى وثباتهم عليه باعتلاء الرّاكب مركبه. ونُكِّر «هدًى» للتعظيم، ووصف بـ«من ربهم» تأكيداً بتعظيمه بأنّه

---

(١) كما ورد عن قولهم في سورة البقرة: ٢/ ١١١ وفيه«لن يدخل . . .».

(٢) اقتباس من قوله تعالى: «وقالوا لن تمسَّنا النَّار الاّ أيّاماً معدودةً» البقرة: ٢/ ٨١.

(٣) سورة القصص: ٢٨/ ٨٣ وتمام الآية: «. . . نجعلها للّذين لايريدون علوّاًفي الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتَّقين».

(٤) ذكر البيضاوي هذه القراءة في تفسيره ١: ١٠٠.
هكذا: وعن نافع: انّه حفّفها بحذف الهمزة والقاء حركتها علي اللام.

(٥) «ما» ـ هنا ـ استفهامية، اي ما بالهم خصّوا بذلك؟

ممنـوحه وهـو اللّطف والتّـوفيق. ﴿وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُـونَ﴾ تكـرير «أُولئك» يفيـد إختصاصهـم وتميّزهـم عن غيرهـم بكلّ واحدة من المزيّتين.

وادخل العاطـف لاختلاف الجملتين مفهومـاً بخلاف ﴿أُولئك كَالأَنْعَـامِ بَلْ هُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾[1] ـ إذ الثّـانية مقرِّرة لـلأُولى فلا يحسن العطـف. و«هم» فصل يفصل الخبر عن الصّفـة ويحصره في المبتدأ ويؤكّد الحكـم، أو مبتدأ و«المفلحون» خبره والجملة خبر «أُولئك».

والمفلح: الفائز بالبُغية. وتعريف «المفلحون» للعهد، أي: المتقون هم النّاس الذي بلغك أنّهم مفلحــون في الآجل، أو للـجنس بإرادة حصـره فـي المسند الـيه، أو اتحاد المسند اليه به.

فانظـر كيف نبّه تعـالى على اختصاص المتّقين بـالأثرتين ـ بذكر إسـم الإشارة المفيد للعلّيّـة، مع الإيجاز، وتكـريره، وتعريف المفلحيـن، وضمّ الفصل ـ إعـلاناً بفضلهم وحثّاً على لزوم نهجهم.

وإرادة الكـامـــل من الهـدى والفـلاح توهن تمسّك «الوعيـديّة»[2] بـه في دوام عذاب الفاسق.

[٦] ـ ﴿إِنَّ الَّذينَ كَفَرُوا﴾ لمّا ذكـر الله تعالى أوليـاءه بصفاتهم التـي أوجبت لهم الهدى والفـلاح، قفّاهم بـأضدادهم العتـاة الذين لا ينفع فيهـم الهدى[3] والإنذار. وقطعت قصّتهم عن قصّة المؤمنين لتباينهمـا غرضاً، إذ الأُولى لكشف شأن الكتاب، والثّانية لشرح تمرّدهـم. والتأكيد بـ«إنَّ» لعلّه للرّواج.

---

(١) سورة الاعراف: ٧/ ١٧٩.

(٢) الوعيدية: فرقة من الخوارج وهم القائلون بتكفير صاحب الكبيرة وتخليده في النار ـ دائرة معارف القرن العشرين ١: ٨٨.

(٣) في «ط»: لاينفعهم الهدى.

وتعريف الموصول إمّا للعهد ويراد ناس معيّنون كـ«أبي لهب» وأضرابه، أو للجنس ويخصّصه الخبر بالمصرّين.

والكفر ـ لغة ـ: ستر النّعمة، من الكَفْر ـ بالفتح ـ وهو: السّتر.

وشرعاً: عدم التّصديق بما علم ضرورة مجيء النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم به.

﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ﴾ «سواء» إسم بمعنى: الإستواء، وصفَ به كما وصف بالمصادر، ورفع بأنّه خبر «إنَّ»، وما بعده رفع بالفاعليّة.

والتّقدير: انّهم مستوٍ عليهم إنذارك وعدمه. أو: بأنّه خبر لما بعده، أي: إنذارك وعدمه سواء عليهم. والجملة خبر «إنَّ» والاسناد الى الفعل لتأويله بالمصدر. وعدل إلى الفعل ملاحظةً للتجدّد، ولأليقيّته[١] بالهمزة و«أم» المقرّرتين للإستواء، وجرّدتا عن معنى الإستفهام لمجرّد الاستواء.

والإنذار: التخويف ـ أي من عقاب الله تعالى. ﴿لاَيُؤْمِنُونَ﴾ جملة مؤكّدة لما قبلها فلا محلّ لها، أو حال مؤكّدة من ضمير «عليهم»، أو خبر «انَّ» والجملة قبلها إعتراض وإخباره تعالى بأنّهم لا يؤمنون، لا ينفي قدرتهم على الايمان، فلا يكون تكليفهم به تكليفاً بما لا يطاق. وفي الآية إخبار بالغيب واعجاز ان اريد بهم معيّنون.

[٧]ـ ﴿خَتَمَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلى سَمْعِهِمْ وَعَلى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾ إستئناف.

والختم: أخو الكتم، إذ في الإستيثاق من الشّيء بضرب الخاتم عليه كتم له.

والغشاوة: الغطاء. والختم، والتّغطية امّا إستعارة، شبّه جعل قلوبهم بحيث لاينفذ فيها الحق لإعراضهم عنه وأسماعهم بحيث تمجّه[٢] بضرب الخاتم على الشيء، وجعل أبصارهم بحيث لا تجتلي الدلائل المنصوبة بالتغطية عليها، أو تمثيل حال قلوبهم ومشاعرهم ـ مع الحالة المانعة من الإستنفاع بها فيما خلقت له

(١) في «ط»: وليتعقّبه.

(٢) المجُّ، هو: اللفظ ـ كما في ـ مجمع البحرين ـ، والمراد استيحاش آذانهم من سماع الحقّ.

بحال أشياء معدّة للإنتفاع بها مع المنع عنه ـ بالختم والتّغطية.

وإسناد الختم ــ مع قبحه ـ الى الله تعالى ــ المنزّه عن القبيح ـ كناية عن تمكّن إعراضهم عن الحق في قلوبهم وأسماعهم حتّى صار لهم كالجبلة الصّادرة عنه تعالى. أو تمثيل حال قلوبهم بحال قلوب البهائم التي خلقها الله تعالى خاليةً عن الفطن،[1] أو من الإسناد إلى السّبب، أو مجاز عن ترك قسرهم على الايمان كناية عن رسوخهم في كفرهم، أو تهكّم بهم حكايةً لقولهم: ﴿قُلُوبُنا فِي أكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وبَيْنِكَ حِجَابٌ﴾[2] أو في الآخرة، والتعبير بالماضي لتحقّقه بشهادة: ﴿ونحشُرهُم يَومَ الْقِيَمَةِ على وُجُوهِهِم عُمْياً وبُكماً وصُمّاً﴾.[3]

«وعلى سمعهم» عطف على «قلوبهم» لقوله تعالى: ﴿ختم على سمعه وقلبه﴾[4] ولوقفهم عليه، وكرّر الجّار ليكون أدلّ على شدّة الختم في الموضعين. وإفراد السَّمع لأمْنِ اللّبس، ولأن أصله: المصدر، أو بتقدير حواسّ سمعهم. وإيثاره لمناسبته لوحدة المدرك كالجمع لتكثّرِهِ.

والبصر: إدراك العين، والقوة الباصرة، والعضو، وكذا السمع، والمراد: أحد الآخرين، والقلب: محلّ العلم.

و«غشاوة» رفع بالإبتداء أو الظرف، والتنكير للتعظيم والنّوعية، أي: نوع غير متعارف. ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ العذاب كالنكال ـ زنةً ومعنى ـ، يقال: اعذب عنه ونكل عنه: إذا امسك، ثم سمي به كلّ ألم فادح وإن لم يكن نكالاً ـ أي: عقاباً يردع الجاني ـ فهو أعمّ منهما.

---

(١) الفطن: جمع فطنة، وهو: الفهم ـ كما في مختار الصحاح «فطن»ـ.

(٢) كما ورد في سورة فصّلت: ٤١/ ٥.

(٣) سورة الإسراء: ١٧/ ٩٧.

(٤) سورة الجاثية: ٤٥/ ٢٣.

و«العظيم»: نقيض الحقير، كالكبير للصّغير، والعظيم فوق الكبير، والحقير دون الصغير، والتنكير للنّوعية، أي: لهم من بين الآلام العظام نوع لا يعلم كنهه إلّا الله تعالى.

[٨]ـ ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ افتتح سبحانه ـ في سياق شرح حال الكتاب ـ بذكر خلّص المؤمنين، وثنّى بأضدادِهم الماحضين للكفر سرّاً وجهراً، وثلّث بالمنافقين المذَبْذَبين بين الفريقين، الذين أبطنوا الكفر وأظهروا الايمان، وهم أخبث [من] [1]الكفرة، لخلطهم بالكفر تمويهاً واستهزاءً، ولذلك طول في وصف حالهم. وقصّتهم بأجمعها معطوفة على قصّة المصرّين، والظرف خبر لـ«من»، أو هي خبر لمضمونه.

وأصل النّاس: اناس، حذفت الهمزة وعوّض عنها لام التعريف، وهو اسم جمع، ولامه للجنس، و«من» موصوفة كأنه قيل: ومن النّاس يقولون، او للعهد والمعهود بالذين كفروا و«مَن» موصولة قيل: يراد بها: «ابن أُبيّ» وأضرابه.

وخصّ الإيمان بالله وباليوم الآخر بالذّكر إدّعاءً بأنّهم حازوا الإيمان من جانبيه، وبياناً لفرط خبثهم لأنّهم كانوا يهودا، وإيمانهم بالله واليوم الآخر ليس بإيمان، لقولهم: ﴿عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ﴾ [2] وإنّ الجنَّة لا يدخلها غيرهم[3] ونحوه. فتمويهم على المؤمنين ـ بأنهم آمنوا مثل إيمانهم ـ كفر مضاعف، لأنّهم لو قالوا هذا وهم على عقيدتهم بدون نفاق لم يكن إيماناً.

كيف وقد قالوه نفاقاً وتمويهاً وتكرير «الباء» لإدّعاء الإيمان بكلٍّ على الصحّة.

و«اليوم الآخر»: من وقت الحشر إلى الأبد، أو إلى دخول السّعداء الجنة والأشقياء

---

(١) الزيادة اقتضاها السياق.

(٢) سورة التوبة: ٩/ ٣٠.

(٣) ينظر سورةالبقرة: ٢/ ١١١.

النّـار، إذ هو آخـر الأوقـــات المحـدودة. ﴿وَمَا هُمْ بِمُـؤْمِنِينَ﴾ نفي لمـا ادّعـــوه وتكذيب لهم.

وعدل عن «ما آمنـوا» ـ المطابق لقولهم «آمنا» المصـرّح بشأن الفعل لا الفاعل ـ إلى عكسه مبالغـــةً، لأنَّ إخراجـــهم عن جـــملة المؤمنين أبـلغ من نفي إيمانهم في الماضي، ولذا أكـدّ النّفي بالباء وأطلق الإيمان، أي: ليســوا منه في شيء، ويحتمل تقييده بما قيّدوا به إذ هو ردّه.

[٩] ـ ﴿يُخَادِعُونَ اللهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ الخدع: أن توهم غيرك خـلاف ما تريده به من المكـروه، وأصلـه: الاخفاء. والمخـادعـة: تكون مـن إثنين. ومخـادعتهم لله ـ العالـم بكلّ خفي، والمنزّه عن القبيـح، وللمؤمنين الغير الـلائق بهم ـ: أن يخـدعوا على معنى: أنّ صـورة صنعهم معه تعالى مـن إظهار الإيمان وإبطان الكفـر، وصنعه تعـــالى معـــهم بإجـــراء أحكـام المسلمـــين عليهم ـ وهـم أبغض الكفرة إليـه ـ لمصالح يعلمها.

وإمتثال الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم والمؤمنين أمره تعالى بإجراء أحكام المسلمين عليهم، صورة صنع المتخادعين. أو مخادعة الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم مخادعة لله تعالى، لأنـه خليفته ويعضدة: ﴿مَـنْ يُطِعِ الرَّسُوْلَ فَقَـدْ أَطَاعَ اللهَ﴾.[١] و«يخادعون» بيـــان لـ«يقـول» أو استـئـناف لـــشرح الـــغرض منه، فيـحتـــمل إرادة: يـخـدعـون بـ«يخادعون»، وأُخـرج في وزن «فاعل» المفيد للمغالبة، لأنّ الفعـل متى غولب فيه جاء أبلغ منه إذا جاء بلا مغالب ويعضده قراءة: «يخدعون».[٢]

وغرضهـم بخـــداعهم: دفـع مـــا يطرق به غيـــرهم من الكفـرة عن أنفسهـــم، وأن يكرموا كالمؤمنين، وأن يختلطوا بهم ليظهـروا على أسرارهم فيفشوها الى أعدائهم

---

(١) سورة النساء: ٤/ ٨٠.

(٢) وهي قراءة حفص عن عاصم وسيذكرها المصنّف بعد قليل.

ونحو ذلك. ﴿وَمَا يُخادِعُونَ[1] إِلاَّ أَنْفُسَهُمْ﴾ قرأه «نافع»، و «ابن كثير»، و«أبو عمرو»، [2] أي: ضرر خداعهم إنّما يعود اليهم، أو أنهم خدعوا أنفسهم حيث منّوها الأباطيل، وخدعتهم هي كذلك. وقرأ الباقون «وما يخدعون». [3]

والنّفس: ذات الشّيء؛ ثمّ قيل للرّوح والقلب، لأنّه متعلقها أو محلّها، وللدمّ؛ لأنّ قوامها به، وللماء، لفرط فقرها اليه وللرأي؛ لإنبعاثه عنها، أو لشبهه بذات تشاور. [4] والمراد ـ هنا ـ: ذواتهم أو أرواحهم وآراؤهم. ﴿وَما يَشْعُرُونَ﴾ الشّعور: الإحساس، جعل لحوق ضرر الخداع بهم كالمحسوس، وهم لفرط غفلتهم كفاقد الحسّ.

[١٠] ـ ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ تقرير لعدم شعورهم، أو استئناف لذكر سببه ومرض قلوبهم إما على الحقيقة: وهو الألم ـ حيث كانت متألّمة حزناً على فوت الرئاسة منهم وحنقاً على الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم والمؤمنين ـ.

أو مجاز عن الكفر والغلّ وحبّ المعاصي ونحوها مما هو آفة شبيهة بالمرض، فإنّ قلوبهم كانت مأوّفة[5] بذلك.

أو عن الجبن الذي داخل قلوبهم حين رأوا شوكة المسلمين وقذف الله في قلوبهم الرّعب. ﴿فَزَادَهُمُ اللهُ مَرَضاً﴾ زادهم تألّماً بإعلاء شأن رسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم، أو طبعاً على قلوبهم.

والإسناد إليه تعالى لأنه مُسبّب، [6] أو جبناً بتضاعف النّصر لرسوله صلّى الله عليه وآله

---

(١) في المصحف الشريف بقراءة حفص: «وما يخدعون».

(٢) حجة القراءات: ٨٧.

(٣) وهم: «عاصم» و«ابن عامر» و«حمزة» و«الكسائى» ـ كما في حجة القراءات: ٨٧.

(٤) من المشاورة وقد ورد في تفسير البيضاوي: ١: ٨٠ ـ ٨١ أو يشبه ذاتاً مّا تأمره وتشير عليه.

(٥) من الآفة، وهي العاهة ـ كما في مختار الصحاح «اوف» ـ.

(٦) في «د» لأنه سبب.

وسلّم. ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي مؤلم ـ بالفتح ـ يقال: ألَم فهو أليم، وصف به العذاب مبالغة، كضربٍ وجيع ﴿بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ قرأه «عاصم» و «حمزة» و«الكسائي»،[1] أي: بسبب كذبهم في قولهم: «آمنّا» أو بمقابلته. والباقون: بالتّشديد، لتكذيبهم الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم بقلبوهم دائماً وبألسنتهم إذا خلوا إلى شياطينهم. أو للمبالغة كبيّن الشيء. أو التّكثير كموتت الإبل، ولفظ «كان» للإستمرار.

والكذب: الإخبار بالنّسبة على خلاف ما هي به، والآية تفيد حرمته.

[١١] ـ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ عطف على «يكذبون» أو «يقول».

والفساد: خروج الشيء عن الإستقامة والإنتفاع به، وضدُّه: الصّلاح.

وإفسادهم في الأرض: إثارة الفتن والحروب بخداع المسلمين ومعاونة الكفّار عليهم بإفشاء أسرارهم، فإنّ ذلك يؤدي إلى فساد ما في الأرض من النّاس وغيرهم، والقائل هو الله تعالى أو الرسول أو بعض المؤمنين. ﴿قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ جواب «إذا» وردٌّ للنّاصح على وجه المبالغة، لأن «إنما» للحصر، أي: ما شأننا إلاّ الإصلاح فكيف نخاطب بذلك؟ قالوه لتصوّرهم الفساد صلاحاً.

[١٢] ـ ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ﴾ ردٌّ لدعواهم مع المبالغة بالإستئناف به، وتصديره بالمؤكدين «ألا» المنبّهة على تحقّق ما بعدها و «إنّ» وتوسيط الفصل، وتعريف الخبر، وإستدراك ﴿وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ أي: بكونهم مفسدين مع ظهوره كالمحسوس.

[١٣] ـ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا﴾ نصحوا بأمرين يكمل بهما الايمان: ترك الرذائل المراد بـ«لا تفسدوا» واكتساب الفضائل المراد بـ«آمنوا». ﴿كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ﴾ في محلّ النصب على المصدر ـ، و «ما» مصدريّة أو كافّة و «لام» الناس للعهد، يراد

(١) الكشف عن وجوه القراءات ١: ٢٢٧.

به: الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم ومن معه، أو من آمن من قومهم كـ«ابن سلام» وأصحابه. أو للجنس، ويراد به: الكاملون في الإنسانية، كأنّهم الجنس كلّه، لجمعهم خواصه. ﴿قَالُوا﴾ فيما بينهم. ﴿أَنُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ﴾ إستفهام إنكاريّ واللام للعهد ـ والمعهود: النّاس ـ، أو للجنس وهم داخلون فيه ـ على زعمهم ـ.

وإنمّا سفّهوهم لاعتقادهم سوء رأيهم، أو تحقيراً لهم لفقر أكثرهم وكون بعضهم موالي.

والسّفه: ضعف رأي وخفّة، وضدّه: الحلم. ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَـكِنْ لَايَعْلَمُونَ﴾ رد بليغ لتجهيلهم بجهلهم المؤذِن برسوخه فيهم مع ما في سابقتها وفصلت هذه بـ«لا يعلمون» وتلك بـ«لا يشعرون» لأنّ معرفة الحق من الباطل تحتاج إلى نظر، والنّفاق المؤدّي إلى الفساد يدرك بأدنى تفطّن.

[١٤] ـ ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامنَّا﴾ صدر القصّه بيان لمذهبهم، وهذه بيان لصنعهم مع المؤمنين والكفّار. فلا تكرير.

و«اللّقاء»: المصادفة كالملاقاة. ﴿وَإِذَا خَلَوْا﴾ من خلا به وإليه: إذا انفرد معه. او من «خلاك ذم» أي: عداك ومضى عنك. ﴿إِلى شَيَاطِينِهِمْ﴾ المظهرين للكفر المماثلين للشيطان في عتوّهم، وأضيفوا اليه للمشاركة في الكفر، او خلا صغار المنافقين إلى كبارهم، ونونه أصليّة من «شطن» أي: بعد، لبعده عن الصّلاح، أو زائدة من «شاط» أي: بطل، ﴿قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ﴾ أي: في العقيدة خاطبوهم بالإسميّة تحقيقاً لثباتهم على دينهم وأكّدوها بـ«إنَّ» اعتناءاً بشأنه ورواجه منهم، والمؤمنين بالفعلية[1] إخباراً بإحداث الإيمان ولم يعتنوا به، ولم يتوقعوا رواجه. ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾ تأكيد لـ«إنّا معكم» لأن المستهزىء بالشّيء ثابت على نقيضه. أو بدل

(١) اي خاطبوا المؤمنين بالجملة الفعلية وهو قولهم: «آمنا».

منه، إذ المحقـر للإسلام معظّم للكفـر. أو استئناف، كأنّ الكفـرة قالوا لهم ـ حين قالوا: «إنّا معكم» ـ: فما بالكم توافقون المؤمنين؟ فأجابوا بذلك.

والإستـهزاء: السخريـة والإستخـفاف، يقـال: استهـزأ وهـزأ بمعنىً. وأصله: الخفّة.

[١٥] ـ ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ يعاملهم معاملة المستهزيء، بإجراء حكم الإسلام عليهم مـع ادّخار مـا يراد بهم، أو يجـازيهم على استهـزائهم، سمّي جـزاؤه باسمـه كـ﴿جَزَاؤُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ﴾، [١] او ينزل بهم الهوان الّذي هو لازم الإستهزاء.

وإنمـا استؤنـف بـه ليـفيد أن الله تعـالى يتـولّى جــزاءهم انتقـاماً للمـؤمنين، ولم يحـوجهم أن يقابلـوهم، وإن مـا يفعله تعـالى بهم هـو الاستهزاء الأبلغ الـذي لا اعتداد معـه باستهـزائهم، ولم يقل: مستهـزيء ـ طبق «مستهـزءون» ـ ليفيـد حدوث الإستهزاء وقتاً فوقتاً. ﴿وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ من المدد، ومنه: مدَّ الجيش وأمدَّه، أي: زاده، لا من المدّ في العمر، لتعدّيه باللاّم ويعضده قراءة «ويُمِدّهم». [٢]

وإسناده اليـه تعالى إسنـاد الفعل إلى المسبّب، لأنّـه منعهم ألطافه لإصـرارهم على الكفر والعَمَهْ، فـازدادت قلوبهم ريناً. [٣] وسُمي ذلك التّـزايد: مـدداً، أو لأنه مكّن الشّيطان منهم فزادهم طغياناً.

وإضافة الطّغيان إليهم قرينة المجاز: أو أُريد بالمدّ: ترك القسر.

والطغيان مجاوزة الحدّ في العتوّ، وأصله: تجاوز الشّيء عن موضعه.

والعمه، التحيّر، وهو في البصيرة كالعمى في البصر.

[١٦] ـ ﴿أُوْلَٰئِكَ الَّذِيـنَ اشْتَرَوُا الضَّلالَةَ بِـالْهُدى﴾ استبدلـوها بـه. إستعارة، لأنّ

---

(١) في سورة الشورى: ٤٢/ ٤٠.

(٢) وهي قراءة«ابن كثير و«ابن محيص» ـ كما في تفسير الكشّاف ١: ١٨٨ـ.

(٣) في «ب»: ريباً، والرين: الطبع والدنس ـ كما في مختار الصحاح «رين»ـ.

الإشتراء فيه إعطاء بـدل وأخذ آخر، أي: تركوا الهدى ـ الّـذي جعل لهم بالفطرة الَّتي فطر النّاس عليها ــ إلى الضّلالة. ﴿فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ﴾ ترشيح للمجاز[١] لمّا ذكر الإشتراء أتبعه ما يشاكله تصويراً لما فاتهم بصورة خسارة التجارة.

والتجارة: طلب الرّبح بالبيع والشراء، والرّبح: الفضل على رأس المال. وأُسند إلى التّجارة لتلبّسها بالفاعل. ﴿ومَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ لطرق التّجارة، إذ المطلـوب بها حفظ رأس المال والـرّبح وقد أضاعـوا رأس مالهم بـاستبدالهم به الضّـلالة، ولا ربح لمن ضيّع رأس المال.

[١٧] ـ ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَـوْقَدَ نَاراً﴾ بيّن تعـالى صفتهم، ثم زادهـا بيانـاً بضرب المثل فانّه أوقع في النفس لجعله المتخيّل كالمحقق.

والمَثَل ـ في الأصل ـ: النظير، كالمثل والمثيل، ثم قيل للقول السائر الممثّل به مضربه لمـورده، ولا يضرب إلاّ ما فيه غـرابة، ثم استعير لكل قصّة أو صفـة لها شأن نحو: «مَثَلُ الجَنَّةِ الَّتـي وُعِدَ المُتَّقُونَ»،[٢] «ولله المَثَلُ الأَعْلَـى»[٣] والمعنى: حالهم العجيبـة كحال مـن استوقـد نـاراً. و«الذي» بمعنى: الّـذين ــ مخفّفهـا ـ كــ«الَّذي خَاضُوا»[٤] ان عاد اليه ضمير «بنورهم».

وافـراد ضميـره في «استـوقـد» و«حـولـه» نظـراً الـى صـورتـه او اريـد بـه جنس المستـــوقدين او الجـــمع الـذي استـــوقد، او الـواحـد، ولامحذور لأن التشبيـه لقصتهم بقصته.

---

(١) ترشيـح المجاز على انـواع، لغوي: وهـو ذكر مـايلائم المعنى الحقيقي. عقلـي: وهو ذكـر ما يناسب ما استعمل له كقول ابي ذؤيب:

واذ المنيّة انشبت اظفارها ... الفيت كل تميمة لاتنفع

(٢) سورة الرعد: ١٣/ ٣٥.

(٣) سورة النحل: ١٦/ ٦٠.

(٤) سورة التوبة: ٩/ ٦٩.

والإستيقاد: طلب الوقود، وهو: سطوع النّار، وهي من «نَأرَ» أي: نفر، لأنّ فيها حركة. ﴿فَلَمَّا أَضَاءَتْ﴾ النّار ﴿مَا حَوْلَهُ﴾ حول المستوقد ـ إن تعدّى ـ، وإلاّ: فالفاعل «ما»، والتأنيث لأنها أشياء وأمكنة، أو ضمير النار. و«ما» موصلة بمعنى الأمكنة، نصبت ظرفاً، أو زائدة. و«حوله» ظرف.

والاضاءة: فرط الإنارة. وتأليف الحول[1] للدّوران، وقيل: للعام لدورانه. ﴿ذَهَبَ اللهُ بِنُورِهِمْ﴾ جواب «لمّا» والضّمير للّذي جمع ـ نظراً إلى المعنى ـ، ولم يقل: بنارهم، لأنّ المراد من إيقادها: النّور. أو إستئناف، جواب من يقول: ما بالهم شبّهت حالهم بحال مستوقدٍ قد طفئت ناره؟ والضّمير للمنافقين، وجواب «لمّا» محذوف، تقديره: خمدت.

وإسناد الإذهاب إليه تعالى لأنّه المسبّب للإطفاء بسبب خفيّ أو ريح أو مطر.

وعدّي «ذهب» بالباء، لإفادتها الإستصحاب، بخلاف الهمزة، أي: أخذ الله نورهم وأمسكه، وما امسكه الله فلا مرسل له.

وعدل عن الضوء الموافق لـ«أضاءت» الى النّور للمبالغة، اذ لو قيل: ذهب بضوئهم لأوهم الذّهاب بالزيادة وبقاء ما يسمّى نوراً، والغرض طمس النّور عنهم رأساً ﴿وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لاَ يُبْصِرُونَ﴾ الظّلمة: عدم النّور، وتنكيرها للتعظيم، وجمعها للمبالغة بشدّتها، كأنّها ظلمات متراكمة ولذا وصفها بأنّها لا يُرى فيها شبح، أو المراد: ظلمة النّفاق، وظلمة سخط الله، وظلمة العقاب السّرمد.

وترك بمعنى: خلّى. يتعدّى لِواحدٍ، ثم ضمن معنى: صيّر، فتعدّى إلى مفعولين، ومفعول «لا يبصرون» متروك، كأنّ الفعل لازم.

والآية مثل لانتفاعهم بكلمة الإسلام مدة حياتهم القليلة. وانقطاعه بالموت

(١) أي وضع كلمة «الحول» بهذا التأليف انما هو للدوران او للعام اي السنة. ـ ينظر تفسير كنز الدقائق ١: ١٤٦ ـ.

ووقوعهم في الظّلمات المتراكمة باستضاءة المستوقد الّتي حصلت بعد السّعي فزالت بإطفاء النّار فبقي في ظلمة شديدة.

أو مثل لهداهم الذي باعوه بالنّار الموقدة للإستضاءة، والضلالة التي اشتروها، فطبع بها على قلوبهم بإطفاء الله تعالى إيّاها وإذهاب نورها.

[١٨] ـ ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ﴾ لّما لم يصيخوا[1] مسامعهم إلى الحق وأبوا النّطق به والتّبصُّر للآيات جعلوا كأنّ حواسّهم مأوّفة، وهو من التّشبيه لا الإستعارة، إذ شرطها طيّ ذكر المستعار له بحيث يمكن الحمل على المستعار منه لو لا القرينة. وهنا وإن طوى ذكره بحذف المبتدأ لكنه في حكم المذكور.

والصّمم: فقدان حسّ السّمع، والبكم: الخرس، والعمى: عدم البصر عمّا من شأنه، ويقال لعدم البصيرة ﴿فَهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ﴾ إلى الهدى الذي باعوه أو عن الضّلالة الّتي اشتروها.

[١٩] ـ ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ﴾ عطف على «الّذي استوقد»، أي: كمثل ذوي صيِّبٍ لقوله: «يجعلون»، و«أو» للإباحة. والمعنى: أنّ قصّة المنافقين مشبهة لكلّ من هاتين القصّتين فلك التّمثيل بهما أو بأيّتهما شئت.

و«الصّيّب»: المطر الَّذي يصوب، أي: ينزل، ويقال للسّحاب، وكل محتمل ـ هنا ـ، وتنكيره للتّهويل، أي: نوع من المطر هائل وتعريف «السّماء» ليدلّ على تطبيق السّحاب لكلّ آفاقها لا أُفقٍ واحدٍ فإنّه سماء، أو «السّماء»: السّحاب، فاللام للجنس. ﴿فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ﴾ إن أُريد بالصّيّب: المطر، فالظّلمات: ظلمة تكاثفة، وظلمة غمامه مع ظلمة الّليل، وجعله ظرفاً للرّعد والبرق لتلبّسهما به، وإن أُريد به السّحاب، فالظّلمات: سحمته[1] وتطبيقه مع ظلمة الّليل، وارتفاعها بالظّرف.

---

(١) اصاخ له واليه: بمعنى اصغى واستمع.

والرّعد: صوت يسمع من السّحاب، والبرق: ما يلمع منه، ولم يجمعا لأنّ أصلهما المصدر﴿يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي ءَاذانِهِمْ﴾ إستئناف. كأنّه قيل: ما حالهم مع ذلك الرّعد؟ فأُجيب به.

والضمائر لذوي الصّيّب، وإيثار الأصابع على الأنامل للمبالغة ﴿مِنَ الصَّواعِقِ﴾ أي يجعلون من أجلها.

والصّاعقة: قصفة رعدٍ معها نار لا تمرّ بشيء إلاّ أهلكته، من الصعق، وهو: شدَّة الصّوت، يقال: صعقته الصاعقة، أي: أهلكته بشدَّة الصّوت أو الإحراق ﴿حَذَرَ الْمَوْتِ﴾ معفول له، والموت: زوال الحياة أو عرض يُضادّها ﴿والله مُحِيطٌ بِالْكَافِرِين﴾ لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط به المحيط والجملة اعتراض.

[٢٠]- ﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ﴾ إستئناف آخر، كأنّه قيل: فما حالهم مع ذلك البرق؟ فأُجيب به، و«يكاد» لمقاربة الخبر من الوجود.

و«الخطف»: الأخذ بسرعة ﴿كُلَّمَا أَضاءَ لَهُمْ مَشَواْ فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا﴾ إستئناف ثالث، كأنّه قيل: ما يصنعون في حالتي خفوق البرق وخفائه؟ فأُجيب به.

و«أضاء» إمّا متعدّ حذف معفوله أي كلما نورَّ لهم مسلكاً سلكوه، أو لازم، أي: كلما لمع لهم مشوا في ضوئه، وكذا «أظلم».

وأتى مع الاضاءة بـ«كلّما» ومع الإظلام بـ«إذا» لحرصهم على المشي، فكلّما صادفوا منه فرصة انتهزوها بخلاف التوقّف، و«قاموا» أي: وقفوا ﴿وَلَوْ شَاءَ الله لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ﴾ بقصف الرعد ﴿وَأَبْصَارِهِمْ﴾ بوميض البرق، وحذف مفعول «شاء» لدلالة الجواب عليه. و«لو»: حرف شرطٍ لانتفاء الثاني لإنتفاء الأوّل، وتستعمل لربط الجزاء بالشّرط مجرّدة عن الدلالة على انتفائهما، وتسمّى: الإستدلالية ـ كما هنا ـ ﴿إِنَّ الله عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ الشَّيء: ما يصح أن يعلم ويخبر عنه، فيعمّ الواجب

(١) المسحمة: السواد، والمراد سواد الليل.

والممكن والممتنع، وخصّصه العقل هنا بالممكن.

و«القدير»: الفعّال لما يشاء على ما يشاء.

والتّمثيل إمّا مركّب تشبيه لحال المنافقين في الشّدة والدّهشة بحال من أخذه المطر في ليل مظلم مع رعد قاصف وبرق خاطف وخوف من الصّواعق.

أو مفرّق تشبيه لذواتهم بذوي الصّيّب، و ـ إيمانهم المشوب بالكفر ـ بصيّب فيه ظلمات ورعد وبرق، فإنّه وإن كان رحمة في نفسه لكنّه عاد نقمةً في هذه الصّورة، ونفاقهم حذراً ممّا يطرق به غيرهم من الكفرة بجعل الأصابع في الآذان من الصّواعق حذر الموت، وتحيّرهم بشدَّة الأمر ـ بأنّهم كلّما أضاء لهم انتهزوا الفرصة فمشوا قليلاً، وإذا أظلم عليهم وقفوا متحيّرين، والمثل الأول يجري فيه الوجهان كما أشير اليه (فتدبّر).

[٢١] ـ ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾ لمّا ذكر تعالى فرق المكلّفين وأحوالهم، التفت اليهم بالخطاب تنشيطاً للسّامع.

و«يا» لنداء البعيد ويستعمل في القريب منزلاً منزلته إمّا لعظمته كـ«يا الله» أو لغفلته، أو للإعتناء بالمدعّو له، و«أيّ» وصلة إلى نداء المعرّف باللّام لتعذّر دخول «يا» عليه، وأعطي حكم المنادى وجعل ذو اللّام صفة موضحة له ملتزماً رفعه لأنّه المقصود، وأقحمت بينهما «هاء ـ التّنبيه ـ» تأكيداً وتعويضاً لأيّ من الإضافة.

والخطاب للمكلّفين الموجودين، ويدخل من سيوجد بدليل خارجي ـ لقبح خطاب المعدوم ـ، والمأمور به المشترك بين إحداث العبادة والزّيادة فيها والثّبات عليها، فالمراد ـ من الكفار ـ: إحداثها بعد الإتيان بما تتوقف عليه، ومن المؤمنين: الزّيادة والثّبات ﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾ صفة جاءت للتعظيم والتعليل.

و«الخلق» ايجاد الشّيء على تقدير ﴿وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾: وخلق الذين تقدموكم من الأمم ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ حال من فاعل «أُعبدوا» كأنه قيل: أُعبدوا ربّكم

راجين وصولكم إلى التّقوى التي هي أعلى مراتب العبادة .

وفيه تنبيه على أنّ العابد ينبغي أن يكون ذا خوف ورجاء لا مُغتراً بعمله . أو عن مفعول «خلقكم» وما عطف عليه ، أي : خلقكم ومَن قبلكم في صورة المرجو منه التّقوى لاجتماع أسبابها ودواعيها ، وغلّب المخاطبين على الغائبين ، والمراد : الجميع .

[٢٢] ـ ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشاً﴾ صفة ثانية مادحة ، او مدح منصوب او مرفوع اى صيّرها مبسوطة تقعدون وتنامون عليها كالفراش ولا ينافي كرويّتها لعظم حجمها ﴿وَالسَّمَاءَ بِنَاءً﴾ قبة مضروبة عليكم ، و«البناء» مصدر سمّي به المبني من بيت ونحو ﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ﴾ : من السّحاب ـ أو : ممّا فوقه اليه ـ ، ومنه إلى الأرض ﴿مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَكُمْ﴾ أي بسببه بأن جعله سبباً في خروجها ومادّة لها ـ كماء الفحل للولد ـ مع قدرته على إنشاء الأشياء كلّها بلا أسباب ومواد ـ كما أنشأ نفوس الأسباب والموادّ ـ ولكن له في إنشائها من موادّها تدريجاً حِكَم ليست في انشائها دفعة ، و«من» للتّبعيض كـ«ماء» و «رزقاً» المكتنفين لها ، و«رزقاً» مفعول له أي أنزل بعض الماء فأخرج به بعض الثّمرات ليكون بعض رزقكم ، فـ«لكم» مفعول به لـ«رزقاً» ، أو للتّبيين ، و «رزقاً» مفعول به ، بمعنى : المرزوق ، قدّم عليه بيانه و«لكم» صفته ، و«الثمرات» ليست للقلة بل جمع : ثمرة ، الّتي يراد بها : الكثرة ، أو نائب مناب جمع الكثرة ، أو صيّرته اللام لها ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلهِ أَنْدَاداً﴾ نهي معطوف على «أُعبدوا» أي : إذا استحقّ ربّكم العبادة وأساسها توحيده ، فلا تشركوا به . أو نفي منصوب بإضمار «ان» جواباً له ، أو لـ«لعلّ» ـ كنصب «فاطلع» جواباً لـ﴿لَعَلِّي أَبْلُغُ الأَسْبَابَ﴾ ـ ،[1] أو نهي مرتّب على «الّذي جعل» إن رفع خبراً لمحذوف أي : هو

---

(١) ورد ذلك في سورة غافر: ٤٠/ ٣٦و٣٧ قوله تعالى : « وقال فرعون ياهامان ابن لي صرحاً لعلّي أبلغ الأسباب أسباب السّموات فأطّلع إلى إله موسى» .

الّذي حفّكم بهذه الآيات الشّاهدة بوحدانيّته، فلا تشركوا به.

والندّ: المثل المخالف. وسمّي ما يعبده المشركون: أنداداً، وما زعموا أنّها تخالفه. لأنّهم - بتركهم عبادته إلى عبادتها، وتسميتهم لها آلة -، شابهوا من يعتقد أنّها مثله، قادرة على مخالفته. فتهكّم بهم وبكّتهم بجعلهم الانداد لمن لا ندَّ له ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ حال عن فاعل «تجعلوا». ومفعول «تعلمون» متروك، أي: وحالكم أنّكم من أهل العلم، أو مقدّر، وهو: أنّها لا تقدر على مثل أفعاله. وقد تضّمنت الآيتان الأمر بعبادته تعالى، وانَّ من موجباتها كونه ربّاً خالقاً لهم ولأُصولهم، وما يحتاجون إليه - من المُقلّة والمُظِلّة والثّمار - مطاعماً وملابساً، وأنَّ هذه أمور يعجز عنها غيره، دالّة على توحيده، فرتّب عليها النّهي عن الإشراك به.

[٢٣] - ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمّا نَزَّلْنَا عَلى عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ﴾ لمّا أثبت وحدانيّته، وعلّم الطّريق إلى ذلك عقّبه بما هو الحجّة على نبوّة «محمّد» - صلّى الله عليه وآله وسلّم - وهو: القرآن، علّم أنّ ما يعرف به إعجازه، وأنه من عند الله - كما يدّعيه -.

وإنّما قال: «نزّلنا»، لأنّ الكفرة رابهم نزوله منجّماً بحسب الحوادث على سنن أهل الخطابة والشّعر، فقالوا: ﴿لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾.[١] فتحدّاهم به على الوجه الّذي رابهم، تبكيتاً لهم، ودفعاً للرّيب. وفي إضافة «عبد» اليه تعالى تعظيمٌ للمضاف.

والسّورة: طائفة من القرآن مترجمة من: سور المدينة، لإحاطتها بطائفة من القرآن محدَّدة على حيالها، أو لاحتوائها على فنونٍ من العلم، كإحتواء سور المدينة على ما فيها. وفائدة تفصيل القرآن سوراً تنويع الجنس، وتنشيط القارىء، وتسهيل الحفظ، والتّرغيب فيه، وغير ذلك ﴿مِنْ مِثْلِهِ﴾ صفة «سورة» أي: بسورة كائنة من

(١) كما ورد في سورة الفرقان: ٢٥/ ٣٢.

مثله. والضّمير لـ«ما». و«من» للتّبعيض، أو للتّبيين، أو زائدة، أي: مماثلة للقرآن في الطّبقة، أو «عَبدنا» و «من» للإبتداء، أي: بسورة كائنة ممّن هو على حاله من كونه أُمّياً. أو صلة «فأتوا». والضّمير لـ«عبدنا». وَرجّح[1] الرّد إلى المنزل؛ لمطابقته «فَأْتُوا بِسُورةٍ مِثْلِهِ»[2] ونحوه، ولأنَّ الحديث فيه لا في المنزل عليه، ولأنَّ التّحدّي للكلّ بمثل ما أتى به واحد منهم أبلغ من التّحدي لواحد منهم بذلك، ولملائمته لقوله ﴿وَادْعُوا شُهدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ﴾ أي استعينوا بكلّ من يعينكم.

والشهداء: جمع شهيد، وهو الحاضر أو القائم بالشّهادة.

ومعنى «دون»: أدنى مكان من الشيء، ثم استعير للتّفاوت في المراتب، ثم استعمل في كلّ تجاوز الى حدّ، والظرف متعلق بـ«اُدعوا» اى ادعوا الى المعارضة كلّ من حضركم غير الله ـ لأنّه القادر على الإتيان بمثله ـ.

أو اُدعوا من دون الله من يشهدون بصدقكم، أي: لا تستشهدوا بالله ـ كما يفعل العاجز عن البيّنة ـ. أو بشهدائكم، أي: ادعوا الّذين اتّخذتموهم آلهة من دون الله، وزعمتم أنّهم يشهدون لكم يوم القيامة ليعينوكم في المعارضة. وفي أمرهم بالإستظهار فيها بالجماد غاية التهكّم بهم ﴿إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ أنّه تَقَوّله. والصّدق: الأخبار المطابق للواقع.

[٢٤] ـ ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُواْ وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النّارَ الَّتي وَقُودُهَا النّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ لمّا عرّفهم ما يتعرّفون به أمر النبيّ ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ قال لهم: فإذا لم تعارضوه وعجزتم عن ذلك، وبأن لكم أنّه معجز يجب التّصديق به فصّدقوا،[3] وخافوا النار المعدَّة لمن كذَّب. وجيء بـ«إن» ـ التي للشّك ـ مكان «إذا» ـ التي للوجوب ـ تهكّماً

(١) في «ب» و«ج»: والارجح.

(٢) كما ورد في سورة يونس: ١٠/ ٣٨.

(٣) في «ج»: فصدقوه.

بهم. وعبّر عن الإتيـان بالفعل الأعمّ منه إيجـازاً. واشتراط الإتّقاء ـ الـواجب مطلقاً ـ بانتفاء المعارضة، لأنّه لازم للجزاء ـ وهو ترك العنـاد ـ، فأُقيم مقامه كناية عنه تهويلاً لشأن العناد بإبرازه في صورة النّار الفظيعة الوصـف من أنّها تتّقد بما لا يتّقد به غيرها، وتصريحاً بالوعيد.

وجـزم «تفعلوا» بـ«لم» لاتصالهـا بـه، وصيرورتهـا كجـزئه بقلبها إيّـاه ماضيـاً. ودخلت «إن» على المجمـوع فجزمته محّـلاً. و«لن» لنفي المستقبل مؤبّـداً، نصبت «تفعلـوا». والجملة اعتـراض وإخبار بـالغيب دالّ علـى النبوّة كمـا دلّ عليها ثبـوت إعجاز المتحدّى به.

والوَقود ـ بالفتح ـ: ما يوقـد به النار. والحجارة: جمع حجر وهي أصنامهم التي عبـدوهـا، وأمّلوا نفعهـا؛ لقـولـه تعـالى: ﴿إِنَّكُـمْ وَمَا تَعْبُـدُونَ مِـنْ دُوْنِ الله حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾.[1] عُذِّبـوا بها محماةً على خـلاف ما أمّلوا، زيـادة في إيلامهم ـ كمـا عُذّب الكانزون بما كنزوا ـ.[2] وقيل: حجارة الكبريت.[3]

وتعـريف «النـار» للعهد؛ إذ سمعـوا في سـورة التحـريم ﴿نَـاراً وَقُـودُهَا النّـاسُ وَالحِجَارَةُ﴾[4] وعلمـوا بـذلك مضمـون الصّلـة فخـوطبـوا بـه ﴿أُعِدَّتْ﴾: هُيّئـت ﴿لِلْكافِرِينَ﴾ فهي الآن مخلوقة. والجملة استئناف، أو حال من النار بتقدير «قد».

[٢٥] ـ ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ﴾ عطف وصف ثواب المصدِّقين على وصف عقـاب المكذِّبين كما هـو عادته تعالـى من ذكر التّرغيب مـع التّرهيب؛

---

(١) سورة الانبياء: ٢١/ ٩٨.

(٢) كما ورد في قوله تعـالى: «والَّذيـن يكنزون الـذَّهب والفضَّة ولا ينفقـونها في سبيل الله فبشّـرِهم بعذاب أليم*يـوم يحمى عليها في نـار جهنَّم فتكوى بها جباههـم وجنوبهم وظهورهم هـذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون»(التوبة: ٩/ ٣٤و٣٥).

(٣) قاله ابن عباس وابن مسعود ـ كما في تفسير التبيان ١/ ١٠٧ـ.

(٤)سورة التحريم: ٦٦/ ٦.

تنشيطاً لا كتساب ما يزلف، وتثبيطاً عن اقتراف ما يتلف.

والمأمور: الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم، أو كلّ من يقدر على البشارة، وهي: الإخبار بالسّار و﴿بشّرهم بعذاب أليم﴾[1] تهكُّم.

و«الصالحات»: جمع صالحة، صفة غلّبت فجرت مجرى الأسماء ـ كالحسنة ـ. وهي ـ من الأعمال ـ: ما استقام وترتّب عليه الثواب بدليل شرعيّ. وتأنيثها بتأويل الخصلة. و«اللاّم» للجنس. ورتِّبت البشارة على الايمان والعمل إيذاناً بأنَّ السّبب في استحقاقها الجمع بين الأمرين ﴿أَنَّ لَهُمْ﴾ منصوب بنزع الخافض وإِفضاءِ الفعل اليه.

﴿جَنَّاتٍ﴾ الجنة: المرّة من الجّن، وهو: الستر، سمّى بها: الشّجر المتكاتف لتظليله، كأنّه يستر ما تحته سترةً واحدة. ثمّ: البستان لما فيه من الأشجار المظللة الملتفَّة. ثمّ: دار الثّواب لما فيها من الجنان. وجمعت ونكّرت لإشتمالها على جنان كثيرة متنوّعة على مراتب متفاوتة بحسب استحقاق[2] العاملين، لكل طبقة منهم جناتٍ منها ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأنْهَارُ﴾ أي من تحت أشجارها النّابتة على الشّواطيء. روي: أنّ أنهارها تجري من غير أخدود[3] ولام «الأنهار» للجنس، أو للعهد. والمعهود ما في قوله تعالى: ﴿أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ...﴾[4] الآية.

والنّهر ـ بالفتح والسكون ـ: المجرى والواسع فوق الجدول[5] ودون البحر كـ«الفرات». والمراد: ماؤها ـ إضماراً أو مجازاً ـ. أو المجاري، وإسناد الجري إليها مجاز ﴿كُلَّما رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقاً قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا﴾ صفة اخرى لـ«جنّات»،

(١) الوارد في آل عمران: ٣/ ٢١ والتوبة: ٩/ ٣٤ والإنشقاق: ٨٤/ ٢٤.

(٢) في «ب» و«ج»: استحقاقات.

(٣) كما في تفسير التبيان ١/ ١٠٩ باختلاف يسير، ورواه السيوطي في الدر المنثور ١/ ٣٨ عن مسروق.

(٤) سورة محمّد: ٤٧/ ١٥.

(٥) الجدول: النهر الصغير.

أو استئناف: كأنّه لما قيل: «أنّ لهم جنّات» خطر للسامع: أثمارها كثمار الدّنيا أم أجناس[١] أُخر؟ فأُزيل به. و «كلّما» نصب ظرفاً، و«رزقاً» ثاني مفعولي «رزقوا».

وحرفا «مِنْ» للإبتداء، والظّرفان حالان متداخلان؛ أي: كلّ مرّة رزقوا مرزوقاً مبتدءاً من الجنّات مبتدءاً من ثمرة.

أو «من» الثانية بيان لـ«رزقاً» وهذا إشارة إلى نوع المرزوق أي هذا مثل الذي. ولا ستحكام الشّبه بينهما جعل هو إيّاه ﴿مِنْ قَبْلُ﴾: قبل هذا في الدّنيا. جعل ثمر الجنّة من جنس ثمر الدّنيا لميل النّفوس إلى المألوف، ونفرتها عن غيره، وليظهر فضله ومزيّته؛ إذ لو لم يعهد جنسه حسب أنّه لا يكون إلاّ كذلك.

أو في الجنة؛ لأنّ طعامها متشابه، أو لأنّ ثمارها إذا جنيت أعاد الله مكانها مثلها فتشتبه عليهم. ويرجّح الأوّل عموم «كلّما» الشامل لأوّل مرّة ﴿وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهاً﴾ اعتراض للتّقرير. وضمير «به» للرّزق في الدارين المدلول عليه بـ«هذا الّذي رزقْنا مِنْ قَبْلُ» أو في الجنة.

وقول ابن عباس: «ليس في الجّنة من أطعمة الدّنيا إلاّ الإسم»[٢] لا ينفي التّشابه بينهما؛ إذ يكفي التّشابه في الصّورة الّتي هي مناط الإسم وإن اختلف الطّعم والحجم ﴿وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ﴾ أبداناً وأخلاقاً من الحيض والقذر وسوء الخلق.

وإفراد الصفة[٣] على تأويل الجماعة.

ولم يقل: طاهرة؛ لأنَّ مطهَّرة أبلغ للإشعار بتطهير مطهّر لهنَّ وهو الله تعالى.

والزّوج يقال للذّكر والأنثى ﴿وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾: دائمون. والخلد: الثّبات الدّائم، وبهذا الوعد تتمّ النعمة لإزالته ما ينغصّها ـ من خوف الإنقطاع ـ.

---

(١) في «ط»: أثمار.

(٢) ينظر: تفسير القرطبي ١/ ٢٤٠.

(٣) في «ط»: الصيغة.

[٢٦] ـ ﴿إِنَّ اللهَ لاَ يَسْتَحي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلاً ما بَعُوضَةً﴾ نزلت لمّا ضرب تعالى المثَلَين للمنافقين فقال الكفّار: الله أعلى وأجلّ من أن يضرب هذه الأمثال. أو: لمّا ذكر الذّباب والعنكبوت فطعنوا فيه، فبيّن سبحانه أنَّ ذلك ليس مما يستنكر؛ لأنَّ في التّمثيل كشف المعنى، وإدناء المتوهّم من المشاهد، ولذلك كثرت الأمثال في الكتب السّماوية وكلام البلغاء والحكماء، فيمثّل لكلّ أمر بحسب حاله عظماً وحقارةً.

والحياء: الإنقباض عن القبيح خوف الذمّ. ووصفه تعالى به ـ كما روى عنه صلّى الله عليه وآله وسلّم:

«إنّ الله حيّ كريم، يستحيي إذا رفع العبد يديه أن يراهما صفراً[١] حتى يضع فيهما خيراً» [٢]مجاز عن التّرك الّلازم للإنقباض، مثل تركه تعالى تخييب العبد بترك من ترك ردّ المحتاج حياءاً منه.

فمعنى الآية: إنّ الله تعالى لا يترك ضرب المثل بالبعوضة ترك من يستحيي أن يمثّل بها لحقارتها. وضرب المثل صنعه. ومحلّ «أن يضرب» النصب بـ«يستحيي»، أو بنزع «من» وإفضاء الفعل اليه فإنه يتعدّى بنفسه وبـ«من». و «ما» إبهامية تزيد النكرة إبهاماً نحو: «أعتق عبداً ما»، أي: أيَّ عبد كان. أو زائدة للتأكيد مثلها في «فَبِمَا رَحْمَةٍ». [٣] و «بعوضة» عطف بيان لـ«مثلاً»، أو مفعول «يضرب» و«مثلاً» حال عنه، مقدَّمة لتنكيره، أو هما مفعولاه لتضمّنه معنى الجعل.

والبعوضة: فعول[٤] من البعض، وهو: القطع كالبضع

---

(١) الصفر: الخالي.

(٢) تفسير الكشّاف ١/ ٢٦٣.

(٣) سورة آل عمران: ٣/ ١٥٩.

(٤) في «ط»: فعولة.

والعضب ـ،[١] غلّب في صغار البـقّ. ﴿فَمَا فَوْقَهَا﴾ عطف على «بعـوضة»، أي: ما زاد عليهـا في المعنى الذي ضـربت فيه مثـلاً، وهو القلّـة والحقارة ـ كجنـاحها إذ ضرب صلّى الله عليه وآله وسلّم به مثلاً للدنـيا ـ.[٢] أو في الحجم كالذّباب والعنـكبوت. كأنّـه رد لطـعنهم أي إنّـه لا يستحيي ضرب المثل بـالبعوض فضـلاً عن الأكبـر منه. ﴿فَأَمَّـا الَّذِينَ ءَامَنُـواْ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَـقُّ مِنْ رَبِّهِم﴾ «أمّا» حـرف تفصيل، فيـه معنى الشّـرط وتأكيـد مدخـوله، فمعنـى «أمّا زيـد فمنطلق»: مهمـا يكن من شـيء فزيـد منطلق، أي: هو منطلق ألبتّة.

ففي تصـدير الجملتيـن به مـدح بليغ للمـؤمنين، واعتداد بعلمهـم، وذمّ شنيع للكافرين على حمقهم. وضمير «أنّه» للمثل أو ضربه.

والحق: الثّابت الّذي لا يجـوز إنكاره، من «حقّ» أي: ثبت ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ﴾ لم يقل: فلا يعلمون؛ ليطـابق قرينة، ولدلالة قـولهم على كمال جهلهم، فكنّى به عنه ليكون كـالبرهان عليه ﴿مَاذَا ارَادَ الله بِهَـذا مَثَلاً﴾ «ما» إستفهاميّة، و«ذا» بمعنى الّذي، وتـاليه صلته، والمجمـوع خبر «ما». أو «ماذا» اسـم واحد بمعنى أيّ شيء، محلّه النّصب بـ«أراد» مثل «ما أراد الله».

والإرادة: ضدّ الكراهة، وهي: ميل النّفس إلى الفعل.

واختلف في إرادته تعالى، فقيل: إرادته لأفعالـه أنّه غير ساه ولا مكره، ولأفعال غيره أمـره بها. وقيل: هي علمـه بالنفع ــ المسمّى: بالداعـي ـ،[٣] وقيل: [صفة]

(١) وهاتان اللفظتـان بمعنى القطع ايضاً وان اختلت موارد استعمـالهما. كما ورد في عـوالي اللالي ٤: ٨١ وفي سنـن الترمـذي ٤/ ٥٤٠ عـن سهل بـن سعـد عـن رسـول الله صلّـى الله عليـه وآلـه وسلّم: «لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ماسقى منها الكافر شربة ماء».

(٢) قاله النجار ـ كما في كشف المراد: ٢٨٨.

(٣) قاله ابوالحسن ـ كما في كشف المراد: ٢٨٨.

مغايرة للعلم وسائر الصفات.[١]

وعن أهل البيت عليهم السّلام: «أنّها ايجاده للشّيء».[٢] وفي «هذا» استحقار. و «مثلاً» تمييز أو حال. ﴿يُضِلّ بِهِ كَثِيراً وَيَهْدِي بِهِ كثيراً﴾ بيان للجملتين المصدّرتين بـ«أمّا»، وأنَّ العلم بأنّه حق هدىً، وأنَّ الجهل بحسن مورده ضلال.

وكثرة المهديّين بالنّظر إِلى أنفسهم، وأمّا بالقياس إِلى غيرهم فقليل ما هم.

وإِسناد الإِضلال إِليه تعالى لأنّه السبب. ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلاّ الْفَاسِقِينَ﴾ الفسق: الخروج عن القصد.

والفاسق ــ شرعاً ــ: الخارج عن أمر الله تعالى بفعل الكبيرة. وجاء للكافر وهو الظّاهر هنا.

[٢٧] ـ ﴿الَّذينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللهِ﴾ صفة تقرّر فسقهم. والنقض: فكّ التركيب، واستعمل في إبطال العهد ــ المستعار له «الحبل» ـ؛[٣] لما فيه من ثبات الوصلة بين المتعاهدين، فذكره مع العهد رمز إلى المستعار بذكر بعض روادفه، كقولك: فلان شجاع يفترس الأقران. فالإفتراس رمز إلى أنّه أسد في شجاعته.

والعهد: الموثق. وعهد الله ـ هذا ـ إما ماركزٌ في عقولهم من الحجّة على التّوحيد، وصدق الرّسل، وحمل عليه: ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾،[٤] أو المأخوذ بالرّسل على الخلق بأنّهم إذا بعث اليهم رسول مؤيّد بالمعجزات صدّقوه واتبعوه.

---

(١) ذهب اليه الاشعرية والجبّائيان ـ كما في كشف المراد: ٢٨٨ـ.

(٢) لعله منقول بالمعنى ولم نقف عليه.

(٣) كما ورد في قوله تعالى: «واعتصموا بحبل الله جميعاً ولاتفرّقوا»(آل عمران: ٣/ ١٠٣) والعهد هو ما ذكره سبحانه في سورة الاعراف ٧/ ١٧١بقوله: «وإذ أخذ ربُّك من بني آدم من ظهورهم ذرّيَّتهم وأشهدهم علي أنفسهم ألست بربّكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة انّا كنّا عن هذا غافلين».

(٤) سورة الاعراف: ٧/ ١٧١.

وقيل: عهوده ـ تعالى ـ ثلاثة: [1] عهد أخذه على جميع ذريّة «آدم» بالإقرار بربوبيّته. [2]

وعهد أخذه على النّبيين بإقامة الدّين وعدم التفرق فيه. [3]

وعهد أخذه على العلماء بتبيين الحق وعدم كتمه. [4] ﴿مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ﴾ الضمير للعهد، أي: ما وثّق الله به عهده من كتبه وآياته، أو: ما وثّقوه به ـ من التزامه ـ، أو بمعنى المصدر. و «من» للإبتداء، أو زائدة. ﴿وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾ يقطعون صلة النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم والمؤمنين، أو الأرحام، أو ما بين الأنبياء من الإجتماع على الحقّ بإيمانهم ببعض دون بعض ويحتمل: كلّ قطيعة لايرضاها الله تعالى.

والأمر: القول المطلوب به الفعل إستعلاءً. و«أن يوصل» بدل من هاء «به» أو «ما». ﴿وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ بالدّعاء. إلى الكفر، أو قطع الطّريق، أو نقض العهد، أو كلّ معصية تعدّى ضررها إلى غير فاعلها. ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ لاستبدالهم النّقض بالوفاء، والقطع بالوصل، والفساد بالصّلاح، والعقاب بالثواب، فهم كمن ضيّع رأس ماله.

[٢٨] ـ ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللهِ﴾ إستفهام للتعجيب والإنكار للحال التي يقع عليها كفرهم؛ ويلزمه إنكار كفرهم، إذ الموجود لا ينفك عن حال فإذا أُنكر أن يكون لكفرهم حال يوجد عليها، فقد أنكر وجوده، فهو أبلغ في إنكاره من «أتكفرون». لما وصف الكافرين بما وصف إلتفت وخاطبهم بالتوبيخ على كفرهم ــ مع علمهم بما

---

(١) قاله الزمخشري في تفسير الكشّاف: ١/ ٢٦٨.

(٢) وهو ما ورد في الاعراف: ٧/ ١٧١.

(٣) وقد ورد في سورة الاحزاب: ٣٣/ ٧.

(٤) وهو ما ورد في سورة آل عمران: ٣/ ١٨٧.

يصرف عنه من القصة المذكورة ـ بقوله: ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَاتاً﴾ عناصرَ وأغذيةً وأخلاطاً ونُطفاً وما يتعقّبها إلى ولوج الأرواح ﴿فَأَحْيَاكُمْ﴾ بنفخ الأرواح فيكم. عطف بالفاء لتعقّبه بالموت بلا تراخٍ والبواقي بـ«ثمّ» للتراخي ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ عند حلول آجالكم ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ في القيامة، أو في القبور للسّؤال ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ بعد النّشور للجزاء وتبعثون من قبوركم إليه للحساب.

فواو «وكنتم» للحال. والحال: هي العلم بجملة القصّة ـ لا كلّ جملة منها؛ لمضيّ بعضها واستقبال بعضها، وكلاهما لا يصحّ حالاً ـ. والمعنى: على أيّ حال تكفرون وأنتم عالمون بهذه القصة بأسرها؟ نـزّل تمكُّنهم من العلم بالإحياء الثاني، والرجوع بالدلائل الموصلة اليه منزلةَ العلم.

ومن الدلائل: علمهم بالإحياء الأوّل؛ إذ القادر عليه قادر على الثاني.

ووجه الإنكار لاجتماع الكفر مع هذه القصّة: إشتمالها على آيات بيّنات تصدفهم عن الكفر، مع كونها نعماً جساماً، حقّها الشّكر. وكون الإماتة نعمةً، لأنّها وصلة إلى الحياة الحقيقيّة. و «يعقوب» فتح تاء «ترجعون» أين جاء.[1]

[٢٩] ـ ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً﴾ خلقه لإنتفاعكم به في دنياكم بالتّمتّع منه بالمطاعم والملابس والمناكح وغيرها. وفي دينكم بالإستدلال به على الصّانع الحكيم والتّذكر لثواب الآخرة وعقابها لاشتماله على أسباب اللذّات والآلام. ويفيد إباحة الأشياء النّافعة، وأنّه تعالى يفعل لغرض. والأرض داخلة في «ما في الأرض» إن أريد بها جهة السّفل، كالسّماء لجهة العلوّ، وإلا فلا. و «جميعاً» حال عن «ما» ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ﴾ الإستواء: الإستقامة.

ثم قيل: استوى اليه كالسّهم المرسل: إذا قصده قصداً مستوياً من غير أن يلوى

---

(١) تفسير مجمع البيان ١/ ٧٠.

على شيء. ومنه استعير: «استوى إلى السّماء»[1] أي قصد اليها بإرادته بعد خلق ما في الأرض، أو: إستولى. والأول أنسب بالأصل والصّلة، والمعطوف بالفاء.

و «السّماء»: جهات العلوّ، أو إسم جنس أو جمع سماة كنواة. و«ثمّ» كأنّه لتفاوت ما بين الخلقين وفضل خلق السّماء، لالتّراخي الزّماني، فلا تنافي: ﴿والأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾[2] المفيدة لتأخّر دحوها، المتقدّم على خلق ما فيها عن السّماء. ﴿فَسَوّاهُنَّ﴾ عدّلهن بلا عوج ولا فطور. والضّمير للسّماء ـ إن فسّرت بالجنس أو الجمع ـ، وإلاّ فمبهم يفسّره ما تلاه، كـ«ربّه رجلاً» ﴿سَبْعَ سَمواتٍ﴾ بدل، أو مفسّر. وثبوت التّسع ممنوع؛ لكفاية السّبع في النّظام ـ كما صرّح به ـ.

ولو سلّم فبضمّ العرش والكرسي اليها، مع عدم نفي الآية للزائد ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ إذ خلق المذكورات متقنةً محكمةً على هذا الوجه الأكمل الأنفع لا يكون إلاّ من عليم بكنه الأشياء.

ودلّت الآيتان على ثبوت الحشر، لإبتنائه على قبول موادّ الأبدان للجمع والحياة، وقد دلّ عليه: ﴿وكنتم أمواتاً فأحياكم ثمّ يميتكم﴾ إذ قبولها بذاتها لتعاقب الإفتراق والإجتماع والموت والحياة لا يتغيّر، وعلى علمه بمواقعها وقدرته على جمعها وإحيائها، وقد دلّ عليهما إبداؤهم وإبداء ما هو أعظم خلقاً، وما ينتفعون به على نمط محكم متقن. وسكّن «نافع» و «أبوعمرو» و «الكسائي» هاء «وهو» و «فهو».[3]

[٣٠] ـ ﴿وَإِذقالَ رَبُّكَ﴾ لمّا ذكر تعالى إنعامه على النّاس بخلقهم أحياءً أو خلق ما ينتفعون به في الدّارين، ذكر نعمته عليهم بخلق أبيهم «آدم» وإكرامه وتفضيله على الملائكة. و «إذ» ظرف وضع لزمان نسبة ماضيةٍ تقع فيه أخرى. نصب محلّاً بإضمار

---

(١) سورة فصّلت: ٤١/ ١١.

(٢) سورة النازعات: ٧٩/ ٣٠.

(٣) حجة القراءات: ٩٣.

«أُذكر» أي اذكر الحـادث إذ قال. فحذف الحادث وأقيم الظّرف مقـامه، أو بـ«قالوا» ﴿لِلْمَلائِكَةِ﴾ جمع: مَلأَك، كالشمائل لشمأل. والتأنيث للجمع.[١]

وأكثر المسلمين على انهـم أجسام لطيفة قادرة على التّشكّل بـأشكال مختلفة، وبعضهم وافق الحكماء في أنّهـم مجرّدون مخـالفون للنّفـوس النّـاطقة في الحقيقـة وبعض النصـارى على أنهم النّفـوس الفاضلة البشـريّة المفـارقة لـلأبدان[٢] والمقول لهم: الكلّ ـ لعموم اللفظ وقيل: مـلائكة الأرض[٣]، وقيل ملائكـة بعثوا مع ابليس لمحاربـة الجنّ حيث أسكنـوا الأرض فأفسدوا فـأجلوهم وسكنـوها بعـدهم[٤] ﴿إِنِّي جَاعِلٌ﴾ من «جعل» الناصب لمفعولين وهما: ﴿فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ والخليفة: من يخلف غيـره، والمـراد بـه: «آدم» عليه السـلام لأنـه خليفة الله فـي أرضـه وعمارتهـا والحكم بالحقّ، أو: هو وذريّته، لأنّهم خلفوا الملائكة لأنّهم كانوا سكّان الأرض.

وأفرد استغنـاءاً بذكـره عن ذكر بنيه، كمـا يستغنى بأبي القبيلـة ـ كـ«مضر» ـ أو بتأويل من يخلفكم، أخبرهـم بذلك إظهاراً لفضل المجعول الرّاجح علـى ما فيه من المفسدة بسـؤالهم وجـوابه، ولتعليم المشـاورة ﴿قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ تعجّب من استخلافـه لعمارة الأرض من يفسد فيهـا، أو مكان أهل الطاعة أهل المعصية، وإستعلام عن الحكمة الّتي ألغت تلك المفاسد، لا إعتراض ولا طعن فـي بني آدم، لأنّهـم ﴿عبـاد مكـرمـون﴾. ﴿لا يسبقونـه بـالقـول وهم بأمـرِ

---

(١) في مجمع البحريـن«ملك»: في بعض الكتب: واحد«المـلائكة»: «ملك» ـ بفتح الـلام ـ وفي بعضها «ملئك» وكلاهما صحيحان لان ملك اصله مالك فقدّم اللام وأُخّرت الهمزة ووزنه مفعل من الألوكة، وهي: الرسالة، ثم تركت الهمزة لكثرة الإستعمال، فقيل ملك، فلما جمعوه ردوه الى أصله فقالوا: ملائك، فزيدت التاء للمبالغة اولتأنيث الجمع.

(٢) نقله العلامة الطباطبائي في تفسير الميزان ١٧/ ١٣ولم يرتضه.

(٣) بحارالأنوار ٥٦: ٢٠٥.

(٤) تفسير التبيان ١/ ١٣٣وتفسير مجمع البيان ١: ٧٤.

يعملون﴾[١] وعرفوا ذلك بإخبار الله، أو من اللّوح أو قياساً على الجنّ.

وسفك الدماء: صبُّها، كناية عن القتل بغير الحقّ ﴿وَنَحْنُ نُسَبِحُ بِحَمْدِكَ﴾ حال تقرّر جحهة السؤال، والمراد الإستخبار عن المرجّح لمن يتوقّع منهم المعصية على المعصومين ـ في الاستخلاف ـ لا الإفتخار.

والتسبيح: تبعيد الله تعالى من السوء و «بحمدك» حال أي نسبّح متلبّسين بحمدك على إنعامك علينا بالتوفيق لتسبيحك ﴿وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ نطهّر نفوسنا من المعاصي لأجلك، أو ننزّهك عن السّوء، واللاّم زائدة ﴿قَالَ إِنِّي﴾ وفتح الياء الحرميّان و «أبو عمرو»[٢] وكذا الآتية[٣] ﴿أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ أعلم من المصالح ما خفي عليكم، وبيّن بعض تلك المصالح بقوله:

[٣١] ـ ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّها﴾ إضطره إلى العلم بها، أو إلقاه في قلبه. والتعلم: فعل يترتب عليه العلم غالباً، و«آدم» اسم أعجمي كـ «آزر».[٤]

وقيل: من الأدمة أو أديم الأرض.[٥]

والإسم ـ هنا ـ: اللفظ الموضوع لمعنىً ــ مركباً كان أو مفرداً، اسماً أو فعلاً أو حرفاً ــ. والمعنى: أنّه علّمه أسماء الأجناس التي خلقها، وأحوالها وما يتبعها من المنافع الدينيّة والدنيويَّة ﴿ثمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلائِكَةِ﴾ الضمير للمسمَّيات المدلول عليها بالأسماء؛ إذ التقدير: أسماء المسمّيات، فحذف المضاف اليه لدلالة المضاف عليه وعوّض عنه الّلام. والتذكير لتغليب ما فيها من العقلاء ﴿فَقَال أَنْبِئُوني

(١) كما ورد في سورة الانبياء٢١: ٢٦و٢٧.
(٢) حجة القراءات: ٩٣.
(٣) في الآية ٣٣ من هذه السورة.
(٤) الوارد في سورة الانعام: ٦/ ٧٤.
(٥) علل الشرائع ١/ ١٤ وبحارالأنوار ١١/ ١٠١.

﴿بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ﴾ المعروضات. تبكيت لهم، وبيان لأحقيّة «آدم» بالخلافة لتفضيله بالعلم الذي مدار أمرها عليه، لا تكليفٌ لهم؛ لعلمه بعجزهم عن الإنباء فيمتنع التكليف به.

والانباء: إخبار مع إعلام ﴿إِنْ كُنتُمْ صادِقِينَ﴾ فيما يلزم مقالكم من زعمكم أنّكم أحقّ بالخلافة منهم.

[٣٢] ـ ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاّ مَا عَلَّمْتَنا﴾ إقرار بالقصور، وإيذان بأنَّ سؤالهم كان استعلاماً لا اعتراضاً، وبأنَّهم ظهر لهم خلاف ما زعموا، وشكر له على كشف ما خفي عليهم، وتأدّباً لديه بتفويض العلم كلّه اليه.

و«سبحان» مصدر كـ «غفران»، أو اسم له، نصب بإضمار فعله، أُتي به تنزيهاً له تعالى عمّا لا يليق به، أو عن أن يشارك في علم الغيب ﴿إِنَّك أَنْتَ الْعَلِيمُ﴾ بكلّ شيء بلا تعليم ﴿الْحَكِيمُ﴾ المحكم لأفعاله، فكلّها حكمة وصواب. و «أنت» فصل، أو مبتدأ خبره: ما بعده، والجملة: خبر «إنَّ».

[٣٣] ـ ﴿قَالَ يَا ءَادَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِم فَلَمّا أَنبَأَهُمْ بِأَسْمائِهِمْ قالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَواتِ وَالأَرْضِ وَاعَلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ الهمزة للإنكار وإثبات المنفيّ. كأنه قيل: قد قلت لكم ــ في ضمن قولي: «إني أعلم ما لا تعلمون»ـ: إني أعلم ما خفي عليكم من امور السّماوات والأرض وأعلم علانيتكم وسرّكم؛ لأنّ جميع ذلك مما لا يعلمون به. وقيل: «ما تبدون» قولكم: ﴿أتجعل فيها من يفسد فيها﴾، و «ما تكتمون»: إضماركم أنّكم أفضل من كلّ خلق يخلقه الله تعالى.[1]

ودلّت الآيات على شرف الإنسان والعلم وفضله على العبادة وتوقّف الخلافة عليه، وأنَّ آدم عليه السّلام أفضل من الملائكة، لأنّه أعلم منهم.

---

(١) وهذا مختار الطبري ـ كما في تفسير مجمع البيان ١/ ٧٩.

[٣٤]ـ ﴿وَإِذْ قُلْنَا﴾ نعمة أخرى عليهم أن فضّل أباهم على الملائكة بأمرهم بالسجود له. عطف على الظرف السابق إن نصب بمضمر، وإلاّ فالقصّة على القصّة والنّاصب مضمر أيضاً. والمأمورون الجميع؛ لعموم اللفظ والتأكيد في: ﴿فَسَجَدَ المَلائِكَةُ كُلّهُمْ أَجْمَعُوْنَ﴾[1] فلا وجه للتخصيص بطائفة منهم.

والسجود ـ لغة ـ: التذلّل مع تطامن، و ـ شرعاً ـ: وضع الجبهة بقصد العبادة. وسجودهم كان لله تعالى تكرمةً لآدم عليه السّلام وهو المروي عن أئمتنا عليهم السّلام.[2]

وقيل: جعل قبلة لهم تعظيمًا لشأنه.[3] وفيه دلالة على أنَّ الأنبياء أفضل من الملائكة ﴿فَسَجَدُواْ إلاّ إبْلِيسَ﴾ هو اسم أعجمي. وجعله من الإبلاس.[4]

ومنع صرفه للإستثقلال ضعيف.

قيل: هو من الملائكة[5] وإلاّ لم يتناوله أمرهم ولم يصح استثناؤه منهم.

وردّ بأنه كان جنيّاً واحداً بين أظهر الألوف منهم فغلّبوا عليه وشمله الأمر وصحّ استثناؤه منهم.

أو أن الجنّ ـ أيضاً ـ كانوا مأمورين معهم فاستغنى بذكر الأكابر عن ذكر الأصاغر. واستثنى من ضمير «فسجدوا» الراجع إلى القبلتين أو: الاستثناء منقطع. وقيل: من «الجنّ»[6] لقوله تعالى ﴿إلاّ إبْلِيسَ كَانَ مِنَ الجِنِّ﴾.[7] وردّ: بأنه كان

(١) سورة الحجر: ١٥/ ٣٠.

(٢) تفسير نورالثقلين ١: ٥٨ الحديث١٠١.

(٣) قاله الجبائي والبلخي وجماعة ـ كما في تفسير التبيان ١/ ١٥٠د.

(٤) في مجمع البحرين بلس: «ابليس» افعيل من «أبلس» أي: يئس من رحمة الله، يقال: انه اسم أعجمي فلذلك لاينصرف وقيل: عربي.

(٥) قاله ابن عباس وابن مسعود وابن مسيب وقتادة وابن جريج والطبري ـ كما في تفسير التبيان ١/ ١٥٠د.

(٦) أُشير اليه في تفسير التبيان ١/ ١٥٠ـ١٥١.

(٧) سورة الكهف: ١٨/ ٥٠.

منهم ــ فعلاً ــ ومن الملائكة ـ نوعاً ــ، أو: أن جنساً من الملائكة سمّوا بالجنّ لاجتنانهم بشهادة: ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الجِنَّةِ نَسَبًا﴾[1] لقولهم: الملائكة بنات الله ﴿أَبى وَاسْتَكْبَرَ﴾ امتنع عمّا أمر به استكباراً عن تعظيمه، والتخضّع له.

والإباء: امتناع باختيار، والاستكبار: طلب التكبّر، وهو أن يرى الشّخص نفسه أكبر من غيره. وهو متّصل بالإستثناء إن كان منقطعاً، أي: لكنّ إبليس أبى، وإن كان متصلاً فهو استئناف كأنّه قيل: ما باله لم يسجد؟ فأجيب به ﴿وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ أي صار منهم بتكبره على نبي الله، واستحقاره إيّاه بقوله: ﴿هَـذَا الّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ﴾[2] واستقباحه أمر الله تعالى إيّاه بالسّجود له، إعتقاداً بأنه أفضل منه، ويقبح أمر الأفضل بالتخضّع للمفضول، كما قال: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ﴾.[3]

[٣٥] ـ ﴿وَقُلْنا يا ءَادَمُ اسْكُنْ﴾ السكنى: من السّكون إذ هي لبث ﴿أَنْتَ﴾ تأكيدٌ للمستكن ليعطف عليه ﴿وَزَوْجُك﴾ حوّآء ـ بالمدّ ـ، ولم يخاطبهما أولاً إشعاراً بأنّه المقصود وهي تبع له ﴿الجنَّةَ﴾ قيل: دار الثواب،[4] إذ اللام للعهد ولا معهود غيرها. وقيل: غيرها من جنان السماء وقيل: من جنان الأرض.[5] والهبوط منها: الإنتقال، كـ «إهْبطُوا مِصْراً»[6] ﴿وَكُلا مِنْهَا رَغَداً﴾: واسعاً بلا عناء، صفة مصدر محذوف ﴿حَيْثُ شِئْتُما﴾ أيَّ مكان منهما شئتما توسعةً مزيحة للعذر في التناول من شجرة واحدة منهيّ عنها من بين أشجار لا تحصر ﴿وَلاَ تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ بالأكل منها،

(١) سورة الصافات: ٣٧/ ١٥٨.
(٢) سورة الإسراء: ١٧/ ٦٢.
(٣) سورة ص: ٣٨/ ٧٦.
(٤) تفسير التبيان ١: ١٥٥ وتفسير مجمع البيان ١: ٨٥.
(٥) تفسير مجمع البيان ١: ٨٥.
(٦) سورة البقرة: ٢/ ٦١.

نهيُ تنـــزيه لا تحريم، وكـانا ـ بـالأكل منها ـ تـاركَين فضلاً لثبوت عصمـة الأنبياء بقاطع البرهان.

والشجرة: الحنطة أو الكـرمة أو التّينة ﴿فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ ببخس أنفسكما الثّواب بترك المندوب إليه، وهو: الكفّ عن الأكـل منها، و «فتكونا» جزم عطفاً على النّهي، أو نصب جواباً له.

[٣٦] ـ ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا﴾: حملهما على الزَّلـة بسبب الشجرة، و«عن» مثلها في ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾،[١] أو: أزالهما عن الجنّة، أي: أذهبهمـا، ويويّده قراءة «حمزة»: «فأزالهما».[٢] وهما من الزّوال، لكن مع عثـرةٍ في الأول، وازلاله لهما بوسوسته ودعائه إيّاهما إلى الأكل منها ومقاسمته لهما أنه ناصح.

واختلف في كيفيّة توصله إلى ذلـك بعد أن قيل له: ﴿اخرج منها﴾[٣] فقيل: إنه منـــع الدّخـــول تكـرمةً كمـا كـان يدخـل مـــع الملائكة ولم يمنعه للوسـوسة ابتلاءً لآدم وحوّاء.[٤]

وقيل: وقف عند الباب فكلّمهما.[٥] وقيل: دخل في فم الحيّـة فدخلت به.[٦] وقيل: كلّمهما من الأرض[٧] ﴿فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ من النّعم والكرامة. والإسناد إلى السّبب ﴿وَقُلْنَا اهْبِطُواْ﴾ خطاب لهما بدليل ﴿اهْبِطَا مِنْهَا﴾[٨] جعلا كأنّهما الإنس

---

(١) سورة الكهف: ١٨/ ٨٢.

(٢) حجة القراءات: ٩٤.

(٣) سورة الاعراف: ٧/ ١٨.

(٤) قاله الزمخشري في تفسير الكشّاف ١/ ٢٧٤.

(٥) قاله ابوعلي الجبائي كما في تفسير مجمع البيان ١/ ٨٧.

(٦) معناه في تفسير مجمع البيان ١/ ٨٧.

(٧) نقله الطبرسي في تفسير مجمع البيان ١/ ٨٧.

(٨) سورة طه: ٢٠/ ١٢٣.

كلُّهم؛ لأنهما أصلحهم فجمع الضّمير، أو: لهما مع ابليس [بدليل][١] ﴿فاهْبِطْ مِنْهَا﴾[٢] إن كان دخلها ـ على ما مرَّ ـ، أو: من السماء ﴿بَعْضُكُمْ لبِعْضٍ عَدُوٌّ﴾ حال رابطها الضّمير، أي: متعادين. والمراد: التّعادي بين ذريّتهما، أو بينهم وبين إبليس وذرّيته. ﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ﴾ استقرار، أو: موضعه ﴿وَمَتَاعٌ﴾ تمتّع ﴿إِلى حينٍ﴾ القيامة أو الموت.

[٣٧] ـ ﴿فَتَلَقَّى ءَادَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِماتٍ﴾ استقبلها بالقبول والأخذ بها. ونصب «ابن كثير» «آدم»، ورفع «كلمات» على معنى: تداركته،[٣] وهي: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنا . . . ﴾ الآية.[٤] أو: «سبحان الله والحمد لله ولا إله إلاّ الله والله أكبر».[٥]

وعن أهل الذّكر عليهم السلام: «إنّ آدم رأى مكتوباً على العرش أسماءً مكرّمة معظّمة، فسأل عنها. فقيل: هي أسماء أجلّ الخلق عند الله.

والأسماء: محمّد، وعلي، وفاطمة، والحسن، والحسين، فتوسل بهم «آدم» إلى ربهم في قبول توبته ورفع منزلته»[٦] ﴿فَتَابَ عَلَيْهِ﴾: قبل توبته، رُتّب بالفاء على التّلقي لتضمّنه التوبة، وهي: النّدم على ما فرّط.

واكتفى بذكر «آدم» لأن «حواء» تبع له ولذا كَثُر في القرآن والسنة طيّ النساء ﴿إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ﴾ الكثير القبول للتوبة.

وأصل التوبة: الرجوع، فمن العبد: عن الذّنب، ومنه تعالى: عن العقوبة ﴿الرَّحِيمُ﴾ الواسع الرحمة، قرنَ بالثواب وعداً للتائب بالإحسان مع العفو.

---

(١) اقتضاها السياق.

(٢) سورة الاعراف: ٧/ ١٣.

(٣) حجة القراءات: ٩٤.

(٤) سورة الاعراف: ٧/ ٢٣.

(٥) تفسير مجمع البيان ١/ ٨٩.

(٦) نورالثقلين ١/ ٦٧ الحديث ١٤٣.

[٣٨] ـ ﴿قُلْنَا اهْبِطُواْ مِنْها﴾ كرّر تأكيداً، أو؛ لاختلاف الحالين، إذ الأوّل: هبوط قُرِنَ بالتّعادي، والثّاني: هبوط للتكليف. وقيل: الأول: من الجنة إلى سماء الدنيا، والثاني: منها إلى الأرض،[١] و ﴿جَمِيعاً﴾ حال للتأكيد فلا يقتضي هبوطهم مجتمعين في وقت واحد ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنّي هُدًى﴾ «ما» زائدة تؤكّد«إن» الشرطية ليحسن تأكيد الفعل و إن لم يتضمّن طلباً، وجواب الشّرط جملة، ﴿فَمَنْ تَبع هُدَاىَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ أي: إن يأتكم منّي هدى برسول أو كتاب فمن تبعه منكم نجا وفاز.

وأتى بحرف الشّك ـ و إتيان الهدى كائن قطعاً ـ إيذاناً بإقتضاء العقل وجوب الإيمان بالله و إن لم يأت به رسول. ولم يضمر الهدى ــ الثّاني ـ لانّه أعمّ من الأوّل لشموله العقليّ والنقليّ، أي: فمن تبع ما أتاه وما اقتضاه العقل فلا يلحقهم خوف، فضلاً عن المخوف، ولا يفوتهم محبوب فيحزنوا عليه. نفى عنهم العقاب وأثبت لهم الثواب بأبلغ وجه.

[٣٩] ـ ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِـآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُون﴾ عطف على «فمن تبع» بجملته، كأنّه قيل: ومن لم يتبع بل كفروا بالله وكذّبوا بآياته. ومتعلق الظرف الفعلان.

والآية: العلامة، وتقال للمصنوع باعتبار دلالته على الصّانع، ولكلّ طائفة من القرآن متميّزة بفصل، والمراد «بآياتنا»: الآيات المنزلة، أو: هي والمعقولة. و«الذين» مبتدأ و «أُولئك» بدل منه و«اصحاب» خبره، أو خبر «أُولئك» والجملة خبره، وما بعدها مقرّر لها؛ ولذلك قطع.

وما جرى على «آدم» إنّما كان عتاباً له على ترك الأولى، ولإقتضاء المصلحة بعد تناوله من الشجرة إهباطه إلى الأرض، وابتلاءه بالتّكليف، وسلبه اللباس تشديداً

(١) قاله الجبّائي ـ كما في تفسير التبيان ١/ ١٧٣.

للبلوى؛ لوقوع الإبتلاء بمنع المتفضَّل به إذا اقتضته الحكمة كالإفقار بعد الاغناء، والإسقام بعد الصّحة. و«أشد الناس بلاءاً الأنبياء، ثمّ الأولياء ثم الأمثل فالأمثل» ـ كما روي عنه صلّى الله وآله وسلّم ـ.[١]

[٤٠] ـ ﴿يَابَنِى إِسْرَائِيلَ﴾ لقب «يعقوب» عليه السّلام. ومعناه: صفوة الله، وقيل: عبدالله،[٢] ولمّا اثبت سبحانه الوحدانيّة والرّسالة والحشر وعدّد نعمه العامّة تقريراً لها على ما بينّاه، خاطب أهل الكتاب وأمرهم بذكر نعمه عليهم والوفاء بعهده فقال: ﴿اذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ بالقيام بشكرها، والمراد بالنعمة: الجنس، فيعمّ النّعم العامّة السّابق ذكرها، وما أنعم به على آبائهم من إنجائهم من «فرعون» والغرق، وغير ذلك، وعليهم من إدراك مبعث محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِي﴾ اليكم بالايمان والطاعة، أُضيف إلى الفاعل ﴿أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ بما عاهدتكم من حسن الثواب، أُضيف إلى المفعول. وقيل: كلاهما مضاف إلى المفعول،[٣] أي: وأوفوا بما عاهدتموني من الإيمان أُوف بما عاهدتكم من الثّواب.

وعن ابن عباس: «ان الله عهد اليهم في التوراة بعث محمّدٍ فَلِمَنْ تَبِعَهُ أجران، ولمن كفر به النّار، فقال أوفوا بعهدي في محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم أُوف بعهدكم: أُدخلكم الجنة»[٤] ﴿وَإِيَّاىَ فَارْهَبُونِ﴾ في نقض العهد. و«إيّاى» نصب بمضمر يفسره المذكور، وهو آكد في إفادة التّخصيص من «إيّاي ارهبوا».

والرهبة: خوف بتحرّز. وفي الآية وعد ووعيد، وإيجاب الشكر، والوفاء بالعهد،

---

(١) بحارالأنوار ٦٤: ٢٠٠ مع اختلاف يسير.

(٢) تفسير التبيان ١: ١٨٠ والبرهان ١: ٩٠.

وفي تفسير مجمع البيان ١: ٩٢ وقيل اصله مضاف لان«اسر» معناه«عبده»، و«إيل» هو: الله ـ بالعبرانية ـ فصار مثل عبدالله.

(٣) نقله الطبرسي في تفسيره جوامع الجامع في ذيل هذه الآية.

(٤) تفسير مجمع البيان ١: ٩٣.

والخوف من الله وحده.

[٤١] ـ ﴿وَءَامِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ﴾ على محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم من القرآن ﴿مُصَدِّقاً لِمَا مَعَكُمْ﴾ من الكتب الإلهية، لنزوله حسب ما نعت فيها، أو مطابقاً لها في الدعاء إلى التوحيد، والإقرار بمحمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم، والأمر بالعبادة، وغير ذلك ﴿وَلَا تَكُونُواْ أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ﴾ «أوّل» أفعل، لا فعل له، قيل: من «آل» وأصله «أءول» قلبت الهمزة واواً وأُدغمت.[١]

وأخبر به عن الجمع بتقدير: فريق، أو: لا يكن كلّ واحدمنكم أول كافر به. ونهيهم عن السبق في الكفر ـ وقد سبقهم مشركو قريش ـ أُريد به: التّعريض بأنّ الواجب أن يكونوا أوّل من يؤمن به؛ لمعرفتهم بنعته، وتبشيرهم بمن أوحى اليه واستفتاحهم به. أو: أوّل كافر به من أهل الكتاب، أو: ممن كفر بما معه لكفره بمصدّقه، فضمير «به» لـ«ما» ﴿وَلَا تَشْتَرُواْ﴾: تستبدلوا ﴿بِآيَاتِي﴾ بالإيمان بها ﴿ثَمَناً قَلِيلاً﴾ هو الرئاسة التي كانت لهم في قومهم، وكانوا ينالون بها الهدايا منهم والرشا على تحريفهم الحق وكتمانه. خافوا فواتها لو اتّبعوا الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم فاستبدلوها به.[٢] وحظوظ الدّنيا الفانية ـ وإن جلّت ـ قليلة بالنّسبة إلى حظوظ الآخرة الباقية ﴿وإِيّاىَ فَاتَّقُونِ﴾ باتباع الحقّ ومجانبة غيره.

[٤٢] ـ ﴿وَلَا تَلْبِسُواْ﴾: لا تخلطوا ﴿الْحَقَّ﴾ المنزل ﴿بِالبَاطِلِ﴾ الذي تفترونه وتكتبونه حتى لا يميّز[٣] بينهما ﴿وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ﴾ نعت محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم بإنكار وجوده في التّوراة، أو: محوه منها. جزم عطفاً على «تلبسوا» أو نصب بإضمار «أن». والواو للجمع، أي: لا تجمعوا لبس الحقّ بالباطل وكتمانه ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾

(١) كذا ذكره الراغب الاصفهاني في المفردات«اول».
(٢) في «ج»: فاستبدلوا به حظوظ الدنيا.
(٣) في «ب»: لايتميّز.

عالمين أنكم لابسون كاتمون، وهو أقبح؛ إذ لا عذر للعالم.

[٤٣] ـ ﴿وَأَقِيمُواْ الصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ الزَّكَوٰةَ﴾ صلاة المسلمين وزكاتهم، فالكفار مخاطبون بالفروع كالأصول.

والزكاة من: زكا، أي: نما أو: طهر؛ إذ إخراجها ينمّي المال، ويطهّره من الخبث، ويثمر كرم النّفس، ويطهّرها من البخل ﴿وَارْكَعُواْ مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ أي: صلّوا في جماعتهم، عبّر عن الصّلاة بالرّكوع؛ لخلوّ صلاة اليهود عنه، أو أريد به الخضوع والإنقياد للحق.

[٤٤]ـ ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ﴾ توبيخ وتعجيب من حالهم. والبرّ: يعمّ كلّ خير ﴿وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ﴾ وتتركونها. كان الأحبار يأمرون سرّاً من نصحوه باتباع محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم ولا يتبعونه، أو بالصدقة ولا يتصدقون ﴿وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتابَ﴾: التوراة، وفيها نعته، أو: وفيها الوعيد على ترك البرّ، ومخالفة القول العمل تبكيت مثل «وأنتم تعلمون»[1] ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ قبح ذلك فيمنعكم منه، أو أفلا عقل لكم فيصدّكم عنه. توبيخ بليغ لمن يعظ غيره، ولا يتّعظ نفسه؛ بجعله كمن لاعقل له.

ومضمون الآية حثّ الواعظ على تكميل نفسه، وتقويمها حتى يقوّم غيره، لا منع الفاسق عن الوعظ، لعدم اشتراطه بالعدالة فلا يوجب الإخلال بها تركه.

[٤٥] ـ ﴿وَاسْتَعِينُوا﴾ على مشقّة ما كلّفتموه من اتّباع الحقّ، ورفض الجاه والمال ﴿بِالصَّبْرِ﴾ بكفّ أنفسكم عن هواها، أو: بالصّوم الذي هو كفّ عن المفطرات، فإنه يقمع الشّهوة ويصفيّ النفس ﴿والصَّلَوٰةِ﴾ فإنها ترغّب فيما عندالله، وتنهى عن الفحشاء والمنكر، أو استعينوا على حوائجكم بالجمع بين الصلاة والصبر على تكاليفها الشاقّة من إخلاص القلب، والإقبال به على الله تعالى، ومجاهدة الشّيطان، وخشوع الجوارح، والخشية، واستحضار أنّه انتصاب بين يديّ جبّار

---

(١) في الآية ٤٢ من هذه السورة.

السّماوات والأرض.

أو: إستعينوا على البلايا بالإلتجاء إلى الصّبر والصّلاة. كما روي أنه صلّى الله عليه وآله وسلّم إذا أحزنه أمر فزع إلى الصلاة[1] أو أُريد بها: الدعاء عند البلاء ﴿وَإِنَّهَا﴾ أي: الصلاة، صابرين على مشاقّها، أو: اكتفى بضميرها عن ضمير الصّوم للظهور، ولفضلها، أو: الضمير لجملة تكاليف بني إسرائيل ﴿لَكَبِيرَةٌ﴾: ثقيلة ﴿إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾: المتواضعين لله تعالى فإنّها لم تثقل عليهم ثقلها على غيرهم؛ لتوطين أنفسهم ورَوْضها عليها، وتوقّعهم في جزائها ما يستقلّ معه مشاقّها.

[٤٦] ـ ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلاَقُواْ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ أي: يتوقعون لقاء ثوابه والحشر اليه فيجازيهم، أو: أُريد بالظن: اليقين.

[٤٧] ـ ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ كرّر تأكيداً ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُم﴾ عطف على «نعمتي»، أي: وتفضيلي آبائكم قبل التّغيّر ﴿عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ عالمي زمانهم، بالإيمان والعلم، وجعل الأنبياء فيهم، وإنزال الكتب عليهم.

[٤٨] ـ ﴿وَاتَّقُواْ يَوْمًا﴾ مفعول به، أي: عذابه ﴿لاَ تَجْزِى نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئاً﴾ لا تقضي عنها حقاً أو جزاء، مصدر، ونُكّر هو والنّفسان للتعميم والإقناط، والجملة صفة «يوماً» حذف عائدها، أي فيه. ومن منع حذفه يجعله مجروراً مفعولاً به بحذف الجار اتساعاً ثم حذف ﴿وَلاَ يُقْبَلُ مِنْها شَفَاعَةٌ﴾ من النَّفس الثانية، أي: إن أتت بشفاعة شفيع لم تقبل منها. من الشّفع، كأنّ المشفوع له ـ الفرد ـ صار شفعاً بضمّ الشفيع نفسه اليه ﴿ولاَ يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾: فدية؛ لمعادلتها المفدى، ومن النفس الأُولى، أي: لو شفعت لها لم تقبل شفاعتها، ولو أعطت عدلاً عنها لم يؤخذ منها.

والآية مخصوصة باليهود؛ لثبوت الشّفاعة لنبيّنا صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ في الجملة ـ

---

(١) تفسير مجمع البيان ١: ٩٩.

بالإجماع، بل لأئمَّتنا عليهم السلام والمؤمنين[1] ﴿وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾ لا يعانون بمنع العذاب، والضّمير للنّفوس الكثيرة الدال عليها النّفس المنكّرة في سياق النّفي. والتذكير بمعنى العباد.

[٤٩] ـ ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ عطف على «نعمتي»، عطف الخاص على العام، وأصل «آل»: أهل؛ إذ صغّر «بأُهَيل» وخصّ بأُولي الخطر. و«فرعون» لقب لملك العمالقة ــ كقَيصَرْ، وكسْرَى لملكي الرّوم والفرس ـ. وفرعون ــ هذا ـ «مصعب بن الريّان» أو ابنه «وليد»، وفرعون «يوسف» عليه السّلام «ريّان» وبينهما أكثر من أربعمائة سنة ﴿يَسُومُونَكُمْ﴾: يولّونكم، من سامه خسفاً، أي: أولاه ذلاً ﴿سُوءَ الْعَذَابِ﴾ أشدَّه، فإنّه سيّء بالنسبة إلى سائره. و«سوء» مصدر نصب مفعولاً به لـ«يسومونكم».

والجملة حال من «كم» أو «آل» أو منهما ﴿يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِساءكُمْ﴾ يقتلون الذّكور ويستبقون الأناث، اماءاً للخدمة والنّكاح. بيان لـ«يسومونكم» ولذا قطع. وسبب فعلهم أنّ «فرعون» رأى في منامه ناراً شملت «مصر» فأحرقت القبط، وتركت «بني إسرائيل» فهاله، فقال له الكهنة: سيولد فيهم من يكون على يده هلاكك، فلم ينجهم من قدر الله تحفظهم ﴿وَفِي ذَلِكُمْ﴾ أي: صنيعهم، أو: الإنجاء، أو: كليهما ﴿بَلاَءٌ﴾ اختبار بنعمة أو محنة، أو: بهما؛ إذ كما يختبر الله تعالى بالمحن يختبر بالنعم ﴿مِنْ رَبِّكُمْ﴾ بتسليطه عليكم أو إنجائكم بموسى عليه السّلام أو بهما ﴿عَظِيمٌ﴾.

[٥٠] ـ ﴿وَإِذْ فَرَقْنا بِكُمُ الْبَحْرَ﴾ فصلنا بين بعضه وبعض حتى صارت فيه مسالك بسلوككم فيه، أو: بسببكم، أو: متلبساً بكم ﴿فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا ءَالَ فِرْعَوْنَ﴾ أي: هو وقومه. واقتصر عليهم للعلم بأولويّته به ﴿وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ ذلك، أو غرقهم،

---

(٢) كما وردت روايات في معناه ينظر تفسير التبيان وتفسير مجمع البيان ١: ١٠٣.

أو فرق البحر، أو ينظر بعضكم بعضاً.

روي أنّه تعالى أمر «موسى» أن يسري ببني إسرائيل فأتبعهم «فرعون» وجنوده فصبّحوهم على شاطيء البحر، فأوحى اليه: ﴿أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ البَحْرَ﴾[1] فضربه فانفلق عن إثني عشر طريقاً يابساً بعدد الأسباط فسلكوها فقالوا: يا موسى نخشى أن يغرق بعضنا ولا نعلم، ففتح الله لهم كوّاءً[2] فتراؤا، حتى عبروا البحر، ولما وصل اليه «فرعون» ورأى انفلاقه اقتحم هو وجنوده فالتطم عليهم فغرقوا جميعاً.[3]

وهذه من أجلّ النّعم على «بني إسرائيل»، وأبهر الآيات الدّالة على وجود الصّانع، وصدق موسى عليه السّلام ولمّا كان في قومه من البلادة ما لا يمكنهم الاستدلال بالآيات الخفيّة، اقتضت الحكمة نصب الآيات الباهرات لهم بحسب حالهم.

ألا ترى أنّهم لمّا عبروا، ورأوا عبدة الأصنام قالوا ـ بعد ما شاهدوا من الآيات ـ: ﴿إجْعَلْ لَنَا إلَهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾[4] وإتّخاذهم العجل، وطلبهم الرؤية؟، وأُمّة نبيّنا صلّى الله عليه وآله وسلّم لمّا كانوا من الذّكاء بحيث يمكنهم الإستدلال بالمعجزات النّظرية الدّقيقة جاءت آياتهم مشاكلة لما فيهم من الذّكاء.

[٥١] ـ ﴿وَإِذْ واعَدْنَا مُوسَى أَرْبِعِينَ لَيْلَةً﴾ لما دخلوا «مصر» بعد هلاك «فرعون» وعد الله تعالى موسى عليه السّلام أن يؤتيه التوراة، وضرب له ميقاتاً ذا القعدة وعشر ذي الحجّة، وعبّر باللّيالي لأنّها غرر الشّهور. وقرأ «ابن كثير» و«نافع» و«عاصم» و«ابن عامر» و«حمزة» و«الكسائي»: واعَدْنَا؛[5] لأنه تعالى وَعَدَهُ الوحي، ووعده

---

(١) سورة الشعراء: ٢٦/ ٦٣.

(٢) الكواء: الخرق في الحائط ونحوه.

(٣) تفسير التبيان ١/ ٢٣٠.

(٤) سورة الاعراف: ٧/ ١٣٨.

(٥) حجة القراءات: ٩٦.

موسى المجيء للميقات إلى الطور ﴿ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ﴾ إلهاً﴿مِنْ بَعْدِهِ﴾ بعد مضيّه ﴿وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾ بإشراككم.

[٥٢] ـ ﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ﴾ محونا جرمكم حين تبتم ﴿مِنْ بَعْدِ ذلِكَ﴾ الإتخاذ ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ لكي تشكروا العفو.

[٥٣] ـ ﴿وَإِذْ ءَاتَيْنا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ﴾ أي التوراة الجامع بين كونه كتاباً وفارقاً بين الحق والباطل، أو أُريد بـ «الفرقان» معجزاته الفارقة بين المحقّ والمبطل ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ لكي تهتدوا بما فيه.

[٥٤] ـ ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُواْ إِلَى بَارِئِكُمْ﴾ ارجعوا إليه.

والبارىء: الخالق للخلق بريّاً من التّفاوت، ومميّزاً بعضه عن بعض بصور مختلفة. وأصله: فصل الشّيء عن غيره ﴿فَاقْتُلوا أَنْفُسَكُمْ﴾ القتل إمّا هو: التوبة، والمعنى: فاعزموا على التوبة فاقتلوا، أو: تتمّة لها، والمعنى: فتوبوا فاقتوا أنفسكم، إتماماً لتوبتكم بالبخع،[1] أو ليقتل من لم يعبد العجل من عبده.

روي «أنّ الرّجل كان يبصر ولده وقريبه فلم يمكنه المضيَّ لأمر الله تعالى، فغشيتهم ظلمة شديدة لا يتباصرون فيها، فاقتتلوا من الغداة إلى المساء، حتّى دعا «موسى» و«هارون» فانجلت الظّلمة عن سبعين ألف قتيل، ونزل رفع القتل وقبول التوبة».[2] و«الفاء» الأُولى للتسبيب، والثّانية للتّعقيب ﴿ذَلِكُمْ﴾ أي: التوبة وقتل النّفس الذي هو وصلة إلى الحياة الباقية ﴿خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ﴾ من ايثار الحياة الدّنيا الفانية المتعقّبة بالعذاب الشّديد ﴿فَتَابَ عَلَيْكُم﴾ إنْ جعل من كلام «موسى»

---

(١) البخع: الهلاك، وفي «ألف» و«ب»: النجع ومعناه التأثير، يقال: نجع فيه الكلام اي أثّر فيه. والأصّح الاول.

(٢) تفسير مجمع البيان ١: ١١٣.

عليه السّلام فمتعلّق بمحذوفٍ، تقديره: «إن فعلتم ما أمرتم به فقد تاب عليكم».

وإن جعل من كلامه تعالى على الإلتفات، فعطف على محذوف كأنّه قيل: «ففعلتم ما أُمرتم به فتاب عليكم».

وفي ذكر البارىء تقريع بتركهم عبادة خالقهم الحكيم، إلى عبادة البقر الّتي هي مثل في البلادة، حتى عرَّضوا أنفسهم لسخط الله، فأمروا بفكّ تركيبهم حين كفروا النعمة ﴿إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ﴾ الكثير القبول للتّوبة ﴿الرَّحِيمُ﴾: البليغ في الإنعام.

[٥٥] ـ ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ﴾ لن نقرّ لك بأن الله أعطاك التّوراة وكلَّمك، أو بأنَّك نبيّ ﴿حَتَّى نَرَى اللهَ جَهْرَةً﴾: عياناً، وهي مصدر: جهر بالقراءة، استعيرت للمعانية. نصبت على المصدر؛ لأنّها نوع رؤية، أو: الحال من الفاعل أو المفعول.

والقائلون: السبعون الّذين صعقوا، وقيل: عشرة آلاف ﴿فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ﴾ للتعنّت وطلب المحال؛ لاستدعاء الرؤية كون المرئيّ مقابلاً للرّائي فيكون جسماً أو عرضاً ـ تعالى الله عن ذلك ـ. جاءتهم نار من السّماء فأحرقتهم، أو صيحة فماتوا يوماً وليلةً، وكانت صعقة موسى غشيةً بدليل: ﴿فَلَمَّا أَفَاقَ﴾،[1] ﴿وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ إلى أسباب الموت، أو: النّار.

[٥٦] ـ ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ﴾ أحييناكم ﴿مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ﴾ بالصّاعقة ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ نعمة البعث. وفيه حجّة على صحّة البعث والرّجعة.

[٥٧] ـ ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ﴾ سخّرها لكم السّحاب، يستركم من الشّمس في التّيه ﴿وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ﴾: الترنجبين ـ مثل الثّلج ـ، من الفجر إلى طلوعها ﴿وَالسَّلْوَى﴾: السّماني[2] تحشره الجنوب عليهم. وينزل باللّيل عمود نار يسيرون في

---

(١) سورة الاعراف: ٧/ ١٤٣.

(٢) السماني: طائر لايدرى من أين يأتي.

ضوئه، وثيابهم لا تبلى ولا تتّسخ ﴿كُلُوا﴾ وقلنا: كلوا ﴿مِنْ طَيِّبَاتِ مَارَزَقْناكُم﴾ المباح اللّذيذ ﴿وَمَا ظَلَمُونَا﴾ أي: فظلموا بكفرهم هذه النّعم، وما ظلمونا ﴿وَلٰكِنْ كانُواْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾: ايّاها يضرّون بالكفران.

[٥٨] ـ ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هٰذِهِ الْقَرْيَةَ﴾ «بيت المقدس»، أو «أريحا» ـ قرية بقربه ـ، فيها العمالقة و«عوج بن عنق». أُمروا به بعد التّيه ﴿فَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَداً﴾: واسعاً: نصب مصدراً أو حالاً من الواو ﴿وَادْخُلوُاْ الْبَابَ﴾: باب القرية، أو: «بيت المقدس» أو: القبّة الّتي كانوا يصلّون اليها ﴿سُجَّداً﴾ منحنين متطامنين، أو ساجدين لله شكراً ﴿وَقُولُواْ حِطَّةٌ﴾ فعلة من الحطّ، أي: مسألتنا ـ أو: أمرك ـ حطّة ﴿نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ﴾ نستر ذنوبكم بترك العقوبة بامتثالكم. وقرأ «نافع» بالياء،[١] و«ابن عامر» بها ـ بصيغة المجهول ـ[٢] ﴿وسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ ثواباً بالإمتثال كما جعلناه توبة للمسيء.

[٥٩] ـ ﴿فَبَدَّلَ الَّذينَ ظَلَمُوا قَوْلاً غَيْرَ الَّذي قِيلَ لَهُمْ﴾ وضعوا مكان «حِطّة» «قولاً» ليس بمعناها ﴿فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ كرّر زيادة في تقبيح أمرهم، وإيذاناً بأنّ عذابهم لظلمهم ﴿رِجْزاً﴾: عذاباً مقدراً ﴿مِنَ السَّمَاءِ﴾ وهو: الطّاعون، مات به في ساعة أربعة وعشرون ألفاً ﴿بِمَا كانُوا يَفْسُقُونَ﴾ بسبب فسقهم.

[٦٠] ـ ﴿وَإِذِ استَسْقَى مُوسَى﴾ طلب السّقيا ﴿لِقَوْمِهِ﴾ حينَ عطشوا في التّيه ﴿فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ﴾ هي الّتي دفعها اليه «شعيب» من آس الجنة، أهبطها معه، طولها عشرة أذرع على طول «موسى» ولها شعبتان تتقدان في الظّلمة ﴿الْحَجَرَ﴾ اللام للعهد.

---

(١) حجة القراءات: ٩٨.

(٢) كذا في النسخ، ولكن المثبت في حجة القراءات: ٩٨ والكشف عن وجوه القراءات ١: ٢٤٣: وابن عامر: بالتاء بصيغة المجهول.

روي: أنّه حجر طوريّ[1] مربّع، تنبع من كل وجـه ثلاث أعين، لكلّ سبط عين تسيل في جدول، وكانوا ستمائة ألف سعتهم اثنا عشر ميلاً.[2]

أو: حجر أهبطه «آدم» من الجنّة ووقع إلى «شعيـب» فدفعه إليه مع العصا، أو: الحجر الّذي فرَّ بثوبه حين وضعه عليه ليغتسل، إذ رموه بالأُدْرَة[3] فبرّأه الله تعالى فأمره بحمـله، أو: للـجنس قيـل: لـم يـؤمر بضرب حجـر بعـينه. ولّما قـالوا: كيف بنا لو أفضينـا إلى أرض لا حجـارة فيها حمل حجـراً، فإذا انزل ضـربه بعصـاه فينفجر، فقالـوا: إن فقد عصاه متنـا عطشاً، فأوحى الله تعـالى إليه: لا تقرع الحجـارة وكلّمها تطعك ليعتبروا[4] ﴿فَانْفَجَرَتْ﴾ أي: فضرب فانفجرت ﴿مِنْهُ اثْنَتَا عَشْـرَةَ عَيْناً قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُناسٍ﴾ سبط ﴿مَشْرَبَهُمْ﴾: العين الّتي منهـا شربهم ﴿كُلُواْ وَاشْرَبوا﴾ على إرادة القول ﴿مِـنْ رِزْقِ اللهِ﴾ ممّا رزقكم مـن المنّ والسّلوى والمـاء ﴿ولاَ تَعْثَـواْ فِي الأَرْضِ مُفْسِدينَ﴾ لا تَطغوا حـال فسادكم، قيِّد بـه؛ لأنّ منه ما ليـس بفساد كمقابلـة الظّالم بفعله، و إن غُلّب فيه.

[٦١] ـ ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُـوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلى طَعَـامٍ واحِدٍ﴾ وهو: المنّ والسّلوى؛ أُريد بالواحـد أنّه لا يتبدل وان تعدّد، أو ضرب واحد؛ لأنّهما معـاً طعام المتلذّذين، وهم فلاّحـة، نزعوا إلى مـا ألفوه ﴿فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ﴾ ادعه سـائلاً لنا ﴿يُخرِجْ﴾ يُظْهِر، جزِم جواباً لـ«ادعوا» ﴿لنَا مِمّا﴾ بعض ما ﴿تُنْبِتُ الأَرْضُ﴾ الإسناد إلى القـابل مجازاً ﴿مِنْ بَقْلِهَا﴾ من الخضـر، والمراد بـه: أطائبه الـذي يؤكـل. ومن» للتّبيين ﴿وَقِثَّائِها

---

(١) اي: من حجر الطّور.

(٢) أي: سعة معسكرهم كما في تفسير البيضاوي ١:١٥٦.

(٣) الادرة: عظم الخصى وانتفاخها.

(٤) تفسير الكشّاف ١:٢٨٤.

وَفُومِهَا﴾ الحنطة أو الخبز. وقيل: الثوم[1] ﴿وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ﴾ الله تعالى أو موسى: ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذي هُوَ أَدْنى﴾ أي: أقرب منزلةً وأدون قدراً.

والدنو: القرب في المكان، واستعير للخسّة ـ كالعبد للشّرف ـ ﴿بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾ أي: المنَّ والسلوى؛ فإنّه ألذّ وأنفع، ومستغن عن الكدّ ﴿اهْبِطُوا مِصْراً﴾ إنحدروا اليه من التّيه.

والمصر: البلد العظيم، وقيل: أُريد به العَلَم،[2] وصرفَ لسكون وسطه ﴿فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالمَسْكَنَةُ﴾ أُلزموهما لزوم المسامر للشّيء المضروب عليه، فاليهود أذلاّء مساكين إمّا على الحقيقة أو التّكلف خوف تضاعف الجزية ﴿وَبَاءُو[3] بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ﴾: رجعوا به ﴿ذَلِكَ﴾ الضرب والبوء ﴿بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ بسبب كفرهم ﴿بِآيَاتِ اللهِ﴾: حججه من فلق البحر، وإضلال الغمام، وإنزال المنّ والسّلوى، وانفجار الحجر.

أو: الإنجيل والقرآن، أو: ما في التوراة من صفة «محمّد» صلّى الله عليه وآله وسلّم ﴿وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ﴾ وبقتلهم الأنبياء: «شعيباً» و«زكريّا» و«يحيى» أو غيرهم ﴿بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ عندهم، إذ لم يفعلوا ما يجوّزون به قتلهم ﴿ذَلِكَ﴾ كرّر تأكيداً ﴿بِمَا عَصَواْ وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ بسبب عصيانهم واعتدائهم حدود الله مع كفرهم بالآيات وقتلهم

---

(١) قاله الكسائي ـ كما في تفسير مجمع البيان ١: ١٢٢ـ.

(٢) تفسير الكشّاف ١: ٢٨٥.

(٣) انّ كلمة «باءو» والكلمات الاخرى التي يشار اليها في محلّها، جاءت كما تلاحضون في القرآن الكريم من دون الف الجمع ــ التي توضع عادة بعد واو الجمع ــ وحول هذا المطلب نلفت نظركم الى ما جاء في كتاب اتحاف فضلاء البشر ١/ ٨٨.

«. . . وحذفوا في كلّ المصاحف الألف بعد واو الجمع من قوله تعالى: «وجاءو» حيث وقع نحو«وجاءو على قميصه»«جاءو بالإفك» «وباءو» حيث جاء نحو«وباءو بغضب» وفاء«فاءو» بالبقرة«و سعو في آياتنا» بسبأ، و«عتوعتواً» بالفرقان و«الذين تبوء والدار» «بالحشر».

الأنبياء وقيل: الإشارة إلى الكفر والقتل،[١] أي: جرّهم العصيان والإعتداء إلى الكفر والقتل.

[٦٢] ـ ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ بأفواههم، وهم المنافقون ﴿وَالَّذِينَ هَادُوا﴾ يقال: هاد وتهوّد: إذا دخل في اليهودية. و«يهود» إما عربيّ من هاد أي: تاب، سمّوا به لتوبتهم من عبادة العجل، أو معرّب من «يهودا» ابن يعقوب الأكبر ﴿وَالنَّصَارَى﴾ جمع: «نصران» كـ«سكارى» وياء «نصراني» للمبالغة ــ كياء أحمريّ ــ سمّوا به لنصرهم المسيح، أو: لكونهم معه في قرية تسمى «ناصرة» ﴿وَالصَّابِئِينَ﴾ قوم بين اليهود والمجوس، لا دين لهم.

وقيل: دينهم يشبه دين النَّصارى، يزعمون أنّه دين «نوح»،[٢] وقيل: هم عبدة النّجوم[٣] أو الملائكة[٤] «صبأ» اذا خرج، إن كان عربيّاً، و«النافع» لم يهمزه[٥] امّا للتخفيف أو لأنّه من «صبأ»: إذا مال لميلهم عن سائر الأديان ﴿مَنْ ءَامَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ من آمن من هؤلاء الكفرة بالمبدأ والمعاد إيماناً خالصاً ودخل في الإسلام دخولاً أصيلاً[٦] ﴿وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ الذي يستوجبونه على الإيمان والعمل ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ من العقاب ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ على فوات الثواب و«من» مبتدأ خبره «فلهم أجرهم» والجملة خبر «إنَّ» أو بدل من اسم «إنَّ» وخبرها «فلهم أجرهم». و«الفاء» لتضمن اسمها معنى الشرط.

[٦٣] ـ ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ﴾ بالعمل بالتوراة ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ﴾ الجبل

---

(١) تفسير الكشّاف: ١: ٢٨٥.

(٢) قاله الخليل ـ كما في تفسير التبيان ١: ٢٨٣ وتفسير مجمع البيان ١: ١٢٦ـ.

(٣) قاله قتادة والبلخي ـ كما في تفسير التبيان: ١: ٢٨٢.

(٤) تفسير الكشّاف ١: ٢٨٥.

(٥) حجة القراءات: ١٠٠.

(٦) في «ط»: أصلياً.

حتى أعطيتم الميثاق.

روي: «ان موسى عليه السّلام أتاهم بالتوراة فكبرت عليهم تكاليفها الشاقّة فأبوا قبولها، فقلع جبرئيل الطّور، فرفعه فوقهم حتى قبلوا»[1]﴿خُذُوا﴾ بتقدير القول ﴿مَا ءَاتَيْناكُمْ﴾ من التوراة ﴿بِقُوَّةٍ﴾ بجدّ وعزم ﴿وَاذْكُرُواْ مَا فِيْهِ﴾ احفظوه أو اعملوا به ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ لكي تتقوا الذنوب، أو رجاءاً منكم: أن تكونوا متقين.

[٦٤] ــ ﴿ثُمّ تَوَلَّيْتُمْ﴾ أعرضتم عن الوفاء بالميثاق﴿مِنّ بَعدِ ذَلِك﴾ بعد أخذه ﴿فَلولاَفَضّلُ الله عَلَيكمُ وَرَحْمَتُهُ﴾ بتوفيقكم للتوبة أو بمحمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم يهديكم للحقّ﴿لَكُنْتُم مِنَ الخَاسرين﴾ بإهلاكم أنفسكم بالمعاصي و«لو» لانتفاع غيره وتلحقها«لا» فتنفيه لثبوت غيره والإسم بعدها مبتدأ خبره واجب الحذف وقيل: فاعل فعل محذوف.

[٦٥]ـ ﴿وَلَقَدْ﴾ «اللام» موطئة للقسم ﴿عَلِمْتُمُ الَّذينَ اعتَدَوْا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ﴾ مصدر، سبتت اليهود إذا عظّمت يوم السبت من القطع. أُمروا بتجريده للعبادة، ونهوا عن اصطياد الحيتان فيه، فاعتدى فيه ناس منهم في زمن «داود» عليه السّلام ـ إذ كانت قريتهم على البحر، ولم يبق فيه حوت إلا أخرج خرطومه يوم السّبت، فإذا مضى تفرّقت ــ فحفروا حياضاً وشرعوا اليها الجداول فكانت الحيتان تدخلها يوم السبت فيصطادونها يوم الأحد ﴿فَقُلْنا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ أي جامعين بين القرديّة والخسؤ ـ وهو: الطّرد ـ. والمراد بـ«كونوا»: سرعة التكوين لا الأمر.

[٦٦] ـ ﴿فَجَعَلْنَاهَا﴾ أي: المسنحة ﴿نَكَالاً﴾: عبرة، تنكل المعتبر بها، أي: تمنعه ﴿لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا﴾: ما قبلها ﴿وَمَا خَلْفَهَا﴾: ما بعدها من الأُمم، أو: لمعاصريهم ومن بعدهم، أو: لأجل ذنوبهم المتقدمة والمتأخرة ﴿وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ﴾ من قومهم، أو: كلّ متّقٍ سمعها.

---

(١) تفسير الكشّاف ١: ٢٨٦.

[٦٧] ـ ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسى لِقَوْمِهِ إِنَّ الله يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾ قدّم على صدر القصة ﴿وَإِذ قَتَلْتُمْ نَفْساً. . .﴾ الآية؛[١] لاستقلاله بنوع من مساوئهم من الإستهزاء بالأمر، وترك المسارعة إلى الإمتثال. كان فيهم شيخ موسرء فقتل ابنه بنو أخيه ليرثوه، وطرحوه على باب المدينة، وطالبوا بدمه، فأمرهم الله أن يذبحوا بقرة ويضربوه ببعضها ليحيا، فيخبرهم بقاتله. وقيل: قتلوا الشيخ.[٢]

وعن الصادق عليه السّلام: «قتله ابن عمه ليتزوج ابنته، وقد خطبها فردَّه وزوجها غيره»[٣] ﴿قَالُوٓا أَتَتَّخِذُنَا هُزُواً﴾ مكان هزء، أو أهله، أو مهزوءً بنا، أو: نفس الهزء ـ مبالغةً ـ، استبعاداً لما قاله. وسكّنه «حمزه» و«اسماعيل» عن «نافع» مع الهمزة، وضمّه «حفص» مع الواو، وضمه الباقون مهموزاً[٤] ﴿قَالَ أَعُوذُ بِاللهِ﴾: ألوذ به ﴿أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ إذ الهزء في هذا جهل.

[٦٨] ـ ﴿قَالُوا ادْعُ لَنا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ﴾ ما حالها وصفتها ﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لافَارِضٌ﴾: لا مسنّة ﴿وَلاَ بِكْرٌ﴾: ولا فتيّة ﴿عَوَانٌ﴾: نصف ﴿بَيْنَ ذَلِكَ﴾ المذكور من الفارض والبكر. وفيه إمّا تأخير للبيان عن وقت الخطاب ـ إن أُريد بقرة معيّنة ـ، أو: النّسخ قبل الفعل ـ إن أُريد غير معينة، ثم انقلبت معيّنة بسؤالهم ـ. كما روي: «لو ذبحوا أيّ بقرة شاءوا كفتهم، ولكن شدّدوا على أنفسهم فشدّد الله عليهم»[٥] ﴿فَافْعَلُوا مَا تُؤمَرُونَ﴾ ما تؤمرونه أي تؤمرون به.

[٦٩] ـ ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْراءُ فَاقِعٌ

---

(١) وهي الآية ٧٢ من هذه السورة.

(٢) قاله ابن عباس ـ كما في تفسير مجمع البيان ١: ١٣٥.

(٣) تفسير القمي ١: ٤٩.

(٤) حجة القراءات: ١٠١.

(٥) تفسير مجمع البيان ١: ١٣٥ وتفسير نور الثقلين ١: ٨٩ الحديث ٢٤٣ عن النبي (ص)

لَوْنُهَا﴾ الفقوع: شدَّة الصفرة ﴿تَسُرُّ النَّاظِرِينَ﴾: تعجبهم وتفرحهم.

وعن الصادق عليه السّلام: «من لبس نعلاً صفراء لم يزل مسروراً حتى يبليها، كما قال الله صفراء... » الآية.[1]

[٧٠] ـ ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ﴾ تكرير للسؤال الأوّل، وزيادة استيضاح ﴿إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا﴾ أي البقر الموصوف بالتّعوين والصّفرة كثير فاشتبه علينا ﴿وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللهُ لَمُهْتَدُونَ﴾ الى المراد ذبحها، أو القاتل. روي: «أنَّه لو لم يستثنوا لما بيّنت لهم أبداً».[2]

[٧١] ـ ﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لا ذَلُولٌ تُثِيرُ الأَرْضَ وَلاَ تَسْقِي الْحَرْثَ﴾ أي: لم تذلل الكراب وسقي الحرث، و«لا ذلول» صفة «بقرة»، والفعلان صفتان لـ«ذلول»، أي: لا ذلول مثيرة وساقية، و«لا» الثانية لتأكيد الاولى ﴿مُسَلَّمَةٌ﴾ من العيوب، أو العمل ﴿لاَ شِيَةَ فِيْهَا﴾ لا لونَ فيها سوى لونها، من: وشاه وشياً وشِيَةً: إذا خلط بلونه لوناً آخر ﴿قَالُوا الآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ﴾ أي بحقيقة وصفها ﴿فَذَبَحُوهَا﴾ أي فحصَّلوا البقرة الموصوفة فذبحوها ﴿وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ﴾ لا ستقصائهم وتطويلهم، أو: لخوف الفضيحة في ظهور القاتل، أو: لغلاء ثمنها.

قيل: اشتروها بملء مسكها ذهباً؛[3] وكانت ليتيم، وكانت البقرة حينئذ بثلاثة دنانير. ونفي «كاد» كنفي سائر الأفعال في الأصح، فلا ينافي الذّبح عدم مقاربته لاختلاف وقتيهما؛ إذ المعنى: ما قاربوا الفعل حتى انتهت سؤالاتهم ففعلوا.

[٧٢] ـ ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْساً﴾ خوطب الجميع لوجود القتل فيهم ﴿فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا﴾: اختصمتم في شأنها وتدافعتم. وأصله «تدارأتم» أُدغمت التاء في الدال ووصل

---

(١) تفسير العياشي ١: ٤٧ الحديث ٥٩ وتفسير البرهان ١: ١١٢ الحديث ٥.

(٢) تفسير مجمع البيان ١: ١٣٥ وتفسير نور الثقلين ١: ٨٩ الحديث ٢٤٣ عن النبي (ص)

(٣) تفسير مجمع البيان ١: ١٣٦ وتفسير نور الثقلين ١: ٨٨ عن تفسير القمي.

بالهمزة ﴿وَاللهُ مُخْرِجٌ﴾: مظهر ﴿مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ والجملة اعتراض بين «فادارأتم».

[٧٣] ـ ﴿فَقُلْنَا﴾ المعطوف عليه ﴿اضْرِبُوهُ﴾ أي: النّفس ـ بتأويل: الشخص أو القتيل ـ ﴿بِبَعْضِهَا﴾ فخذها اليمنى، أو: لسانها، أو: عجبها،[١] أو: أُذنها ﴿كَذَلِكَ يُحْيِي اللهُ الْمَوْتَى﴾ أي: فضربوه فحيي، حذف للدلالة. والخطاب لحاضري الأحياء، أو النزول.

روي: «أنهم لمّا ضربوه قام بإذن الله تعالى وأوداجه تشخب دماً، وقال: قتلني فلان ابن عمي، ثم قبض».[٢] ﴿وَيُرِيكُمْ ءَايَاتِهِ﴾: دلائل قدرته ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ لكي تعملوا على قضيّة عقلكم، وتعلموا أن القادر على إحياء نفس قادر على إحياء الكلّ ولم يحيه ابتداءً بل شرط فيه الذبح والضرب لانطوائه على التقرّب ونفع اليتيم، والإشعار بحسن تقديم القربة[٣] على الطلب، وأن من حقّ المتقرّب أن يتحرّى الأحسن ويغالي بثمنه، والتّنبيه على كمال القدرة بتوليد الحياة من الموت.

[٧٤] ـ ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ «ثم» لاستبعاد القسوة، وقساوة القلوب مثَل في نبوّها عن الإعتبار ﴿مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ الإحياء، أو: جميع الآيات المعدودة فإنّها موجبة للين القلب ﴿فَهِيَ﴾ في قسوتها ﴿كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ أي: زائدة عليها في القسوة، أو: مثل ما هو أشدّ قسوة، حذف المضاف وأُقيم المضاف اليه مقامه، ولم يقل: «أقسى» لأنَّ «أشدّ» أبلغ، ولوصف القسوة بالشدة، وزيادة المفضّل فيها. و«أو» للتّخيير، أي: إنَّ من عرفها شبّهها بالحجارة أو بما هو أقسى منها ﴿وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ﴾ بيان للتّفضيل.

والتّفجّر: التّفتّح بالسّعة. أي: فيه خروق واسعة يتدّفق منها الماء الغزير ﴿وَإِنَّ

---

(١) العجب: اصل الذنب، لسان العرب«عجب».

(٢) تفسير نور الثقلين ١: ٨٧ عن عيون الأخبار.

(٣) في «ط» التوبة.

مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ﴾ : فينبع ﴿مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ﴾ : يتردّى من أعلى الجبل إنقياداً لأمر الله تعالى، وقلـوب هؤلاء لا تنفعل ولا تنقاد لأمره تعالى . والخشية مجـاز عن الإنقياد ﴿ومَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ وعيـد . وقرأ «إبن كثيـر» و«نافع» بالياء .[1]

[٧٥] ـ ﴿أَفَتَطْمَعُونَ﴾ الخطاب للرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم والمؤمنين ﴿أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ﴾ : يحـدثـوا لكـــم التصـّديق، أي : اليـــهود ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ﴾ طـائفـة من أسلافـــهم ﴿يَسْمَعُونَ كَلاَمَ اللهِ﴾ : التـّوراة ﴿ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ﴾ كتـحريفهـــم صفة «محمَّد» وآية الرّجم .

وقيل : سمع قـوم من السّبعين المختـارين أمر الله ونهيـه حين كلّم مـوسى على الطّور ثم قـالوا سمعناه يقـول في آخره : إن استطعتم أن تفعلـوا هذه الأشياء فـافعلوا ، وإن شئتم فلا تفعلوا[2] ﴿مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوا﴾ فهموه ولم يرتابوا فيه ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أنّهم مفترون . والمعنى : إن حرّف هؤلاء فلهم سابقة .

[٧٦] ــ ﴿وَإِذَا لَقُواْ الَّـذِينَ ءَامَنُواْ قَـالُواْ﴾ أي : منافقـوهم ﴿ءَامَنَّا﴾ بأنّكـم على الحقّ، وأنَّ «محمَّداً» هو المبشَّر به في التوراة ﴿وَإِذَا خَلاَ بَعْضُهُمْ إِلى بَعْضٍ قَالُواْ﴾ ـ أي : الذي لم ينافقوا عاتبين على المنافقين ـ : ﴿أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللهُ عَلَيْكُمْ﴾ بيّنه لكم في التّـوراة عن صفـة محمَّد صلّى الله عليـه وآلـه وسلّـم ﴿لِيُحَاجُّوكُمْ بِـهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ﴾ ليحتجّوا عليكم بما في كتاب ربّكم . جعلوا محاججتهم بكتابه[3] محاجةً عنده ـ كما يقال ـ : عنـــد الله كـــذا، أي : فـي كـتابه ﴿أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾ إمّا تتمّـة للومهم، أي : أفلا تفـــقهون أنّهـــم يحاجـــونـكم فيحـــجّونكم، أو : خطـاب الله للمؤمنين ، أي :

---

(١) حجة القراءات : ١٠١.

(٢) نقله الزمخشري في تفسير الكشّاف ١ : ٢٩١.

(٣) في «ط» : محاجته في كتابه .

أفلا تعقلونَ أنّهم لا يؤمنون، فلا تطمعوا في ذلك.

[٧٧] - ﴿أَوَ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ أي: اليهود ﴿أَنَّ الله يَعْلَمُ مَا يُسِرّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ جميعه، ومنه إسرارهم الكفر وإعلانهم الإيمان.

[٧٨] - ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ﴾ لا يحسنون الكتابة فيطالعون التّوراة، ويتحققون ما فيها ﴿لاَ يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ﴾ التّوراة ﴿إِلاّ أَمَانِيَّ﴾ منقطع، أي: لكن يعتقدون أكاذيب أخذوها تقليداً عن المحرّفين من أن الجنّة لا يدخلها إلاّ من كان هوداً،[1] والنّار لا تمسّهم إلاّ أياماً معدودة، وغير ذلك. ﴿وَإِنْ هُمْ إِلاّ يَظُنُّونَ﴾ لا علم لهم. ويفيد منع التقليد فيما طريقه العلم مع التمكن منه.

[٧٩] - ﴿فَوَيْلٌ﴾ تلهّف وهلاك، وهو - في الأصل -: مصدر لا فعل له. وقيل: واد في جهنم.[2]

وابتدأ به نكرة لأنّه دعاء ﴿لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ﴾ أي: المحرّف ﴿بِأَيْدِيهِمْ﴾ تأكيد ﴿ثُمَّ يَقُولُونَ هَذا مِنْ عِنْدِ اللهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً﴾ ليأخذوا به عرضاً من أعراض الدنيا فإنّه قليل - وإن جلّ - ﴿فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ من المحرّف ﴿وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ من المعاصي أو: الرّشا.

[٨٠] - ﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنا النّارُ﴾ المسّ: إتّصال الشيء بالبشرة مع الإحساس ﴿إِلاّ أَيّاماً مَعْدُودَةً﴾: قلائل، أربعين يوماً - أيام عبادة العجل -، وقيل: زعموا أنّ مدّة الدنيا سبعة آلاف سنة، وإنّما نعذب مكانَ كلّ ألف سنة يوماً[3] ﴿قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللهِ عَهْداً﴾ أنّه لا يعذّبكم إلاّ هذه المدّة. وأظهر «الذال» «ابن كثير» و«حفص» وأدغمه

---

(١) في «د» زيادة: أو نصارى.

(٢) تفسير التبيان ١: ٣٢١ وتفسير مجمع البيان ١: ١٤٦ وتفسير نورالثقلين ١: ٩٣.

(٣) تفسير التبيان ١: ٣٢٣ وتفسير مجمع البيان ١: ١٤٧.

الباقون[١] ﴿فَلَنْ يُخْلِفَ اللهُ عَهْدَهُ﴾ متعلق بمحذوف أي إن اتّخذتم عند الله عهداً فلن يخلف الله عهده ﴿أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ «أم» عديلة الهمزة، أي: أيُّ الأمرين كائن، أو منقطعة، أي: بل أتقولون.

[٨١] ـ ﴿بَلَى﴾ إثبات لما نفوه، أي: بلى تمسّكم النّار أبداً بدليل: «هم فيها خالدون» ﴿مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً﴾ أي الشرك ﴿وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ﴾ تلك: أحدقت به من كل جانب، وقرأ «نافع» «خطيئاته»[٢] ﴿فَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ ملازموها في الآخرة ﴿هُمْ فِيها خَالِدُونَ﴾ دائمون.

[٨٢] ـ ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيْهَا خَالِدُونَ﴾ شفّع تعالى الوعد بالوعيد؛ ليُرجى ثوابه ويخشى عقابه، وأخرج العطف العمل عن الإيمان.

[٨٣] ـ ﴿وَإِذْ أَخَذْنا مِيْثَاقَ بَنِي إِسْرَآئِيْلَ لاَ تَعْبُدُونَ إِلاّ اللهَ﴾ إخبار معناه النّهي، وهو أبلغ من صريحه؛ لإبهامه المسارعة إلى الإنتهاء، فهو يخبر عنه، ويؤيّده قراءة «لا تعبدوا»[٣] وعطف «قولوا» عليه، فهو بتقدير القول. وقرأ «نافع» و«ابن عامر» و«ابوعمرو» و«عاصم» بالتاء ـ حكايةَ لما خوطبوا به ـ، والباقون بالياء ـ لغيبتهم ـ[٤] ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ اِحْسَاناً﴾ أي: ويحسنون أو: وأحسنوا ﴿وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامى﴾ جمع يتيم ﴿وَالْمَسَاكِينِ﴾ جمع مسكين، مفعيل من السكون كأنَّ الفقر أسكنه ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاس حُسنًا﴾ قولاً حسنًا. وصف بالمصدر مبالغةً. وفتحه «حمزة» و«الكسائي»[٥] ﴿وَأَقِيْمُواْ الصَّلوةَ وءَاتُوْا الزَّكوةَ﴾ المفروضتين في ملّتكم ﴿ثمَّ تَوَلَّيْتُمْ﴾ إلتفات، أو خطاب للموجودين منهم من عهد الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم وسلفهم على

---

(١) الحجة في القراءات ١: ٦٨.

(٢ـ٤) حجة القراءات: ١٠٢.

(٥) حجة القراءات: ١٠٣.

التغليب، أي أعرضتم عن الميثاق. ﴿إِلاّ قَلِيْلاً مِنْكُمْ﴾ إلاّ من أسلم منكم ﴿وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ﴾: مستمرّون على الإعراض عن الوفاء.

[٨٤] ـ ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لاَ تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَ لاَ تُخْرِجُونَ أَنْفُسكُم مِنْ دِيَارِكُمْ﴾ لا يفعل ذلك بعضكم ببعض. جعل غير الرّجل نفسه لا تّصاله به أصلاً أو ديناً، أو: لإيجاب القتل القصاص. وقيل ـ معناه ـ: لا تفعلوا ما يبيح قتلكم وإخراجكم من دياركم.[١] ﴿ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ﴾: اعترفتم بالميثاق ولزومه ﴿وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ على أنفسكم تأكيد، وقيل: «وأنتم أيها الموجودون تشهدون على إقرار أسلافكم».[٢]

[٨٥] ـ ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلاءِ﴾ استبعادٌ لما فعلوه بعد الميثاق والإقرار به والإشهاد عليه، و«أنتم» مبتدأ، خبره: «هؤلاء» والمعنى: أنتم بعد ذلك هؤلاء الناكثون. نزّل تغير الصّفة منزلة تغيّر الذات ﴿تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ﴾ إمّا بيان لـ«أنتم هؤلاء» أو: حال وعاملها: معنى الاشارة، أو: خبر «أنتم» و«هؤلاء» تأكيد له، أو: منادى، أو: موصول، والجملة صلته والمجوع الخبر ﴿وَتُخْرِجُونَ فَرِيقاً مِنْكُم مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ﴾ حال من فاعل «تخرجون» أو: مفعوله، أو. منهما.

والتّظاهر: التعاون. وحذف «عاصم» و«الكسائي» احدى التائين، وأدغمها الباقون بالظّاء[٣] ﴿بِالإِثْمِ﴾: القبيح المستحقّ به اللّوم ﴿وَالْعُدْوَانِ﴾: الإفراط في الظلم ﴿وإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ﴾ روي: أنّ قريظة كانوا حلفاء الأوس، والنّضير حلفاء الخزرج، وكان كلّ فريق يعاون حلفاءه في القتال، وإذا أُسِر رجل من الفريقين فدّوه، فقيل لهم: كيف تقاتلونهم ثم تفدونهم؟ فيقولون: أُمرنا أن نفديهم، ونهينا عن

---

(١) تفسير مجمع البيان ١: ١٥١.

(٢) تفسير الكشّاف ١: ٢٩٣.

(٣) حجة القراءات: ١٠٤.

قتالهم ولكنا نستحيي أن نذِلّ حلفاءنا.[١]

وقرأ «حمزة»: أسرى[٢] ـ جمع أسير ــ كـ«قتلى» لـ«قتيل» وأُسارى ــ جمعه ـ: كـ«سكارى» لـ«سكرى» وقرأ «ابن كثير» و«ابو عمرو» و«حمزة» و«ابن عامر»: تفدوهم»[٣] ﴿وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ﴾ الضمير للشأن، أو مبهم يفسّره ﴿إِخْرَاجُهُمْ﴾ أو: لمصدر «تخرجون»، و«إخراجهم» تأكيد ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ﴾ أي بالفدية ﴿وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ أي: بحرمة القتل والإجلاء ﴿فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذلك مِنكُمْ إِلاّ خِزْيٌ فِي الْحَيَوةِ الدُّنْيَا﴾ وهو قتل «قريظة» وأسرهم وإجلاء «النضير»، وقيل: الجزية[٤] ﴿وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يُرَدُّونَ إِلى أَشَدِّ الْعَذَابِ﴾ قرأ «عاصم» ـ في رواية ـ: «تردّون» على الخطاب[٥] ﴿وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ تأكيد للوعيد. وقرأ «ابن كثير» و«نافع» و«ابو بكر» بالياء.[٦] والضمير لـ«من».

[٨٦] ـ ﴿أُوْلئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُاْ الحَيَوةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ﴾ ابتاعوا حظوظ الدنيا بنعيم الآخرة ﴿فَلاَ يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ﴾ بنقص الجزية في الدنيا والعقوبة في الآخرة ﴿وَلاَ هُمْ يُنْصَرُونَ﴾ بالدّفع عنهم.

[٨٧] ـ ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسىَ الْكِتابَ﴾ التّوراة ﴿وَقَفَّيْنا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ﴾ قفّاهُ به: اتبعه إيّاه، أي: وأرسلنا على أثره الرسل ﴿وآتَيْنَا عِيْسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ﴾ المعجزات الواضحات كإحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص، والإخبار بالمغيبات، أو الإنجيل.

وعيسى بالسريانية: «إيشوع» ومعناه: المبارك و«مريم» بمعنى: العابدة أو

---

(١) تفسير التبيان ١: ٣٣٦، وتفسير مجمع البيان ١: ١٥٣، وتفسير الكشّاف ١: ٢٩٤.

(٢ـ٣) حجة القراءات: ١٠٤ و ١٠٥.

(٤) تفسير مجمع البيان ١: ١٥٤، وتفسير الكشّاف ١: ٢٩٤.

(٥) تفسير البيضاوي ١: ١٦٨.

(٦) حجة القراءات: ١٠٥.

الخادم ﴿وَأَيَّدْنَاهُ﴾: قوّيناه ﴿بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ بالرّوح المقدّسة، أي: «جبرئيل»، أو: روح «عيسى». ووصفها بـ«القدس» للكرامة كإضافتها إليه تعالى، أو: لأنّه لم تضمّه الأصلاب، والأرحام الطّوامث، أو: الانجيل، أو: الإسم الأعظم الّذي يحيي به الموتى. وسكّن «ابن كثير» «القدس» حيث وقع[1] ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لاَ تَهْوَى﴾ تحبّه ﴿أَنْفُسُكُمُ﴾ وسّطت الهمزة بين الفاء وما تعلّقت به ـ من إيتاء انبيائهم ما أتوا ـ توبيخاً لهم، وتعجيباً من حالهم. و«الفاء» للعطف على مقدَّر ﴿اسْتَكْبَرْتُمْ﴾ عن إتّباع الرسل ﴿فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ﴾ كـ«موسى» و«عيسى» ﴿وَفَرِيقاً تَقْتُلُونَ﴾ كـ«زكريّا و«يحيى». وعبّر بالمضارع حكايةً للحال الماضية لتستحضر في النّفوس للفظاعة، وللفاصلة. وأُسند إليهم لأنّه فعل أسلافهم ورضوا به.

[٨٨] ـ ﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ مغشاة خلقة بأغطية لا يصل اليها ما تقول ولا نفهمه ـ من الأغلف: الذي لم يختن ـ ﴿بَلْ لَعَنَهُمُ اللهُ بِكُفْرِهِمْ﴾ رد لقولهم، أي: إنها خُلقت على الفطرة متمكنةً من قبول الحق ولكن الله خذلهم بسبب كفرهم فهم الذين غَلَّفوا قلوبهم بما أحدثوا من الكفر وتسببوا بذلك لمنع الألطاف ﴿فَقَلِيلاً مَا يُؤْمِنُونَ﴾ فإيماناً قليلاً يؤمنون، وهو إيمانهم ببعض الكتاب. و«ما» مزيدة، أو أريد ـ بالقلّة ـ: العدم.

[٨٩] ـ ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ﴾ القرآن ﴿مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ﴾ من كتابهم. وحذف جواب «لمّا» لدلالة جواب الثّانية عليه ﴿وَكَانُواْ مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ﴾: يستنصرون ﴿عَلَى الَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ مشركي العرب، يقولون: «اللهمّ انصرنا عليهم بنبيّ آخر الزمان المنعوت في التوراة»، أو: يفتحون عليهم، أي: يعرّفونهم صفة نبيّ يبعث منهم. و«السين» للمبالغة، أي: يسألون أنفسهم الفتح عليهم ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُواْ﴾ من الحقّ ﴿كَفَرُواْ بِهِ﴾ حسداً وطلباً للرئاسة ﴿فَلَعْنَةُ

---

(١) حجة القراءات: ١٠٥.

﴿اللهِ﴾ أي: غضبه ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ أي: عليهم، جيء بالظاهر ليفيد أنهم لعنوا لكفرهم، فاللام للعهد، أو الجنس الشامل لهم.

[٩٠] ـ ﴿بِئْسَمَا﴾ «ما» نكرة موصوفة[١] مفسرة لفاعل: «بئس» ـ المستكن ـ، أي: بئس شيئاً ﴿اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ﴾ باعوها. صفة «ما» ﴿أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللهُ﴾ هو المخصوص بالذّم ﴿بَغْياً﴾: حسداً وطلباً لما ليس لهم، علّة لـ«يكفروا» ﴿أَنْ يُنَزِّلَ اللهُ﴾ لأن ينزّل، أو: على أن ينزّل. وخفّفه «ابن كثير» و«ابو عمرو» [٢]﴿مِنْ فَضْلِهِ﴾ أي الوحي ﴿عَلَى مَنْ يَشَاءُ﴾ يختاره ﴿مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُو[٣] بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ﴾ صاروا أحقّاء بغضب مترادف لكفرهم بمحمَّد صلّى الله عليه وآله وسلّم وبغيهم عليه، أو: لكفرهم به بعد «عيسى» عليه السّلام، أو: بعد قولهم: «عزير ابن الله»[٤]﴿وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾: مذلّ لهم لا على سبيل التكفير إذ يعقبه الاعزاز.

[٩١] ـ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللهُ﴾ من القرآن، أو كل كتاب أنزله ﴿قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا﴾ أي: التوراة ﴿وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ﴾ حال من فاعل «قالوا» ﴿وَهُوَ الْحَقُّ﴾ الضمير لـ«ما» وهو القرآن ﴿مُصَدِّقاً لِمَا مَعَهُمْ﴾ حال مؤكدة. ردّ لمقالهم؛ إذ كفرهم بما يوافق التوراة كفر بها ﴿قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنبِيَاءَ الله مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ اعتراض عليهم بقتلهم الأنبياء مع ادّعائهم الإيمان بالتوراة ـ وهي تحرّمه ـ، وأسند إليهم لأنّه فعل أسلافهم ورضوا به.

[٩٢] ـ ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ﴾ الآيات التسع ﴿ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ﴾ معبوداً ﴿مِن بَعْدِهِ﴾ بعد مجيئه، أو: ذهابه الى الطّور ﴿وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾ حال، أي:

---

(١) في النسخ: منصوبة.

(٢) حجة القراءات: ١٠٦.

(٣) انظر تعليقنا على كلمة«باءو» في الآية ٦١ من هذه السورة.

(٤) سورة التوبة: ٩/ ٣٠.

اتخذتموه ظالمين بعبادته، أو: اعتراض، أي: وأنتم قوم عادتكم الظلم.

[٩٣] ـ ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا ءَاتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾ بجدٍّ وعزم ﴿وَاسْمَعُوا﴾ ما أُمرتم به في التوراة سماعَ طاعة. كرّر القصتان للتأكيد، ولأنّ مساقهما ـ هنا ـ لإبطال قولهم: ﴿نُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنا﴾[١] ﴿قَالُواْ سَمِعْنَا﴾ قولك ﴿وَعَصَيْنا﴾ أمرك. ﴿وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ﴾ تداخلها حبّه كما يتداخل الثوبَ الصّبغ و«في قلوبهم» بيان لمكان الاشراب، نحو: ﴿إِنَّما يَأكُلُونَ فِي بُطُونِهِم نَاراً﴾[٢] ﴿بِكُفْرِهِمْ﴾: بسبب كفرهم لأنهم مجسِّمة، واستحسنوا جسمه فرَسَخ في قلوبهم حبّه ﴿قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ﴾ بالتّوراة؛ إذ ليس فيها عبادة العجاجيل. والمخصوص محذوف، أي: هذا الأمر، أو: قبائحهم ـ المعدودة سابقاً ـ.

وإسناد الأمر إلى ايمانهم تهكّم كـ﴿أَصَلَوٰتُك تَأْمُرُكَ﴾[٣] وكذا إضافة الإيمان اليهم ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ تشكيك في إيمانهم، وقدح في صحّة دعواهم.

[٩٤] ـ ﴿قُلْ إِنْ كانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الآخِرَةُ﴾: الجنة ﴿عِنْدَ اللهِ خَالِصَةً﴾ حال من «الدّار»، أي: خاصّة بكم ـ كما قلتم: ﴿لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إلاّ مَنْ كَانَ هُوداً﴾ ـ[٤] ﴿مِنْ دُونِ النّاسِ﴾ للجنس أو العهد، وهم: المسلمون ﴿فَتَمَنَّوُاْ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ لأنَّ من أيقن أنّ له الجنة اشتاقها تمنّى التّخلّص من دار العناء الى نعيمها الدائم، كما قال أمير المؤمنين عليه السّلام: «لا أُبالي سقطت عليّ الموت أو سقط الموت عليّ».[٥]

[٩٥] ـ ﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبداً بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ بما اسلفوا من موجبات النار،

(١) في الآية ٦١ من هذه السورة.

(٢) سورة النساء: ٤/ ١٠.

(٣) سورة هود: ١١/ ٨٧.

(٤) في الآية ١١١ من هذه السورة.

(٥) بحارالأنوار ٧١: ٢٦٣ باختلاف يسير، وانظر تفسير الكشّاف ١: ٢٩٧ وتفسير نورالثقلين ١: ١٠٣ الحديث ٢٨٩.

كالكفر بمحمد صلّى الله عليه وآله وسلّم والقرآن، وتحريف التّوراة. وعبّر عن النفس باليد لأنها آلة للإنسان بها عامّة صنائعه. والجملة إخبار بالغيب وكان كما أخبر؛ إذ لوتمنّوا لنُقل. والتمني أن يقول «ليت كذا».

وعنه صلّى الله عليه وآله وسلّم «لو تمنّوا المـوت لغصّ كل انسان بريقه فمات مكانه، وما بقى على وجه الأرض يهوديّ»[١] ﴿والله عَلِيْمٌ بالظّالِمِينَ﴾ تهديد لهم.

[٩٦] ـ ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النّاسِ عَلَى حَيٰوةٍ﴾ ـ من «وجد» بمعنى: عَلِمَ ـ، ومفعولاه: «هم» و«أحرص». وتنكير «حيوة» لإرادة حيوة مخصوصة متطاولة ﴿وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ﴾ محمول على المعنى، أي: أحرص من الناس ومن الذين أشركوا. وأفردوا بالذكر لشدّة حرصهم إذ لم يعرفوا إلاّ الحياة الدنيا. وفيه توبيخ شديد؛ إذ زيادة حرصهم وهم مُقرّونَ بالجزاء على حرص المنكرين يدل على علمهم بمصيرهم الى النّار.

وقيل: أُريد بـ«الذين أشركوا» المجوس، لدعائهم لملوكهم: «عش ألف نوروز وألف مهرجان».[٢] وقيل: هو خبر مبتدأ محذوف،[٣] صفته ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ﴾ ويراد بـ«الّذين أشركوا»: اليهود، لقولهم: «عُزير ابن الله»[٤] أي: ومنهم ناس يودُّ أحدهم. وهو على الأوّل استئناف لبيان زيادة حرصهم ﴿لو يُعَمَّرُ أَلْف سَنَةٍ﴾ حكاية لما ودّوا. و«لو» بمعنى «ليت» ﴿وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ﴾ الضّمير لـ«أحدهم»، و«أن يعمّر» فاعل «مزحزحه» أي وما أحدهم منحّيه عن النار تعميره، أو المصدر «يعمّر» «وأن يعمّر» بدل منه، أو مبهم بيانه: «أن يعمر» ﴿وَاللهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾

---

(١) تفسير الكشّاف ١: ٢٩٧وقريب منه ما في تفسير البرهان ١: ١٣١.
(٢) تفسير التبيان ١: ٣٥٩ وتفسير مجمع البيان ١: ١٦٦.
(٣) تفسير مجمع البيان ١: ١٦٥.
(٤) سورة التوبة ٩/ ٣٠.

عليم بأعمالهم.

[٩٧] ـ ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَـدُوّاً لِجِبْرِيلَ﴾ نزل حين سأل «عبدالله بن صوريا» رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم عمّن ينزل عليه؟ فقال: جبرئيل، فقال: ذاك عدونا ينزل بالقتال والشّدة و«ميكائيل» ينزل بالبُشر والرّخاء، ولو كان الذي يأتيك «ميكائيل» لآمنّا بك. وقرأ «حمزة» و«الكسائي»: «جبرئيل» كـ«سلسبيل» و«ابن كثير»: بفتح الجيم وكسر الراء بلا همزة، «وعاصم» ـ كـ«جحمرش»، والباقون كـ«قنديل»[١] ومنع صرفه للعجمة والتعريف، ومعناه: عبدالله[٢] ﴿فَإِنَّهُ﴾ أي جبرئيل ﴿نَزَّلَهُ﴾ أي: القرآن. وفي إضماره ـ ولم يذكر ـ تفخيم لشأنه كأنه لتعيّنه يدلّ على نفسه ﴿عَلَى قَلْبِكَ﴾ أي فهمك وحفظك، وكان حقّه على قلبي فجاء على حكاية كلام الله تعالى، كأنه قيل: قل ما تكلمت به ﴿بِإِذْنِ اللهِ﴾ بأمره أو بتسهيله، حال من فاعل «نزّل» ﴿مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُـدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ أحوال من مفعوله، وجزاء الشّرط: «فإنه نـزّله» أي: من عادى منهم جبرئيل فغير منصف، لأنّه نـزّل كتاباً يصدّق الكتب السّابقة، فحذف الجزاء وأقيم علته مقامه، أو: من عاداه فبسبب أنّه نزّل عليك.

[٩٨] ـ ﴿مَنْ كَانَ عَدُوّاً للهِ﴾ مخالفاً له أو عدّواً لأوليائه. وصدّر بذكره تعالى تفخيماً بشأنهم نحو: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللهَ﴾[٣] ﴿وَملائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وميْكَالَ﴾ أُفردا بالذكر لفضلهما كأنّهما من جنس آخر، ولأنّ النّزاع كان فيهما ﴿فَإِنَّ اللهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ أتى بالمظهر موضع الضّمير ليفيد أنّه تعالى عاداهم لكفرهم، وأنّ عداوة المذكورين كفر. وقرأ «نافع»: «ميكائل» كـ«ميكاعل»[٤] و«أبو عمرو»

---

(١) حجة القراءات: ١٠٧ والحجة في القراءات: ٢: ١٦٤ والكشف عن وجوه القراءات: ٢: ٢٥٤.

(٢) في تفسير مجمع البيان ١: ١٦٦: وقيل جبر ـ في اللغة السريانيةهو: العبد، و ايل هو: الله.

(٣) سورة الاحزاب: ٣٣/ ٥٧.

(٤) حجة القراءات: ١٠٨.

و«عاصم» كـ«ميعاد» .[1]

[٩٩] ـ ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ القرآن ودلالاته الواضحات . نزلت حين قال «ابن صوريا» للرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم : «ما جئتنا بشيء نعرفه وما أُنزل عليك من آية فنتبعك» ﴿وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلاّ الْفَاسِقُونَ﴾ المتمرّدون في الكفر والفسق إذا استعمل في نوع من المعاصي كان أعظمه من كفر وغيره .

[١٠٠] ـ ﴿أَوَ كُلَّمَا﴾ «الهمزة» للإنكار، و«الواو» عاطفة على مقدّر، أي : أكفروا بالآيات وكلما ﴿عَاهَدوا عَهْداً نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ﴾ : نقضه .

والنبذ : الطرح ، وقيل : «منهم» لأن بعضهم لم ينقض . ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾ بالتّوراة فلا يبالون بنقض العهد .

[١٠١] ـ ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ﴾ محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم ﴿مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ﴾ من التوراة ﴿نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِيْنَ أُوتُواْ الْكِتابَ كِتَابَ اللهِ﴾ أي : التّوراة ، ـ لأنّ كفرهم بالمصدّق لها نبذ لها ـ ، أو: القرآن ﴿وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ﴾ مثل لتركهم إيّاه بترك المرميّ وراء الظّهر استغناءً عنه ﴿كَأَنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ أنه كتاب الله تعالى ، أي : علموا وعاندوا .

[١٠٢] ـ ﴿وَاتَّبَعُواْ مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ﴾ أي : نبذوا كتاب الله واتّبعوا كتب السّحرة التي تقرأوها أو: تتبعها الشّياطين من الجنّ ، أو: الإنس أو: منهما ﴿عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ﴾ : عهد ملكه . والمضارع حكاية حال ماضية . كانوا يسترقّون السّمع ويضمّون إلى ما سمعوا أكاذيب يلقونها الى الكهنة .

وقد دوّنوها في كتب يقرأونها ويعلّمونها النّاس ، وفشا ذلك في زمن «سليمان» حتى قيل : إن الجنّ تعلم الغيب ، وملك «سليمان» إنما تمّ بهذا العلم ، وبه يسخّر الإنس والجنّ والريح ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ﴾ تكذيب لمن بهته بالسّحر، وسمّاه : كفراً

(١) تفسير القرطبي ٢ : ٣٨ والمحرر الوجيز ١: ٣٦٣.

﴿وَلكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُواْ﴾ باستعماله ﴿يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾ اغواءً، والجملة حال عن «الواو».

والمراد بالسحر: ما يستعان فيه بالتقرب الى الشيطان مما لا يستقل به الإنسان، وهو ـ في الأصل ـ لما خفي سببه ﴿وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ﴾ عطف على «السحر»، أو: «ما تتلوا» وهما ملكان اهبطا الى الأرض لتعليم السحر ابتلاءً من الله للناس. من تعلمه وعمل به كان كافراً، ومن تجنّبه أو تعلّمه لتوقّيه ـ لا للعمل به ـ كان مؤمناً.

قيل: ركبت فيهما الشهوة فهويا امرأة فحملتهما على الشّرك والمعاصي،[1] وقيل: هما رجلان سمّيا ملكين لصلاحهما، ويعضده قراءة كسر «اللام»[2] وقيل: «ما أُنزل» نفي عطف على «ما كفر»[3] ﴿بِبَابِلَ﴾ ظرف، أو: حال من الملكين، أو: ضمير «أنزل». بلدة في سواد الكوفة ﴿هَارُوتَ ومَارُوتَ﴾ عطف بيان للملكين، منعا الصرف للعجمة والعلميّة. وإن جعلت «ما» نافية فبدل البعض من «الشياطين»، وما بينهما اعتراض. ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحدٍ حَتَّى يَقُولا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلاَ تَكْفُرْ﴾ أي ما يعلمان أحداً حتى ينصحاه ويخبراه أنهما ابتلاء من الله، وينهياه عن الكفر بالتعلّم منهما والعمل به، أو: ما يعلّمانه حتى يقولا إنّا مفتونان فلا تفتتن ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ﴾ أي الناس بدلالة «من أحد» ﴿مِنْهُما مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ﴾ أي سحراً يكون سبب تفرّقهما ﴿وَمَا هُمْ بِضَارِّيْنَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاّ بِإِذْنِ اللهِ﴾ بأمره فربما أحدث عنده فعلاً من أفعاله، وربّما لم يحدث ﴿وَيَتَعَلّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ﴾ لأنّهم يقصدون به الشّر ﴿وَلاَ يَنْفَعُهُمْ﴾ فيجب تجنّبه ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا﴾ أي: اليهود ﴿لَمَنِ اشْتَرَاهُ﴾ استبدل

---

(١) رواه الطبرسي عن العياشي مرفوعاً الى ابي جعفر عليه السّلام ـ كما في تفسير مجمع البيان ١: ١٧٤ـ.

(٢) تفسير التبيان ١: ٣٧٣ وتفسير مجمع البيان ١: ١٧٥.

(٣) تفسير مجمع البيان ١: ١٧١.

السّحر بكتاب الله. «واللام» لـلإبتداء علقت «علموا» ﴿مَا لَهُ فِي الْآخِـرَةِ مِنْ خَلاقٍ﴾ من نصيب ﴿وَلَبِئْسَمَا شَرَوا بِهِ أَنْفُسَهُمْ﴾ باعوها ﴿لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾ يعملون بعلمهم؛ إذ علم من لا يعمل به كلا علم فلا ينافي إثبات العلم له.

[١٠٣] ــ ﴿وَلَوْ أَنَّهُـمْ ءَامَنُواْ﴾ بمحمّد صلّى الله عليه وآلـه وسلّم والقـرآن ﴿وَاتَّقَوْا﴾ المعاصي كنبذ كتـاب الله واتباع السحر ﴿لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ الله خَيْرٌ﴾ جواب «لو» أي: لاثيبوا مثـوبة فحـذف الفعل. وعدل الى الإسمية لتفيد ثبـات المثوبـة، ونكّرت لأن المعنى لشيء من الثّواب خير لهم ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ أن ثواب الله خير ممـا هم فيه لآثروه. جُهِّلوا لترك العمل بالعلم.

[١٠٤]ـ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذينَ ءَامَنُوْا لاَ تَقُولُوْا رَاعِنَا وَقُولُوْا انْظُرْنَا﴾ كان المسلمون يقولون للرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم إذا علّمهم شيئاً: «راعنـا» أي تأنَّ بنا حتى نفهمه فخـاطبه اليهود بـه قاصديـن نسبته الى الـرعونة، أو سبّـه بكلمة عبرانيـة، يتسابّون بهـا وهي: «راعينا» فنهـي المؤمنـون عنه، وأُمـروا بما هـو في معناه وهـو: «أُنظرنـا» أي: انتظرنـا ﴿وَاسْمَعُوْا﴾ سمـاعَ طـاعـة لا كسمـاع اليهـود إذ قـالـوا: ﴿سَمِعْنَـا وَعَصَيْنَـا﴾[1] ﴿وَلِلْكَافِرِينَ﴾: المتهاونين بالرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

[١٠٥] ـ ﴿مَا يَوَدُّ الَّذِيـنَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ﴾ الودُّ: المحبّة. و«من» للتّبيين ﴿وَلاَ الْمُشْرِكِينَ﴾ «لا» لتأكيد النفي ﴿أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ﴾ مفعول «يودّ» ﴿مِنْ خَيْرٍ﴾ هو: الوحي، و«من» مزيدة للإستغراق ﴿مِنْ رَبِّكُمْ﴾ «من» للإبتداء، أي: يحسدونكم وما يحبـّون أن ينزـل عليـكم شـيء من الـوحي ﴿والله يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِـهِ﴾ بالنبوة ﴿مَنْ يَشَاءُ﴾ ولايشـاء الا مـا تقتـضيه الحـكمة ﴿وَالله ذُو الفَضْـلِ الْعَظِيمِ﴾ يشـعر بأن النّبـوّة من الفضل.

[١٠٦] ـ ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنْسِها﴾ رد لطعن اليهود في أنّ النّبي صلى الله عليه وآله

---

(١) في الآية ٩٣ من هذه السورة.

وسلّم يقول بنسخ كلّ شريعة تقدّمت شريعته، بأن ذلك جائز.

ونسخ الآية إمّا رفع التعبّد بقراءتها، أو: الحكم المستفاد منها، أو: رفعهما ـ معاً ـ. و«ما» مفعول «ننسخ» جزمته شرطاً. و«مِن» مزيدة. وقرأ «ابن عامر»: «نُنْسِخ» من «أنسخ»، أي: نأمر جبرئيل بنسخها، «وابن كثير» «وأبو عمرو» «ننسأها» ـ بفتح «النّون» و«السّين» ـ مع الهمزة من النّسأ ـ[1] أي: التأخير، والباقون: بضم «النون» وكسر «السّين» بلا همز، من «الإنساء»[2] أي: إذهابها عن القلوب ﴿نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا﴾ للعباد، في الثواب ﴿أَوْ مِثْلِهَا﴾ فيه ﴿أَلَم تَعْلَم أَنَّ الله عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فيقدر على الخير وما هو خير منه وما هو مثله.

[١٠٧] ـ ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ﴾ خطاب للنّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم وأمّته لقوله تعالى: «وَمَالَكُمْ».[3] وأفرد لأنّه أعلمهم ﴿أَنَّ الله لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ فهو يملك أموركم، ويجريها على ما يصلحكم من النّسخ وغيره ﴿وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونَ اللهِ مِنْ وَلِيٍ﴾ يقوم بأمركم ﴿وَلاَ نَصِيرٍ﴾ ينصركم.

[١٠٨] ـ ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْئَلوا رَسُولَكُمْ كَما سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ﴾ «أم» عديلة «الهمزة» في: «ألم تعلم»، أي: ألم تعلموا أنّه مالك الامور، ويحكم ما يريد، أم تعلمون وتسألون اقتراحاً كما سألت اليهود موسى؟، أو: منقطعة، أي: بل أتريدون. والمراد: إيصاؤهم بالثّقة به تعالى، وترك الإقتراح على رسولهم نزلت في أهل الكتاب حين سألوه أن ينزل عليهم كتاباً من السماء، أو في المشركين حين قالوا: ﴿لَنْ نؤمِنَ لَكَ حتى تَفْجُرَلَنَا... إلى قوله: أَوْ تَأتي بِاللهِ وَالْمَلائِكَةِ قَبيلاً»﴾،[4] ﴿وَمَنْ يَتَبَدَّلِ

(١) في «ج»: النساء وفي «ط»: النسء.

(٢) حجة القراءات: ١٠٩و١١٠.

(٣) في آخر هذه الآية.

(٤) سورة الإسراء: ١٧/ ٩٠ـ٩١.

﴿الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ﴾ ومن ترك الثّقة بـالآيات المنزلة وشكّ فيها، واقتـرح غيرها ﴿فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ أي: وسطه فلا يصل إلى المقصد.

[١٠٩] ـ ﴿وَدَّ كَثِيـرٌ مِنْ أَهْـلِ الْكِتَـابِ﴾ كـ«حيى بـن أخطـب» ونظـرائه ﴿لَوْ يَرُدُّونَكُمْ﴾ أن يرجعوكم ﴿مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً﴾ مفعول ثاني لـ«يردّون»، أو حال من مفعوله ﴿حَسَداً﴾ علّة «ودّ»[١] ﴿مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ﴾ متعلق بـ«ودّ» أي: تمنّوا ذلك من قبل أنفسهم لا من قبل التّديّن، أو: بـ«حسداً»، أي: حسداً منبعثاً من أنفسهم ﴿مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ صدق محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم ﴿فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا﴾ لا تعاقبوا ولا تثربوا عليهم[٢] ﴿حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِـأَمْرِهِ﴾ من قتل «قـريظة»، وإجـلاء «النضير»، وضرب الجزية عليهم ﴿إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فيقدر على الإنتقام منهم.

[١١٠] ـ ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا الزَّكَوٰةَ﴾ كأنّهم أُمروا بهما لـلإستعانة على مشقّة العفو ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ﴾ صلاة أو صدقة ﴿تَجِدُوهُ﴾ أي ثوابه ﴿عِنْدَ اللهِ إِنَّ اللهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ لا يضيع لديه عمل.

[١١١] ـ ﴿وَقَالُوا﴾ أي أهل الكتاب من اليهـود والنّصارى. عطف على «ودّ» ﴿لَنْ يَدْخُـلَ الْجَنَّةَ إِلاّ مَنْ كَـانَ هُوداً أَوْ نَصَـارى﴾ جمع بين قـوليهما لأمـن اللبس؛ لعلم السّامع بالتعادي بينهما.

و«هود»: جمع هائد. وإفراد الإسم وجمع الخبر باعتبار اللّفظ والمعنى ﴿تِلْكَ﴾ الأماني المذكورة: من أن لا ينزل عليكم خير، وأن يردّوكم كفاراً، وأن لا يدخل الجنة غيرهم ﴿أَمَانِيُّهُمْ﴾ والجملة اعتراض ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ على اختصاصكم بـالجنة ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في قولكم إذ ما لا دليل عليه باطل.

[١١٢] ـ ﴿بَلَى﴾ ردّ لنفيهم دخـول غيرهم الجنـة ﴿مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَـهُ للهِ﴾ أخلص

---

(١) في «ط»: علة ودهم.

(٢) التّريب: التقريع والتقهير بالذنب ـ كما في مفردات الراغب.

نفسه ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ في عملـه ﴿فَلَهُ أَجْرُهُ﴾ جزاء عملـه ﴿عِنْدَ رَبِّه﴾ ثابتاً لـديه. و«مَنْ» شـرطيّة أو مـوصولـة، والجملة جـوابهـا أو خبرهـا. و«الفاء» لتضمّنهـا معنى الشّرط، فـالردّ بـ «بلى» وحـده أو من فاعل فعـل مقدر، أي: بلى يدخلهـا من أسلم ﴿وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ في الآخرة.

[١١٣] ـ ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارى عَلَى شيءٍ﴾ يعتد به. ﴿وقَالَتِ النّصارَى لَيْسَتِ الْيهودُ عَلَى شيءٍ﴾ نزلت حين قدم وفد «نجران» على الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم وأتاهم أحبار اليهود وتقـاولوا بذلك ﴿وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾ «الواو» للحال و«الكتاب» للجنس، أي: قـالـوا ذلك وهم مـن أهل التـلاوة للكتب ﴿كَذَلِكَ﴾ أي: مثل ذلـك ﴿قَـالَ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُـونَ﴾ كعبدة الأصنـام والدّهـرية﴿مِثْلَ قَولِهِمْ﴾ وبّخهم علـى تشبههم بـالجهلة ﴿فَاللهُ يَحْكُـمُ بَيْنَهُمْ﴾ بين الحـزبيـن ﴿يَوْمَ الْقِيٰمَـةِ فِيْمَا كَـانُوا فِيْـهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ بأنّ يكذّبهم ويدخلهم النّار، أو بما يقسم لكل منهما من العقاب.

[١١٤] ـ ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللهِ﴾ نزلت في الرّوم لمّا غزوا بيت المقدس وخرّبـوه، وقتلوا أهلـه، وأحرقوا التـوراة، أو: المشركيـن حين منعوا رسـول الله دخول المسجد الحرام عام الحديبيّة.

والحكم عام فـي كلّ مانع وسـاع في خراب كلّ مسجـد وإن خصّ السبب ﴿أن يُذْكَرَ فِيها اسْمُهُ﴾ مفعول ثانـي لـ«منع» أو مفعول له، أي كراهـة أن يذكر ﴿وَسَعَى فِي خَرَابِهَا﴾ بـالتّعطيـل أو الهـدم ﴿أُوْلَئِكَ﴾ المانعـون ﴿مَـا كانَ لَهُـمْ أَنْ يَـدخُلُوهَـا إِلاّ خائِفينَ﴾ أي: ما كـان الحق أن يـدخلوهـا الاَّ خائفين مـن المؤمنين أن يبطشـوا بِهم فضلاً ان يمنعوهم منها، أو: ما كان لهم في علم الله فهو وعد للمؤمنين بالنصر.

وقيل: معناه النهي عن تمكينهم من دخول المسجد[1] ﴿لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ﴾: القتل والسّبي، أو: الجزية، أو: فتح مدائنهم إذا قام المهديّ عليه السّلام ﴿وَلَهُمْ فِي

---

(١) تفسير مجمع البيان ١: ١٩٠ وتفسير ابن كثير ١: ١٦٢.

﴿الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ بظلمهم.

[١١٥] - ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾ ناحيتا الأرض، أي: له الأرض كلّها فان منِعْتُم الصّلاة في المساجد فصلّوا حيث كنتم ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ﴾ ففي أيّ مكان فعلتم تولية وجوهكم شطر القبلة ﴿فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ﴾ جهته الّتي جعلها قبلة لكم، فإن ذلك ممكن في كلّ مكان، أو: ذاته تعالى، أي: عالم بما فعلتم فيه ﴿إِنَّ اللهَ وَاسِعٌ﴾ الرّحمة، يريد التّوسعة لعباده ﴿عَلِيمٌ﴾ بمصالحهم، فإنّ المصلحة الحاصلة في المساجد حاصلة لهم في أيّ مكان كان - مع التّولية - وقيل: منسوخة بآية «فَوَلِّ»[١] وقيل: مخصوصة بحال الضرورة، أو بالنوافل.[٢] وفي الكلّ بحث.

[١١٦] - ﴿وَقَالُواْ اتَّخَذَ اللهُ وَلَداً﴾ نزلت حين قال اليهود: «عزير ابن الله»، والنصارى: «المسيح ابن الله» ومشركوا العرب: «الملائكة بنات الله». وترك «ابن عامر» العاطف[٣] ﴿سُبْحَانَهُ﴾ تنزيهاً له عن ذلك ﴿بَل لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ردّ لقولهم أي: هو خالقه، ومالكه ومن جملته الملائكة وعزير والمسيح ﴿كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ﴾ منقادون لمشيئته وتكوينه ومن كان بهذه الصفة لم يجانس، ومن حق الولد أن يجانس والده. وتنوين «كلّ» للعوض، أي: كلّ ما فيها.

[١١٧] - ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: بديع سماواته وأرضه - من «بدع» فهو بديع -، أو: مبدعها - كالسميع بمعنى: المسمع.

والإبداع: اختراع الشيء لا عن شيء دفعة. ﴿وَإِذَا قَضَى أَمْراً﴾ إذا أراد إحداثه ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ من التامّة، أي: أُحدث فَيَحْدث. والمراد: تمثيل

---

(١) وهي الآية ١٤٤ من هذه السورة وقائل هذا القول هو قتادة - كما في تفسير مجمع البيان ١: ١٩١هـ.

(٢) وهو المروي عن ائمتنا عليه السّلام - كما في تفسير مجمع البيان ١: ١٩١ - وانظر كنز العرفان ١: ٩٠ وتفسير العياشي ١: ٥٦ الحديث ٨١ و ٨٢.

(٣) حجة القراءات: ١١٠.

حصول ما تعلقت به إرادته ــ بلا مهلة بطاعة المأمور ــ بلا توقّف، لاحقيقة أمر وامتثال. ونصب «ابن عامر» «فيكون». [١]

[١١٨] ـ ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ أي: جهلة المشركين، أو: متجاهلو أهل الكتاب: ﴿لَوْلاَ﴾ هلاّ ﴿يُكَلِّمُنَا اللهُ﴾ كما كلّم موسى، أو يوحى إلينا أنّك رسوله ـ استكباراً ـ ﴿أَوْ تأْتِينَا ءَايَةٌ﴾ دلالة على صدقك ـ جحوداً لكون ما آتاهم آيات، استهانةً بها ـ ﴿كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ من الأمم ﴿مِثْلَ قَوْلِهِمْ﴾ كـ﴿أَرنَا الله جَهْرَةً﴾ [٢] [و] «هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً» [٣] ﴿تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ قلوب هؤلاء ومَن قبلهم في العمى ﴿قَدْ بَيَّنَّا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ يطلبون اليقين؛ إذ فيما ظهر [٤] من الأيات كفاية لمن لم يعاند.

[١١٩] ـ ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ﴾ متلبّساً به ﴿بَشِيراً وَنَذِيراً﴾ لا جابراً على الإيمان تسلية له صلّى الله عليه وآله وسلّم؛ إذ كان يغتم لإصرارهم على الكفر ﴿وَلاَ تُسْئَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾ مالهم لم يؤمنوا بعد تبليغك. وقرأ «نافع»: «ولا تَسْأَلْ» ـ [٥] على النّهي له صلّى الله عليه وآله وسلّم عن السؤال عن حال الكفرة، أو تفخيم لعقابهم ـ.

والجحيم: النّار المتأجّجة.

[١٢٠] ـ ﴿وَلَنْ تَرْضى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ إقناط له صلّى الله عليه وآله وسلّم عن إسلامهم، وكأنّهم قالوا ذلك فحكاه تعالى؛ ولذلك قال: ﴿قُلْ﴾ ـ مجيباً لهم ـ: ﴿إِنَّ هُدَى اللهِ﴾ الذي هو الإسلام ﴿هُوَ الْهُدَى﴾ بالحق، لا ما تدعون

(١) حجة القراءات: ١١١.

(٢) سورة النساء: ٤/ ١٥٣.

(٣) سورة المائدة: ٥/ ١١٢.

(٤) في «الف»: ظهر لهم.

(٥) حجة القراءات: ١١١.

إليه ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ﴾ أي: بدعهم ﴿بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ أي: الدّين الصّحيح، أو: البيان، ﴿مَا لَكَ مِنَ اللهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ﴾ يدفع عنك عقابه، وهو جزاء لـ«إنْ».

[١٢١] ـ ﴿الَّذينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾ هم مؤمنو أهل الكتاب ﴿يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاَوَتِهِ﴾ بالتدبّر له، والعمل بمقتضاه ولا يحرّفونه ﴿أُوْلَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ بكتابهم ـ دون المحرّفين ـ ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ﴾ من المحرّفين ﴿فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ حيث اشتروا الضلالة بالهدى.

[١٢٢] ـ ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ *

[١٢٣] ـ وَاتَّقُوا يَوْماً لاَ تَجْزِي نَفْسٌ شَيْئاً وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلاَ تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلاَ هُمْ يُنْصَرُونَ﴾ مرَّ مثل الآيتين،[١] والتكرير لبعد ما بين الكلامين تأكيد للتذكير، ومبالغة في النّصح وإقامة الحجّة.

[١٢٤] ـ ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ﴾ الابتلاء: التكليف بالشاقّ، ويلزمه الإختبار ممن يجهل العواقب، أي: كلّفه ﴿بِكَلِمَاتٍ﴾ عامله معاملة المختبر بهنّ، وفسّرت بذبح ولده والنّار وبمناسك الحجّ وبالكواكب والقمر والشمس وبالعشر الحنيفيّة،[٢] وبالكلمات التي تلقّاها «آدم» من ربه وهي: أسماء محمّد وأهل بيته صلّى الله عليه وآله

---

(١) في هذه السورة الآيتان ٤٧ و٤٨.

(٢) في تفسير القمي ١/ ٥٩ الحنيفة: الطهارة وهي عشرة أشياء خمسة في الرأس وخمسة في البدن.
فأمّا التي في الرأس: فأخذ الشارب واعفاء اللحى وطمّ الشعر والسواك والخلال.
واما التي في البدن: فحلق الشعر من البدن والختان وقلم الاظفار والغسل من الجنابة والطهور بالماء.
ومثله تفسير مجمع البيان ١: ٢٠٠ وتفسير البرهان ١: ١٥٦ وباب الخمسة من كتاب الخصال الحديث ١١.

وسلّم. [١] وقرأ «ابـن عامر»: «ابـراهام»[٢] ﴿فَأَتَمَّهُنَّ﴾ أداهنّ بغيـر تفـريط ﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً﴾ استئناف ـ إن نصب «إذ» مضمر ـ، كأنّه قيل: فما قال له ربّه؟ فأجيب به، أو: بيـان لـ«إبتلى»، فتكون «الكلمات» مـا ذكر ـ من: الإمـامة، وتطهير البيت ورفع قواعده والإسـلام ـ. وإن نصبه «قـال» فالمـــجموع جـملة عطفت على ما قبلها. و«إماماً» ثاني مفعولي «جاعلك».

والإمام: اسم مـن يؤتـمّ به، أي: يـأتمّون بك في دينهم وإليـك سياستهم ﴿قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾: نسلي. و«الواو» للإستئناف أو العطف علـى محذوف و«من» للإبتداء أو للتبعيض أو زائدة، أي: اجعلني إماماً واجعـل من ذرّيّتي أو بعضها، أو ذرّيّتي؟! ـ علـى جهة السّـؤال ـ ﴿قَالَ لا يَنَالُ عَهْدِيَ﴾ أي: الإمامـة. وسكّن اليـاء «حفص» و«حمزة». [٣] ﴿الظَّالِمِينَ﴾ لأن الإمامـة أمانة الله، والظّالـم لا يصلح للأمانـة، وإنّما ينالُها الأتقياء منهم.

فدلّ على وجوب عصمة النبيّ والإمام حتى عن الصّغائر ـ لصدق الظّلم عليهاـ، سواء فسّر بانتقاص الحقّ، أو بوضع الشّـيء في غير موضعه، أو: بتعدّي حدود الله، ففاعلهـا ظالم لا يصلـح للإمامـة ـ وإن تـاب ـ؛ لصدق الظـالم عليه فـي الجملة، فتتناوله الآية، فكيف بمن أشرك ولم تثبت توبته.

[١٢٥] ـ ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ﴾ أي: الكعبة، غلـب فيها ﴿مَثَابَةً لِلنَّاسِ﴾ مرجعاً يثوب إليه أعيان الحجّاج أو أمثالهم، أو: مـوضع ثواب يثابون بحجّه ﴿وأَمْناً﴾ موضع أمن لأهله والملتجىء إليه، من التعرّض ﴿وَاتَّخِذُوا﴾ بتقديرَ القـول، أو: عطف على عامـل «إذ» المقدّر، أو على مضمر، أي: ثـوبوا إليـه واتخذوا ﴿مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ﴾:

---

(٣) كتاب الخصال للشيخ الصدوق ـ باب الخمسة ـ الحديث٨.

(٤) حجة القراءات: ١١٣ وجاءت الكلمة في «الف» و«ب»: ابراهاما.

(١) حجة القراءات: ١١٢.

الحجر الّذي قام عليه ودعا النّاس إلى الحجّ، أو بنى البيت ﴿مُصَلّىً﴾ مدّعًى ـ من «صلّيت» أي: دعوت ـ، أو: قبلةً أو: موضع صلاة ـ أي: صلّوا عنده بعد الطّواف ـ وهو المرويّ عن أئمّتنا عليهم السّلام،[1] فالمراد به: الموضع الّذي فيه المقام ـ وهو المتعارف الآن ـ؛ إذ الحقيقي لا يصلّي فيه، فيفيد وجوب ركعتي الطّواف فيه. و«من» للتبعيض، أو الإبتداء، أو التّبيين، أو زائدة.

وقيل: مقام ابراهيم: الحرم كلّه،[2] فتكون «من» تبعيضيّة، ويكون المراد البعض المخصوص وهو المقام الآن، فيفيد وجوبهما أيضاً فيه. وقيل: عرفة والمزدلفة والجمار،[3] وقيل: الحج كله.[4] وقرأة «نافع» و«ابن عامر»: «وَاتَّخَذُوا» ماضياً، عطفاً على «جعلنا» أي: واتّخذ النّاس.[5] ﴿وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ﴾: أمرناهما ﴿أَنْ﴾ بأن، أو: أي: ﴿طَهِّرَا بَيْتِيَ﴾ من الأصنام والأنجاس. وفتح «الياء» «نافع» و«حفص» و«هشام»[6] ﴿لِلطَّائِفِينَ﴾: الدّائرين حوله، ﴿وَالْعَاكِفِينَ﴾: المقيمين عنده، أو: المعتكفين فيه ﴿وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ المصلّين، جمع: «راكع» و«ساجد».

[١٢٦] ـ ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا﴾ البلد أو المكان ﴿بَلَداً ءَامِناً﴾: ذا أمن, كـ﴿عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾،[7] أو: آمناً أهله كـ«ليلٍ نائم» ﴿وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾. «من آمن» بدل البعض من: «جهله» ﴿قَالَ﴾ الله

---

(١) تفسير مجمع البيان ١: ٢٠٣.

(٢) قاله مجاهد ـ كما في تفسير التبيان ١: ٤٥٣ وتفسير مجمع البيان ١: ٢٠٣ـ.

(٣) قاله عطاء ـ كما في تفسير التبيان ١: ٤٥٣ وتفسير مجمع البيان ١: ٢٠٣ وتفسير الكشّاف ١: ٣١٠.

(٤) قاله ابن عباس ـ كما في تفسير التبيان ١: ٤٥٣ وتفسير مجمع البيان ١: ٢٠٣.

(٥) حجة القراءات: ١١٣ والكشف عن وجوه القراءات ١: ٢٦٣.

(٦) تفسير القرطبي ٢: ١١٤.

(٧) وردت هذه العبارة في سورتي: الحاقة: ٦٩/ ٢١ والقارعة: ١٠١/ ٧.

تعالى: ﴿وَمَن كَفَرَ﴾ عطف على محذوف، أي: ارزق من آمن ومن كفر. نبّهه تعالى على أنّ الرّزق يعمّ المؤمن والكافر. أو: مبتدأ تضمّن معنى الشّرط، وخبره: ﴿فَأُمَتِّعُهُ﴾ زماناً ـ أو: متاعاً ـ ﴿قَلِيلاً﴾ أي: مقصوراً على حظوظ الدّنيا ﴿قل مَتاعُ الدُّنيَا قَليل﴾.[1] ﴿ثُمَّ أَضْطَرُّهُ﴾: ألُزّه[2] ﴿إِلَى عَذَابِ النَّارِ﴾ لَزّ المضطرّ. وقرأ «ابن عامر»: «فأمْتِعُهُ» مِن: «أمتع»[3] ﴿وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ المآل. والمخصوص محذوف أي العذاب.

[١٢٧] ـ ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ﴾ حكاية حال ماضية ﴿الْقَوَاعِدَ﴾ جمع قاعدة ـ وهي: الأساس ـ ورَفْعُها: النباء عليها؛ لنقله إيّاها عن هيئة الإنخفاض إلى هيئة الإرتفاع، أو: يراد بها السّافات؛[4] إذ كلّ سافٍ قاعدة ما يُبنى فوقه، وبرفعها: بناؤها. ﴿مِنَ الْبَيْتِ﴾ وفي إبهامها، وتبيينها رفع لشأنها ﴿وَإِسمَاعِيلُ﴾ كان يناوله الحجارة فعطف عليه لمدخليّته في الرفع، أو: كانا يتناوبانه، أو: يبنيان في طرفين ﴿رَبَّنَا﴾ يقولان: ربّنا ﴿تَقَبَّلْ مِنَّا﴾ والجملة حال منهما، ويفيد ندبية الدّعاء عقيب العبادة ﴿إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ﴾ لدعائنا ﴿الْعَلِيمُ﴾ بنا.

[١٢٨] ـ ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ﴾ مخلصين، أو: مستسلمين ـ أي: منقادَين ـ ﴿لَكَ﴾ والمراد: طلب الزّيادة في الإخلاص والإنقياد، أو: الثّبات عليه ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا﴾: وجعل بعضها وخصّا البعض لما أُعلما أن فيهم ظلمة ﴿أُمَّةً﴾ من «أمّه»: إذا قصده. قيل: للجماعة، لأنها تُأَمّ ﴿مُسْلِمَةً لَكَ﴾ أمّة محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم

---

(١) سورة النساء٤: ٧٧.

(٢) لزّ الشيّ بالشيّ يلزّه لزّا وألزّه: الزمه إيّاه ـ لسان العرب«لزز»ـ.

(٣) حجة القراءات: ١١٤.

(٤) السافات: جمع ساف، وهو: السّف من الطين أو اللبن او غيرهما.

لقوله: ﴿وابعث فيهم﴾[1] وعن الصادق عليه السلام: «هم بنو هاشم خاصة».[2] ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾ أي: بصّرنا ـ أو: عرّفنا ـ متعبّداتنا في الحجّ. أو: مذابحنا.

والنّسك: العبادة والذبيحة. وقرأ «ابن كثير»: «أرْنا» ـ كـ«فَخذ» في «فَخِذ» ـ[3] ﴿وَتُبْ عَلَيْنَا﴾ استتاباً تَعبّداً ليُقْتَدى بهما، أو: لذرّيّتهما ﴿إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ بعباده.

[١٢٩] ـ ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ﴾ في الأمّة المسلمة ﴿رَسُولاً مِنْهُمْ﴾ لم يبعث منهم غير محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم، ولذا قال: «أنا دعوة أبي ابراهيم وبشرى عيسى، ورؤيا أمّي»[4] ﴿يَتْلُو﴾: يقرأ ﴿عَلَيْهِمْ ءَايَاتِكَ﴾: دلائل التّوحيد والنّبوّة الموحاة إليه ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ﴾ القرآن ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾: المعارف والأحكام ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ وَيطهِّرهم من الشرك ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ﴾: الّذي لا يُقْهَر على ما يريد ﴿الْحَكِيمُ﴾: المحكم له.

[١٣٠] ـ ﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ﴾ إنكار واستبعاد لأن يرغب عاقل عن ملّته الواضحة وهي ملة محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم. ولا ينافيه كون ملّته ناسخة لجميع الملل لصدق نسخ الملّة بنسخ بعضها، أي: لا يرغب عنها ﴿إِلاَّ مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾: أضلّها أو أذلّها.

قيل: سَفِهَ ـ بالكسر ـ متعدٍ، و ـ بالضّم ـ لازم.[5] وقيل: نصب «نفسه» تمييزاً أو بنزع الخافض.[6] ومحل المستثنى: الرفع بدلاً من ضمير «يرغب» لعدم إيجابه،

(١) في الآية الآتية من هذه السورة.

(٢) تفسير العياشي ١: ٦٠ الحديث ١٠١.

(٣) حجة القراءات: ١١٤.

(٤) تفسير ابن كثير ١: ١٨٤.

(٥) قاله ابن تغلب والمبرّد ـ كما في تفسير التبيان ١: ٤٦٩ ـ.

(٦) تفسير التبيان ١: ٤٦٩ وتفسير مجمع البيان ١: ٢١٢.

أو: النّصب بالإستثناء. ﴿وَلَقَدِاصْطَفَيْنَاهُ﴾: اخترناه للرسالة ﴿فِي الدُّنْيَا وإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحينَ﴾ المستقيمين على الخير، ومن كان كذلك كان حقيقاً بالإتّباع لا يرغب عنه إلاّ سفيه، نزلت حين دعا «عبدالله بن سلام» إبني أخيه «سلمة» و«مهاجراً» إلى الإسلام فأسلم «سلمة» وأبى «مهاجر».[1]

[١٣١] ـ ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِربِّ الْعَالَمِينَ﴾ ظرف لـ«إصطفيناهُ»، أو: نصب بإضمار: اذكر ذلك الوقت لتعلم أنّه المصطفى الصالح الّذي لا يرغب عن مّلته، حيث بادر إلى التسليم والإخلاص حين ألهمه ربّه النظر في دلائله المؤديّة إلى المعرفة والإسلام.

[١٣٢] ـ ﴿وَوَصَّى بِهَا﴾: بالملّة، أو: كلمة «أسلمت»، والتوصية: التقدّم إلى الغير بفعلٍ فيه صلاح، وأصلها: الوصل، كأنّ الموصي يصل أمره بالوّصي. وقرأ «نافع» و«ابن عامر»: «وأوصى».[2] ﴿إِبْرَاهِيمُ بَنِيْهِ﴾ الأربعة: اسماعيل واسحاق، ومدين، ومدان، وقيل: أكثر[3] ﴿وَيَعْقُوبُ﴾ أي: ووصىّ بها «يعقوب» بنيه الإثنى عشر: ﴿يَا بَنِيَّ﴾ بتقدير: القول، أو: متعلّق بـ«وصىَّ» لأنّه بمعناه ﴿إِنَّ الله اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ﴾: الإسلام ــ الذي هو صفوة الأديان ـ ﴿فَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ نهى عن كونهم على خلاف حال الإسلام إذا ماتوا.

والتّعبير بالنّهي عن الموت على تلك الحالة للتنبيه على أنّ موتهم لا على الإسلام، موت لا خير فيه، وأنَّ من حقّه أن لا يحلَّ بهم.

[١٣٣] ـ ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ﴾ «أم» منقلة، والهمزة المقدرة للإنكار، أي: ما كنتم حاضرين ﴿إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ﴾ بدل من «إذ حضر» رد على اليهود

---

(١) تفسير مجمع البيان ١: ٢١٢.

(٢) حجة القراءات: ١١٥.

(٣) تفسير البيضاوي ١: ١٩٠.

حين قالـــوا: إن يعقـوب يوم مـات أَوصى بنيه باليهوديّـة أو: خطاب للمؤمنين، أي: ما شهدتم ذلك وإنّما علمتموه من الوحي ﴿مَاتَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي﴾ أيّ شيء تعبدونه؟ و«مـا» عـامّ في كـل شيء مـا لم يُعْلَـمْ، فـاذا عُلِمَ وسئل عـن تعيينـه خُصّ العقـلاء [بـ«مَنْ»]،[1] وإن سئل عن وصفه قيـل: ما زيد أكاتب أم شـاعر؟ ﴿قَالُوا نَعْبُدُ إِلٰهَكَ وَإِلٰهَ ءَابَائِكَ إِبْـرَاهِيـمَ وَإِسْمعِيلَ وإِسْحٰق﴾ عطف بيـان لـ«آبائك». وعدّ «اسمـاعيل» منهم لأنّ العمّ يسمى أباً، كما قال صلّى الله عليه وآله وسلّم في العبّاس: «ردُّوا عليَّ أبي»[2] ﴿إِلهاً وَاحِداً﴾ بدل من «إلـه آبائك» للتصريح بالتّـوحيد، ورفع توّهم ينشأ مـن تكرير المضـاف، أو نصب على الإختصاص ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ حال من فاعل «نعبد» أو مفعوله أو: منهما، أو: اعتراض.

[١٣٤] ـ ﴿تِلْكَ﴾ أي: إبراهيم ويعقـوب وبنوهما ﴿أُمَّةٌ﴾ جماعة ﴿قَدْ خَلَتْ﴾ مضت ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ﴾ لِكلّ جزاء عمله، لا ينتفع احد بكسب غيره ﴿وَلاَ تُسئَلون عَمَّا كَانُوا يعْمَلُونَ﴾ لا تؤاخذون بمعاصيهم، كما لا تثابون بطاعاتهم.

[١٣٥] ــ ﴿وَقَالُواْ﴾ أي: أهـل الكتـاب ﴿كُونُواْ هُـوداً أَوْ نَصَارَى﴾ أي: قـالت اليهود: كونوا هوداً، وقالت النصارى: كونوا نصارى ﴿تَهْتَدُواْ﴾ جواب «كونوا». ﴿قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾ أي: بل نتّبع ملّـة إبراهيـم، أو نكون أهل ملّتـه ﴿حَنِيفاً﴾ مائلاً عن الباطل إلى الحقّ، حـال من المضاف إليه ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكينَ﴾ تعريض بأهل الكتاب وغيرهم؛ إذ ادّعوا اتباعه وهم مشركون.

[١٣٦] ـ ﴿قُولُواْ ءَامَنَّا بِاللهِ﴾ خطاب للمؤمنين ﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنا﴾ القرآن ﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيـلَ وَإِسحٰق وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ﴾ صحف «إبراهيم» فإنّهـا منزلة إليهم؛ لأنّهم متعبّدون بما فيها ـ كما أنَّ القرآن منزل إلينا.

(١) ما بين المعقوفتين ليس في «الف» و«ب»، و«د».

(٢) تفسير مجمع البيان ١: ٢١٤ وتفسير الكشّاف ١: ٣١٤.

والأسباط؛ حفدة «يعقوب» ذراري بنيه الإثنى عشر ﴿وَمَا أُوْتِيَ مُوسَى وَعِيْسَى﴾: التّوراة والإنجيل. وخُصّا بالذّكر لأنّه إحتجاج على أهل الكتابين ﴿وَمَا أُوْتِيَ النَّبِيُّونَ﴾ المذكورون وغيرهم ﴿مِنْ رَبِّهِمْ﴾ منزلاً منه ﴿لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ﴾ لا نؤمن ببعض ونكفر ببعض كاليهود والنّصارى، وأُضيف «بين» إلى «أحد» لعمومه في سياق النّفي ﴿وَنَحْنُ لَهُ﴾: لله تعالى ﴿مُسْلِمُونَ﴾: منقادون مخلصون.

[١٣٧] ـ ﴿فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَا ءَامَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوا﴾ تبكيت لهم؛ إذ لا مثل لما آمن به المسلمون، ولا دين كالإسلام. أو «الباء» للإستعانة لا صلة. أي: إن دخلوا في الإيمان بشهادة مثل شهادتكم التي آمنتم بها. ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا﴾: أعرضوا عن الإيمان ﴿فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ﴾: مخالفة للحقّ، فهم في شقٍ غير شقّهِ ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللهُ﴾ وعدٌ له صلّى الله عليه وآله وسلّم بالنّصر عليهم ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾ لدعائك ﴿الْعَلِيمُ﴾ بنيّتك، وهو مستجيب لك، من تمام الوعد، أو: وعيد للمعرضين، أي: يسمع أقوالهم ويعلم أعمالهم، وهو معاقبهم.

[١٣٨] ـ ﴿صِبْغَةَ اللهِ﴾ مصدر مؤكّد لـ«آمنّا» أي: صبغنا الله صبغةً ـ وهي: الفطرة التي فطر النّاسَ عليها ـ، أو: هدانا دينه، أو: طهّرنا بالإيمان تطهيره.

سمّاها صبغة للمشاكلة، فإنّ النّصارى كانوا يغمسون أولادهم في ماء أصفر يسمونه المعمودية، يجعلون ذلك تطهيراً لهم ومحقّقاً لنصرانيتهم ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ صِبْغَةً﴾ لا صبغة أحسن من صبغته ﴿وَنَحْنُ لَهُ عَابِدونَ﴾ عطف على «آمنّا».

[١٣٩] ـ ﴿قُلْ أَتُحاجُّونَنَا﴾: تجادلوننا ﴿فِي اللهِ﴾ في أمره واصطفائه النبيّ من العرب دونكم؟.

قال أهل الكتاب: «كلّ الأنبياء منّا، فلو كنت نبيّاً لكنت منّا» فنزلت. ﴿وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ﴾ الكلّ عباده «يصيب برحمته من يشاء»[1] ﴿ولنَا أَعْمَالُنا وَلَكُمْ

(١) اقتباس من قوله تعالى: «نصيب برحمتنا من نشاء ولانضيع أجر المحسنين»(يوسف: ١٢/ ٥٦).

﴿أَعْمَالُكُمْ﴾فإنَّ العبرة بالعمل، فكما أنَّ لكم أعمالاً يعتبرها الله في منح الكرامة ومنعها، فنحن كذلك ﴿ونَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ﴾ موحّدون دونكم.

[١٤٠] ـ ﴿أَمْ يَقُولُونَ [١] إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحٰقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُوداً أَوْ نَصَارَى﴾ «أم» منقطعة، و«الهمزة» للإنكار، وقرأ «ابن عامر» «والكسائي»: بالتّاء، [٢] فجاز كونها عديلة همزة «أتحاجوننا»، [٣] أي: أيّ الأمرين تأتون، المحاجّة أم إدّعاء اليهودية والنّصرانية على الأنبياء؟ ﴿قُلْ ءَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللهُ﴾ وقد قال: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيّاً وَلَا نَصْرَانِيّاً﴾[٤] وقال: ﴿وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالإِنْجِيلُ إِلاّ بَعْدِهِ﴾[٥] والمعطوفون عليه أتباعه ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللهِ﴾ أي: لا أحد أظلم من أهل الكتاب: إذ؛ كتموا شهادة الله لإبراهيم بالحنيفيّة، ونفي مليّتهم عنه.

أو: منّا ـ لو كتمنا هذه الشّهادة. وفيه تعريض بكتمهم شهادة الله لمحمّد بالرسالة في كتبهم. و«من» ابتدائيّة ﴿وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ وعيد لهم.

[١٤١] ـ ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْئَلُونَ عَمّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ كرّر[٦] تأكيداً للزّجر عن الإتّكال على فضل الآباء، أو: أُريد «بالأمّة» ـ هناك ـ: الأنبياء و ـ هنا ـ: أسلاف أهل الكتاب.

[١٤٢] ـ ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ﴾: الخفاف الأحلام، المنكرين تغيير القبلة ـ من اليهود أو المنافقين أو المشركين ـ. قدّم الإخبار به توطيناً للنّفس وإعداداً للرد:

---

(١) هذه قراءة «نافع و«ابن كثير» و«ابوعمرو» و«ابوبكر» ـ كما في حجة القراءات: ١١٥ـ والمثبت في المصحف الشريف بقراءة «حفص»: ام تقولون ـ بالتاء ـ.

(٢) هذا ما ذكره البيضاوي في تفسيره ١: ١٩٤، ينظر حجة القراءات: ١١٥.

(٣) في الآية السابقة من هذه السورة.

(٤) سورة آل عمران٣/ ٦٦.

(٥) سورة آل عمران٣/ ٦٥.

(٦) في الآية ١٣٤ من هذه السورة.

﴿مَا وَلاّ هُمْ﴾: صرفهم ﴿عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتي كَانُوا عَلَيْهَا﴾ أي: بيت المقدس ﴿قُلْ للهِ الْمَشرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾ أي: الأرض ـ كلّها ـ ﴿يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلى صِرَاطٍ مُسْتَقِيم﴾ وهو ما توجبه الحكمة والمصلحة من توجيههم تارة إِلى بيت المقدس، وأخرى إِلى الكعبة.

[١٤٣] ـ ﴿وَكَذَلِكَ﴾: كما جعلنا كم مهتدين ﴿جَعَلْنَاكم أُمَّةً وَسَطاً﴾عدولاً أو خياراً.

قال الباقر عليه السّلام: «نحن الأُمَّة الوسط، ونحن شهداء الله على خلقه، وحجته في أرضه».[١]

وعن علي عليه السلام: إنَّ الله تعالى إِيّانا عنى بقوله: . . . »[٢] ﴿لِتَكُونُواْ شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ بأعمالهم المخالفة للحق في الدنيا وفي الآخرة، أو: حجّةً عليهم تبيّنون لهم الحق، أو تشهدون للأنبياء على أُممهم المنكرين لتبليغهم ﴿وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً﴾ بما عمِلتم، أو: حجّة يبيّن لكم. أو: يشهد بعدالتكم.

وعدّيت شهادته لهم بـ«على» لأنّه كالرّقيب عليهم ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي﴾ ثاني مفعولي «جعلنا» أي: الجهة التي ﴿كُنْتَ عَلَيْهَا﴾ وهي بيت المقدس.

يعنى: إنَّ أصل أمرك أن تستقبل الكعبة، وما جعلنا قبلتك بيت المقدس، ﴿إلاّ لِنَعْلَمَ﴾ نمتحن النّاس فنميزّ ﴿مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُول﴾ في الصّلاة إِليه ﴿مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلى عَقِبَيْهِ﴾ يرتدّ آلِفاً لقبلة آبائه، أو ليتعلق علمنا به موجوداً أو ليعلم أوليَاؤه الرّسول والمؤمنون وقيل: المراد: الكعبة؛ لأنّه صلّى الله عليه وآله وسلّم كان يصلي بمكة إِليها،[٣] ثم أُمر بالصّلاة إِلى بيت المقدس ثم رُدَّ إِليها بعد الهجرة.

والمعنى ما رددناك إِلى ما كنت عليها إلاّ لنعلم الثابت على دينك ممن يرتدّ

---

(١) تفسير العياشي ١: ٦٢ الحديث ١١٠.

(٢) تفسير مجمع البيان ١: ٢٢٤.

(٣) تفسير الكشّاف ١: ٣١٨.

لقلقه[١] ﴿وَإِنْ كَانَتْ﴾ التحويلة أو القبلة ـ و«إن» مخفّفة من الثقيلة ـ ﴿لَكَبِيرَةً﴾ ثقيلة، واللام فارقة [٢]﴿إِلاّ عَلَى الَّذينَ هَدَى اللهُ﴾ بلطفه الى وجه الحكمة الثابِتينَ على إتّباع الرّسول ﴿وَمَا كَانَ اللهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ ثباتكم على الإيمان، أو: إيمانكم بالقبلة المنسوخة، أو: صلاتكم اليها.

قيل: لمّا حوّلت القبلة قالوا: كيف بأعمالنا الّتي قبل التّحويل، أو كيف بمن مات قبل ذلك من إخواننا، فنزلت[٣] ﴿إِنَّ الله بِالنّاس لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ لا يضيع أجورهم، ولا يترك مصالحهم.

والرأفة أشدّ الرّحمة ومدّ «ابن كثير» و«نافع» و«ابن عامر» و«حفص»: لرءوف»، وقصره الباقون.[٤]

[١٤٤] ـ ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ﴾ تردده ﴿فِي السّماءِ﴾ في جهتيها ترقّباً للوحي. كان صلّى الله عليه وآله وسلّم يتوقّع أن يحوّله ربّه الى الكعبة لأنّها قبلة أبيه ابراهيم، وأدعى للعرب الى اتّباعه، ولمخالفة اليهود ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً﴾ أي نمكّنك منها، أو نجعلك تلي سمتها ﴿تَرْضَاهَا﴾ تحبّها لأغراض صحيحة وافقت حكمة الله تعالى ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ﴾ اجعل توليته ﴿شَطْرَالْمَسْجِدِ﴾ نحوه ﴿الْحَرامِ﴾: المحرّم فيه القتال والممنوع عن تعرّض الظلمة. والتعبير بـ«الشّطر»، و«المسجد» دون «البيت» يفيد: أنَّ البعيد يكفيه مراعاة الجهة لا البيت ـ كما هو للقريب ـ.

روي: أنه صلّى الله عليه وآله صلى لبيت المقدس ثلاثة عشر شهراً، ستّة بمكّة وسبعة بالمدينة، فقالت اليهود: تبع قبلتنا فاغتمّ وانتظر الوحي، فأتاه جبرئيل وقد صلى من

---

(١) القلِق: المضطرب والمنزعج والغير المستقر على الرأى.

(٢) اي: اللام هي لام الابتداء تدخل على خبر «ان» المخففة فتفيد الفرق بينهابين ان النافية.

(٣) تفسير التبيان ٢: ١١ وتفسير مجمع البيان ١: ٢٢٥.

(٤) حجة القراءات: ١١٦.

الظّهر ركعتين في مسجد «بني سَلمة» فأخذ بعضديه وحوّله الى الكعبة، وأنزل عليه الآية، وتحوّل الرّجال مكان النّساء وبالعكس، فأتمَّ الصلاة فسمّي «مسجد القبلتين»[1] ﴿وَحَيْثُما كُنْتُمْ﴾ في أيّ مكان كنتم ﴿فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ خصّ الرّسول بالخطاب ثم عمّم تصريحاً بعموم الحكم ﴿وَإنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ﴾ أنّ التحويل إلى الكعبة ﴿الحقُّ مِنْ ربِّهِمْ﴾ إذ في كتبهم أنه صلّى الله عليه وآله وسلّم يصلّي الى القبلتين ﴿وَمَا اللهُ بغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ وعد ووعيد للحزبين. وقرأ «ابن عامر» و«حمزة» و«الكسائي» بالتاء.[2]

[١٤٥] ـ ﴿وَلَئِنْ أَتَيتَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ بِكُلِّ ءَايَةٍ﴾: حجةً على أحقيّة قبلتك. و«اللام» موطئة للقسم، وجوابه: ﴿مَا تَبِعُوْا قِبْلَتَكَ﴾ وسدَّ مسدَّ جواب الشّرط، أي: لم يتركوا ابتاعك لشبهة تدفعها بالحجّة، وانّما تركوه عناداً ﴿وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ﴾ حسم[3] لطمعهم إذ قالوا: لو ثبتَّ على ديننا رجونا أن تكون صاحبنا الذي ننتظره؛ طمعاً في رجوعه ﴿وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ﴾ فإنّ اليهود تستقبل الصّخرة، والنّصارى: المشرق، وكلّ ثابت على قبلته لا يرجى توافقهم كما لا يُرجى موافقتهم لك ﴿ولَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ﴾ فرضاً ﴿مِنْ بَعْدِ مَاجَاءَكَ﴾ بالوحي ﴿مِنْ الْعِلْمِ﴾: بيان الحق ﴿إِنَّكَ إِذاً لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ أكّد الوعيد له لطفاً للسّامعين، وتحذيراً عن اتّباع الهوى، وتحريضاً على الثبات على الحقّ.

[١٤٦] ـ ﴿الّذينَ ءَاتَيْناهُمُ الْكِتابَ﴾ أي: علماءهم ﴿يَعْرِفُونَهُ﴾ أي: محمّداً صلّى الله عليه وآله وسلّم بأوصافه ﴿كمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾ لا يشتبهون عليهم بغيرهم. أو الضّمير للعلم، أو القرآن، أو تحويل القبلة ﴿وَإِنَّ فَرِيقاً مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾

---

(١) انظر خلاصة الوفا بأخبار دارالمصطفى: ٣٩٢.

(٢) حجة القراءات: ١١٦.

(٣) حسم الشي: قطعه.

هم من لم يؤمنوا .

[١٤٧] ـ ﴿الْحَقُّ﴾ مبتدأ، خبره: ﴿مِنْ رَبِّكَ﴾ و«اللام» للعهد: إشارة الى ما عليه الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم، أو: الحقّ الّذي يكتمونه، أو: للجنس: أي: الحقُّ ما كان من ربّك ـ كالّذي أنت عليه ـ، لا ما ليس منه ـ كالذي عليه أهل الكتاب ـ، أو: «الحقّ» خبر لمحذوف، أي: هو الحق، والظّرف حال أو خبر ثان ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾: الشاكّين في أنّه من ربّك، أو: في كتمانهم، والمراد: تحقّق الأمر بحيث لا يشك فيه، أو: أمر الأمة بالنّظر المزيل للشك، لانهيه صلّى الله عليه وآله وسلّم عنه؛ لاستحالته منه .

[١٤٨] ـ ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ﴾ لكلّ أهل ملّة قبلة، أو: لكلّ قوم من المسلمين جهة من الكعبة. والتّنوين للعوض ﴿هُوَ مُوَلِّيهَا﴾ وجهه، أو: الله ـ تعالى ـ مولّيها إيّاه وقرأ «ابن عامر»: «مُوَلَّاها»[1] أي: مولى تلك الجهة ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ اسبقوا اليها غيركم، من أمر القبلة وغيرها ﴿أَيْنَمَا﴾ في أيّ موضع ﴿تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ﴾ الى المحشر ﴿جَمِيعًا﴾ من موافق ومخالف، مجتمع الأجزاء ومتفرقها .

وعن أهل البيت عليهم السلام: المراد بهم أصحاب «المهدي» عليه السلام[2] ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ومنه جَمْعكم .

[١٤٩] ـ ﴿وَمِنْ حَيْثُ﴾ من أيّ بلد ﴿خَرَجْتَ﴾ للسفر ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ في الصّلاة ﴿وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ وقرأ «ابوعمرو»: بالياء»[3] .

[١٥٠] ـ ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ

---

(١) حجة القراءات: ١١٧.

(٢) تفسير مجمع البيان ١: ٢٣١.

(٣) حجة القراءات: ١٧٧.

﴿فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ كرّر تأكيداً لأمر القبلة، وتثبيتاً للقلوب عن فتنة النّسخ ﴿لِئَلا يَكُونَ لِلنّاس عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ﴾ علّة لـ«وَلُّوا» أي: توليتكم عن الصّخرة إلى الكعبة تردّ احتجاج اليهود: بأنَّ المنعوت في التّوراة قبلته الكعبة، والمشركين: بأنّه يخالف قبلة «ابراهيم» ويدّعي ملّته ﴿إِلاّ الَّذينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ﴾ استثناء من النّاس، أي: لئلا يكون حجّة لأحد من النّاس إلاّ المعاندين من اليهود القائلين: ما تحوّل إلى الكعبة إلاّ ميلاً إلى دين قومه، وحبّه لبلده.

وسمّي «حُجّة» لسوقهم إيّاه مساقها، أو: من العرب القائلين: رجع إلى قبلة آبائه ويوشك أن يرجع إلى دينهم، أو: الاستثناء للمبالغة في نفي الحجّة إذ لا حجّة للظّالم ﴿فَلاَ تَخْشَوْهُمْ﴾ فلا تخافوا ضرر مطاعنهم ﴿وَاخْشَوْني﴾ فلا تخالفوا أمري ﴿وَلأتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ عطف على «لئلا»، أو علّة محذوف، أي: وأمرتكم لاتمامي النّعمة عليكم وإرادتي اهتداءكم.

[١٥١] ـ ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيْكُمْ رَسُولاً مِنكُمْ﴾ متصل بسابقه، أي: ولأُتمّ نعمتي عليكم بالقبلة، أو: الثّواب كما أتممتها بإرسال رسول منكم، أو: بلاحقه، أي: كما ذكرتم بإرساله فاذكروني ﴿يَتْلُوْا عَلَيْكُمْ ءَاياتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ﴾ يعرّفكم ما تكونون به أزكياء ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيَعَلِّمُكُمْ مَالَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ﴾ مما لا سبيل إلى علمه إلاّ الوحي.

[١٥٢] ـ ﴿فَاذْكُرُوني﴾ بطاعتي. وفتح «ابن كثير» الياء[1] ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ برحمتي ﴿وَاشْكُرُوا لِي﴾ نعمتي ﴿وَلاَ تَكْفُرُونِ﴾ بجحدها.

[١٥٣] ـ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذينَ ءَامَنُواْ اسْتَعِينُواْ﴾ على الجهاد أو الطّاعات ﴿بِالصَّبْرِ﴾ عن الشّوات ﴿وَالصَّلَوٰةِ﴾ الداعية إلى الحسنات، والنّاهية عن السّيئات ﴿إِنَّ اللهَ مَعَ الصّابِرِينَ﴾ بالنّصر والتّوفيق.

---

(١) الكشف عن وجوه القراءات: ٣٢٨.

[١٥٤] ـ ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتٌ﴾ أي: هم أموات ﴿بَلْ أَحْيَاءٌ﴾ بل هم أحياء ﴿وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ كيف حياتهم.

قيل: الشّهداء أحياء عند الله يعرض أرزاقهم على أرواحهم فيصل إليهم الروح والقرح، كما تعرض النّار على أرواح «آل فرعون»[١] فيصل إليهم الوجع.[٢]

وعن الصادق عليه الصلام: «انّ أرواح المؤمنين في الجنّة على صُور أبدانهم، فلو رأيته لقلت فلان».[٣]

وعنه عليه السّلام: «أنّها تصير في مثل قوالبهم ويعرفون القادم عليهم بصورته»[٤] وعلى هذا فتخصيص الشّهداء لمزيد قربهم من الله تعالى. ونزلت في شهداء «بدر» وكانوا أربعة عشر.

[١٥٥] ـ ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ﴾ نصيبنّكم إصابة المختبر لكم، أتصبرون على البلاء أم لا ﴿بِشَيْءٍ﴾ بقليل ﴿مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ﴾ قلّل بالنّسبة إلى ما فوقه ليخفَّ عليهم ويريهم أنَّ رحمته لا تزايلهم، وأخبروا به قبل كونه ليوطّنوا عليه أنفسهم ﴿وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ﴾ عطف على «شيء» أو «الخوف».

وقيل: الخوف: خوف الله، والجوع: الصّوم، والنقص من المال: الزكاة.

ومن الأنفس: الأمراض، ومن الثمرات: موت الأولاد، لأنهم ثمرة القلب[٥] ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ خطاب للرسول ومن تتأتّى منه البشارة.

[١٥٦] ـ ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ﴾: نكبة ﴿قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ﴾ إقرار بالملك ورضىً

---

(١) يراجع الآية ٤٦ من سورة الغافر.

(٢) تفسير مجمع البيان ١: ٢٣٦ وتفسير الكشّاف ١: ٣٢٣.

(٣) نقله العلامة الطباطبائي في تفسير الميزان ١: ٣٦٤ عن المحاسن.

(٤) نفس المصدر ١: ٣٦٤ عن الكافي.

(٥) تفسير الكشّاف ١: ٣٢٣. و في «الف» و«ب»: الزكوات بدل «الزكاة».

بالقضاء ﴿وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ إقرار بالهلك، والبعث للجزاء.

[١٥٧] - ﴿أُوْلَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ تنزيه وغفران منه. وجمعت إيذاناً بكثرة أنواعها، ويفيد: أن الصلاة ليست من خصائص النبيّ فيجوز أنْ يصلّى على غيره بانفراده، فعلى آله بطريق أولى ﴿وَرَحْمَةٌ﴾ وإحسان.

وعنه صلّى الله عليه وآله وسلّم: «من استرجع عند المصيبة جبر الله مصيبته، وأحسن عقباه، وجعل له خَلَفاً صالحاً يَرضاه» ﴿وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ للحقّ في الإسترجاع والتّسليم.

[١٥٨] - ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ﴾ جبلان بـ«مكة» ﴿مِنْ شَعَائِرِاللهِ﴾: من أعلام متعبّداته. جمع: شعيرة، أي: علامة ﴿فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ﴾ الحج ـ لغة ـ: القصد، والإعتمار: الزّيارة، و ـ شرعاً ـ: قصد البيت، وزيارته على الوجهين المخصوصين ﴿فَلَا جُنَاحَ﴾: فلا حرج ﴿عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ يسعى بينهما، وأصله: «يتطوّف» فأُدغم. كان عليهما صنمان يمسحهما أهل الجاهلية إذا سعوا، فلمّا كُسِرا تحرّج المسلمون من السّعي لذلك، فنزلت.[١]

وهو واجب في الحجّ والعمرة بالسّنة وإجماع الطائفة، ولا ينافيه نفي الجناح، والمخالفون بين موجب له ومستَحب ﴿وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْراً﴾ تبرّع به زيادة على الواجب من حجّ أو: عمرة، أو: غيره، أو: الأعم، أو: من فعل طاعة من فرض أو نفل. وقرأ «حمزة» و«الكسائي»: يَطوَّع[٢] وأصله «يتطوَّع» فأدغم ﴿فَإِنَّ اللهَ شَاكِرٌ﴾ مجاز على ذلك ﴿عَلِيمٌ﴾ به.

[١٥٩] - ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ﴾ من أهل الكتاب ـ أو: الأعم ـ ﴿مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ﴾: الدلائل على أمر محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ أو الأعم ـ ﴿وَالْهُدَى﴾ ما

---

(١) تفسير مجمع البيان ١: ٢٤٠، وتفسير الكشّاف ١: ٣٢٣.

(٢) حجة القراءات. ١١٨.

يَهدي إِلى وجوب اتّباعه، أو الى الحقّ ﴿مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ في الْكِتَابِ﴾: التّوراة أو: الإنجيل أو: الأعم. و«اللام» للجنس ﴿أُوْلَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللهُ﴾ يبعّدهم عن رحمته ﴿وَيَلْعَنُهُمُ اللاعِنُونَ﴾ من يتأتى منهم اللّعن من الملائكة والثّقلين يدعون عليهم به.

[١٦٠]ـ﴿إلاّ الّذين تَابُوا﴾ عن الكتمان وسائر المعاصي ﴿وَأَصْلَحُوا﴾ ما أفسدوا، أو: نيّاتهمْ ﴿وَبَيَّنُواْ﴾ ما كتموا، أو التّوبة؛ ليعرفوا بضدّ ما عرفوا به ﴿فَأُوْلَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾ بالقبول ﴿وَأَنا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾: البالغ في العفو والإحسان الغاية.

[١٦١]ـ ﴿إِنَّ الّذينَ كَفَرُوْا﴾ مِن الكاتمين وغيرهم ﴿وَمَاتُوْا وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ أي لم يتوبوا ﴿أُوْلَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلائِكةِ والنّاسِ أجْمَعِينَ﴾[1] قيل: الأوّل لَعْنهم أحياءً، وهذا لَعْنهم أمواتاً.[2]

[١٦٢] ـ ﴿خَالِدِينَ فِيها﴾: في اللعنة، أو: النّار ـ وأُضمرت تهويلاً، أو لدلالة اللعن عليها ـ ﴿لاَ يخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلاَ هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ نظرة رحمة، أو: لا يمهلون ليعتذروا.

[١٦٣] ـ ﴿وَإِلٰهُكُمْ﴾ المستحقّ منكم للعبادة ﴿إِلهٌ وَاحِدٌ﴾ لا شريك له في الإلهيّة ﴿لاَ إِلٰهَ إلاّ هُوَ﴾ تقرير للوحدانيّة بنفي غيره وإثباته ﴿الرَّحْمنُ الرَّحِيمُ﴾ المولي لجميع النّعم أُصولها وفروعها، وما سواه إمّا نِعَم أو منعَم عليه، فلا مستحق للعبادة غيره. قيل: «لمّا سمعه المشركون قالوا: إن كنت صادقاً فأْتِ بآية تصدّقك» فنزلت.[3]

[١٦٤]ـ ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمٰوٰاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اليلِ وَالنّهارِ﴾ إعتقابهما[4]

---

(١) وهو لعنهم في الآية ١٦٠ من هذه السورة.

(٢) ذكره البيضاوي في تفسيره ١: ٢٠٣.

(٣) تفسير الكشّاف ١: ٣٢٥.

(٤) في «ط» تعاقبهما.

كل يخـــلف الآخـر ﴿وَالفُلكِ﴾ السّفن ﴿الّتي تَجْـرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَـعُ النّاس﴾ بنفعهم، أو: بالّذي ينفعهم، والإستدلال بأحـوالها، وبالبحر وعجائبه ﴿وَمَا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ السّمَاءِ﴾: من السّحاب، أو: مـا فوقه، و«من» لـلإبتداء ﴿مِنْ مَاءٍ﴾ بيان لـ«ما» ﴿فَأَحْيَا بِهِ الْأرْضَ بَعْـدَ مَوْتِهَا﴾ بالنّبات ﴿وَبَثَّ﴾: فرّق ﴿فِيْهَا مِنْ كُلِّ دَابّةٍ﴾ عطف على «أنزل» أي: وما بَثّ.

أو: على «فـأحيا» أي: وبثّ بـالمطر مـن الدّواب، لأنّهـم ينمون بـالخصب. و«من» للبيـان، أو للتّبعيض. ﴿وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ﴾: تقليبها فـي مهابّها وأحـوالها. وأفردها «حمزة» و«الكسائي».[1] ﴿وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ﴾ للرّيـاح تقلّبُه ﴿بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ بمشيئة الله تعـالى ﴿لآيَاتٍ﴾ دلائل على وجـود الإله، ووحدتـه، وعلمه، وقدرته، ولطفـه، وحكمته، وسعة رحمته مـن وجوه شتّى ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾: ينظرون فيها بعيون عقولهم.

[١٦٥] ـ ﴿وَمِنَ النّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللهِ أَنْدَاداً﴾ من الأصنام أو الرؤساء الذين يتّبعونهم ﴿يُحِبُّونَهُمْ﴾ يعظّمونهم ﴿كَحُبِّ اللهِ﴾ كتعظيمه، أي يسوّون بينه وبينهم في محبّتهم ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُـوا أَشَدُّ حُبّاً للهِ﴾ لأنّهـم لا يعـدلون عنه الـى غيره، والمشـركون يعدلون عن أنـدادهم الى الله تعالى عند الشـدائد، وعن صنم الى آخر ﴿وَلَوْ يَرَى﴾: يعلم ﴿الَّذينَ ظَلَمُواْ﴾ بالشّرك ﴿إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ﴾: حين يبصـرونه في القيـامة ﴿أَنَّ الْقُوَّةَ﴾: القدرة ﴿للهِ جَمِيعاً﴾ مغنٍ عن مفعـولي «يـرى»، وجواب «لـو» محذوف أي ندمـوا أيَّ ندم. وقرأ «ابن عامـر» و«نافع»: «ولو تَـرى» ـ[2] على الخطاب للـرّسول ـ، أي: ولـو تـرى ذلك لـرأيت امـراً عظـيماً، و«ابـن عـــامر»: «إذ يُـرَوْنَ»[3] مبنياً للمـعفـول، و«يعقـوب»: «إنَّ» ـ بالـكسر ـ، وكـذا: ﴿وَأَنَّ اللهَ شَدِيـدُ الْعَـذَابِ﴾

---

(١) حجة القراءات: ١١٨.

(٢) حجة القراءات: ١١٩.

(٣) حجة القراءات: ١٢٠.

ـ على الاستئناف ـ.[١]

[١٦٦] ـ ﴿إِذْ تَبَرَّأَ﴾ أي إذ تبـرأ المتبـرّؤن، بـدل من «إذ يـرون» ﴿الَّذِينَ اتُّبِعُواْ﴾ الرؤساء ﴿مِنَ الَّذِيـنَ اتَّبَعُوا﴾ مِـن الاتبـاعَ ﴿وَرَأَوُاْ الْعَذَابَ﴾ حـال باضمـار «قـد» ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾ الوصل التّي كانت بينهم مـن مودّة، أو: قرابة، أو: إتّباع، أو: عهد، وهو عطف على «تبرّأ».

[١٦٧] ـ ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوْا﴾: الأتباع ﴿لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً﴾ ليت لنا عودة الى الدنيا ﴿فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَـا تَبرءُواْ مِنَّا كَـذَلِكَ﴾ الإراء الفظيـع ﴿يُرِيْهِمُ اللهُ أَعْمَـالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ﴾ نداـاتٍ، مفعـول ثالث لـ«يرى» ﴿وَمَاهُمْ بِخَـارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ عدل عن «وما يخرجون» إليه؛ مبالغة في الخلود وإقناطاً من الكرّة.

[١٦٨] ـ ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي الْأَرْضِ﴾ بعضه. نزلت في قوم حرّموا على أنفسهم مـن الحرث والأنعـام ﴿حَلَالاً﴾: مبـاحاً، مفعـول «كلـوا» أو: صفة مصـدر محذوف، أو: حـال من «ما» ﴿طَيِّبًا﴾: مستلَذّاً، أو: طاهـراً من الشّبهة ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُواتِ الشَّيْطَانِ﴾: لا تقتدوا به، فتحـرّموا حلالاً، وتحلّلوا حرامـاً. وسكن «الطاء» «نافع» و«ابوعمرو» و«حمزة».[٢]

والخطوة: ما بين قـدمي الماشي ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾: ظاهر العـداوة، لأنّه أظهرها بدعائه لكم الى المعاصي.

[١٦٩] ـ ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ﴾ بيان لعداوته، وتحريـم اتّباعه. وأمْره: تزيينـه ودعاؤه لهـم الى الشّر، والسّـوء: القبيح، أو: ما لا حـدَّ فيه، والفحشـاء: ما تجاوز الحدّ في القبح، أو: ما فيه حد[٣] ﴿وَأَنْ تَقُولُوْا عَلَى اللهِ ما لَا تَعْلَمُونَ﴾ كإدّعاء

---

(١) تفسير مجمع البيان ١: ٣٤٨.

(٢) حجة القراءات: ١٢٠.

(٣) اي من الحدود الشرعية، كالجلد والرّجم.

الأنـداد والأولاد له، وتحـريم حـلاله، وبـالعكس، والافتـراء عليـه، ومنه: الفتـوى والقضاء بغير دليل.

[١٧٠] ـ ﴿وَإِذَا قِيْلَ لَهُـمُ اتَّبِعُـوْا مَـا أَنْـزَلَ اللهُ﴾ الضميـر للنّاس، وعـدل عنهم للخطاب لبيان ضلالهم بالإلتفات، كأنّه قيل للعقلاء: انظروا إلى هؤلاء الحمقاء ماذا يقولون ﴿قَالُوا بَلْ نَتَّبِـعُ مَا أَلْفَيْنَا﴾: وجدنا ﴿عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا﴾ نزلت فـي المشركين، أو: اليهود ﴿أَوَلَوْ كَانَ ءَابَـاؤُهُمْ لَايَعْقِلُونَ شَيْئاً﴾ من الدّين ﴿وَلاَ يَهْتَدُونَ﴾ للحقّ وفيـه ذمّ التقليد للقادر على النّظر.

[١٧١] ـ ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَـرُواْ كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَايَسْمَـعُ إِلاَّ دُعاءً وَنِدَاءً﴾ فيه حذف مضـاف، أي: مثل داعي الّـذين كفـروا كمثل النّاعـق، أو: مثل الذيـن كفروا كبهائم النّاعق، والمعنى: مثل داعيهم الى الإيمـان في عدم تأمّلهم فيما يتلى عليهم كمثل النّاعق بالبهائم التـي لا تسمع إلاّ تصويته، ولا تفهم معناه ﴿صُمٌّ بكْمٌ عَمْيٌ﴾ خبر محذوف، وفيه ذمّ ﴿فَهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ﴾ لتركِهم النظر.

[١٧٢] ـ ﴿يَا أَيُّهَـا الَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُـواْ مِنْ طَيِّبَاتِ مَـا رزَقْنَاكُم﴾ من مستلـذّاته أو حلاله. والإضـافة بيانيّة؛ إذ لايكـون الرزق إلاّ الحلال، فيفيد المنـع من أكل الحرام كـالضـارّ والنجـس وكل خبيـث ﴿وَاشْكُرُوا للهِ﴾ الـذي رزقكمـوهـا ﴿إِنْ كُنْتُـمْ إِيَّـاهُ تَعْبُدُونَ﴾: تخصّونه بالعبادة، وتقرون أنّه المنعم، فإنَّ العبادة لا تتمّ إلاّ بالشّكر.

[١٧٣] ـ ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ﴾ أكلها، أو: الإنتفاع بها. وهي: ما مات بغير تـذكية شـرعـاً ـ ولـو بإخـراج المسلم السمكَ مـن الماء حيّـاً، وأخـذه الجراد حيّـاً ـ ﴿وَالدَّمَ﴾ مطلقاً إلاّ مـا خرج بدليل ــ كالمختلّف في الـذبيحة ـ ولا يقيّد بـالمسفوح لآية: ﴿أَوْدَماً مِسْفُـوحاً﴾[١] لعـدم المنـافاة؛ إذ لا حجيّـة لمفهـوم الـوصف ﴿وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ﴾ خصّ لحمه ـ وجملته حرام ـ لأنّه المعظم ﴿وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللهِ﴾ أي: رُفع

(١) سورة الانعام: ٦/ ١٤٥.

به الصّـوت للصّنم عنـد ذبحه، أو: ما لـم يُسَمَّ الله عليه ــ سمّي غيـره أم لا ـ ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ﴾ إلى أكل هذه. وكسر النون «عاصم» و«ابـو عمرو» و«حمزه» وضمّها الباقون[1] ﴿غَيْرَ بَاغٍ﴾ اللّذة، أو: على الإمام ﴿وَلاَ عادٍ﴾ حدَّ الضّرورة، أو بقطـع الطريق ﴿فَلاَ إِثْمَ﴾ لا حـرج ﴿عَلَيْهِ﴾ في أكلـه ﴿إِنَّ اللهَ غَفُورٌ﴾ للمعاصي، فكيـف رخصه؟![2] ﴿رَحِيمٌ﴾ بالتّوسعة علـــى عباده. والحـــصر بالاضافة الى مـا حرّموه على أنفسهم، أو حين نزول الآية، فلا ينافيه تحريم أُمور أُخر بعدها.

[١٧٤] ـ ﴿إِنَّ الَّذينَ يَكْتُمُونَ﴾ ـ من اليهود ـ ﴿مَا أَنْزَلَ الله مِنَ الْكِتابِ﴾: التوراة في نعت محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم ﴿وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَناً﴾: عوضاً ﴿قَلِيْلاً﴾ من حطام الدّنيا ﴿أُوْلئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ﴾: ملؤهـا، يقال: أكل في بطنـه، وفي بعض بطنه ﴿إِلاّ النَّارَ﴾ في الحال؛ لأنّـه يؤديهم اليها، فكأنّهم آكلـوها، أو: المآل، أي: يأكلونها في جهنّم ﴿وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ القِيٰمَةِ﴾ بما يحبون ولكـن بنحو: ﴿اخْسَئُوا فِيهَا﴾،[3] أو عبّر بـه عن غضبه ﴿وَلاَ يُزَكِّيهِمْ﴾ بالثناء عليهم ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: مؤلم.

[١٧٥] ــ ﴿أُولئِكَ الذيـنَ اشْتَرَوُا الضَّلاَلَةَ بِـالْهُدَى﴾ الكفر بـالإيمان ﴿وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ﴾ إذ كتمـوا الحقّ للرّشـا ﴿فَمَا أَصْبَرَهُـمْ عَلَى النّارِ﴾ تعجيب من التبـاسهم بموجبات النار من غير مبالاة.[4]

[١٧٦] ـ ﴿ذلِكَ﴾ العذاب ﴿بِأَنَّ﴾ بسبب أنَّ ﴿اللهَ نَزَّلَ الْكِتابَ بِالْحَقِّ﴾ فكتموه وكذّبوه ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِي الْكِتَابِ﴾: القرآنِ، فقـالوا: سحر وتقـوّل، وتعليم

---

(١) حجة القراءات: ١٢٢.

(٢) اي فكيف لايكون غفوراً في مارخّص. ووردت الكلمة في «الف» هكذا: مرخصه.

(٣) سورة المؤمنون: ٢٣/ ١٠٨.

(٤) في النسخ: بلامبالاة.

بشر، وأساطير الأوّلين، أو: كتب الله فآمنوا ببعض، وكفروا ببعض، أو: التّوراة والإنجيل. و«اختلفوا» بمعنى: تخلّفوا عن الحق في تأويلها ﴿لَفِي شِقَاقٍ﴾ خلاف ﴿بَعِيْدٍ﴾ عن الحقّ.

[١٧٧] ـ ﴿لَيْسَ الْبِرُّ﴾[١] وهو الفعل المرضيّ ﴿أَنْ تُوَلُّوْا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ الخطاب لأهل الكتاب؛ إذ أكثروا الخوض في أمر القبلة حين حولت وزعم كل فريق أنّ البرّ التوجّه إلى قبلته، فقيل لهم: ليس البرّ ما أنتم عليه، أو يعمّهم والمسلمين أي: ليس كل البرّ أمر القبلة. ونصب «حمزة» و«حفص»: «البرّ» ـخبراً ـ[٢] ﴿وَلَكِنَّ الْبِرّ﴾ الذي يُهتمُّ به بِرُّ ﴿مَنْ ءَامَنَ﴾ أو لكنّ ذا البرّ من آمن ﴿بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ صدق بالمبدأ والمعاد ﴿وَالْمَلاَئِكَةِ وَالْكِتَابِ﴾ جنسه، أو القرآن. وخفّف «نافع» و«ابن عامر»: «لكن»، ورفعا: «البرّ»[٣] ﴿وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ﴾ أعطاه ﴿عَلى حُبِّهِ﴾ حال، أي مع حبّ المال كما روي:

«انّ أفضل الصّدقة أن تعطيه وأنت صحيح شحيح، تأمل العيش، وتخشى الفقر»[٤] أو: حبّ الله، أو: الايتاء ﴿ذَوِي الْقُرْبَى﴾ للمعطي أو الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم وهو المرويّ عن الصادقين عليهما السّلام[٥] ﴿وَالْيَتَامى﴾: المحاويج منهم ﴿وَالْمَسَاكِينَ﴾: من لم يجدوا نفقة السنة ﴿وَابْنِ السَّبِيْلِ﴾: المسافر المنقطع به، سمّي: ابنه؛ للملازمة, وقيل: الضّيف.[٦] ﴿وَالسَّائِلِينَ﴾: من ألجاهم الفقر إلى السّؤال ﴿وَفِي الرّقَابِ﴾ في ابتياعها لعتقها، أو فكّها بمعاونة المكاتبين ﴿وَأَقَامَ

---

(١) في المصحف الشريف بقراءة «حفص»: «البرَّ» كما سيشير اليه المؤلف.

(٢) حجة القراءات: ١٢٣.

(٣) حجة القراءات: ١٢٣.

(٤) بحارالأنوار ٩٣: ١٧٨ و١٨٢.

(٥) تفسير البرهان ١: ١٧٥ وكنز العرفان ١: ٢٢٠.

(٧) قاله ابن عباس وقتادة وابن جبير ـ كما في تفسير مجمع البيان ١: ٢٦٣ـ.

﴿الصَّلَوٰةَ﴾ بحدودها ﴿وَءَاتَى الزَّكَوٰةَ﴾ المفروضة، فـ«آتى المال» يحتمل أن يراد به: المندوبة، ويؤيده تفسير: «ذوي القربى» بقرابة الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم.

أو: المفروضة، ويكون لبيان المصرف، وهذا للحثّ عليها ﴿وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا﴾ عطف على «من آمن» ﴿والصَّابِرِينَ﴾ نصب على المدح ﴿فِي الْبَأْسَاءِ﴾: الفقر ﴿وَالضَّرَّاءِ﴾: المرض ﴿وَحِينَ الْبَأْسِ﴾: وقت القتال ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا﴾ الله فيما قبلوا منه وعاهدوه ﴿وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ بفعلهم النار.

قال أصحابنا: المعنيّ بالآية «أمير المؤمنين عليه السّلام»؛ إذ لم يجمع هذه الخصال غيره بالإجماع.[1]

[١٧٨] ـ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ﴾: فرض ﴿عَلَيْكُمُ القِصَاصُ﴾: التّعويض ﴿فِي الْقَتْلَى﴾ بأن يفعل بالقاتل عمداً ما فعل بالمقتول، أي: ليس له الإمتناع إذا اختار الوليّ ذلك، فلا ينافيه جواز أخذ الدّية، والعفو بلا شيء.

روي أنه كان في الجاهلية بين حيّين دماء، وكان لأحدهما طَول على الآخر، فأقسموا لنقتلنّ الحرّ منكم بالعبد، والذّكر بالأُنثى، فلمّا جاء الإسلام تحاكموا إلى النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم فنزلت، وأمرهم أن يتساووا أي يتكافئوا[2] ﴿الْحُرُّ بِالْحُرِّ﴾ يقتصّ به ﴿وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ والأنثَى بِالأُنثى﴾ مفهومه: نفي قتل الحرّ بالعبد، وبالعكس، والذّكر بالانثى وبالعكس، ولا حجيّة لمفهوم الوصف، لكن ثبت بدليل آخر منع قتل الحرّ بالعبد.

ويعضده: سبب النّزول وجواز قتل الذّكر بالانثى، مع أداء نصف ديته وكذا عكسه، وقتل العبد بالحرّ. وقد يفهمان من الآية أيضاً للأولويّة. وقيل: نسخ مفهومها

---

(١) تفسير التبيان ٢: ٩٩ وتفسير مجمع البيان ١: ٢٦٤.

(٢) رواه البيضاوي في تفسيره ١: ٢١٣ ـ ٢١٤.

بآية: ﴿النّفس بالنفس﴾[1] فيقتل الحرّ بالعبد والذكر بالانثى.[2] وردّ بأنه حكاية ما في التّوراة، وبمنع عمومه، وبأولويّة التّخصيص. هذا على القول بمفهومها، وأمّا على قولنا من عدم اعتبار المفهوم فلا حاجة إلى النّسخ ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُ﴾: ترك له ﴿مِنْ أَخِيهِ﴾ من دم أخيه المقتول ﴿شَيْءٌ﴾ وضميرا «له» و«أخيه» لـ«مَن» وهو: القاتل، وقيل: أراد بالأخ وليّ الدم،[3] سمّي أخاه ليعطف عليه بالعفو أو قبول الدية.

واحتجّ الطبرسي بقوله: «شيء» على سقوط القود بعفو بعض الأولياء.[4] ولا يعلم له موافق من الأصحاب، والمشهور بينهم خلافه، فجوّزوا القود للبعض لكن يؤدي حصص الرّاضين بالدّية اليهم، وبالعفو الى الوليّ، والأخبار في ذلك مختلفة.

وقيل المعنى: «فمن عفي له من جهة أخيه شيء من العفو» لأنّ عفا الشيء ـ بمعنى: تركه ـ لم يثبت، بل أعفاه، فيكون إشارة إلى أنّ بعض العفو كالعفو التّام في إسقاط القود[5] ﴿فَاتِّبَاعٌ﴾ فعلى العافي إتّباع ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ أي: لا يشدّد في الطّلب ﴿وَأَداءٌ﴾ أي: على المعفوّ عنه أداء ﴿إِلَيْهِ﴾: إلى الوليّ ﴿بِإِحْسَانٍ﴾: الدّفع ـ مع القدرة ـ بلا مطل ﴿ذلك﴾ إشارة إلى جميع ما تقدّم ﴿تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ﴾ إذ خيّركم بين القصاص والدّية والعفو. وكان على اليهود: القصاص ـ فقط ـ، وعلى النّصارى: العفو أو الدّية ﴿فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ﴾ قتل بعد قبول الدّية، أو العفو ـ وهو المرويّ عن الصّادقين عليهما السّلام ـ[6] وقيل: قتل غير قاتله[7] ﴿فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ في الآخرة أو في الدّنيا بالقصاص.

---

(١) وهي الآية ٤٥ من سورة المائدة.

(٢) كنز العرفان ٢: ٣٥٥.

(٣ـ٤) تفسير مجمع البيان ١: ٢٦٥.

(٥) ذكر هذا البيضاوي في تفسيره ١: ٢١٤.

(٦) تفسير العياشي ١: ٧٦ الحديث ١٦٢ وتفسير مجمع البيان ١: ٢٦٦.

(٧) نقله الطبرسي في تفسير مجمع البيان ١: ١٥٨.

[١٧٩] ـ ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾ إيجاز حوى الفصاحة والبلاغة بجعل القصاص وهو ضدّ الحياة ظرفها، وتعريفه وتنكيرها لإفادة أنّ في هذا الجنس من الحكم حياة عظيمة، إذ العلم بالإقتصاص يردع القاتل عن القتل، فيكون سبب حياة نفسين؛ ولأنهم كانوا يقتلون غير القاتل، والجماعة بالواحد، فتثور الفتن بينهم، فإذا اقتصّ من القاتل يسلم الباقون فيصير ذلك سبباً لحياتهم ﴿يا أُوْلِي الْأَلْبَابِ﴾: ذوي العقول. نودوا للتفكّر في حكمة القصاص من حفظ النّفوس ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ القتل خوفاً من القصاص.

[١٨٠] ـ ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾ أي: ظهرت أسبابه وأماراته ﴿إِنْ تَرَكَ خَيْراً﴾: مالاً كثيراً؛ لما روي عن عليّ عليه السّلام: أنّه دخل على مولى له، وله سبعمائة درهم أو ستمائة فقال: ألا أُوصي؟، فقال: لا، إنّما قال الله سبحانه: «إن ترك خيراً» وليس لك كثير مال.[1]

وقيل: مطلق المال،[2] وهو الموافق لعدم تقييد الأصحاب بالكثير، ويمكن الجمع: بالتّفصيل بوجود الوارث المحتاج وعدمه. ﴿الْوَصِيَّةُ﴾ مرفوع بـ«كتب» وتذكيره بتأويل: «أن تُوصوا»، ولهذا ذكّر الراجع في «بدّله»، وللفصل ﴿لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾ قيل: كانت الوصية للوارث في بدء الإسلام واجبة، فنسخت بآية المواريث،[3] وقوله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «إنّ الله أعطى كلّ ذي حقّ حقه، ألا لا وصية لوارث».[4]

وردّ بأنّ آية المواريث لا تنافيها بل تؤكّدها؛ لقوله: «من بعد وصيّة»، ولو سلم

---

(١) رواه الطبرسي في تفسير مجمع البيان ١: ١٦٧.

(٢) قاله الزهري ـ كما في تفسير مجمع البيان ١: ١٦٧.

(٣) رواه العياشي في تفسيره ١: ٧٧ الحديث ١٦٧.

(٤) تفسير الكشّاف ١: ٣٣٤.

فنسخ الوجـوب لا يرفع الجواز، والخبر ـ لـو سلّم صحته ـ فآحـاد لا ينسخ الكتاب، ويحمل على تجاوز الثلث، والآية وإن ظهرت في الوجوب لكنّها حملت على النّدب ـ للإجماع على عدم الوجوب ـ، والحكم باق؛ لما مرّ وأصالة عدم النّسخ والأخبار.

«سئل الباقر عليه السلام: هل تجوز الوصية للوارث؟ فقـال: نعم، وتلا هذه الآية»[١] ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ بالعدل. فلايتجاوز الثلـث ولا يفضّل الغني، ولا يضرّ بالوارث ﴿حَقًّا عَلى الْمُتَّقِينَ﴾ مصدر مؤكّد، أي: حقّ ذلك حقاً.

[١٨١] ـ ﴿فَمَنْ بَدَّلَهُ﴾: غير ذلـك الإيصاء ﴿بَعْدَ مَا سَمِعَهُ﴾ وتحقّقـه ﴿فإِنَّمَا إِثْمُهُ﴾ فما إثم التّبديل إلاّ ﴿عَلى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ﴾ لأنّهم الذين حافوا[٢] ﴿إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ وعيد للمبدّل.

[١٨٢] ـ ﴿فَمَنْ خَافَ﴾: تـوقّـع وعلـم ﴿مِنْ مُـوصٍ﴾. وشـدّده «حمـزة» و«الكسائي»[٣] ﴿جَنَفاً﴾: ميلاً عن الحق في الوصية خطأ ﴿أَوْ إِثْماً﴾ تعمّداً للحيف ﴿فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ﴾ بالردّ الى الحقّ ﴿فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ في تبديل الباطل إلى الحقّ بخلاف العكس ﴿إِن الله غَفُورٌ﴾ للمذنب ﴿رَحِيمٌ﴾ به، فكيف المصلح المستحقّ للأجر.

[١٨٣] ـ ﴿يَا أَيُّهَا الَّـذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ﴾: فرض ﴿عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾ هو ـ لغـة ـ: الإمساك، و ـ شرعـاً ـ: الإمساك المخصوص ﴿كَمَا كُتِبَ﴾ مثل كتابته ﴿عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ أي: الأنبياء والأُمم من لدن «آدم».

وفيـه تـرغيب وتطييـب للنّفـوس. والتّشبيه فـي أصل الصـوم، وقيـل في العـدد

---

(١) تفسير العياشي ١: ٧٦ الحديث١٦٤.

(٢) حـافوا، من الحيـف وهو: الميـل في الحكم والظلـم والجور، وفي البيضـاوي ١: ٢١٥ فما اثم الايصاء المغيّر او التبديل الاعلى مبدله لانه هو الذي حاف وخالف الشرع.

(٣) في «الف» زيادة: «ويعقوب وابوبكر». ينظر حجة القراءات: ١٢٤.

والوقت،[١] كما روي: أَنَّ رمضان كتب على النّصارى فوقع في حرّ أو برد شديد فحوّلوه الى الرّبيع، وزادوا عليه عشرين كفارةً لتحويله[٢] ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ به المعاصي فانّه يقمع الشّهوة، كما قال صلّى الله عليه وآله وسلّم: «خِصاء أُمتي الصوم».[٣]

[١٨٤] ـ ﴿أَيَّاماً مَعْدُودَاتٍ﴾ محصورات، أو: قلائل. ونصبها بـ«الصّيام» وإن وجد الفصل، إذ الظّرف تكفيه الرائحة،[٤] وهي: رمضان.[٥]

وقيل: عاشورا، وثلاثة أيّام من كل شهر، ثم نسخ وجوبها به،[٦] والأصحّ: الأوّل. لأصالة عدم النّسخ فلا يثبت إلاّ بدليل، وليس[٧] ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً﴾ بحيث يضرّبه الصوم ﴿أَوْ عَلى سَفَرٍ﴾: راكب سفرٍ ﴿فَعِدَّةٌ﴾ فعليه صوم عدّة أيام المرض أو السّفر ﴿مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ جمع أُخرى، ولم ينصرف للوصف والعدل، وهو صريح في الوجوب، ودعوى: أنّه رخصة، وإضمار: «فأفطر» خلاف الظاهر، ولا دليل عليه ﴿وَعَلى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ﴾ قيل: كان القادرون على الصّوم مخيرين بينه وبين الفدية ثمّ نسخ بقوله﴿فَمَن شَهِدَ﴾[٨] وقيل: غير منسوخ بل المراد به الحامل المقرب والمرضع القليلة اللّبن.

ومن كان يطيقه ثم أصابه كبر أو عطاش[٩] فصار بحيث لا يطيقه إلاّ بمشقّة،

---

(١) تفسير القرطبي ٢: ٢٧٤.

(٢) تفسير مجمع البيان ١: ٢٧١ وتفسير القرطبي ٢: ٢٧٤.

(٣) تفسير مجمع البيان ١: ٢٧٢.

(٤) اي: رائحة الفعل كما هو مسطور في كتب النحو.

(٥) اي: الايام المعدودات.

(٦) قاله قتادة ـ كما في تفسير مجمع البيان ١: ١٧٣ ـ ومثله في تفسير التبيان ٢: ١١٧ وكنز العرفان ١: ٢٠١ وتفسير الكشّاف ١: ٣٣٤.

(٧) اي: لايوجد الدليل على ثبوت النسخ.

(٨) الآية ١٨٥ من هذه السورة.

(٩) في «ط»: عطش وعليه فلا بد ان يكون العطش بحيث يصير المكلّف به مشرفاً على الموت.

وهو المروي عن أهل البيت عليهم السّلام [(١)] ﴿طَعَامُ مِسْكِيْنٍ﴾ لكلّ يوم مدّ للقادر. وأضاف «نافع» و«ابن عامر» «فدية» إلى طعام» وجمعا: «المساكين»، وأفرده الباقون، ولم يضيفوا فدية [(٢)] ﴿فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْراً﴾ فزاد في الفدية، أو على الواحد ﴿فَهُوَ﴾ فالتطوع أو: الخير ﴿خيرٌ لَهُ وأن تَصُومُوا خَيرٌ لَكُمْ﴾ من الفدية، والظاهر اشتراطه بعدم ضرر يوجب اضرار المطوّقين [(٣)] ﴿إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ما في الصّوم من الفضيلة والمصالح، أي: لاخترتموه، أو إن كنتم من أهل العلم والتّمييز علمتم أنّه خير لكم، فالجزاء محذوف.

[١٨٥] ـ ﴿شَهْرُ رَمَضانَ﴾ خبر لمحذوف، أي: الأيام المعدودات، أو: مبتدأ خبره «الّذي»، أو هو صفته والخبر «فمن شهد»، و«رمضان» مصدر رمض أي: احترق، سمّي به مضافاً اليه الشّهر، ومفرداً ـ كما ورد: «من صام رمضان» ـ، [(٤)] فالنهى عن إفراده للكراهة. [(٥)]

وتسمية الشّهر به لوقوعه في رمض الهواء بالشّمس، أي: حرارته، أو: لارتماضهم فيه من الجوع والعطش، أو: لارتماض الذّنوب فيه. ومنع صرفه للعلميّة والألف والنّون. ﴿الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْءَانُ﴾ جملةً إلى سماء الدّنيا، ثم نجوماً إلى الأرض، أو: إبتدأ إنزاله فيه، أو: انزل في شأنه ﴿هُدًى﴾: هادياً ﴿لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ﴾: آيات واضحات ﴿مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقانِ﴾: مما يهدي الى الحق ويفرق بينه وبين

---

(١) تفسير العياشي ١: ٧٨ الحديث ١٧٦ وكنز العرفان ١: ٢٠٣.

(٢) حجة القراءات: ١٢٤.

(٣) في «الف» و«ط»: المطوّعين.

(٤) مستدرك الوسائل/ كتاب الصوم/ الباب الرابع من ابواب الصوم المندوب، الحديث٧، وكذا في الباب ٣٦ الحديث: ٦.

(٥) ورد النهي عن افراده في الكافي ٤: ٦٩ ـ كتاب الصيام باب النهي عن قول: «رمضان» الحديث ١و٢ـ.

الباطل ﴿فَمَنْ شَهِدَ﴾ حضر الشهر غير مسافر ولامريض ﴿مِنْكُمُ الشَّهْرَ﴾ كلّه أو بعضه. ونصبه على الظّرف كالضّمير في ﴿فَلْيَصُمْهُ﴾ أي: فليصم فيه ﴿ومَنْ كَانَ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ كرّر تأكيداً لوجوب الإفطار والقضاء. ولا يفيد وجوب التّتابع، وقراءة «متتابعة» شاذّة لا عمل بها، والظاهر الإستحباب ومستمرّ المرض إلى رمضان آخر يكفّر عن كل يوم بمدّ ولا قضاء عليه ــ على الأظهر ــ. للأخبار الصحيحة فتخصص الأية. ﴿يُرِيْدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ﴾ في جميع اموركم ﴿وَلاَ يُرِيْدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ فلذلك أمركم بالإفطار في السفر والمرض ولم يكلّفكم الصوم ﴿وَلِتُكْمِلُوْا الْعِدَّةَ﴾ علة الأمر بمراعاة عدّة ما أفطر فيه. وشدّد «ابو بكر»: «تُكَمِّلُوا».[1] ﴿وَلِتُكَبِّرُوْا اللهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ﴾ علّة لتعليم كيفيّة القضاء، أي: لتعظّموه بالثناء عليه على هدايتكم إلى العلم بكيفية العمل، أو: على الذي هداكم اليه ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ علّة اليسر وإسقاط الصّوم، ففيه لَفٌّ ونشرٌ، أو: الكلّ معطوف على علّة مقدرة، مثل: ليسهّل عليكم ولتكملوا.

[١٨٦] ـ ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيْبٌ﴾ أي: فقل لهم: إنّي عليم بأحوالهم، سميع لدعائهم كما يسمع القريب كلام مناجيه. مثّل كمال علمه بهم بحال من قرب مكانه منهم، .

روي أنّ أعرابياً قال للرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم: أقريب ربّنا فنناجيه أم بعيد فنناديه؟، فنزلت[2] ﴿أُجِيْبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ تقرير للقرب، ووعد للدّاعي بالإجابة ــ عاجلاً أو آجلاً ـ بما سأل، أو: بما هو خير منه بحسب المصلحة إذا وقع الدّعاء بشروطه. واثبت «ورش» و«أبو عمرو» «الياء» ـ فيهما ـ وصلاً[3] ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا

---

(١) حجة القراءات: ١٢٦.

(٢) رواه الحسن ـ كما في تفسير التبيان ٢: ١٢٩ وتفسير مجمع البيان ١: ٢٧٨.

(٣) حجة القراءات: ١٢٦.

لِي﴾ إذا دعوتهم للإيمان والطّاعات كما اجيبهم اذا دعوني لحوائجهم ﴿وَلْيُؤْمِنُواْ بِى﴾ امر بإحداث الإيمان والثّبات عليه، أو بالتّصديق بقدرته على الإجابة. وفتح «ورش» «الياء»[1] ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾: راجين إصابه الحق.

[١٨٧] ـ ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ﴾ التي يصبح منها صائماً ﴿الرَّفَثُ﴾ أصله: القول الفاحش، فكنّي به عن الجماع، لأنّه من لوازمه ﴿إِلَى نِسَائِكُمْ﴾ عدّي بـ«الى» لتضمّنه معنى الإفضاء. وإيثاره هنا استهجاناً لما ارتكبوه كما سمّاه: خيانةً.[2]

عن الصّادق عليه السّلام: «كان الأكل محرّماً في شهر رمضان باللّيل بعد النّوم وكان النّكاح حراماً باللّيل والنّهار، وكان رجل من أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يقال له «مطعم بن جبير» نام قبل أن يفطر، وحضر «الخندق» فاغمي عليه وكان قوم من الشّباب ينكحون باللّيل سرًّا، فنزلت[3] ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾ استئناف يبيّن سبب الإحلال وهو صعوبة الصّبر عنهنّ لشدّة الملابسة والمخالطة ـ الّتي هي وجه تمثيل كلّ منهما باللّباس لصاحبه ـ. وقيل: وجهه ستر كلٍّ حالَ صاحبِهِ ومنعه عن الفجور[4] ﴿عَلِمَ اللهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ﴾ بالمعصية المؤدّية إلى العقاب.

والاختيان أبلغ من الخيانه ـ كال'كتساب ـ من الكسب ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ قبل توبتكم عن ذنبكم ﴿وَعَفَا﴾: محاه ﴿عَنكُمْ فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ﴾ لما رفع التّحريم عنكم. والمباشرة: كناية عن الجماع ﴿وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللهُ لَكُمْ﴾ واطلبوا ما قدّره لكم من الولد؛ إذ حكمة شرع النكاح: التّناسل لا مجرّد قضاء الوطر.[5]

---

(١) حجة القراءات: ١٣٦.

(٢) في هذه الآية وسيذكره بعد سطور.

(٣) تفسير مجمع البيان ١: ٢٨٠.

(٤) نقل هذا القول البيضاوي في تفسيره ١: ٢١٩.

(٥) الوطر: الحاجة، والمراد بها هنا(الجنسية).

وقد يستفاد كراهة الوطي في الدّبر لا الحرمة، وكراهة العزل عن الأمة والمتعة. وأما تحريمه في الحرّة ـ لو قيل به ـ فلدليل آخر. ﴿وَكُلُواْ وَاشْرَبُواْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ﴾: يظهر ﴿لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ﴾: الفجر المعترض في الأُفق ﴿مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ﴾: ما يَمتدّ معه من ظلمة الليل. شبّها بخيطين أسود وأبيض ﴿مِنَ الْفَجْرِ﴾: بيان للخيط الأبيض، واكتفى به عن بيان الخيط الأسود، لدلالته عليه، أو: للتّبعيض، أي: بعض الفجر وأوّله. قيل: ظاهرها حلّ الرفث والمباشرة في جميع اليل إلى الفجر، فلا يشترط الصّوم بالغسل ليلاً [١] وفيه: أنها مقيّدة بأخبار أهل البيت عليهم السّلام[٢] مع كون الغاية للشّرب ـ المتأخّر ـ أولى، وللأكل ـ أيضاً ـ لأنّهما كشيء واحد، وغاية المباشرة تعلم من السنّة، وأما الأخبار المفيدة لعدم الإشتراط[٣] فمحمولة على التقيّة، أو: عدم التعمّد ـ كما بيّنّاه في محلّه ـ ﴿ثُمَّ أَتِمُّواْ الصِّيَامَ إِلَى الَّيْلِ﴾ بيان حدّه ﴿وَلاَ تُبَاشِرُوهُنَّ﴾: لا تلامسوهنّ بشهوة، فيحرم الجماع ومقدماته نهاراً وليلاً ﴿وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ﴾: معتكفون ﴿فِي الْمَسَاجِدِ﴾ التي يجوز الإعتكاف فيها، وهي: كلّ مسجد جامع ـ في الأظهر ـ.

والاعتكاف لبث فيه على وجه مخصوص ﴿تِلْكَ﴾ الإحكام المذكورة ﴿حُدودُ اللهِ فَلاَ تَقْرَبُوهَا﴾ بالمخالفة، نهوا عن قربها مبالغة في منع التّعدّي ﴿كَذَلِكَ﴾ البيان ﴿يُبَيِّنُ اللهُ ءَايَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يتَّقُونَ﴾ تعدي حدوده.

[١٨٨] ـ ﴿وَلاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُمْ﴾ لا يأكل بعضكم مال بعض ﴿بَيْنَكُمْ﴾ ظرف ﴿بِالْبَاطِلِ﴾: بالوجه الذي لم يبحهُ الله ﴿وَتُدْلُوا بِهَا﴾ عطف على «تأكلوا» أي: ولا تلقوا أمرها ﴿إِلَى الْحُكّام﴾ أو: نصب بإضمار: «أن» ﴿لِتَأْكُلُواْ﴾ بالتّحاكم ﴿فَرِيقاً﴾

(١) كما ورد في تفسير الكشّاف ١: ٣٣٩.

(٢) وسائل الشيعة ٧: ٤١٢ كتاب الصوم، الباب ١٦ من ابواب مايمسك عنه الصائم.

(٣) كما في وسائل الشيعة ٧: ٤١٢ كتاب الصوم الباب: ١٦ الحديث٥.

طائفةً ﴿مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالإِثمِ﴾ : بموجب الاثم ــ كاليمين الكاذبة وشهادة الزّور ــ ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أنّكم مبطلون، فإنّ ارتكاب الذّنب مع العلم به أقبح.

[١٨٩] ــ ﴿يَسْئَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ﴾ ما الحكمة في اختلاف حالها وزيادتها ونقصانها؟ ﴿قُلْ هِيَ مَوَاقِيْتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾ : معالم لهم يوقّتون بها معاملاتهم وعدد نسائهم وصومهم وفطرهم، ومعالم للحجّ يعرف بها وقته ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوْا الْبُيُوتَ﴾ ضمّ الباء «ابوعمرو» و«ورش» و«حفص» وكسرها الباقون [١] ﴿مِنْ ظُهُورِهَا﴾ كان أُناس إذا أحرموا لم يدخلوا بيتاً من بابه، بل يدخلون ويخرجون من نقب أو فرجةٍ خلفه، ويرون ذلك بِرّاً فقيل لهم: إنّه ليس ببرٍّ ﴿وَلكِنَّ الْبِرَّ﴾ برّ ﴿مَنِ اتَّقَى﴾ ما حرّم الله. واتّصل بما قبله لأنّه من أفعالهم في الحجّ، فذكر ــ بعد ذكْر أنّها مواقيته ــ استطرداداً، أو: لأنّهم سألوا عنها ﴿وَأْتُوْا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾ إذ لا برّ في العدول.

أو: باشروا الأُمور من وجوهها.

قال النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم: «أنا مدينة العلم وعلي بابها ولا تؤتى المدينة إلاّ من بابها» [٢].

وقال الباقر عليه السّلام: «آل محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم أبواب الله» [٣].

وقال الصادق عليه السّلام: «الأوصياء، هم أبواب الله التي منها» [٤] ﴿وَاتَّقُوا اللهَ﴾ في أوامره ومناهيه [٥] ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ : لكي تظفروا بالهدى.

[١٩٠] ـ ﴿وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللهِ﴾ جاهدوا في دينه لإعزازه ﴿الَّذينَ يُقَاتِلُونَكُمْ﴾

(١) حجة القراءات: ١٢٧.

(٢) تفسير مجمع البيان ١: ٢٨٤ وتفسير البرهان١: ١٩١.

(٣) تفسير العياشي ١: ٨٦ الحديث ٢١٠.

(٤) تفسير البرهان ١: ١٩٠.

(٥) في «الف» و«ب»: ونواهيه.

أي: لا الكافّين، فتكون منسوخة بـ﴿قَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً﴾[1] أو: اريد بهم من يُتَوقّع منهم القتال ليخرج الشّيوخ والصّبيان والنّساء فلا نسخ، أو: أهل مكة.

روي أنّهم صدّوا الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم عام الحديبيّة وصالحوه على أن يرجع من قابل، فيخلوا له مكّة ثلاثة أيّام، فرجع لعمرة القضاء وخاف المسلمون ألاّ يفوا لهم، ويقاتلوهم في الحرم والشّهر الحرام، وكرهوا ذلك، فنزلت[2] ﴿وَلاَ تَعْتَدُوا﴾ بإبتداء القتال، أو: بقتال من نهيتم عن قتاله، أو: بالمُثلة، أو: بالمفاجاة بدون دعوة ﴿إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾: لا يريد لهم الخير.

[١٩١] ــ ﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾: وجدتموهم، في حلّ أو حرم ﴿وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ﴾ وقد فعل بمن لم يسلم يوم الفتح ﴿وَالْفِتْنَةُ﴾ أي: البلاء الذي يحلّ بالإنسان ـ كالإخراج من الوطن ـ ﴿أَشَدُّ﴾: أصعب ﴿مِنَ الْقَتْلِ﴾ أو: شركهم في الحرم أشدّ من قتلكم إيّاهم الذي عابوكم به ﴿وَلاَ تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ﴾ لابتدائهم بالقتال عنده وهتك حرمته ﴿فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ﴾: بدؤكم به. ﴿فَاقْتُلُوهُمْ﴾ ولا تبالوا، فإنّهم الذّين هتكوا حرمته. وقرأ «حمزة» و«الكسائي»: «ولا تقتلوهم حتى يقتلوكم فإن قتلوكم» ــ بإرادة البعض ـ[3] ﴿كَذَلِكَ﴾ الجزاء ﴿جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾ يفعل بهم كفعلهم.

[١٩٢] ـ ﴿فَإِنِ انْتَهَوْا﴾ عن الكفر والقتال ﴿فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رحِيمٌ﴾ يغفر ما أسلفوا.

[١٩٣] ـ ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾: شرك ﴿وَيَكُونَ الدِّينُ﴾ خالصاً ﴿للهِ فَإِنِ انْتَهَوْا﴾ عن الشّرك ﴿فَلاَ عُدوَانَ إِلاّ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ فلا عقوبة عليهم، وإنّما هي على الكافرين. وسمّي جزاء الظالم ظلماً: للمشاكلة كـ«اعتَدَوْا عَلَيْهِ».[4]

(١) سورة التوبة: ٩/ ٣٦.

(٢) رواه ابن عباس كما في تفسير مجمع البيان ١: ٢٨٤.

(٣) حجة القراءات: ١٢٧.

(٤) في قوله تعالى: «فاعتدوا عليه» (الآية ١٩٤ من هذه السورة).

[١٩٤] ـ ﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ﴾ قاتلهم المشركون عام الحديبيّة في ذي القعدة، وخرجوا العمرة القضاء فيه فكرهوا قتالهم لحرمته، فقيل لهم: هذا الشّهر بذاك ﴿وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ﴾ أي: فيها قصاص: من هتك حرمة هتك له حرمة، فحين هتكوا حرمة شهركم فافعلوا بهم مثله ولا تبالوا، وأكّده: ﴿فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعتَدُوْا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾: فجازوه بمثل فعله ﴿وَاتَّقُوا اللهَ﴾ في المجازاة، ولا تتعدوا إلى ما لا يحلّ لكم ﴿وَاعْلَمُواْ أَنَّ الله مَعَ الْمُتَّقِيْن﴾ فينصرهم.

[١٩٥] ـ ﴿وَأَنْفِقُوْا﴾ من أموالكم ﴿فِي سَبِيلِ اللهِ﴾ في وجوه البرّ والجهاد ﴿وَلاَ تُلْقُوا﴾: تطرحوا ﴿بِأَيْدِيْكُمْ﴾ «الباء» مزيدة، وأُريد بالأيدي: الأنفس ﴿إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾: الهلاك. وعدّيَ بـ«الى»لتضمّنه الإنتهاء، أي: لا تهلكوا أنفسكم بالإسراف الذي يأتي عليها أو بترك الغزوة والإنفاق فيه فيغلب عليكم العدّو.

أو بالإمساك المؤدّي الى الهلاك، أو المعنى: لا تجعلوا التّهلكة آخذةً بأيديكم ﴿وَأَحْسِنُوْا﴾ الأعمال ﴿إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُحسِنِينَ﴾.

[١٩٦] ـ ﴿وَأَتِمُّوْا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ﴾ أدّوهما تامّين بشرائطهما، وأقيموهما الى آخر ما فيهما ﴿للهِ﴾ لوجهه خاصة. فيفيد وجوبهما إبتداءاً، وقد يفيد وجوب إتمامهما مَنْدُوبين ـ بعد الشّروع ﴿فَإِنْ أُحصِرْتُمْ﴾: مُنعتم عن أحدهما مُحرمِين.

والحصر والاحصار: المنع، كالصدّ والإصداد.

وظاهر أصحابنا وأخبارهم: اختصاص الحصر بالمرض، والصدّ: بالعدوّ، لاختلافهما حكماً.

وعزى الطبرسي تعميم الحصر فيهما الى أئمتنا عليهم السّلام.[1] ﴿فَمَا اسْتَيْسَرَ﴾ فعليكم، أو: فاهدوا ما تيسّر ﴿مِنَ الْهَدْى﴾ بدنة أو بقرة أو شاةً للإحلال ﴿وَلاَ تَحْلِقُوْا رءُوسَكُمْ﴾: لا تحلوا ﴿حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ﴾ حتى تعلموا بلوغه مكانه الذي يذبح

(١) تفسير مجمع البيان ١: ٢٩٠.

فيه؛ وهو ـ في المرض ـ للحاجّ «منى» يـومَ النحر، وللمعتمر «مكة» في الساعة التي وعد المبعوث معهم، و ـ في العدوّ ـ مكانه الذي صدّ فيه حين يريد الإحلال.

ومنّا من خيّر في المرض بين ذلك والبعث. والأخبار مختلفة[1] ﴿فَمَنْ كَانَ مِنكُمْ مَرِيضاً﴾ مرضاً محـوجاً للحلق ﴿أَوْ بِهِ أَذًى مِـنْ رَأْسِهِ﴾ كقمّل أو غيـره ﴿فَفِدْيَةٌ﴾ أي فحلق، فالواجب فدية ﴿مِنْ صِيَامٍ﴾ ثلاثةَ أيّام ﴿أَوْ صَدَقَةٍ﴾ على عشرة مسـاكين، لكلٍّ مدّ، وروي: ستة، لكلٍّ مدّان[2] ﴿أَوْ نُسُكٍ﴾ شاة يذبحها.

روي أنه صلّى الله عليه وآله وسلّم قال لـ«كعب بن عجـرة»: لعلّك آذاك هَوامك» قال: نعم، فنزلت[3] ﴿فَإِذَا أَمِنتُمْ﴾ المرض أو المرض والعدوّ، أو: كنتم في حال سعة وأمن ﴿فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلى الْحَجِّ﴾ انتفع بالتّقرب بها الى الله قبل انتفاعه بالتّقرب بالحج في أشهره، أو: انتفع بـإحلاله منها باستبـاحة ما حرّم عليه إلى أن يحـرم بالحجّ ﴿فَمَا اسْتَيْسَرَ﴾ فعليه ما تيسّر[4] ﴿مِنَ الْهَدْيِ﴾ فهو واجب على المتمتّع يذبحه بـ«منى» يوم النّهر ﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ﴾ هديـاً. قيل ولا ثمنه ﴿فَصِيامُ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ فى الْحَجِّ﴾ سابع ذي الحجة، وثامنه، وتاسعه، فإن فاته فيها فبعد أيّام التشريق من ذي الحجة ﴿وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ﴾ الى أهليكم، ولـو أقام[5] بمكة انتظـر قدر وصول صحبـه، أو: مضي شهر ﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ﴾ رفع توهّم أن الواو بمعنى: «أو»، وتأكيد ليعلم جملةً كما علم تفصيلاً ﴿كَامِلَةٌ﴾ في بدليّة الهـدي، أو: تأكيد آخر للمبالغـة في حفظ العدد ﴿ذَلِكَ﴾ أي: التّمتع ﴿لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامَ﴾ من كان من «مكّة» على ثمانية

---

(١) ينظـر اختـلاف الاخبـار في ذلـك في كتـاب الكـافـي ٤: ٣٦٩ كتـاب الحج. بـاب المحصـور والمصدود.

(٢) رواه العياشي في تفسيره ١: ٩٠ الحديث ٢٣١ والطبرسي في تفسير مجمع البيان ١: ٢٩١.

(٣) تفسير العياشي ١: ٩٠ وتفسير مجمع البيان ١: ٢٩١ وتفسير البرهان ١: ١٩٥.

(٤) في «ط»: ما استيسر.

(٥) في «ط»: ولو بقي.

وأربعين ميلاً، فالتمتع فرضه، ومن كان دون ذلك فلا متعة له، بل فرضه القِران أو الإفراد ﴿وَاتَّقُوا اللهَ﴾ بالمحافظة على حدوده، سيّما الحجّ ﴿وَاعْلَمُوْا أَنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقابِ﴾ لمن خالف؛ ليمنعكم العلم عن الخلاف.

[١٩٧] ـ ﴿الْحَجُّ﴾ أي: وقته ﴿أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ﴾ معروفات: شوّال، وذو القعدة، وذو الحجّة، وقيل: تسعة من ذي الحجة بـ«ليلة النحر»[١] وقيل: العشرة؛[٢] فالجمع لإقامة البعض مقام الكلّ، أو لإستعماله فيما فوق الواحد. وبناء الخلاف: أن المراد بوقته، وقت أفعاله أو احرامه! ﴿فَمَنْ فَرَضَ﴾: أوجب على نفسه ﴿فِيْهِنَّ الْحَجَّ﴾: حجّ التّمتع وغيره بحيث يلزمه إتمامه بالتّلبية مطلقاً، أو بالإشعار، أو التقليدللقارن ـ.

ودلّت على عدم صحة إحرام الحجّ في هذه الأشهر، بل عمرة التّمتع ـ لدخولها فيه ـ ﴿فلاَ رَفَثَ﴾: فلا جماع ﴿وَلاَ فُسُوقَ﴾: لا كذب، أو: لا خروج عن حدود الشّرع ﴿وَلاَ جِدَالَ﴾: لا حلف بالله ـ ولو صادقاً ـ ﴿فِي الْحَجِّ﴾ في زمان فرضه. وأريد بنفي الثلاثة: النّهي. وخصّ بالحجّ ـ ومنها ما يحرم مطلقاً لأنه في الحجّ أسمج[٣] كلبس الحرير في الصّلاة. ورفع «أبو عمرو» و«ابن كثير» الأوّلين، وفتحا الثالث، وفتح الباقون الثلاثة[٤] ﴿وَمَا تَفْعَلُوْا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللهُ﴾ يجازيكم به، ولا يضيعه؛ لعلمه به ﴿وَتَزَوَّدُواْ﴾ ـ لمعادكم ـ: التّقوى ﴿فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوى﴾.

وقيل: كان أهل اليمن لا يتزوّدون ويقولون نحن متوكّلون، ويكونون كلاًّ على النّاس فنزلت فيهم ﴿وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾ خصّوا بالخطاب لأنّ مقتضى العقل خشية الله وتقواه. وأثبت «أبو عمرو»: «الياء» وصلاً.

---

(١) وهو مختار الشافعي ـ على ما في تفسير الكشّاف ١: ٣٤٦.

(٢) وهو المروي عن ابي جعفر عليه السّلام ـ كما في تفسير مجمع البيان ١: ٢٩٣ـ.

(٣) اي: اقبح ـ كما في مجمع البحرين.

(٤) نقله البيضاوي في تفسيره ١: ٢٢٥.

[١٩٨]ـ ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾ إثم ﴿أَنْ تَبْتَغُوا﴾ في أن تطلبوا ﴿فَضْلاً﴾ أي: رزقاً ﴿مِنْ رَبِّكُمْ﴾ بالتّجارة، كانوا يتأثّمون بالتّجارة في الحجّ فرفع ذلك، أو: مغفرة منه ﴿فَإِذَا أَفَضْتُمْ﴾ دفعتم بكثرة ـ من «أفاض الماء» أي: صبّه بكثرة ـ، وأصله: «أفضتم انفسكم»، فترك لظهوره ﴿مِنْ عَرَفَاتٍ﴾: جمع، سمّي به، ونُوِّنَ وكسِر.

وفيه: التّعريف والتأنيث، لأنّ تنوينه للمقابلة، ومنع الصرف إنّما يُذهب تنوين التمكّن، والكسر يتبع التّنوين وجوداً وعدماً، أو لأن تاءه ليست للتأنيث، بل هي مع الألف علامة الجمع، وهي تمنع من تقدير «تاء» فيه، لأنها كالبدل لها؛ لاختصاصها بالمؤنث كـ«تاء» بنت.

وسمّي الموقف به، لأنّ ابراهيم عليه السّلام عَرفَه بعد وصفه له، أو لقوله: «عرفت» حين أراه جبرائيل المناسك، أو لأنّ «آدم» و«حوّاء» التقيا فيه فتعارفا، أو لتعارف الناس فيه. ثم الإفاضة منها المأمور بها فرع الكون فيها فيثبت وجوب وقوفها ﴿فَاذْكُرُوا اللهَ﴾ بالتسبيح ونحوه ﴿عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ﴾ موضع محدود كـ«عرفة» سُمّي «مشعراً» لأنّه معلم العبادة، و«حراماً» لحرمته، ويفيد: وجوب وقوفه؛ لاستلزام الذّكر المأمور به عنده: الكونَ فيه ووجوب الذّكر.

ولكن أكثر الأصحاب على استحبابه، فجاز أن يكون كناية عن الكون ﴿وَاذْكُرُوهُ﴾ بالثّناء والشّكر ﴿كَمَا هَدَاكُمْ﴾: حسب هدايته إيّاكم، أو: كما علّمكم المناسك وغيرها ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ﴾ مخففة[من] الثقيلة ﴿مِنْ قَبْلِهِ﴾ أي الهدي ﴿لَمِنَ الضالِّينَ﴾: الجاهلين بالإيمان والعبادة. و«اللام» فارقة.

[١٩٩] ـ ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾ من عرفة، كان قريش يقفون بـ«جَمْع»[1] ولا يقفون مع سائر الناس بـ«عرفة» ترفّعاً عليهم، فأمروا بمساواتهم،

(١) بالفتح فالسكون: المشعر الحرام ـ كما في مجمع البحرين «جمع»ـ.

فـ«ثم» لتفاوت ما بين الإفاضتين إذ تلك حرام، وهذه واجبة. كذا قيل.[(١)]

وفيه نظر؛ إذ لا تفـاوت بين المتعاطفين بل بين فعلهم وما أُمـروا به، وليس ذلك مفاد «ثمّ» وقيل: من«جمع» الى «مِنى» بعد الإفاضة من «عرفات» اليها.[(٢)] والأمر عام ويراد بـ«الناس» ابراهـيم، والأنـبياء وهـو الأنسب بـ«ثـم» والسّوق ﴿وَاسْتَغْفِرُواْ اللهَ﴾ من ذنوبكم بالندم عليها ﴿إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾: كثير المغفرة والرحمة.

[٢٠٠] ـ ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ﴾: فرغتم من عباداتكم الحجيّة ﴿فَاذْكُرُوا اللهَ﴾ ذكراً كثيراً ﴿كَذِكْرِكُمْ ءَابَاءَكُمْ﴾ صفة المصدر المحذوف. كانـوا إذا فرغوا من الحج يجتمـعون ويذكرون مفاخر آبـائهم وأيّامـهم ﴿أَوْ أَشَدَّ﴾ عطف على «كذكركم» أي: أو ذكراً أشد ﴿ذِكْراً﴾ تمييز، أي: أشدّيته تكون من حيث كونه ذكراً لا من جهة أُخرى، أو: على «ذكـركم» بجعله بمعنى: الـذّاكر، أي: أو كذاكـر أشدّ. ﴿فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ﴾ تقسيم للذّاكرين إلى طالب بذكره عرض الدنيا، وطالب به خير الدّارين ﴿رَبَّنَا ءَاتِنَا﴾: اجعل عطاءنا ﴿فِي الدُّنْيَا وَمَالَهُ فِى الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾: من نصيب، لقصر همّه على الدنيا، أو من طلب خلاق.

[٢٠١] ـ ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُـولُ رَبَّنَا ءَاتِنَـا فِي الدُّنْيَـا حَسَنَةً﴾: سعة الـرّزق وحسن الخلق ﴿وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً﴾ رضوانك والجنّة ﴿وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ بالعفو.

وعن علـي عليه السّلام: «الحسنة ــ في الـدّنيا ــ المرأة الصـالحة، وفي الآخـرة: الحوراء، وعذاب النّار: امرأة السّوء».[(٣)]

[٢٠٢] ـ ﴿أُوْلَئِكَ﴾ اشـارة الى القسم الثـانـي، أو: اليهما ــ ﴿لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّـا كَسَبُوْا﴾ من جنسه، وهو جزاؤ، أو: من أجله ﴿وَاللهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ يحاسب جميع

---

(٢) وهو ما يظهر من كلام البيضاوي في تفسيره ١: ٢٢٧.

(٣) قاله الضحاك ـ كما في احكام القرآن لابن العربي ١: ١٣٩ـ.

(١) تفسير الكشاف ١: ٣٥٠ وروي قريباً منه في تفسير مجمع البيان ١: ٢٩٨.

العباد في قدر لمحة، أو: يوشك أن يقيم القيامة فيحاسبهم، فاكسبوا الخير.

[٢٠٣] ـ ﴿وَاذْكُرُوا اللهَ﴾: كبّروه ﴿فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ﴾ عقيب خمس عشرة صلاة في «منى» وعشرة في غيرها. وأوّلها ـ مطلقاً ـ ظهر «يوم النّحر»، وصورة التّكبير في الفقه،[1] والمشهور عندنا استحبابه، ومنّا من أوجبه[2] ﴿فَمَنْ تَعَجَّلَ﴾: استعجل النّفر ﴿فِي يَوْمَيْنِ﴾ أي: نفر في ثاني أيام التشريق بعد الزوال والرّمي الى الغروب ﴿فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ بتعجّله ﴿وَمَنْ تَأَخَّرَ﴾ الى الثالث فنفر فيه أيَّ وقت شاء بعد الرّمي ﴿فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ رفع لتوهّم الإثم بالتأخّر لو اقتصر على نفيه بالتعجّل.

قال الصادق عليه السّلام: لو سكت لَم يبق أحد الاّ تعجّل ولكنه قال: «ومن تأخّر فلا إِثم عليه».[3] أو: نفيه فيهما للتّخيير بينهما. والردّ على أهل الجاهلية؛ إِذ منهم من أثّم المتعجّل، ومنهم من أثّم المتأخّر ﴿لِمَنِ اتَّقَى﴾ أي: ذلك التّخيير للمتّقي المعاصي؛ لأنّه الحاجّ ــ على الحقيقة ــ أو: لمن اتّقى الصّيد والنّساء في إِحرامه ﴿وَاتَّقُوا اللهَ﴾ اجتنبوا معاصيه ﴿وَاعْلَمُواْ أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ ترجعون إِلى موضع حكمه فيجازيكم بما عملتم.

[٢٠٤] ـ ﴿وَمِنَ النَّاسِ﴾ نزلت في المرائي، وقيل: في «الأخنس بن شريق»، كان حسن المنطق ويدّعي الإسلام ومحبّة النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم،[4] وقيل في المنافقين[5] ﴿مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ﴾: يروقك ويعظم في قلبك ﴿فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا﴾ متعلق بالقول, أي: ما يقوله في معنى الدنيا؛ إِذ هي مراده من إِدّعاء الإسلام والمحبّة

(١) يراجع تفصيل ذلك في الكتب الفقهية وقد رويت فيها روايات ذكرها الكليني في الكافي ٤:٥١٦ في باب التكبير ايام التشريق.

(٢) يراجع جواهرالكلام ٢٠ : ٣٥ باب التكبير بمنى مستحب.

(٣) تفسير نورالثقلين ١: ٢٠٢ الحديث٧٤١.

(٤و٥) قاله السدّي ـ كما في تفسير مجمع البيان ١: ٣٠٠ـ.

أو: بـ«يعجبك» أي: يعجبك في الدّنيا قولـه حلاوةً وفصاحةً، ولا يعجبك في الآخرة للدّهشة، أو لأنّه لا يؤذن له في القول ﴿وَيُشْهِدُ اللهَ﴾ يحلف به ويستشهده ﴿عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ﴾ أي: أنّه مضمر ما يقـول ﴿وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾ جمع: خصم، أي: أشدّ الخصوم خصومة، أو: مصدر، أي: شديد المخاصمة والجدال.

[٢٠٥] ـ ﴿وَإِذَا تَوَلَّى﴾: ذهب عنك، أو: صار والياً ﴿سَعَى فِي الْأَرْضِ﴾: عمل فيها ﴿لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ﴾ كما فعل الأخنس بـ«ثقيف» إذ بيّتهم وأهلك مواشيهم وأحرق زروعهم.

أو: كما تفسد ولاة السّوء بالقتل والإتلاف. أو: بالظّلم حتى يحبس الله بشؤمه القطر، فيهلك الحرث والنسل ﴿وَاللهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ﴾: لا يرضاه.

[٢٠٦] ـ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ الله أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ﴾ حملته الحميّة الجاهلية على الإثم الّذي أُمر باتّقائه، من: «أخذته بكذا»: الزمته إيّاه ﴿فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ﴾: كفته عقوبةً ﴿وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾: الوطاء، تهكّم به. وحذف المخصوص للعلم به.

[٢٠٧] ـ ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ﴾: يبيعها ويبذلها ﴿ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللهِ﴾: طلباً لرضاه.

نزلت في «عليّ» عليه السّلام حين ذهب النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم إلى الغار وبات على فراشه يفديه نفسه.[1] وقيل: في «صهيب» عذّبه المشركون ليرتدّ فافتدى بماله ثم هاجر.[2]

وقيل: في كل مجاهد في سبيل الله[3] ﴿وَالله رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ فينيلهم ما حاولوه من مرضاته.

---

(٤) قاله الحسن ـ كما في تفسير مجمع البيان ١: ٣٠٠ ـ.

(٢) تفسير نورالثقلين ١: ٢٠٤ الحديث ٧٥٧ وتفسير مجمع البيان ١: ٣٠١.

(٣) قاله عكرمة ـ كما في تفسير مجمع البيان ١: ٣٠١ ـ.

[٢٠٨] ـ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ادْخُلُواْ فِي السِّلْمِ﴾: الإنقياد والطّاعة، ولذا قيل: للإسلام والصلح.[1] فتحه «ابن كثير» و«نافع» و«الكسائي» وكسره الباقون[2] ﴿كافَّةً﴾: جملةً، من: «كفّ»، كأنّهم كَفّوا تفرقهم باجتماعهم. حال من الضمير، أو: السلّم، أي: دوموا على الطّاعة أو: أطيعوا جميعاً، أو: الزموا أحكام الإسلام جميعاً.

والخطاب للمؤمنين، أو: المنافقين، أو: مؤمني أهل الكتاب إذ سألوا النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم الإقامة على السّبت وتحريم الإبل. ﴿وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشّيْطَانِ﴾ بتفرقكم، أو تفريقكم ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ مظهر للعداوة.

[٢٠٩] ـ ﴿فَإِنْ زَلَلْتُمْ﴾ عمّا أُمرتم به ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾: الحجج ﴿فَاعْلَمُوْا أَنَّ اللهَ عَزِيزٌ﴾ لا يعجزه البطش ﴿حَكِيمٌ﴾: لا يبطش إلاّ بحق.

[٢١٠] ـ ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ﴾ معناه النّفي ﴿إِلاّ أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ﴾ أمره، أو: بأسه، أو: يأتيهم الله بنقمته، فحذف المأتيّ به لدلالة: «عزيز حكيم»[3] عليه ﴿فِي ظُلَلٍ﴾ جمع «ظلّه» وهي ما أظلّك ﴿مِنَ الْغَمَامِ﴾ السّحاب الأبيض.

وإتيان النقمة من مظّلنة الرّحمة أفظع؛ إذ الشّر إذا أتى من حيث لا يحتسب كان أصعب، فكيف إذا أتى من حيث يُحتسب الخير ﴿وَالْمَلائِكَةُ وَقُضِيَ الأَمْرُ﴾ فرغ من أمر تدميرهم. والتعبير بالماضي لتحقق وقوعه ﴿وَإِلَى اللهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ﴾ وبناه «ابن عامر» و«حمزة» و«الكسائي» للفاعل.[4]

[٢١١] ـ ﴿سَلْ بَنِي إِسْرائِيلَ﴾ أمر للرسول[5] صلّى الله عليه وآله وسلّم، أو: لكلّ أحد.

---

(٤) قاله الحسن ـ كما في تفسير مجمع البيان ١: ٣٠١ـ.

(١) تفسير مجمع البيان ١: ٣٠٢.

(٢) حجة القراءات: ١٣٠.

(٣) المذكور في آخر الآية السابقة.

(٤) حجة القراءات: ١٣٠.

والسؤال تقريع ﴿كَمْ ءَاتَيْنَاهُمْ مِنْ ءَايَةٍ بَيِّنَةٍ﴾: معجزة واضحة على أيدي أنبيائهم.

أو: حجّة في الكتب علـى صدق محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم. و«كم» إستفهاميّة مقرّرة، أو: خبرية، ومحلّها النّصب بالمفعولية ﴿وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللهِ﴾: آياته؛ إذ هي سبب الهدى ـ وهو أجلّ النعم ـ بجعلها سبب الضّلال، أو: بالتّحريف ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ﴾ تمكّن من معرفتها أو عرفها ﴿فَإِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ له، أو لمن عصاه.

[٢١٢] ـ ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا﴾ حسنّها الشّيطان في أعينهم، وحبّبها إليهم فـلا يريدون غيـرها، أو: زيّنها الله بخلـق المشتهيات فيها، والشّهـوة فيهم؛ إذ التّكليف إنّمـا يتمّ بهـا ﴿وَيَسْخَرُونَ مِـنَ الَّذِينَ ءَامَنُـواْ﴾ يهـزءون بهم لفقـرهم، أو: لزهدهم في الدّنيا، و«من» للإبتداء ﴿وَالَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ عبرّ بهم عن «الّـذين آمنوا» ليفيد أنهم متّقون، أو: إنّ استعلائهم بالتقّوى ﴿فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ﴾ لأنهم في «علييّن» وهم في «سجّين» أو: لأنّهم فـي كرامة وهم فـي هوان، أو: لاستطالتهم عليهـم فيسخرون منهم كمـا سخروا منهم في الـدّنيا ﴿واللهُ يَرْزُقُ مَـنْ يَشَاءُ بِغَيْـرِ حِسَابٍ﴾ بغير تقـدير فيوسع ابتلاءً أو استدراجاً.

[٢١٣] ـ ﴿كَانَ النَّاسُ﴾ من بني آدم ونوح، أو: أهل السفينة ﴿أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ على الحقّ، أو: على الكفر ﴿فَبَعَثَ﴾ أي: فاختلفوا، فبعث ﴿اللهُ النَّبِيِّينَ﴾ لقوله: «في ما اختلفوا فيه» ﴿مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ﴾: جنسه.

والمعنى: مع بعضهم، لا مع كلّ واحد.

قيل: عدد الأنبياء مائة وأربعـة وعشرون ألفاً، والرسل ـ منهم ـ: ثـلاثمائة وثلاثة عشر.[1] والمسمّى فـي القـرآن: ثمانيـة وعشـرون ﴿بِالْحَقِّ﴾ متلبّسـاً بـه، حـال من «الكتاب» ﴿لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ﴾ أي: الله، أو: الكتاب ﴿فِيمَا اخْتَلَفُواْ فِيْهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيْهِ﴾ في الحـق أو الكتـاب ﴿إِلاّ الَّذِيـن أُوتُوهُ﴾ أعطـوا العلم به؛ إذ جعلـوا المـزيل

(٥) في «ط»: للنبي.

للإختلاف سبباً لحصوله ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْياً﴾: ظلماً، وطلباً للرئاسة ﴿بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللهُ الَّذِينَ ءَامَنُوْا لِمَا اخْتَلَفُوْا فِيْهِ مِنَ الْحَقِّ﴾ بيان لـ«ما» ﴿بِإِذْنِهِ﴾ بلطفه وأمره ﴿وَاللهُ يَهْدِيْ مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ موصل إلى النّجاة.

[٢١٤] ـ ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُواْ أَلْجَنَّةَ﴾ لما ذكر اختلاف الأُمم على انبيائهم تشجيعاً للنّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم والمؤمنين على الصبر مع مخالفيهم، إلتفت إليهم بالخطاب. و«أمْ» منقطعة، وهمزتها للإنكار ﴿وَلَمَّا يَأْتِكُمْ﴾ نفي مع توقّع ﴿مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ أي مثل حالهم فتصبروا كما صبروا ﴿مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ﴾ استئناف بيان لـ«مثل» ﴿وَزُلْزِلُواْ﴾ أُزعجوا بأنواع البلايا ﴿حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ﴾ لاستطالة زمان الشّدة، وفناء الصبر. ورفع «نافع»: «يقول» ـ حكاية لحال ماضيه ـ[1] ﴿مَتَى نَصْرُ اللهِ﴾ معناه طلب النّصر وتمنيّه ﴿أَلاَ إِنّ نَصْرَ اللهِ قَرِيْبٌ﴾ استئناف، أي: فقيل لهم ذلك إجابة لهم إلى طلبتهم من عاجل النّصر.

[٢١٥] ـ ﴿يَسْئَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ﴾ كان «عمرو بن الجموح» شيخاً ذا مال، فقال للنبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم: بِمَ أتصدّق، وعلى من أتصدّق؟ فنزلت.[2]

وكان المراد ما ينفقون على الوجه الكامل، فدخل المصرف بقرينة سؤال «عمرو» فقوله: ﴿قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ﴾ أي: مال، بيان للمنفَق، وقوله: ﴿فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ بيان للمصرف ﴿وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خيرٍ﴾ شرط، جوابه: ﴿فَإِنَّ اللهَ بِهِ عَلِيْمٌ﴾ لا يضيعه. قيل: منسوخة بفرض الزكاة.[3] وقيل: لا نسخ؛[4] لجواز إعطائها المذكورين لا على وجه النفقة. وقد تحمل على الإنفاق

(١) تفسير البيضاوي ١: ٢٣١ ـ ٢٣٢.

(١) حجة القراءات: ١٣١.

(٢) تفسير مجمع البيان ١: ٣٠٩.

(٣) قاله السدّي ـ كما في تفسير التبيان ٢: ٢٠٠ و تفسير مجمع البيان ١: ٣١٠.

الواجب والمندوب، أو: المندوب فقط.

[٢١٦] ـ ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ﴾: صعب عليكم، مكروه طبعاً والوصف بالمصدر للمبالغة. ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوْا شَيْئاً﴾ ـ طبعاً ـ في الحال كالجهاد ﴿وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ في المآل؛ إذ فيه الظّفر أو الشهادة ﴿وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوْا شَيْئاً﴾ كترك الجهاد حبّاً للحياة ﴿وَهُوَ شَرٌّ لَكُم﴾ اذ فيه الذّل وحرمان الأجر ﴿وَاللهُ يَعْلَمُ﴾ ما يصلحكم ﴿وَأَنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾ ذلك.

[٢١٧] ـ ﴿يَسْئَلونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ﴾ بعث صلّى الله عليه وآله وسلّم «عبدالله بن جحش»[١] على سريّة، فغنموا عيراً لقريش، فيها «عمرو بن عبدالله الحضرمي» وثلاثة معه، فقتلوه وأسروا اثنين،[٢] وكان ذلك غرّة رجب، وهم يرونه من جمادى، فقالت قريش: استحل محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم الشّهر الحرام، وكتبوا يسألونه عن ذلك تشنيعاً، وشق على أهل السّريّة وقالوا: «ما نبرح حتى تنزل توبتنا» فنزلت،[٣] وردّ صلّى الله عليه وآله وسلّم العير، وروي: أنّه أخذها، وهي أول غنيمة في الإسلام.[٤] ﴿قِتَالٍ فِيْهِ﴾ بدل اشتمال من «الشّهر» ﴿قُلْ قِتَالٌ فِيْهِ كَبِيرٌ﴾ ذنب عظيم،قيل: منسوخ[٥] بـ: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمُ﴾[٦] ورُدّ: ببقاء بعض أحكامه، وبرجحان التخصيص على النسخ ﴿وَصَدٌّ﴾: منع ﴿عَنْ سَبِيلِ اللهِ﴾ طاعته، أو: الإسلام ﴿وَكُفْرٌ بِهِ﴾ أي: بالله. ﴿وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ قيل: عطف على: «سبيل الله»[٧] ويردّه: عطف: «وكفر»

---

(٤) قاله الحسن ـ كما في تفسير التبيان ٢: ٢٠٠ و تفسير مجمع البيان ١: ٣١٠ـ.

(١) هو ابن عمّة النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ كما في تفسير مجمع البيان ٢: ٣١٢ـ.

(٢) والثالث افلت، انظر تفسير روح المعاني ٢/ ٩٢ وتفسير القرطبي ٣/ ٤٢.

(٣) تفسير مجمع البيان ١: ٣١٢ـ.

(٤) رواها البيضاوي في تفسيره ١: ٢٣٤عن ابن عباس.

(٥) قاله قتادة ـ كما في تفسير مجمع البيان ١: ٣١٢ـ.

(٦) سورة التوبة: ٩/ ٥.

على «صدٌ» لفصله بين الموصول والصّلة. وقيل: على «صدّ» بتقدير: وصدّ المسجد، وردّ: بضعف حذف المضاف وبقاء جرّ المضاف اليه.

وقيل: على الهاء في «تساءَلون به» ويشهد لصحته بدون اعادة الجار: ﴿تساءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحامِ﴾[١] ـ بالجر ـ، وهو من السبع،[٢] وشعر الفصحاء،[٣] ولعلّ الكفر به: عدم احترامه ﴿وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ﴾ أهل المسجد وهم: النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم والمؤمنون ﴿أَكْبَرُ عِنْدَ اللهِ﴾ من فعل السّرية ـ بناءً على ظنّهم ـ، وهو خبر للأربعة المذكورة ﴿وَالْفِتْنَةُ﴾ أي: الكفر، أو: الإخراج ﴿أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ﴾ قتل عمرو ﴿وَلاَ يَزَالُونَ﴾ أي: الكفار ﴿يُقَاتِلُونَكُمْ﴾ لدوام عداوتهم لكم ﴿حَتَّى يَرُدُّوكم﴾: كي يردوكم ﴿عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُواْ﴾ استبعاد لاستطاعتهم ﴿وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمالُهُمْ﴾ صريح في ثبوت الإحباط بالرّدة ـ مع الموت عليها ـ؛ إذ الموافاة بالإيمان شرط في استحقاق الثّواب ـ كما عليه الأصحاب ـ، ويحمل نفيهم الإحباط على أنَّ الثّواب المستحق لا يحبط ﴿فِي الدُّنْيَا﴾ لفوات فوائد الإسلام الدّنيوية ﴿وَالآخِرَةِ﴾ لإنتفاء الثّواب ﴿وَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِهُمْ فِيْهَا خَالِدُونَ﴾ لكفرهم.

[٢١٨] ـ ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوْا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ﴾ ظنّ قوم أن السريّة إن سلموا من الإثم فليس لهم أجر فنزلت[٤] ﴿أُوْلَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللهِ﴾ نصرته في الدنيا وثوابه في الآخرة ﴿وَاللهُ غَفُورٌ﴾ لذنوبهم ﴿رَحِيمٌ﴾ بهم.

---

(٧) قاله المبرّد ـ كما في تفسير مجمع البيان ١: ٣١٢ـ.

(١) سورة النساء: ٤/ ١.

(٢) وهي قراءة حمزة ـ كما في تفسير البيضاوي ١: ٢٣٤.

(٣) وفي خاتمة كتاب «الصلاة على النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم وآله» بحث وافٍ حول هذا الموضوع، ينظر.

[٢١٩] ـ ﴿يَسْئَلونَكَ عَنِ الْخَمْرِ﴾ وهو كلّ شراب مسكر، وفي حكمه: الفقّاع؛ لأخبار أئمتنا عليهم السّلام،[1] وهو في الأصل: مصدر «خمره»: إذا ستره، سمّي به للمبالغة ﴿وَالْمَيْسِرِ﴾ مصدر ـ كـ«المَوْعِدْ» ـ سمي به القمار؛ لأنّه أخذ مالِ الغير بيسر، أو: سلب يساره، أي يسألونك عن تعاطيهما ﴿قُلْ فِيْهِمَا﴾ في تعاطيهما ﴿إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾ يؤدّي إلى إرتكاب سائر المحرّمات وترك الواجبات ﴿وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾ من كسب المال واللذة والطّرب والقوّة ﴿وَإِثْمُهُمَا﴾: عقابهما الأُخروي الدائم ومفاسدهما الدّنيوية ﴿أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾ الدّنيوي القليل الزّائل، فإفادتها لتحريمهما ظاهرة ﴿وَيَسْئَلونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ﴾ سأله صلّى الله عليه وآله وسلّم «عمرو بن الجموح» عن النفقة في الجهاد أو الصّدقات ﴿قُلِ الْعَفْوَ﴾: الوسط بين الإسراف والإقتار، أو: ما فضل عن قوت السنة، أو: أطيب المال، أو: ما سهل إنفاقه ﴿كَذَلِكَ﴾ التبيين لأمر النّفقة والخمر والميسر أيّها الجمع.[٢] ومحل الكاف: النصب، صفة لمصدر محذوف أي: ﴿يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ الآيَاتِ﴾: الحجج في الأحكام تبييناً، مثل ذلك التبيين ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾.

[٢٢٠] ـ ﴿في الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ فتؤثرون أبقاهما وأكثرهما نفعاً ﴿وَيَسْئَلونَكَ عَنِ الْيَتَامَى﴾ لمّا نزل ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْماً﴾[٣] اجتنبوا مخالطتهم

---

(٤) تفسير مجمع البيان ١: ٣١٣.

(١) تفسير العياشي ١: ١٠٦ الحديث ٣١٣ وتفسير نورالثقلين ١: ٢١٠.

(٢) كذا في النسخ وفي تفسير البيضاوي ١: ٢٣٦: وانما وحدّ العلامة والمخاطب به جمع على تأويل القبيل والجمع.

وفي تفسير التبيان ٢: ٢١٤ انما وحدّ الكاف في كذلك وان كان الخطاب لجماعة لاحد أمرين: احدهما في تقدير كذلك ايها السائل والثاني: ان يكون الخطاب للنبي صلّى الله عليه وآله وسلّم ويدخل فيه الأمّة.

والإهتمام بشأنهم فشقّ ذلك عليهم، فذُكر للنبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم فنزلت[١] ﴿قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ﴾ أي: مداخلتهم لإصلاحهم ﴿خَيْرٌ﴾ من مجانبتهم ﴿وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ﴾ وتعاشروهم ﴿فَإِخْوَانُكُمْ﴾ أي: في الدين، ومن حق الأخ أن يخالط أخاه ﴿وَاللهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ﴾ لا يخفى عليه من داخلهم بإفساد وإصلاح فيجازيه بفعله ﴿وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَأَعْنَتَكُمْ﴾: لحملكم على العنت، وهو المشقّة ولم يُطلق لكم مداخلتهم ﴿إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ﴾: غالب قادر على ما يشاء ﴿حَكِيمٌ﴾: يفعل ما توجبه الحكمة.

[٢٢١] ـ ﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ﴾ لا تتزوّجوهنّ ﴿حَتَّى يُؤْمِنَّ﴾ قيل: لا يشمل الكتابيات،[٢] وقيل: يشملها[٣] لكنه منسوخ أو مخصص بقوله تعالى: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾[٤] وقيل: هو ناسخ لذاك.[٥]

روي أنّه صلّى الله عليه وآله وسلّم بعث «مَرْثداً» إلى «مكة» ليخرج ناساً من المسلمين فدعته «عَناق» إلى نفسها، فأبى، وكانت خلّته في الجاهليّة، فقالت: هل لك أن تتزوّج بي فقال: حتى استأذن رسول الله، فاستأذنه فنزلت[٦] ﴿وَلَأَمَةٌ﴾: مملوكة ﴿مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ﴾ حرّة ﴿مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ﴾ لما لها أو جمالها. و«لو» بمعنى: «إن» ﴿وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ﴾ لا تزوّجوهم المؤمنات ﴿حَتَّى يُؤْمِنُوا﴾ والتحريم ثابت في الكتابيّ ـ أيضاً ـ سواء شمله المشرك أم لا، للإجماع والأخبار ﴿وَلَعَبْدٌ﴾ مملوك ﴿مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ﴾ حرّ ﴿مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ﴾ ماله أو جماله.

---

(٣) سورة النساء: ٤/ ١٠.

(١) قاله ابن عباس ـ كما في تفسير مجمع البيان ١: ٣١٦ـ.

(٢) قاله قتادة وسعيد بن جبير ـ كما في تفسير مجمع البيان ١: ٣١٨.

(٣) قاله ابن عمر وبعض الزيدية وهو مذهبنا ـ كما في تفسير مجمع البيان ١: ٣١٨ـ.

(٤) سورة المائدة: ٥/ ٥.

(٥) نقل هذا القول القرطبي في تفسيره ٣: ٦٧ عن اسحاق بن ابرهيم الحربي.

وتفسير «الأمـة» و«العبد» بما يعمّ الأحرار ــ لأنّ الناس إماء الله وعبيده ــ خلاف الظّاهر، مع تفويت المبالغة ﴿أُوْلَئِكَ﴾ إشارة إلى المشركين والمشركات ﴿يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾ أي: الكفر المـؤدي إلى دخولهـا فحقّهم ألاّ يـواصلوا ﴿وَاللهُ يَدْعُـوْا إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ﴾ إلى ما يـوجبهما ﴿بِإِذْنِهِ﴾ بأمره وتـوفيقه ﴿وَيُبَيِّنُ ءَايَاتِهِ﴾ حججه: أوامره ونواهيه ﴿لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ لكي يعلموا ويتذكّروا.

[٢٢٢] ــ ﴿وَيَسْئَلُونَكَ﴾ قيل: كـانوا فـي الجاهليـة لم يواكلـوا[1] الحيض ولـم يساكنوها كفعل اليهود، فسئل صلّى الله عليه وآله وسلّم عن ذلك فنزلت[2] ﴿عَنِ الْمَحِيْضِ﴾ مصدر كـ«المبيت» ﴿قُلْ هُـوَ أَذًى﴾ أي: الحيض قـذر مـوذٍ من يقـربـه، نفرةً منـه ﴿فَاعْتَزِلُوْا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ﴾ إسم زمـان أو مكان، أي: اجتنبـوا مجامعتهـنّ في الفرج زمان الحيض، أو: في مكانـه، وقيل إجتنبوا ما تحت الإزار[3] ﴿وَلاَ تَقْرَبُوهُنَّ﴾ تأكيـد للحكم ﴿حَتَّى يَطْهُرْنَ﴾ بيـان غـايتـه، وشـدّد «حمـزة» و« الكسـائي» أي: يغتسلن، فيحرم الوطء قبل الغسل، وخفّفه الباقون،[4] أي: ينقين، فلا يحرم قبله، وعليه الأصحاب، وجمعوا بين القراءتين بحمـل «تطهّر» على معنى «طَهُرَ» لوروده لغةً كـ«تبيّن» بمعنى «بان» وكذا ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ﴾ أي: طهرن، أو غسلن الفرج، حملاً على المعنـى اللغـوي؛ إذ لمنع إرادة الغسـل؛ لـم تثبـت الحقيقـة الشـرعيـة. ﴿فَأْتُوهُنَّ﴾ للإباحـة بالمعنى الأخص، أو الأعمّ، فتتأتى فيـه الأحكام الأربعة ﴿مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللهُ﴾ من قبل الطّهر لا الحيـض، أو من قبل النكاح لا الفجور، وعن «الفـراء» لو أراد الفرج لقـال: «في حيث» ﴿إِنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ﴾ من الذنـوب أو الكبائر ﴿وَيُحِبُّ

---

(١) كذا في النسخ، والصحيح: لايواكلون، وكذا فيما بعده.

(٢) قاله الحسن وقتادة والربيع ـ كما في تفسير مجمع البيان ١: ٣١٩ـ.

(٣) قاله ابوحنيفة والشافعي ـ كما في تفسير مجمع البيان ١: ٣١٩ـ.

(٤) حجة القراءات: ١٣٤.

﴿الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ بالماء، ويعضده سبب نزول ﴿فيه رِجَالٌ. . .﴾ الآية[١] أو من الصغائر.

[٢٢٣] ـ ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ﴾: محلّ حرث ﴿لَكُمْ﴾ قيل نـزلت ردّاً على اليهـود، قالوا: إذا أتى الـرجل المرأة من خلفها في قبلها خرج الـولد أحول[٢] ﴿فأْتُوْا حَرْثَكُمْ﴾ أي: نساءكم ﴿أَنَّى﴾ من أين ﴿شِئْتُمْ﴾ واحتجّ به «مالك» على جواز إتيانها في الدّبر، وليس ببعيد، وعليه أكثر أصحـابنا على كراهة[٣] واحتج به سائر فقهـائهم على المنع قالوا معناه: فأتوهن من أيّ جهة شئتم في القبل؛ لأنّه محلّ الحرث. وردّ بمنع إفادته المنع؛ إذ الحرث المأمور بإتيانه هو النساء لا القبل.

ولو صرّح بالقبل لما أفاد منع غيره إلاّ بمفهوم ليس بحجّة. ﴿وَقَدِّمُوْا لِأَنْفُسِكُمْ﴾ الأعمال الصالحة، وقيل: التسمية على الوطء[٤]، وقيل: طلب الولد[٥] ﴿وَاتَّقُوْا اللهَ﴾ بترك معاصيه ﴿واعْلَمُواْ أَنَّكُمْ مُلاَقُوهُ﴾: ملاقو جزائه ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ بالثّواب والجنّة.

[٢٢٤] ـ ﴿وَلاَ تَجْعَلُوا اللهَ﴾ نزلت في «عبدالله بـن رواحة» حلف لا يكلّم ختنه[٦] ولا يصلح بينه وبين أخته[٧] ﴿عُرْضَةً﴾: معرضاً ﴿لِأَيْمَانِكُمْ﴾ فتبتذلوه بكثرة الحلف بـه، ويؤيّـده: ﴿وَلاَ تُطِـعْ كُلَّ حَـلاَّفٍ مَهِينٍ﴾[٨] ﴿أَنْ تَبَـرُّوْا وَتَتَّقُواْ وَتُصْلِحُـواْ﴾ علّة للنّهي. أي: أنهاكم عنه إرادة بـرّكم وتقواكم وإصلاحكم ﴿بَيْنَ النَّاسِ﴾ فإن الحلاّف مجتر على الله، فلا يكون برّاً متقياً، ولا مصلحاً ذات البين.

---

(١) سورة التوبة: ٩/ ١٠٨.

(٢) قاله ابن عباس وجابر ـ كما في تفسير مجمع البيان ١: ٣٢٠.

(٣) تفسير مجمع البيان ١: ٣٢١.

(٤) قاله عطاء ـ كما في تفسير مجمع البيان ١: ٣٢١.

(٥) تفسير مجمع البيان ١: ٣٢١.

(٦) الختن: كل من كان من قبل المرأة مثل الاب والاخ ـ مختار الصحاح، ختن ـ.

(٧) تفسير مجمع البيان ١: ٣٢٢.

(٨) سورة القلم: ٦٨/ ١٠.

وقيـل : المعنى : ولا تجعلـوا الله حـاجـزاً لمـا حلفتـم عليـه ،[١] والـلام متعلّق بـ«تجعلوا» ، أو بـ«عُرضة» ويفيـد عدم إنعقاد الحلف على المرجـوح ، كما وردت به الأخبار[٢] ﴿وَاللهُ سَمِيْعٌ﴾ لأقوالكم ﴿عَلِيْمٌ﴾بأسراركم .

[٢٢٥] ـ ﴿لاَيُؤاخذُكُمُ اللهُ بِاللَّغْوِ﴾ الكائن ﴿فِي أَيْمَانِكُمْ﴾ وهو ما لا عقـد معه ـ كالملفوظ لسبق اللـسان بـه ـ، أو للـجهل بمعنـاه كـ«لا والله» ، و«بـلى والله» أي : لا يـؤاخذكم بمـا لا قصد بمعـه بعقاب ولا كفّـارة ﴿وَلَكِنْ يُؤَاخِـذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ﴾ : قصدت ﴿قُلُوبُكُمْ﴾ مـن الأيمـان ، وواطأت فيهـا ألسنتكـم ﴿وَاللهُ غِفُورٌ﴾ للذنوب ﴿حَلِيمٌ﴾ لا يعجل بالعقوبة .

[٢٢٦] ـ ﴿لِلَّذِيْنَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ﴾ يحلفون ألاّ يطـؤهن مطلقاً ، أو: أزيـد من أربعة اشهـر ، وعدّي بـ«من» دون «عَلى» لتضمنـه معنى البعد ﴿تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ﴾ مبتدأ ، خبره «لِلَّذين» . اضيف الى الظرف اتّساعاً ، أي : للمولى حق الانتظار في هذه المدّة وابتداؤها وقت الإيلاء ، وقيل : حيـن الحكم ، فلا يطالب بفيئةٍ ولا طلاق ﴿فَإِنْ فاءُو﴾[٣] : رجعوا عن اليمين بـالوطءِ ـ للقادر ـ ، وبإظهـار العزم عليه ـ للعاجـز ـ في المدّة أو بعدها ﴿فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ : يغفر ما قصدوا بالإيلاء من ضرار النساء ، أو إثم الحلف ، فإنّـه غير مشروع ، ولهـذا يجب حنثه[٤] والكفّـارة ـ إن فـاء في المـدة ـ عـند الأصحاب ، أو بعدهـا ـ أيضاً ـ عند اكثرهم ، فان مضت المـدّة ولم يفيء ألزمه الحاكم : إمّا الطّلاق أو الفئة والكفّارة ، فان أبى منهما حبسه حتى يختار أحدهما .

---

(١) تفسير التبيان ٢ : ٢٢٥ وتفسير مجمع البيان ١ : ٣٢٢.

(٢) تفسير العياشي ١ : ١١٢ الحديث : ٣٣٩ وتفسير البرهان ١ : ٢١٧.

(٣) يراجع تعليقنا على كلمة «باءو» في الآية ٦١ من هذا السورة .

(٤) في مجمع البحرين ماده «حنث» : «والحنث في اليمين نقضها والنكث فيها» ، وفي التنزيل سورة ص : ٣٨/ ٤٤ : «وخذ بيدك ضغثاً فاضرب به ولاتحنث انّا وجدناه صابراً» .

[٢٢٧] ـ ﴿وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ﴾ صمّموا قصده ثم أوقعوه ﴿فَإِنَّ اللهَ سَمِيعٌ﴾ لطلاقهم ﴿عَلِيمٌ﴾ بضمائرهم.

[٢٢٨] ـ ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ﴾ أي: الحرائر المدخول بهنّ من ذوات الأقراء؛ إذ حكم غيرهنَّ خلاف ما ذكر بمقتضى الأدلّة ﴿يَتَرَبَّصْنَ﴾ معناه الأمر والتّعبير بالخبر للتأكيد ﴿بِأَنْفُسِهِنَّ﴾ بعث لهنّ على الصّبر عن التّزويج بقمع نفوسهنّ الطّوامح الى الرّجال ﴿ثَلَاثَةَ﴾ مفعول به أو ظرف ﴿قُرُوءٍ﴾ جمع قرء، للطّهر والحيض، بالإشتراك أو الحقيقة والمجاز. والمراد به ـ هنا ـ الطهر ـ على الأصح ـ، وذكر «القروء» وهو للكثرة ـ والمقام للقلّة، وصيغتها: الاقراء ـ؛ لاستعمال كلّ من الجمعين مكان الآخر، أو أُوثر لكثرة استعماله ﴿وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ﴾ من الحمل أو الحيض إستعجالاً للعدّة وإبطالاً لحقّ الرّجعة. ويفيد قبول قولها في ذلك ﴿إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ الغرض منه: أنَّ كمال الإيمان يمنع من الكتمان، لاشتراط[1] تحريمه به ﴿وَبُعُولَتُهُنَّ﴾ جمع: بعل، وهو: الزوج، و«التاء» لتأنيث الجمع كالعمومة. والضّمير للرجعيّات، وهو أخصّ من المرجع، ويمكن تخصيص المرجع به وإن اختلف فيه ﴿أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ﴾ إلى النّكاح، أي: ليس الرجعة إلاّ لهم، فـ«أفعل» بمعنى: الفاعل ﴿فِي ذَلِكَ﴾: في زمان التربّص ﴿إِنْ أَرَادُوا﴾ بالرّجعة ﴿إِصْلَاحاً﴾ حث على قصد الإصلاح لهنّ ومنع من الضّرار، لا شرط للرّجعة؛ لصحتها مع قصد الضّرار ـ إجماعاً ـ وإن حرم ﴿وَلَهُنَّ﴾ على الرجال من الحقوق ﴿مِثْلُ الَّذِي﴾ لهم ﴿عَلَيْهِنَّ﴾ في الوجوب ـ لا في الجنس ـ ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾: بالوجه الذي لا ينكر شرعاً وعرفاً ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾: شرف وفضيلة؛ إذ يشاركنهم في اللذّة ويفضلونهن بالقيام عليهن والرعاية لهنَّ، أو زيادة في الحق.

---

(١) في «ب» و«ج»: لاشتراط، وكان في «الف» هكذا ايضاً الا أنّه صحح الى ما اثبتناه في المتن، وذكر معناه في تفسير البيضاوي ١: ٢٤٠ أيضاً.

وقد بينت الأخبـار حقوق الجانبين وزيادة حقـوق الرجل.[١] حتى ورد فيهـا عـنه صلّى الله عليه وآلـه وسلّم: «لو كنـت آمراً أحـداً أن يسجد لأحـد، لأمرات المـرأة أن تسجد لزوجها».[٢] وإنّ إمرأة سألتـه عن حقّ الزّوج فذكـره لها، فقالت: «فمـا لي من الحق مثل ما له عليَّ؟ فقال: لا، ولا من كل مائة واحدة»[٣] ﴿وَاللهُ عَزِيزٌ﴾ قادر على ما يشاء ﴿حَكِيمٌ﴾ فاعل بمقتضى الحكمة.

[٢٢٩]ـ ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ﴾ أي: التّطليق الشّرعي تطليقة بعد تطليقة على التّفريق لا الجمع، ولم يرد التثنيـة، أو: التطليق الرّجعي إثنتان. لمـا روي أنه صلّى الله عليه وآله وسلّم سئل: أين الثالثة؟ فقال صلّى الله عليه وآلـه وسلّم: «أو تسريح بإحسان»[٤] ﴿فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾ تخيير لهم بعـد تعليمهم كيفيّة التطليق بيـن إمساكهنّ بحسن المعـاشرة وتسـريحهنّ سراحـاً جميلاً كما علّمهـم، فهو حكم مبتـدأ، وعلى الثاني، معنـاه: فبعد التطليقتين الواجـبُ إمساك بالمراجعـة على وجه لا ينكر عـرفاً وشرعاً، أو تسريح بـإحسان بالطّلقة[٥] الثّالثـة، أو بأن لا يراجعهـا حتى تبين ــ وهو المروي عن الصادقين عليهما السّلام ـ[٦] ﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ﴾ من المهور ﴿شَيْئًا﴾ قيل: كانت زوجـة «ثابت بن قيس تبغضـه، فقالت للنبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم: لا أنا ولا ثابت بن قيس، لا يجمع رأسي ورأسه شيء، فنزلت.[٧]

واختلعت منه بحديقة أصدقها إيّاها، والخطاب للحكّام، واسند الأخذ والإعطاء اليهم لأنّهما بـأمرهم، أو: للأزواج وما بعـده للحكّام ﴿إِلَّا أَنْ يَخَافَا﴾ أي: الزّوجان

---

(١) ذكرت هذه الحقوق باسهاب في مكارم الأخلاق ٢١٣ـ٢١٨.

(٢) تفسير مجمع البيان ١: ٣٢٧.

(٣) تفسير مجمع البيان ١: ٣٢٧ وتفسير نورالثقلين ١: ٢٢٢ الحديث ٨٥٥ وتفسير البرهان ١: ٢٢٠.

(٤) تفسير التبيان ٢: ٢٤٤.

(٥) في «الف»: بالتطليقة.

(٦ـ٧) تفسير التبيان ٢: ٢٤٤ وتفسير مجمع البيان ١: ٣٢٧.

﴿أَلاّ يُقِيْمَا حُـدُودَ اللهِ﴾ ترك إقـامة أحكـامه ـ مـن لوازم الـزوجية ـ. وبنـى «حمزة»: «يخافـا» للمفـعول،[١] فـ«أن» بصلـتها بدل اشتـمال مـن الضـمير ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ﴾ أيّهـا الحكّام ﴿أَلاّ يُقِيمَا حُدُودَ اللهِ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيْمَا افْتَدَتْ بِهِ﴾ نفسها واختلعت به، ولو بأزيد من المهر ـ لعموم «مـا» ـ وعليه الأصحاب في الخلع، ومنعوا من الزائد في المباراة؛ للأخبار المخصصة للآية.[٢]

والمعنى: لا إثـم عليه فـي الأخذ ولا عليهـا في الإعطـاء وإن أثمت في إظهـار الكراهة ﴿تِلْكَ﴾ الأحكام المـذكورة ﴿حُدُودُ اللهِ فَلاَ تَعْتَـدُوهَا﴾ تجاوزوها بالمخالفة ﴿وَمَنْ يَتَعَدّ حُدُودَ اللهِ فَأُوْلَئِـكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ وظاهـرهـا تقيـيد الأخذ بالتّبـاغض من الجانبين وهو في المباراة لا الخلع؛ إذ شرطه البغض من المرأة فقط.

[٢٣٠] ـ ﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا﴾ الطـلاق المكرر المـذكور في: «الطـلاق مرّتـان»[٣] واستوفى نصابَه، أو الثالثة بعد المرتين ﴿فَلا تَحَلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ﴾: من بعد ذلك الطلاق ﴿حتَّى تَنْكِحَ﴾ تتزوج ﴿زَوْجاً غَيْرَهُ﴾ والنّكاح يُسند إلى كلّ منهما كالتّزويج، ويحتج ـ باسناده إليها ـ على عدم اعتبار الوليّ في البـالغة الرشيدة، وفيه كلام ولابدّ من الوطء، للأخبار[٤] والإجماع[٥] وشذّ اكتفاء «ابن المسيب»[٦] بالعقد وقـد يحمل النّكاح على الـوطء ويستفاد العقـد من: «زوجـاً» كدوامـه من ﴿فَإِنْ طَلَّقها﴾ الثّـاني ﴿فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِما أَنْ يَتَراجَعا﴾ أن يرجـع كل من الأوّل والمرأة إلى صـاحبه بـالزواج ﴿إِنْ ظَنَّا أَنْ

---

(١) حجة القراءات: ١٣٥.

(٢) وسائل الشيعة ١٥: ٤٩٣ الباب الرابع من كتاب الخلع والمباراة.

(٣) هذا بناءً على مذهب من جعل التسريح طلاقاً ـ راجع تفسير مجمع البيان ١: ٣٣٠ـ.

(٤) ذكر جملة منها في تفسير العياشي ١: ١١٦ الحديث ٣٦٤.

والكافي ٥: ٤٢٥ كتاب النكاح باب تحليل المطلقة لزوجها الحديث٤.

(٥) نقل الاجماع صاحب كنزالعرفان في ٢: ٢٨٠.

(٦) هو سعيد بن المسيّب.

﴿يُقِيْما حُدودَ اللهِ﴾ ما شرعه من لوازم الزّوجية. ولا وجه لتفسير الظنّ ـ هنا ـ بالعلم؛ إذ لا يعلم العواقب إلاّ الله، ولمنافاة «أن» الناصبة للعلم ﴿وَتِلْكَ﴾ الأحكام المذكورة ﴿حُدُودُ اللهِ يُبَيِّنُها لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ للعلماء المنتفعين بالبيان.

[٢٣١] ـ ﴿وَإذا طَلَّقْتُمُ النِّساء فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾: آخرِ عدَّتهن. والأجل يقال: للمدّة وآخرها، وأريد بالبلوغ: المقاربة؛ إذ لا إمساك بعد تقضّي الأجل ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾: راجعوهنّ من غير ضرار ﴿أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾: اتركوهنّ حتى تنقضي عدّتهن بلا ضرار، وكرّر هذا الحكم للإهتمام به ﴿وَلا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَاراً﴾ لاتراجعوهن طلبَ الإضرار بهنّ، أو مضرّين، فنصب علّةً أو حالاً. كأنّ المطلّق يترك المطلّقة حتى تقارب الأجل ثم يراجعها لتطول العدة عليها، وهو: الضرار ﴿لِتَعْتَدُواْ﴾: لتظلموهنّ، أو تلجئوهنّ إلى الإفتداء ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾ بتعريضها للعذاب ﴿وَلا تَتَّخِذُواْ ءَاياتِ الله هُزُواً﴾ أي: جدّوا في رعايتها، والعمل بها، ولا تتهاونوا بها. يقال لمن لم يجدّ في الأمر: إنّما أنت هازيء ﴿وَاذكُرُواْ نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ﴾ بالإسلام ومحمد صلّى الله عليه وآله وسلّم فقابلوها بالشّكر ﴿وَما أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتابِ﴾: القرآن ﴿وَالْحِكْمَةِ﴾: السنّة، فاعملوا بهما ﴿يَعِظُكُمْ بِهِ﴾ بما انزل ﴿وَاتَّقُواْ اللهَ وَاعْلَمُوْا أَنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيْمٌ﴾ تهديد وتأكيد.

[٢٣٢] ـ ﴿وَإذا طَلَّقْتُمْ النِّساءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾: إنقضت عدّتهن، فالبلوغ على حقيقته للسّياق ﴿فَلا تَعضُلُوهُنَّ﴾: تمنعوهنّ ﴿أَنْ يَنكِحْنَ أَزْواجَهُنَّ﴾ الخطاب عام، أي: ليس لأحد ذلك، أو للأزواج الّذين يمنعون نساءهم بعد العدّة عن التّزويج ظلماً للحميّة لقوله: «إذا طلّقتم». أو للأولياء؛ لما روي: أنّ «معقل بن يسار» عضل أُخته أن ترجع إلى زوجها الأوّل بعقد جديد.[١]

ويحتج به على ثبوت الولاية على المرأة؛ إذ لو استقلت لم يكن لعضل الوليّ

(١) تفسير مجمع البيان ١: ٣٣٢.

معنى. وفيه: بعد تسليم السّبب، منع كون الأخ وليّا، ولو سلّم لم يستلزم كون الخطاب للأولياء، ولو سلّم لم يلزم من استقلالها عدم منع أحد لها ظلماً ﴿إذا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ﴾ أي: الخطّاب والنّساء ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ شرعاً، حال عن الواو، أو صفة مصدر محذوف، ويفيد جواز العضل عن غير الكفو ﴿ذلِكَ﴾ المذكور أيّها الجمع، أو: السّامع، أو: الرّسول ﴿يُوعَظُ بِهِ مَنْ كانَ مِنْكُمْ يُؤمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ إذ هو المنتفع به ﴿ذلِكُمْ﴾ أي: عملكم الموجب ما ذكر ﴿أَزْكَى﴾ خير ﴿لَكُمْ وَأَطْهَرُ﴾ من دنس الذّنوب ﴿وَالله يَعْلَمُ﴾ ما فيه الصّلاح ﴿وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ ذلك.

[٢٣٣] - ﴿وَالْوَالِداتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهنَّ﴾ خبر أُريد به: الأمر ـ مبالغةً ـ، وهو للنّدب أو الوجوب، فيخصّ فيما إذا تعذّر غير الأُمّ. وتخصيصها بالمطلّقات؛ إذ الكلام فيهن ـ بعيد[١] ﴿حَوْلَيْنِ كامِلَيْنِ﴾: نعت لرفع احتمال التّسامح ﴿لِمَنْ﴾ أي: هذا الحكم لمن ﴿أرادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾، أو: متعلق بـ «يرضعن»؛ إذ الأب يجب عليه الإرضاع، والامّ ترضع له غالباً.

وظاهره: أن أقصى مدّة الرضاع حولان، ولا يعتدّ به بعدهما، وجوازُ النّقص ويحدّ بأحد وعشرين شهراً، وبعض الأخبار يفيد جواز الزيادة على الحولين،[٢] وحدّها الأصحاب بشهر أو شهرين إذا اقتضتها المصلحة ﴿وَعَلى الْمَوْلُودِ لَهُ﴾ أي: الأب ـ إذ الولد يولد له، وعبّر به إشارة إلى المعنى الموجب للإرضاع. عليه ﴿رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ﴾ قيل: يفيد وجوب أُجرة المثل للأمّ، وقيل: المراد به نفقة الزوجية، وقد يخصّ بالمطلّقة[٣] ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ شرعاً وعرفاً بحسب وسعه كما نبّه عليه: ﴿لا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إلاّ وُسْعَها﴾ فلا تكلف ما لا تطيقه، كما ثبت امتناعه عقلاً ﴿لا تُضَارَّ وَالِدةٌ

(١) اذن كلمة: «الوالدات» تعمّ المطلقات وغيرهنّ.

(٢) كما ورد في وسائل الشيعة ١٥: ١٧٦الباب ٧٠ من ابواب احكام الاولاد الحديث٤.

(٣) قاله الضحاك والثوري ـ كما في تفسير التبيان ٢: ٢٥٦ وتفسير مجمع البيان ١: ٣٣٥.

بِوَلَدِها وَلا مَوْلُودٌ لَهُ بِولَدِهِ﴾ بيان له، أي: لا يكلف كلّ منهما الآخر ما ليس في وسعه. ورفع «ابن كثير» و«أبو عمرو» «تضار»[١] وأصله ـ على القراءتين ـ: «تضارر» بالكسر، أو الفتح ـ بناءً للفاعل أو المفعول ـ، أي: لا يضار كلّ منهما الآخر بالتعديء إلى ما لا يجوز بسبب الولد.

وعلى الكسر جاز كونه بمعنى: «يضرّ»، والباء صلته، أي: لا يضرّ الوالدان بالولد فتسيء الأمّ تعهّده، ويقصّر الأب في حقه، واضافته اليها تارة واليه اخرى استعطاف لهما عليه، وحثّ على عدم التّقصير في حقّه ﴿وَعَلى الْوارِثِ مِثْلُ ذلِكَ﴾ الّذي وجب على الأب، عطف على: «وعلى المولود له» وما بينهما اعتراض للبيان.

و«الوارث»: وارث الأب، وهو الولد، أي: مؤن المرضعة من ماله إذا مات أبوه، أو: الباقي من الأبوين ـ وهو: الأُمّ ـ، ورثة الأب،[٢] وقيل: ورثة الصبي[٣] وكلاهما ضعيف ﴿فَإِنْ أَرادا﴾ أي الوالدان ﴿فِصالاً﴾ قبل الحولين أو بعدهما، صادراً ﴿عَنْ تَراضٍ مِنْهُما وَتَشاوُرٍ﴾ مشتملٍ على مصلحة الطفل.

والتشاور: استخراج الرأي ـ مِن: «شريت العسل» أي: استخرجته ـ ﴿فَلا جُناحَ عَلَيْهِما﴾ فيه واشترط رضا الأب لولايته، والأمّ لأحقيّتها بالتّربية، وهي أعلم بحال الصّبي ﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا﴾ المراضع ﴿أَوْلادَكُمْ﴾ إسترضع كـ«أرضع» ينصب مفعولين، حذف أحدهما للإستغناء عنه ﴿فَلا جُناحَ عَلَيْكُمْ﴾ فيه، ويفيد أنّ للأب إسترضاع غير الأمّ، لكنه مقيّد بما إذا لم يستلزم الإضرار بها؛ للنهي عنه ﴿إِذا سَلَّمْتُمْ﴾ إلى المراضع ﴿ما ءاتَيْتُمْ﴾: ما أردتم اعطاؤه. وقرأ «ابن كثير»: «أَتَيْتُمْ»[٤]

---

(١) حجة القراءات: ١٣٦.

(٢) قاله قبيصة بن ذؤيب ـ كما في تفسير مجمع البيان ١: ٣٣٥ـ.

(٣) قاله الحسن وقتادة والسدي ـ كما في تفسير مجمع البيان ١: ٣٣٥ـ.

(٤) حجة القراءات: ١٣٧.

من: «أتى جميلاً» أي: فعله ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ شرعاً، صلة «سلّمتم» وجواب الشّرط يعلم مّما قبله. وليس التّسليم شرطاً لجواز الإسترضاع بل أُريد الحثّ على ما هو الأصلح للطّفل ﴿وَاتَّقُواْ اللهَ﴾ بالمحافظة على حدوده سيّما في أمر الأطفال والمراضع ﴿وَاعْلَمُوْا أَنَّ اللهَ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ وعد ووعيد.

[٢٣٤] ــ ﴿والَّذينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُون أَزواجاً يَتَرَبَّصْنَ﴾ أي: بعدهم، كقولهم: «السمن منوان بدرهم»: أو: أزواج الذين يتوفون يتربصن ﴿بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْراً﴾ أُنّث باعتبار الليالي وتدخل الأيام معها، ولم يذكروا في مثله قطّ، حتى أنّهم يقولون: «صمت عشراً».

والحكم يعمّ الصغيرة والكبيرة، والمدخول بها وغيرها، والمسلمة والكتابية.

وامّا الحامل: فبأبعد الأجلين؛ لإجماعنا والأخبار[1]

والوضع عندهم لآية: ﴿وَأُولاَتُ الْأَحْمالِ﴾[2] وخصّت عندنا بالطّلاق.

ثم منّا من أدخل المتمتع بها في الحكم، ومنّا من نصّف لها المدّة، وكذا الخلاف في الأمة، وأخبارنا مختلفة في كلّ منهما ﴿فَإِذا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾: انقضت عدتهنَ ﴿فلا جُناحَ عَلَيْكُمْ﴾ أيها الحكّام أو المسلمون ﴿فِيْما فَعَلْنَ في أَنْفُسِهِنَّ﴾ من التعرض للخطّاب ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ الّذي لا ينكر شرعاً، ويفهم أنّ عليهم منعهنّ لو فعلن ما ينكر، فان قصّروا أثموا ﴿وَاللهُ بِما تَعْمَلُونَ خَبيرٌ﴾ ترغيب وترهيب.

[٢٣٥] ـ ﴿وَلاَ جُناحَ عَلَيْكُمْ فِيما عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّساء﴾ المعتدات غير الرجعيّات. والتعريض: إيهام المقصود بما لم يوضع له حقيقةً ولا مجازاً، كقول السائل: جئتك لأزورك، والكناية: الدلالة على الشيء بذكر لوازمه كـ«كثير الرّماد» للمضياف.

---

(١) وسائل الشيعة: ١٥: ٤٥٥ باب ٣١ من ابواب العدد.

(٢) سورة الطلاق: ٦٥/ ٤.

والخِطبةِ بالكسر ـ: طلب المرأة. وتعريض خطبتها، أن يقول لها: أنت جميلة، وربّ راغب فيك، ونحوه ﴿أَوْ أَكْنَنْتُمْ في أَنْفُسِكُمْ﴾ أضمرتم ي قلوبكم بلا تصريح ولا تعريض ﴿عَلِمَ اللهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ﴾ لرغبتكم فيهنَّ فلا تصبرون على الكتمان.

وفيه نوع توبيخ وحذف، أي: فاذكروهن، ليتّجه استدراك ﴿وَلكِنْ لا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرّاً﴾: جماعاً لأنّهُ يُسَرّ، أو: لا تواعدوهنّ في السرّ بما يستهجن ﴿إلاّ أَنْ تَقُولُوا قَوْلاً مَعْرُوفاً﴾ وهو: التعريض بلا تصريح. والاستثناء من محذوف، أي: لا تواعدوهن مواعدةً إلاّ مواعدةً معروفةً، أو: بقول معروف. وقيل: منقطع من «سرّاً»[1] ويلزمه كون التعريض موعوداً وليس كذلك، ويفيد: جواز تعريض خطبة المعتدّة وحرمة تصريحها ﴿وَلا تَعْزِمُواْ عُقْدَةَ النِكاحِ﴾ ذكر العزم مبالغة في النّهي عن العقد أي: لا تعزموا عقد عقدة النكاح ﴿حتّى يَبْلُغَ الْكِتابُ أَجَلَهُ﴾ ينقضي المكتوب من العدّة ﴿وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ ما فِي أَنْفُسِكُمْ﴾ من العزم ﴿فَاحْذَرُوهُ﴾ ولا تعزموا ما لا يجوز ﴿وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللهَ غَفُورٌ﴾ لمن عزم ولم يفعل خشية الله ﴿حَلِيمٌ﴾: يمهل العقوبة.

[٢٣٦] ـ ﴿لاَ جُناحَ﴾: لا تبعة ﴿عَلَيْكُمْ﴾ من مهر، أو: لا إثم. رفع لتوّهم منع الطّلاق قبل المسيس ﴿إنْ طَلَّقْتُمُ النِّساءَ ما لَمْ تَمَسُّوهُنَّ﴾: تجامعوهن. وقرأ «حمزة» و«الكسائي»: «تماسوهنّ»[2] ﴿أَوْ تَفْرِضُواْ لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ أي: وتفرضوا، أو: إلاّ أن تفرضوا. أي: لا تبعة على المطلّق من المهر ما لم يمسّ المطلقة، ولم يسمّ لها مهراً؛ إذ مع المسّ عليه المسمّى، أو مهر المثل، وبدونه مع التسمية نصف المسمّى، فمنطوقها ينفي وجوب المهر في الصورة الأولى، ومفهومها يثبته في الجملة في الأخيرتين ﴿وَمَتِّعُوهُنّ﴾ عطف على مقدر، أي: فطلّقوهنّ ومتّعوهنّ، وتقدير

---

(١) نقل هذا القول البيضاوي في تفسيره وضعّفه، ينظر تفسير البيضاوي ١: ٢٤٨.

(٢) حجة القراءات: ١٣٧.

المتعة بحسب حال الزوج لقوله ﴿عَلى الْمُوْسِعِ﴾ من له سعة ﴿قَدَرُهُ﴾ بالسّكون، أو الفتح ـ على القراءتين ـ، ما يطيقه ﴿وَعَلى الْمُقْتِرِ﴾: الضيق الحال ﴿قَدَرُهُ﴾ والمتوسّط داخل في أحدهما. والمحكم في التقدير: العرف، ولا ينافيه ما قدّره الأصحاب لكلّ من الأقسام فوجبت المتعة للمطلقة قبل المسّ، والفرض بالمنطوق، وانتفى وجوبها لغيرها بالمفهوم ﴿مَتاعاً﴾: تمتيعاً ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ شرعاً وعرفاً بحسب المروءة ﴿حَقّاً﴾: واجباً، أو حقّ ذلك حقّاً ﴿عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾ إلى أنفسهم بالإمتثال، أو إلى المطلّقات بالتمتيع. سمّوا بالمشارفة محسنين ترغيباً.

[٢٣٧] ـ ﴿وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ ما فَرَضْتُمْ﴾ أي: فعليكم، أو: فالواجب نصف المسمى، ودلّ على أنّ الجناح المنفيّ آنفاً تبعة المهر ﴿إِلاّ أَنْ يَعْفُونَ﴾ أي: المطلّقات عن حقّهنّ كلاً أو بعضاً. والصيغة للمؤنث ووزنها «يفعلن» ولا اثر لـ«أن» فيها؛ لبنائها وتأتي للمذكّر، ووزنها «يفعون» بحذف اللام ﴿أَوْيَعْفُوا﴾ عطف على محلّ «يعفون» ﴿الَّذي بِيَده عُقْدَةُ النِّكاحِ﴾: الوليّ اذا كانت صغيرة او غير رشيدة ـ إذ له العفو إذا اقتضته المصلحة، لكن لا عن الكلّ ـ عند الأصحاب ـ.

وقيل: الزوج؛[1] لأنه المالك لحلّه وعقده. وعفوه أن يسوق اليها المهر كملاً، وفيه بعد ﴿وَأَن تَعْفُواْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوى﴾ خطاب للأزواج، فعلى الأوّل: لمّا ذكر عفو المرأة ووليّها ذكر عفو الزّوج، وعلى الثّاني: أُعيد ذكره تأكيداً، وجمع بإعتبار كلّ زوج أو للزوجين معاً بتغليب الذّكورة ﴿وَلاَ تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾: ولا تتركوا أن يتفضّل بعضكم على بعض ﴿إن اللهَ بِما تَعْمَلُونَ بَصيرٌ﴾ عليم.

[٢٣٨] ـ ﴿حَافِظُوْا عَلى الصَّلَوَاتِ﴾ بأدائها لأوقاتها بحدودها، وكأنَّ الأمر بها خلال أحكام الأولاد والأزواج لئلا تلهيم عنها ﴿وَالصَّلَوةِ الْوُسْطَى﴾ بينها، أو

(١) قاله سعيد بن المسيّب وقتادة والضحاك . . . كما في تفسير مجمع البيان ١: ٣٤٢.

الفضلى، وخصّت بعد التّعميم لفضلها، واختلف في تعيينها وبكلّ واحدة من الخمس قائل.[1] وقيل: أخفيت ليهتمّ بالكلّ كـ«ليلة القدر»[2] ﴿وَقُومُواْ للهِ قَانِتِينَ﴾: داعين، أو ذاكرين أو: خاشعين أو: طائعين، أو: ساكتين. واحتج بها على وجوب القنوت في الصلاة، وفيه تأمّل، وعلى وجوب القيام والنيّة فيها، وليس ببعيد.

[٢٣٩] ـ ﴿فإنْ خِفْتُمْ﴾ عدوّاً أو غيره ولم يمكنكم الصلاة بشرائطها ﴿فَرِجَالاً﴾ جمع راجل ﴿أَوْ رُكْبَاناً﴾ أي: فصلّوا راجلين، أو راكبين على أيّ هيئة يمكنكم ﴿فَإذا أَمِنتُمْ﴾ من الخوف ﴿فَاذْكُرُواْ اللهَ﴾ صلّوا صلاة الأمن، أو: اشكروه على الأمن ﴿كَما﴾ ذكرا مثل ما ﴿عَلَّمَكُمْ﴾ من الشرائع، أو: شكراً يوازيه. و«ما» موصولة أو مصدرية ﴿ما لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ﴾ موصولة أو موصوفة.

[٢٤٠] ـ ﴿والّذينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزواجاً وَصِيَّةً لِأَزْواجِهِمْ﴾ نصبها «أبو عمرو» و«ابن عامر» و«حمزة» و«حفص» بتقدير: يوصون وصية، أو: الزموا وصيةً. ورفعها الباقون بتقدير: وحكم الذين يتوفون وصيّةٌ، أو: عليهم وصيّة.[3] ﴿مَتَاعاً إلى الْحَوْلِ﴾ نصب بـ«يوصون» ـ ان قدّر ـ، وإلاّ فبـ«وصية» ﴿غَيْرَ إخْراجٍ﴾ بدل منه، أو: حال من أزواجهم، أي: غير مخرجات، والمعنى: أنّه يجب على المقاربين للوفاة أن يوصوا بأن تتمتع أزْواجهم بعدهم حولاً بالنّفقة والسّكنى. قال الطبرسي: اتفق العلماء على أن الآية منسوخة.[4]

ونقل عن «الصادق» عليه السّلام: نسخها بـ«أربعة اشهر وعشراً»، ولعلّه متأخّر نزولاً ـ وإن تقدم تلاوةً ـ، وبآية المواريث، ولعلّ النسخ لوجوب الوصية دون الجواز

---

(١) ذكرت الاقوال مع تسمية قائليها في تفسير التبيان ٢: ٢٧٥ وتفسير مجمع البيان ١: ٣٤٣.

(٢) قاله الربيع بن خثيم وابوبكر الوارق ـ كما في تفسير مجمع البيان ١: ٣٤٣ـ.

(٣) ذكر ذلك في حجة القراءات: ١٣٨.

(٤) تفسير مجمع البيان ١: ٣٤٥.

﴿فَإِنْ خَرجْنَ﴾ من منـزل الزوج ﴿فَلا جُناحَ عَلَيْكُمْ﴾ أيّها الحكّـام أو الأولياء للميت ﴿فِيْما فَعَلْنَ في أَنْفُسِهِنَّ﴾ من ترك الحداد ﴿مِنْ مَعْروفٍ﴾ شرعاً. ويفيـد أنّها كانت مخيّرة بين ملازمـة المـنزل والحداد وأخـذ النفقة، وبين الخروج وتركها ﴿وَاللهُ عزيزٌ﴾ لا يقهر ﴿حَكيمٌ﴾ يفعل للمصلحة.

[٢٤١] ـ ﴿وَلِلْمُطَلَّقاتِ مَتاعٌ بِالْمَعْـرُوفِ حَقاً عَلى الْمُتَّقِينَ﴾ قيل: عمم وجوبَ المتعة لكل مطلقة بعد إيجابها لواحدة منهنّ.[١]

وعنـدنـا أنّ العمـوم مخصص بـالآيـة السـابقـة، وقيـل: التمتيع يعـمّ الـواجبَ والمندوب، وقيل: أُريد به نفقة الزوجة.[٢]

[٢٤٢] ـ ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُـمْ ءَايَاتِهِ﴾ دلائله وأحكـامه تبييناً مثـل ذلك التبيين للأحكام المذكورة ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾: تستعملون عقولكم فيها.

[٢٤٣] ـ ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تقرير لمـن سمع بقصّتهم، أو: الخطاب عامّ ـ لأنّـه كالمثل في التّعجـب ـ. ﴿إلى الَّـذينَ خَرَجُـواْ مِنْ دِيـارِهِمْ﴾: أهل «داوردان» قـريـة قبـل «واسط»[٣] هربوا من الطاعون فأماتهم الله ثم أحياهم، ليعلموا أن لامفرّ من حكمه.

أو: قوم مـن بني اسرائيل دعـاهم ملكهم إلى الجهـاد ففرّوا ﴿وَهُمْ أُلُوفٌ﴾ كثيرة ﴿حَذَرَ الْمَوتِ﴾ مفعول له ﴿فَقالَ لَهُمُ اللهُ مُوتُواْ﴾ أي: فأماتهم. وعبرَّ به تنبيهاً على أنّهم ماتوا مـوتة رجل واحد بمشيئته تعالى، وفيـه تشجيع للمسلمين على الجهاد؛ إذ الـموت لا مفرّ مـنه، وأفضـلـه الشّـهادة ﴿ثُمَّ أَحْياهُمْ﴾ قيل: مرّ علـيهم «حزقيل» عليه السّلام: وقد عريـت عظامهم، وتقطّعت أوصالهم، فتعجب منهـم، فأوحي إليه:

(١) قاله سعيد بن جبير وابوالعالية والزهري ـ كما في تفسير مجمع البيان ١: ٣٤٥ـ.

(٢) قاله ابو علي الجبائي ـ كما في تفسير مجمع البيان ١: ٣٤٥ـ.

(٣) تقع شـرقيّ واسط، وبينهـا وبين«واسط» فرسـخ، كما في معجـم البلدان ٢: ٤٢٤ ـ بـاب الدال والالفـ.

نادِ فيهم أن قوموا بإذن الله، فنادى، فقاموا.[١]

وعن الباقر عليه السّلام: أنّهم ردّوا وعاشوا ما شاء الله ثم ماتوا بآجالهم[٢] ﴿إِنَّ اللهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ﴾ كإحياء أُولئك ليعتبروا، واقتصاص خبرهم لتستبصروا ﴿وَلكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَشْكُرُونَ﴾ له حق شكره.

[٢٤٤] ـ ﴿وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللهِ﴾ لما بيّن أن الفرار من الموت غير منج لهم، أمرهم بالقتال في دينه؛ لأنّه إن قدر موتهم فازوا بالشهادة وإلاّ فبالثواب ﴿وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللهَ سَمِيعٌ﴾ لأقوالكم ﴿عَلِيمٌ﴾ بضمائركم.

[٢٤٥] ـ ﴿مَنْ﴾ استفهامية مبتدأ، ﴿ذَا﴾ خبره ﴿الَّذِي﴾ صفته ـ أو: بدل ـ ﴿يُقْرِضُ اللهَ﴾: ينفق في طاعته، أو: يعمل لوجهه، فإقراضه تمثيل لتقديم ما يطلب به ثوابه ﴿قَرْضاً حَسَناً﴾: إقراضاً خالصاً لوجهه، أو مقرضاً حلالاً طيّباً ﴿فَيُضاعِفَهُ لَهُ﴾ فيضاعف جزاءه.

وصيغة المفاعلة للمبالغة ونصبه «عاصم» جواباً» للإستفهام؛[٣] إذ المعنى أيقرض الله أحد؟ وشدّده «ابن كثير» بلا ألف رافعاً، «وابن عامر» ناصباً[٤] ﴿أَضْعَافاً﴾ جمع ضعف، نصب حالاً من الضّمير المنصوب، أو مصدراً على انّ الضعف اسم للمصدر، وجمع للتنويع، أو مفعولاً ثانياً لتضمن المضاعفة التصيير ﴿كَثِيرَةً﴾ لايحصيها إلاّ الله ﴿وَاللهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ﴾: يقتر على قوم ويوسع على قوم حسب المصلحة، فلا تبخلوا عليه بما وسّع عليكم، لئلا يقترّ عليكم، وقريء بالسين والصّاد،[٥] واختلف النّقل فيهما[٦] ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ تأكيد للجزاء.

---

(١) ذكر قصتهم الطبرسي في تفسير مجمع البيان ١: ٣٤٧ عن جماعة من المفسرين.

(٢) تفسير مجمع البيان ١: ٣٤٧.

(٣ـ٤) تفسير مجمع البيان ١: ٣٤٨.

(٥) تفسير مجمع البيان ١: ٣٤٨.

(٦) حجة القراءات: ١٣٩.

[٢٤٦] ـ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ﴾ جماعة الأشراف ﴿مِنْ بَنِي إِسْرائيلَ﴾ «من» للتّبعيض ﴿مِنْ بَعْدِ مُوسَى﴾ من بعد وفاته، و«من» للابتداء ﴿إِذْ قالُواْ لِنَبيٍّ لَهُمُ﴾: «شمعون» أو: «يوشع» أو: «اشمويل» ﴿ابْعَثْ لَنَا مَلِكاً نُقَاتِلْ فِي سَبيلِ اللهِ﴾ أنهض للقتال معنا أميراً نصدر في تدبيره عن رأيه. وجزم «نقاتل» على الجواب ﴿قالَ هَلْ عَسَيْتُمْ﴾ وكسر «نافع»: «السين»[1] ﴿إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتالُ﴾ شرط فصل بين «عسى» وخبره وهو: ﴿أَلاّ تُقاتِلُواْ﴾ استفهم عمّا هو متوقع عنده من جبنهم عن القتال تقريراً ﴿قالُواْ وَمالَنَا أَلاَّ نُقاتِلَ﴾ وأيّ داع لنا إلى ترك القتال ﴿في سَبيلِ اللهِ وَقَدْ أُخْرِجْنا مِنْ دِيارِنا وَأَبْنائِنا﴾ وذلك أن «جالوت» و«العمالقة» كانوا يسكنون ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين، فغلبوا على ديار بني اسرائيل وسبوا ذراريهم ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتالُ تَوَلَّواْ إِلاّ قليلاً مِنْهُمْ﴾ ثلاثمائة وثلاثة عشر، عدد أهل بدر ﴿وَاللهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمينَ﴾ في ترك القتال، وعيد لهم.

[٢٤٧] ـ ﴿وَقالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ﴾ اسم عبريّ كـ«جالوت» ـ لا «فَعَلُوتَ» من الطُوْلِ، لمنع صرفه ـ، قيل: لما دعا الله نَبِيَّهُمْ أنْ يُمَلّكهم أتى بعصا يُقاس بها من يملك، فلم يساوها إلاّ «طالوت»[2] ﴿مَلِكاً قَالواْ أَنَّى﴾: من أين ﴿يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنا وَنَحْنُ﴾ أي: أنّا ﴿أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ﴾ وراثةً. قيل: إنّه كان من سبط «بنيامين» ولم يكن فيهم الملك والنبوّة، وإنما كان الملك في سبط «يهوذا» والنبوّة في سبط «لاوي» وكان فيهم خَلْق من السبطين[3] ﴿وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمالِ﴾ ولابدّ للملك من مال يعتضد به.

---

(١) حجة القراءات: ١٣٩.

(٢) قاله السدي ـ كما في تفسير روح المعاني ٢: ١٤٣ـ.

(٣) ينظر تفسير مجمع البيان ١: ٣٥٢، برواية عن الحلبي عن أبي عبدالله(ع) ـ ينظر تفسير العياشي ١: ١٣٢.

قيل: كان سقاءً أو دبّاغاً، فأنكروا تملكه لسقوط نسبه وفقره،[١] فردّ عليهم ﴿قالَ إِنَّ اللهَ اصْطَفاهُ﴾: اختاره ﴿عَلَيْكُمْ﴾ وهو أعلم بالمصالح منكم ﴿وَزادَهُ﴾ ما هو أنفع مما ذكرتم ﴿بَسْطَةً﴾: سعة ﴿فِي الْعِلْمِ﴾ ولا يتمّ أمر السّياسة إلاّ به ﴿وَالْجِسْمِ﴾ إذ الجسيم أعظم في النّفوس، وأقوى على مكابدة الحروب. كان إذا مدّ الرجل القائم يده نال رأسه ﴿وَاللهُ﴾ له الملك ﴿يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشاءُ وَاللهُ واسِعٌ﴾ الفضل ﴿عَلِيمٌ﴾ بمن يصلح للملك.

[٢٤٨] ـ ﴿وَقالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ﴾ حين طلبوا منه الحجّة على تمليك الله «طالوت»: ﴿إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ﴾: الصندوق «فَعَلُوت» من التّوب؛ لرجوع ما يخرج منه اليه غالباً، وهو صندوق التوراة.

وقيل: إنه المنزل على أمّ موسى لتقذفه به في اليمّ،[٢] وكان من شمشاد[٣] مموّهاً بالذّهب، نحواً من ثلاثة أذرع في ذراعين[٤] ﴿فِيهِ﴾ في إتيانه ﴿سَكِينَةٌ﴾ سكون وطمأنينة لكم ﴿مِنْ رَبِّكُمْ﴾ أو في التّابوت أي مودع فيه ما تسكنون اليه وهو التّوراة، وكان موسى عليه السّلام إذا قاتل قدّمه فتسكن نفوسهم ويثبتون، أو: صورة لها وجه كوجه الإنسان فيها ريح هفّافة[٥] أو آية يسكنون اليها ﴿وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسى وَءَالُ هٰرُونَ﴾ رضراض الألواح،[٦] وعصا موسى، وثيابه، وعمامة هرون.

---

(١) نقله الزمخشري في تفسير الكشّاف ١: ٣٧٩.

(٢) ذكره الطبرسي في تفسير مجمع البيان ١: ٣٥٣ عن علي بن ابراهيم في تفسيره.

(٣) هو خشب الشمشاد.

(٤) ذكره البيضاوي في تفسيره ١: ٢٥٣.

(٥) الهفافة مؤنث الهفاف. وهي الريح الطيبة.

(٦) في «الف»: رضاض، والرضراض: فتات الالواح، وهي مكسوراتها.

وآلهما: أنفُسُهما،[١] والآل مقحم،[٢] أو: أنبياء بني يعقوب لأنّهم بنو عمّهما ﴿تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ﴾ قيل: رفعه الله تعالى لما استخفّوا به بعد موسى، فنزلت به الملائكة وهم يشاهدونه[٣] وقيل: كان بعده فيهم يستفتحون به فأفسدوا فغلبهم الأعداء عليه، وبقي فيهم إلى أن بعث «طالوت» فابتلوا بالموت والوباء، فتشاءموا به، فوضعوه على ثورين، فساقهما الملائكة إلى طالوت[٤] ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ من كلام نبيّهم، أو خطاب من الله تعالى.

[٢٤٩] ـ ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ﴾ أصله فصل نفسه، فكثر فحذف[٥] مفعوله، وصار كاللّازم، أي: انفصل عن بلده ﴿بِالْجُنُودِ﴾ وكانوا ثمانين ألفاً، اختارهم إذ لم يخرج إلاّ الشّاب النشيط الفارغ، وكان الوقت قيظاً[٦] فشكوا قلّة المياه ﴿قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ﴾: معاملكم معاملة المختبر ﴿بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي﴾ فليس من جملتي أو فليس بمتّحدٍ بي ﴿وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ﴾: لم يذقه ﴿فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ﴾ استثناء من «فمن شرب» ﴿غُرْفَةً بِيَدِهِ﴾ فيه قراءتان:[٧] الضّم بمعنى المعروف، والفتح مصدر، والمعنى: الرّخصة في القليل دون الكثير ﴿فَشَرِبُوا مِنْهُ﴾ كرعوا فيه[٨] ﴿إِلَّا

---

(١) يعني: مما ترك موسى وهارون، يقول العرب آل فلان، يريدون نفسه ـ كما في تفسير مجمع البيان ١: ٣٥٣ـ.

(٢) اي: اقحم كلمة «الآل» في العبارة، تفخيماً لشأن موسى و هارونكما في تفسير البيضاوي ١: ٢٥٤.

(٣) قاله ابن عباس والحسن ـ كما في تفسير مجمع البيان ١: ٣٥٣ـ.

(٤) نقل هذا القول كل من الطبرسي في تفسير مجمع البيان ١: ٣٥٣ والزمخشري في تفسير الكشّاف ١: ٣٨٠.

(٥) كذا ورد في النسخ والصحيح كما في تفسير البيضاوي ١: ٢٥٤: ـ واصله فصل نفسه عنه، ولكن لما كثر حذف مفعوله صار كاللازم ـ.

(٦) القيظ: شدّة الحر.

(٧) ذكرتا في حجة القراءات: ١٤٠.

(٨) يقال: كرع في الماء او الاناء: اذا مد عنقه وتناول الماء بفيه من موضعه.

﴿قَلِيْلاً مِنْهُمْ﴾ القليل كانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر، وقيل أكثر.[1]

روي أنّ من اقتصر على الغرفة رَوي، ومن استكثر غلب عطشه وعجز عن المضي[2] ﴿فَلَمّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذينَ ءَامَنُواْ مَعَهُ﴾ القليل ﴿قالُواْ﴾ أي: بعضهم لبعض ﴿لا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بجَالُوتَ﴾ جبّار من العمالقة من ولد «عمليق بن عاد» ﴿وَجُنُودِهِ﴾ لكثرتهم ﴿قالَ الَّذينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلاقُواْ اللهِ﴾ وهم الخلّص منهم، الّذين يتيقنون لقاء ثواب الله، أو: القليل: المؤمنون، وضمير «قالوا» للكثير المخالفين، كأنهم تقاولوا به والنّهر بينهما ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ﴾ فرقة ﴿قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللهِ﴾ بأمره ونصره و«كم» خبرية: أو: استفهامية ﴿واللهُ مَعَ الصَّابِرينَ﴾ بالنّصر.

[٢٥٠] ـ ﴿وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجالُوتَ وَجُنُودِهِ قالُوا رَبَّنا أَفْرِغْ﴾: صبّ ﴿عَلَيْنا صَبْراً وَثَبِّتْ أَقْدَامَنا﴾ في مداحض الحرب[3] ﴿وانْصُرْنا عَلَى الْقَوْمِ الْكافِرينَ﴾ بذلك وبإلقاء الرّعب في قلوبهم.

[٢٥١] ـ ﴿فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللهِ﴾ بنصره ﴿وَقَتَلَ داوُودُ جالُوت﴾ كان «ايشا» في جند طالوت مع ستة من بنيه وكان داود سابعهم وأصغرهم يرعى الغنم، فأوحى الله إلى نبيهم: انّه الذي يقتل جالوت، فطلبه من أبيه، فأتى فقالت له ثلاثة احجار في طريقه: إنّك تقتل جالوت بنا، فحملها ورماه بها، وقتله وزوّجه طالوت بنته ﴿وءَاتَاهُ اللهُ الْمُلْكَ﴾ في الأرض المقدّسة، ولم يجتمعوا على مُلْكِ قبل داود ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾: النبوّة ﴿وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشاءُ﴾ كمنطق الطير والسّرد ﴿وَلَوْلا دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بعْضَهُمْ بِبَعْضٍ﴾ أي: لولا أن يدفع بعض النّاس ببعض، أو: ينصر المسلمين على الكفّار ويكفّ بهم فسادهم ﴿لَفَسَدَتِ الأَرْضُ﴾ بغلبة المفسدين فيها ﴿وَلكِنَّ اللهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعالَمِينَ﴾ في دينهم ودنياهم.

---

(١) قاله السدي ـ كما في تفسير مجمع البيان ١: ٣٥٥.

(٢) اخرجه ابن ابى حاتم عن ابن عباس ـ كما في روح المعاني: ٢: ١٤٧.

(٣) المداحض: المساقط والمزالق.

[٢٥٢] ـ ﴿تِلْكَ﴾ القصص المذكورة من خبر الألوف وتمليك طالوت وآيته، ونصر جنده، وقتل جالوت ﴿ءَاياتُ اللهِ﴾ : دلالاته ﴿نَتْلُوها عَلَيْكَ بِالْحَقِّ﴾ : بالصدق الذي لا يشك فيه أحد ﴿وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ لإخبارك بها ولم تقرأ ولم تسمع.

[٢٥٣] ـ ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ﴾ إشارة إلى جماعة الرّسل المذكورة في السّورة، أو: المعلومة له صلّى الله عليه وآله وسلّم ﴿فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلى بَعْضٍ﴾ بمنقبة تخصّه دون غيره ﴿مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللهُ﴾ تفضيلاً له، وهو موسى عليه السّلام ﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجاتٍ﴾ فضّله على غيره بمراتب متفاوتة، وهو محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم حيث خصّ بفضائل لا تحصى كالعلوم الوافرة، والآيات الباهرة، والحجج المتكاثرة، والدعوة العامة، والمعجزة المستمرّة القائمة.

والابهام لتعظيم قدره كأنه العَلَم المتميّز بهذا النعت فلا يشتبه ﴿وَءَاتَيْنا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّناتِ وَأَيَّدْناهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ خصّه وموسى بالذّكر لوضوح معجزاتهما العظيمة التي بها فُضّلا ﴿وَلَوْ شَآءَ اللهُ﴾ مشيئةَ إلجاءٍ ﴿مَا اقْتَتَلَ الَّذينَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ من بعد الرّسل ﴿مِنْ بَعْدِ ما جاءَتْهُمُ الْبَيِّناتُ﴾ : الحجج الواضحة، لاختلافهم في الدين وتكفير بعضهم بعضاً ﴿وَلكِنِ اخْتَلَفُواْ فَمِنْهُمْ مَنْ ءَامَنَ﴾ بتوفيقه ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ﴾ بخذلانه ﴿وَلَوْ شَآءَ اللهُ مَا اقْتَتَلُواْ﴾ كرر تأكيداً ﴿وَلكِنَّ اللهِ يَفْعَلُ ما يُرِيدُ﴾ من العصمة والخذلان.

[٢٥٤] ـ ﴿يا أَيُّهَا الَّذينَ ءَامنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْناكُمْ﴾ مما وجب انفاقه ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لا بَيْعٌ فِيهِ﴾ حتى يمكنكم تدارك ما فاتكم بابتياع ما تنفقونه ﴿وَلا خُلَّةٌ﴾ حتى يسامحكم به أخلاّؤكم ﴿وَلا شَفاعَةٌ﴾ إلاّ لمن اذن له الرّحمان حتّى تتكلوا على شفيع يشفع لكم في حطّ ما في ذممكم. وفتح «ابن كثير» و«أبو عمرو» ثلاثتها، ورفعها الباقون[1] ﴿وَالْكافِرُونَ﴾ أي: التاركون للزكاة. عبّر عنهم بالكافرين تغليظاً ﴿هُمُ

---

(١) حجة القراءات: ١٤١.

﴿الظَّالِمُونَ﴾ لأنفسهم.

[٢٥٥] ـ ﴿اللهُ لا إلهَ إلاّ هُوَ﴾ مبتدأ وخبر. والمعنى أنّه المستحقّ للعبادة لا غيره ﴿الْحَيُّ﴾ الذي يصحّ أن يعلم ويقدر ﴿الْقَيُّومُ﴾: الدائم القيام بتدبير خلقه وحفظه ﴿لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ﴾: فتور يتقدم النوم فلذلك قدمت على ﴿وَلا نَوْمٌ﴾ والقياس العكس، والجملة نفي للتشبيه، وتأكيد لـ«القيّوم». إذ لا تدبير ولا حفظ لمن ينعس أو ينام؛ ولذا فصلت كالّتي بعدها ﴿لَهُ ما في السَّمَواتِ وَما في الْأَرْضِ﴾ تقرير لقيوميّته، وإثبات لتوّحده بالألُوهيّة: وما فيهما يعمّ ما دخل في حقيقتهما وما خرج عنهما متمكناً فيهما ﴿مَنْ ذَا الَّذي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إلاّ بإذْنِهِ﴾ بيان لكبريائه، أي: لا أحد يتمالك يوم القيامة أن يشفع لأحد إلاّ إذا أذِن له ﴿يَعْلَمُ ما بَيْنَ أَيْديْهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾: ما قبلهم وما بعدهم، أو عكسه، أو أُمور الدّنيا وأُمور الآخرة أو عكسه، والضمير لـ«ما في السموات والأرض» تغليباً للعقلاء، أو لما دلّ عليه «من ذا» من الملائكة والأنبياء ﴿وَلا يُحيطُونَ بِشَيءٍ مِنْ عِلْمِهِ﴾ من معلومه ﴿إلاّ بِما شاءَ﴾ أن يعلموه ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمواتِ وَالْأَرْضَ﴾ كرسيُّه: علمه، أو: ملكه، تسمية باسم محلّ العالم، أو: الملك، أو: العرش، أو جسم دونه، محيط بالسّماوات، وهو في الأصل: اسم لما يُجلس عليه، ولا يفضل عن مقعد القاعد ﴿وَلا يَؤُدُهُ﴾: لا يثقله من الأود أي العوج ﴿حِفْظُهُما﴾ حفظ السّماوات والأرض ﴿وَهُوَ الْعَليُّ﴾ عن المثل والندّ ﴿اَلْعَظيمُ﴾ الشأن، ولاشتمال الآية على توحيده تعالى، وأُصول صفاته الكمالية، ونعوته الجلالية.

ورد في شأنها ما ورد؛ كقوله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «من قرأ آية الكرسي في دبر كلّ صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة إلاّ الموت ولا يواظب عليها إلاّ صدّيق أو عابد.

ومن قرأها إذا أخذ مضجعه أمّنه الله على نفسه وجاره، وجار جاره». [١]

(١) تفسير جوامع الجامع ١: ١٤٠ وفي آخره: والابيات حوله.

وقال الباقر عليه السّلام: «من قرأ آيـة الكرسيّ مـرّة، صرف الله عنه ألف مكـروه من مكاره الدنيا، وألف مكروه من مكاره الآخرة، أيسـر مكروه الدّنيا: الفقر، وأيسر مكروه الآخرة: عذاب القبر»[١] إلى غير ذلك.

[٢٥٦] ـ ﴿لا إكْراهَ في الدِّينِ﴾ أي: لم يجر الله أمر الإيمـان على الإجبار، ولكن على الإختيار ﴿قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ تميّز الايمان من الكفر بالدلائل الواضحة.

وقيل: إخبار، معناه النّهي، أي: لا تكرهوا في الدين.[٢]

وهو إمّا عام نسخ بآية السيف،[٣] أو خاص بالذّميين.

قيل: كان لأنصاري إبنان فتنصّرا قبل البعثة ثم قـدما المدينة فقال أبوهما: والله لا أدعكما حتـى تُسلما، فاختصمـوا إلى النبيّ صلّى الله عليـه وآلـه وسلّم فنزلت[٤] ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ﴾ فعلوت من الطغيـان، مقدم اللاّم، وهو: الشيطان أو: مـا عبد من دون الله ﴿وَيُؤْمِنْ بِاللهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ﴾ تمسّك ﴿بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقى﴾: المحكمة، تمثيل للمعلوم بالنّظـر بالمحسوس ﴿لاَ انْفِصامَ﴾ لا انقطــاع ﴿لَهـا وَاللهُ سَمِيعٌ﴾ للأقوال ﴿عَلِيمٌ﴾ بالضمائر.

[٢٥٧] ـ ﴿اللهُ وَلِيُّ الَّذينَ ءَامَنُوا﴾ متولي أمـر الّذين أرادوا أن يؤمنوا أو: نـاصرهم باللّطف ﴿يُخرِجُهُمْ﴾ بلطفه ﴿مِنَ الظُّلُماتِ إِلـى النُّورِ﴾: من الكفر إلـى الإيمان. والجملة خبر ثاني أو استئناف، بيان للولاية، أو الله ولى المؤمنين يخرجهم من الشبهة في الدّيـن، إن عرضت لهم بتـوفيقه لحلّها إلى نـور اليقين ﴿وَالَّذينَ كَفَرُواْ﴾ صمموا

(١) رواه العياشي في تفسيره ١: ١٣٦ عن ابي عبدالله عليه السّلام.

(٢) قاله مجاهد كما في تفسير مجمع البيان ١: ٣٦٣.

(٣) آية السيـف هو قـوله تعالـى: «فإذا انسلخ الأشهـر الحرم فـاقتلوا المشركيـن حيث وجدتمـوهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كلَّ مرصدٍ» (سورة التوبة: ٩/ ٣).

(٤) تفسير مجمع البيان ١: ٣٦٣.

على الكفر ﴿أَوْلياؤُهُمُ الطَّاغُوتُ﴾ : الشيطان، أو: رؤوس الضَّلالة ﴿يُخْرِجُونَهُمْ﴾ بوسوستهم إليهم ﴿مِنَ النُّورِ إلى الظُّلُماتِ﴾ : من الإيمان إلى الكفر، أو: من نور البيّنات إلى ظلمات الشّبهات. وقيل: نزلت في قوم ارتدّوا عن الإسلام[1] ﴿أُوْلَئِكَ أَصْحابُ النّارِ هُمْ فِيْها خالِدُونَ﴾ وعيد.

[٢٥٨] - ﴿أَلَمْ تَرَ إلى الَّذي حاجَّ إِبْراهِيمَ في رَبِّهِ﴾ تعجيب من محاجة «نمرود» وكفره ﴿أَنْ ءَاتَاهُ﴾ : لإن آتاه ﴿اللهُ الْمُلْكَ﴾ ما تسلّط به من المال والخدم، لا التّسلّط،[2] أو: ملّكه إبتلاءً للعباد، أي: أبطره الإيتاء فحاجّ لذلك، أو: حاجّ لأجله، أي: وضع المحاجّة موضع الشكر على ذلك أو: وقته ﴿إِذْ قالَ إِبْراهِيمُ﴾ ظرف لـ«حاجّ» أو بدل من «أنْ آتاهُ» إن أُريد به الوقت ﴿رَبّي الَّذي يُحْيِي وَيُمِيْتُ﴾ يخلق الحياة والموت. وحذف «حمزة» «ياء»، «ربّي»[3] ﴿قالَ أنا أُحْيِي وَأُمِيْتُ﴾ : أُعفي من القتل وأقتل، وقرأ «نافع»: أنا بالألف[4] ﴿قالَ إِبْراهيمُ فَإِنَّ اللهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِها مِنَ الْمَغْرِبِ﴾ لم يجب إبراهيم معارضته، لظهور فسادها؛ إذ المراد من الإحياء والإماتة خلقهما - لا الإبقاء والقتل -، وعدل إلى دليل لم يمكنه التمويه فيه.

وعن الصادق عليه السّلام: «ان ابراهيم قال له: فَأحي من قتلتَه إن كنت صادقاً»،[5] ثم استظهر عليه بما احتجّ به ثانياً.

قيل: لما كسّر ابراهيم عليه السّلام الأصنام، سجنه أياماً ثم أخرجه ليحرقه فقال له: من ربّك الّذي تدعو اليه؟، وحاجّه فيه[6] ﴿فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾ : صار مبهوتاً ملزماً

---

(١) قاله مجاهد - كما في تفسير مجمع البيان ١: ٣٦٥.

(٢) في «الف»: لا التسليط.

(٣-٤) حجة القراءات: ١٤٢.

(٥) تفسير مجمع البيان ١: ٣٦٧ وجوامع الجامع ١: ١٤١.

(٦) نقله البيضاوي في تفسيره ١: ٢٦٠ - ٢٦١.

﴿وَاللهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ لأنفسهم بإبائهم قبول الهداية، أو: لا يهديهم إلى المحاجّة؛ أو: إلى الجنّة.

[٢٥٩] ـ ﴿أَوْ كالَّذي مَرَّ﴾ تقديره: أو رأيت مثل الّذي، فحذف لدلالة «ألم تر» عليه، أو: الكاف مزيدة، والتقدير: ألم تر إلى الّذي حاجّ أو، الذي مرّ. وهو «عزير بن شرحيا» أو: «أرميا» أو: «الخضر» عليه السّلام. وقيل: كافر بالبعث.[1] ﴿عَلَى قَرْيَةٍ﴾ هي بيت المقدس حين خرّبه «بخت نصّر» أو: الّتي خرّج منها الألوف ﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا﴾: خالية ساقطة حيطانها على سقوفها ﴿قَالَ أَنَّى﴾ ظرف أو: حال، أي: متى أو: كيف ﴿يُحْيِي هَذِهِ اللهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ إقرار بالعجز عن معرفة طريق الإحياء ـ إن كان القائل مؤمناً ـ، أو: استبعاد ـ إن كان كافراً ـ ﴿فَأَمَاتَهُ اللهُ﴾ فلبث ﴿مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ﴾: أحياه ﴿قَالَ﴾ الله تعالى ـ أسمعه صوتاً، أو: ملك، أو نبي ـ: ﴿كَمْ لَبِثْتَ﴾ ـ بالإدغام، وفكّه ـ ﴿قالَ﴾ ـ قول الظّانّ ـ: ﴿لَبِثْتُ يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾.

وقيل: أميت ضحىً وبعث بعد المائة آخر النهار، فقال ـ ولم يعاين الشمس ـ: يوماً، ثم التفت ورأى بقيةَ مِنها فقال: «أو بعض يوم»[2] ﴿قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلى طَعَامِكَ﴾ قيل: كان تيناً أو: عنباً[3] ﴿وَشَرابِكَ﴾ كان عصيراً أو: لبناً ﴿لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾: لم يتغير بمرّ السنين، أُخذ من السّنة، ولامها إمّا: هاء ـ فالهاء أصلية ـ، أو: واو ـ فهاء السكت ـ، وأُفرد الضمير لأنّ الطعام والشّراب كالجنس الواحد. وجد الكلَّ على حاله ﴿وَانْظُرْ إِلى حِمَارِكَ﴾ أي: إلى عظامه أو: إليه، سالماً كما ربطته، أعشناه بلا ماء وعلف ﴿وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِلنَّاسِ﴾ فعلنا ذلك.

---

(١) قاله مجاهد ـ كما في تفسير روح المعاني ٣: ١٨ـ.

(٢) قاله قتادة كما في تفسير الطبري ١: ٢٥.

(٣) نقل هذا القول كل من القمي في تفسيره ١: ٨٦ وتفسير العياشي في تفسيره ١: ١٤٠ وينظر تفسير البرهان ١: ٢٤٨.

قيل: إنّه رجع إلى قومه على حماره، فقال: أنـا عزير فَكَذَّبوه، فأملى التوراة عن حفظه، وكان «بخت نصر» أحرقها، وكان جدّه دفنها، فأخرجها وعارضوها بما أملى، فما حـرم حرفاً، فقالـوا: هو «ابن الله». [١] قيل: رجع وهـو شاب وأولاده شيـوخ فإذا حدّثهم بحديث قالوا: حديث مائة سنة. [٢]

وعن علـيّ عليه السّلام: «أنّـه خلّف امرأتـه حـاملاً ولـه خمسون سنـة فرجـع ابن خمسين، ولإبنه مائة»[٣] ﴿وَانْظُرْ إلى العِظامِ﴾: عظام الحمـار أو: أهل القـرية أو: عظامه. أحيا الله عينه فنظر ﴿كَيْفَ نُنْشِزُها﴾ ـ بالمهملة ـ: نحييها، و ـ المعجمة ـ: نرفع بعضها علـى بعض للتركيب. والجملة حال من العظام، أي: انظـر اليها محياةً ﴿ثُمَّ نَكْسُوها لَحْماً فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ﴾ أمر الاحياء، أو: كمـال قدرة الله تعالى ﴿قالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَديرٌ﴾ وقرأ «حمزة» و«الكسائي»: «إعْلَمْ»[٤] ـ أمراً مِن مخاطبه، أو: من نفسه تبكيتاً ـ.

[٢٦٠] ـ ﴿وَإذْ قـالَ إبْراهِيمُ رَبِّ أَرِنـي كَيْفَ تُحْيِي الْمَـوْتى﴾ سأل ذلـك ليعلم عيـاناً. روي: أنّـه رأى جيفةً تأكـل منها سبـاع البرّ، ودوابّ البحـر، فقال: ربي قـد علمت انك تجمعها مـن بطون هذه، فأرني كيف تحييهـا لأعاين ذلك[٥] ﴿قالَ أَوَ لَمْ تُؤْمِنْ﴾ بأنّي قادر على الإحياء؟. قال له ذلك وقد علم أنّه أرسخ النّاس إيماناً ليجيب بما أجـاب؛ فيعلم السّامعون غـرضه ﴿قالَ بلى﴾ آمنت ﴿وَلكِنْ﴾ سألت ﴿لِيَطْمَئِنَّ قَلْبي﴾: يزداد يقينـاً وسكونـاً بانضمـام العيان إلـى الإستدلال ﴿قالَ فَخُـذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ﴾ جمع طائر كـ«صحب لصاحب»، أو مصدر سمّي بـه. وهي طاووس وديك

---

(١) نقله البيضاوي في تفسيره ١: ٢٦٢.

(٢ـ٣) تفسير مجمع البيان ١: ٣٧٠.

(٤) حجة القراءات: ١٤٤.

(٥) تفسير مجمع البيان ١: ٣٧٢ وتفسير العياشي ١: ١٤٢وروضة الكافي: ٣٠٥.

وحمامة وغراب ﴿فَصُرْهُنَّ﴾ اضممهنّ ﴿إِلَيْكَ﴾ لتتأملها. وكسر «حمزة»: الصاد[١] ﴿ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا﴾ أي: ثم جزّئهنّ، وفرق أجزاءهنّ على الجبال، وكانت عشرة ـ عن الصادق عليه السّلام ـ.[٢] وقيل: سبعة.[٣] وقيل: أربعة[٤] ﴿ثُمَّ ادْعُهُنَّ﴾ قل لهن: تعالين بإذن الله ﴿يَأْتِينَكَ سَعْياً﴾ساعيات مسرعات طيراناً أو مشياً.

روي: أنه أُمر أن يذبحها، وينتف ريشها، ويقطعها، ويخلط أجزاءها، ويفرقها على الجبال، ويمسك رؤسها، ثم يدعوهنّ ففعل، فجعلت أجزاء كلّ واحد تجتمع حتى صارت جثثاً، ثم أقبلن فانضممن إلى رؤسهن[٥] ﴿وَاعْلَمْ أَنَّ اللهَ عَزِيزٌ﴾: لايعجزه شيء ﴿حَكِيمٌ﴾ في افعاله وأقواله.

[٢٦١] ـ ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ في سَبيلِ اللهِ﴾ في وجوه البرّ، أي مثل نفقتهم ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ﴾ أو مثلهم كمثل باذر حبّة ﴿أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ في كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ﴾ أسند الإنبات الى الحبّة لأنها سبب ـ كالماء والأرض ـ والمنبت هو الله تعالى.

والتمثيل بذلك لا يقتضي وجوده، وقد يوجد في الدخن[٦] ونحوه، وفي البرّ في أرض قوية ﴿وَاللهُ يُضاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ﴾ لا يضيق عليه ما شاء من الزيادة ﴿عليمٌ﴾ بمن يستحقها بنيّته، وقدر إنفاقه.

[٢٦٢] ـ ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ في سَبيلِ اللهِ ثُمَّ لا يُتْبِعُونَ ما أَنْفَقُواْ مَنّاً﴾ هو: أن

---

(١) حجة القراءات: ١٤٥.

(٢) تفسير العياشي ١: ١٤٢و١٤٤.

(٣) قاله السدي وابن جريج ـ كما في تفسير مجمع البيان ١: ٣٧٣ـ.

(٤) قاله ابن عباس والحسن وقتادة ـ كما في تفسير مجمع البيان ١: ٣٧٣ـ.

(٥) جوامع الجامع ١: ١٤٤.

(٦) الدخن ـ كقفل ـ: نبات حبّه صغير أملس.

يعتدّ بإحسانه على من أحسن إليه[١] ﴿وَلا أَذًى﴾ هو: أن يتطاول عليه بسبب إنعامه عليه. و«ثمّ» للتفاوت بين الإنفاق وترك المنّ والأذى ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلاخَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

[٢٦٣] ـ ﴿قَوْلٌ مَعْرُوفٌ﴾: ردّ جميل ﴿وَمَغْفِرَةٌ﴾ ستر على السائل، أو: عفو عن إلحافه،[٢] أو: نيل مغفرة من الله بالرّد الجميل ﴿خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُها أَذًى﴾ خبرلهما. وصحّ الإبتداء بالنكرة للوصف ﴿وَاللهُ غَنِيٌّ﴾ عن إنفاقكم ﴿حَليمٌ﴾ لايعجل بعقوبة من يمنّ ويؤذي.

[٢٦٤] ـ ﴿يا أَيُّها الَّذينَ ءَامَنُواْ لا تُبْطلُواْ صَدَقاتِكُمْ﴾ أجرها ﴿بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾ المنافيين للإخلاص المستحقّ به الثواب ﴿كَالَّذي يُنْفِقُ مالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ﴾ كإبطال المنافق المرائي بإنفاقه، أو: مماثلين للمرائي و«رئاء» مفعول له، أو: حال، أي: مرائياً، أو: مصدر، أي: إنفاقاً رئاءاً ﴿وَلا يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَومِ الْآخِرِ﴾ لا يصدّق بثواب الله في الآخرة ﴿فَمَثَلُهُ﴾ فمثل المرائي ﴿كَمَثَلِ صَفْوانٍ﴾ حجر أملس ﴿عَلَيهِ تُرابٌ فَأَصابَهُ وَابِلٌ﴾ مطر عظيم القطر ﴿فتَرَكَهُ صَلْداً﴾: اجرد، لا تراب عليه ﴿لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُواْ﴾ لا يجدون ثواب ما عملوا رئاءاً. والضمير لـ«الذي ينفق» مراداً به الجنس أو الفريق ﴿وَاللهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكافِرِيْنَ﴾ لا يقسرهم على الطاعة.

وفيه تعريض بأنّ المنّ، والأذى، والرئاء، من صفات الكافر لا المؤمن.

[٢٦٥] ـ ﴿وَمَثَلُ الَّذينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضاتِ اللهِ وَتَثْبيتاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ وليثبّتوا بعضها على الإيمان، فإنّ المال شقيق الروح، فمن بذل ماله لله تعالى ثبّت بعض نفسه، ومن بذل ماله وروحه ثبتها كلّها.

أو: تصديقاً للإسلام وتحقيقاً للجزاء مبتدءاً من أصل أنفسهم ﴿كَمَثَلِ جَنَّةٍ﴾

---

(١) نقله البيضاوي في تفسيره ١: ٢٦٣.

(٢) الالحاف: الالحاح كما سيذكره المصنف في تفسير الآية ٢٧٣ من هذه السورة.

أي: ومثل نفقتهم كمثل بستان ﴿بِرَبْوَةٍ﴾: بمكان مرتفع؛ إذ شجره أنْضر وثمره أكثر. وفتح «عاصم» و«ابن عامر»: الراء، وضمّها الباقون[1] ﴿أَصابَها وَابِلٌ﴾: مطر عظيم القطر ﴿فَآتَتْ أُكُلَها﴾ ثمرتها. وسكّنه «ابن كثير» و«نافع» و«أبوعمرو»[2] ﴿ضِعْفَيْنِ﴾: مثلي ما كانت تثمر بسبب الوابل، وقيل: أربعة أمثاله[3] ونصب حالاً، أي مضاعفاً ﴿فَإِنْ لَمْ يُصِبْها وَابِلٌ فَطَلٌّ﴾: فمطر صغير القطر يكفيها لكرم منبتها، أو: فيصيبها طلّ. والمعنى: أنّ نفقتهم زاكية عند الله لا تضيع بحال وإن تفاوتت باعتبار ما ينضمّ اليها من الأحوال.

أو: تمثيل حالهم عنده تعالى بجنّة بربوة، ونفقتهم الكثيرة والقليلة الزائدتين في أجرهم بالوابل والطلّ ﴿وَاللهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصيرٌ﴾ ترغيب في الإخلاص، وترهيب من الرياء.

[٢٦٦] ـ ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ﴾ الهمزة للإنكار ﴿أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنابٍ﴾ خصّا بالذكر لأنّهما أكرم أشجارها فغلّبا ﴿تَجْري مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ لَهُ فِيْها مِنْ كُلِّ الثَّمَراتِ﴾ يدلّ على احتوائها على سائر الأشجار ﴿وَأَصابَهُ الْكِبَرُ﴾ الواو للحال ﴿وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفاءُ﴾ صغار، عجزة عن الكسب، فهو للشيخوخة والعالة أحوج ما يكون إلى جنته ﴿فَأَصابَها إِعْصارٌ﴾ ريح مستديرة من الأرض نحو السماء كالعمود ﴿فِيْهِ نارٌ فَاحْتَرَقَتْ﴾ هذا مثل لمن يعمل الحسنات لا يريد بها وجه الله تعالى، فإذا اشتدت حاجته اليها في الآخرة وجدها محبَطَة فيتحسر حسرة صاحب الجنّة ﴿كَذلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ الْآياتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ فيها فتعتبرون بها.

[٢٦٧] ـ ﴿يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُواْ أَنْفِقُواْ مِنْ طَيِّباتِ ما كَسَبْتُمْ﴾ من جيّده أو: حلاله

(١ـ٢) حجة القراءات: ١٤٦.

(٣) نقل هذا القول البيضاوي في تفسيره ١: ٢٦٤ ولعلّه مبني على الخلاف في ان الضعف هل هو المثل اوالمثلان.

﴿وَمِمَّا أَخْرجْنا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ﴾ حذف المضاف لسبق ذكره، أي: ومن طيبات ما أخرجنا من الغلات والثمار والمعادن. والمراد: إمّا الإنفاق والفرض، أو ما يعمّه والنفل ﴿وَلا تَيَمَّمُواْ الْخَبِيثَ مِنْهُ﴾: ولا تقصدوا الرديء أو الحرام من المال مطلقاً ﴿تُنْفِقُونَ﴾ حال مِن فاعل «تيمّموا»، ويجوز تعلق «منه» به، والضمير للخبيث، والجملة حال منه ﴿وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ﴾ والحال أنكم لا تأخذونه في حقوقكم لخبثه ﴿إِلاّ أَنْ تُغْمِضُواْ فِيْهِ﴾ تتسامحوا في أخذه من «أغمض بصره» أي غضّه، وهذا يعضد إرادة الرديء ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ غَنِيٌّ﴾ عن إنفاقكم ﴿حَمِيْدٌ﴾ بقبوله.

[٢٦٨] - ﴿الشَّيْطانُ يَعِدُكُم الْفَقْرَ﴾ في الإنفاق ـ والوعد يأتي في الخير والشرّ ـ ﴿وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشاءِ﴾: بالبخل، والبخيل يسمىّ فاحشاً، أو: المعاصي ﴿وَاللهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ﴾ لذنوبكم ﴿وَفَضْلاً﴾: خلفاً أفضل مما أنفقتم في الدنيا والآخرة ﴿وَاللهُ وَاسِعٌ﴾ فضله للمنفق ﴿عَليمٌ﴾ بإنفاقه.

[٢٦٩] ـ ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ﴾: العلم النافع ﴿مَنْ يَشاءُ﴾ قدم ثاني المفعولين اهتماماً به ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ﴾ وكسر «يعقوب» التاء[1] أي: يؤته الله ﴿فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً﴾ تنكير تعظيم، أي: أيَّ خير كثير ﴿وَما يَذَّكَّرُ﴾ يتّعظ بالآيات ﴿إِلاّ أُوْلُواْ الأَلْبابِ﴾: ذووالعقول، العالمون العاملون.

[٢٧٠] - ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ﴾ حسنة أو قبيحة ﴿أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ﴾ في طاعة أو معصيةٍ ﴿فَإِنَّ اللهَ يَعْلَمُهُ﴾ فيجازيكم عليه ﴿وَما لِلظّالِمينَ﴾ الذين يمنعون الصدقات، أو ينفقون في المعاصي، أو ينذرون فيها، أو لا يفون بالنذر ﴿مِنْ أَنْصارٍ﴾ تمنعهم من عذاب الله.

[٢٧١] - ﴿إِنْ تُبْدواْ الصَّدَقاتِ فَنِعِمَّا هِيَ﴾ فنعم شيئاً ابداؤها. وفتح النون

---

(١) تفسير مجمع البيان ١: ٣٨٢.

«ابـن عامر» و«حمزة» و«الكسـائي» وكسرها الباقون[1] ﴿وَإِنْ تُخْفُوها وَتُؤْتُوها الْفُقَراءَ﴾ سرّاً ﴿فَهُوَ﴾ فالإخفاء ﴿خَيْرٌ لَكُمْ﴾ قيل: هـذا في النفل، لما روي مـن أولويـة إبداء الفرض[2] فـإن صح خصّـص الآيـة. وإلاّ فهي علـى عمـومهـا ﴿وَيُكَفِّرُ عَنْكُـمْ مِنْ سَيِّئاتِكُمْ﴾ قرأ «ابن عـامر» و«عاصم» ـ في رواية ـ: بالـياء والـرفع[3] والفـعل لله، و«ابن كثير» و«أبـو عمرو» و«عاصم» ـ في أخـرى ـ: بالنّون مـرفوعاً[4] خبر لمحذوف و«نافع» و«حمزة» و«الكسائي» مجـزوماً على محلّ الجزاء[5] ﴿وَاللهُ بِما تَعْمَلُونَ﴾ سرّاً وجهراً ﴿خَبِيرٌ﴾ عليم.

[٢٧٢] ـ ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُداهُمْ﴾: لا يجب عليك أن تجعلهـم مهديين، وإنّمـا عليك تبليغهم الأوامـر والنّواهي ﴿وَلكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَـنْ يَشاءُ﴾ يلطف بمن يعلـم أنه يصلح باللّطف ﴿وَما تُنْفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ﴾: مال ﴿فَلأَنْفُسِكُمْ﴾ ثوابه لا لغيركم، فلا تمنّوا عليه، ولا تنفقوا الخبيث ﴿وَما تُنْفِقُونَ إلاّ ابْتِغاءَ وَجْهِ اللهِ﴾ ليس نفقتكم إلاّ طلباً لرضى الله تعالى، أو: معنـاه النهي ﴿وَما تُنْفِقُواْ مِنْ خَيْـرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ﴾ ثوابه أضعافاً تأكيد[6] للشّرطية السّابقة ﴿وَأَنْتُمْ لا تُظْلَمُونَ﴾ لا تنقصون ثوابه، قيل: كان المسلمون يمتنعون من التصـدق على غـير أهـل دينهـم فـنزلت[7] وخصت بالنـفل؛ لمنع صـرف الفرض إلى الكافر.

[٢٧٣] ـ ﴿لِلفُقَراءِ﴾ أي: اعمدوا، أو: صـدقاتكـم للفقراء ﴿الَّذِينَ أُحْصِرُواْ في سَبِيلِ اللهِ﴾ أحصرهم الجهاد ﴿لاَ يَسْتَطِيْعُونَ﴾ لاشتغالهم به ﴿ضَرْباً﴾: ذهاباً ﴿في

(١) حجة القراءات: ١٤٦ ـ ١٤٧.

(٢) رواها الكليني في الكافي ٣: ٥٠١ والطبرسي في تفسير مجمع البيان ١: ٣٨٤ والحويزي في تفسير نور الثقلين ١: ٢٨٩.

(٣ـ٥) حجة القراءات: ١٤٧ ـ ١٤٨ والكشف عن وجوه القراءات ١: ٣١٦.

(٦) في الأصل والمطبوعة: تأكيدا ـ وهو خطأ ـ.

(٧) قاله ابن عباس وابن الحنفية وسعيد بن جبير ـ كما في تفسير مجمع البيان ١: ٣٨٥ـ.

﴿الْأَرْضِ﴾ للكسب. وقيل: هم أهل الصفّة وهم نحو من أربعمائة من فقراء المهاجرين كانوا في صفّة المسجد، دأبهم التعلّم والعبادة والخروج في كل سريّة يبعثها النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم[١] ﴿يَحْسَبُهُم الْجاهِلُ﴾ بحالهم ﴿أَغْنِياءَ مِنَ التَّعَفُّفِ﴾ من جهة امتناعهم عن المسألة ﴿تَعْرِفُهُمْ بِسِيْمَاهُمْ﴾ من الضعف ونحوه. والخطاب له صلّى الله عليه وآله وسلّم، أو: عام ﴿لا يَسْئَلُونَ النّاسَ إِلْحافاً﴾: الحاحاً. نصب مصدراً لأنّه سؤال خاص وهو أن يلازِم حتى يُعطى، أو: حالاً، والمعنى: لا يسألون وإن سألوا للضرورة لم يلحفوا، أو: نفي الأمرين ﴿وَما تُنْفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ ترغيب في الإنفاق.

[٢٧٤] ـ ﴿اَلْذينَ يُنْفِقُونَ أَموالَهُم بِالَيْلِ وَالَّنهارِ سرّاً وَعلانيَة﴾ يعمون الأوقات والأحوال واموالهم بالصَدقة.

نزلت في عليّ عليه السّلام لم يملك الاّ اربعة دراهم فتصدّق بواحدٍ ليلاً وواحد نهاراً وواحد جهراً.[٢]

وقيل في خيل المرابط،[٣] والظاهر الأول للأخبار والشهرة،[٤] لكنّها تعمّ كلّ من فعل ذلك والسبق له (ع) ﴿فَلَهُم أَجْرُهُمْ﴾ بالإستحقاق ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ ولاَخَوْفٌ﴾.

[٢٧٥] ـ ﴿الّذينَ يَأْكُلُونَ الرِّبواْ﴾: يأخذونه، وذكر الأكللأنّه أغلب منافع المال.

والرّبا: الزّيادة في المعاملة أجلاً أو عوضاً، وكتب كـ«الصلوة» ـ على لغة ـ تفخيماً، وأُلحق به[٥] الفاً تشبيهاً بواو الجمع ﴿لا يَقُومُونَ﴾ إذا حشروا من قبورهم ﴿إلاّ كَما يَقُومُ الَّذي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطانُ﴾ إلاّ قياماً كقيام المصروع. هذا على زعمهم أنَّ

(١) قاله الامام ابوجعفر محمّد الباقر عليه السّلام مارواه الطبرسي في تفسير مجمع البيان ١: ٣٨٧.
(٢) تفسير مجمع البيان ١: ٣٨٨.
(٣) قاله ابو امامة وابوالدرداء وآخرون ـ كما في تفسير روح المعاني ٣: ٤٤.
(٤) هي كثيرة متظافرة من الخاصة والعامة ينظر تفسير العياشي ١: ١٥١ وتفسير البرهان ١: ٢٥٧.
(٥) كلمة«به» زيادة منا اقتضاها السياق.

الشيطان يخبطه فيصرع .

والخبط : ضرب على غير استواء ﴿مِنَ الْمَسِّ﴾ : الجنون وهو ــ على زعمهم ـ : أنّ الجنيّ يمسّه فيختلط عقلـه ، يعني : أنّهم ينهضون ويسقطون كالمصـروعين ، لأنّه تعالى أربى في بطونهم الرّبـا فأثقلهم ، وتلك سيماهم في المحشر ﴿ذَلِكَ﴾ العقاب ﴿بِأَنَّهُمْ قالُواْ إِنَّمـا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَوا﴾ قاسـوا الربا على البيع ، قـالوا : كما جـاز بيع ما يساوي درهمـاً بدرهمين جاز بيع درهـم بدرهمين . [١] وكان الأصـل : إنّما الربـا مثل البيع ، ولكن عكس مبـالغة ، كأنّهم جعلـوا الربا أصـلاً ، وقاسوا بـه البيع ﴿وَأَحَلَّ اللهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الـرِّبَوا﴾ ردّ لقيـاسهـم ؛ إذ الأحكـام تبع للحكمـة فجـاز اختـلاف حكـم المتماثلين لحكمـة يعلمها الله ﴿فَمَنْ جآءَهُ مَوْعِظَةٌ﴾ : بلغـه وعظ ونهـي ﴿مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى﴾ : فاتّعظ ﴿فَلَهُ ما سَلَفَ﴾ أخـذه قبل النهي لا يلـزمـه ردّه ﴿وَأَمْرُهُ إِلى اللهِ﴾ يحكم في شأنـه ، ولا اعتراض لكم عليه ، أو يجـازيه على انتهائه إن اتعـظ لله تعالى ﴿وَمَنْ عادَ﴾ إلى الرّبا ﴿فَأُوْلئِكَ أَصْحابُ النّارِ هُـمْ فِيْها خالِدُونَ﴾ لكفـرهم بتحليـل ما حرم الله ، أو : أُريد المكث الطويل .

[٢٧٦] ـ ﴿يَمْحَقُ اللهُ الرِّبَواْ﴾ : يهلكه ويـذهب ببركته ﴿وَيُرْبِي الصَّدقاتِ﴾ ينمّيها بزيادة الثّواب والمال .

وفي الحديث : «إنّ اللهَ يربي الصّدقة كما يربي أحدكم مهره» . [٢]

وفيه : «ما نقصت زكـاة من مال قطّ» [٣] ﴿وَاللهُ لا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ﴾ : مصرّ على

---

(١) والفرق واضح : فان من اعطى درهمين بدرهم ضيّع درهماً ، واما من اشترى سلعة تساوي درهماً بدرهمين فلعل مساس الحاجة اليها . او ان توقّع رواجها يجبر هذا الغبن .

(٢) تفسير مجمع البيان ١ : ٣٩٠ وهو مروي عن النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم ، والمهر: ولد الفرس اول ماينتج من الخيل .

(٣) تفسير الكشّاف ١ : ٤٠١ ، وقريب منه ما في جوامع الجامع ١ : ١٥١ .

تحليل الحرام ﴿أَثِيمٍ﴾: متمادٍ في ارتكابه.

[٢٧٧] ـ ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحاتِ وَأَقامُواْ الصَّلَوةَ وَءَاتَوُا الزَّكَوةَ﴾ عطفهما على ما يعمّهما لفضلهما ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلا خَوفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

[٢٧٨] ـ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ اتَّقُوا اللهَ وَذَرُواْ﴾: واتركوا ﴿ما بَقِيَ مِنَ الرِّبَوا﴾ البقايا الّتي اشترطتم على النّاس وهي الرّبا. قيل: كان لـ«ثقيف» مال على بعض قريش، فطالبوهم عند المحلّ[1] بالمال والربا، فنزلت[2] ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ إن صحّ إيمانكم.

[٢٧٩] ـ ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ﴾ أي: فاعلموا بها، من «أذن به» أي: علم به. وقرأ «حمزة» و«عاصم» ـ في رواية ـ: «فآذنوا» أي: فَأَعْلِموا بها غيركم،[3] من الأُذن أي: الإستماع. وتنكير «حرب» للتعظيم، وحرب الله: حرب رسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم ﴿وَإِنْ تُبْتُمْ﴾ من الإرتباء ﴿فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوالِكُمْ لا تَظْلِمُونَ﴾ بأخذ الزّيادة ﴿وَلا تُظْلَمُونَ﴾ بالنّقصان.

[٢٨٠] ـ ﴿وَإِنْ كانَ﴾ وقع غريم ﴿ذُو عُسْرَةٍ﴾: إعسار ﴿فَنَظِرَةٌ﴾ فالواجب، أو: فعليكم إنظار ﴿إِلى مَيْسَرَةٍ﴾: يسار.

وعن الصادق عليه السّلام: «انّ حدَّ الإعسار أن لا يقدر على ما يفضل عن قوته وقوت عياله على الإقتصاد»[4] ﴿وَأَنْ تَصَدَّقُواْ﴾ بالإبراء ﴿خَيْرٌ لَكُمْ﴾ أكثر ثواباً من الإنظار، أو: خير ممّا تأخذون لبقاء ثوابه ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ الخير والشرّ، أو: ما في

---

(١) اي: الأجل.

(٢) تفسير مجمع البيان ١: ٣٩٢ وجوامع الجامع ١: ١٥١.

(٣) حجة القراءات: ١٤٨.

(٤) تفسير مجمع البيان ١: ٣٩٣.

التصدق من الأجر.

[٢٨١] ـ ﴿وَاتَّقُواْ يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلى اللهِ﴾: يوم القيامة، أو: يوم الموت فتأهّبوا للقائه. وفتح «أبو عمرو» التاء وكسر الجيم[١] ﴿ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ﴾ جزاءه خيراً كان أو شرّاً ﴿وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾ بنقص ثواب وزيادة عقاب.

روي: أنّها آخر آية نزل بها «جبرئيل» عليه السّلام وقال: «ضعها في رأس المائتين والثمانين من البقرة» وعاش الرسول بعدها أحداً وعشرين يوماً[٢] وقيل: سبعة أيّام.[٣]

[٢٨٢] ـ ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ إِذا تَدَايَنْتُمْ﴾: داين بعضكم بعضاً وتعاملتم ﴿بِدَيْنٍ﴾ بمعاملةِ أحدُ العوضين فيها مؤجّل. وذكر «الدّين» مع «تداينتم» تأكيداً، أو: لرفع توهّمه بمعنى: تجازيتم من أوّل الأمر.

وعن ابن عباس: أنها في السّلَم خاصة[٤] ﴿إِلى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ مؤقّت بالأيام والشّهور ـ لا بالحصاد ونحوه ـ ﴿فَاكْتُبُوهُ﴾ لأنّه أوثق. والأمر للإستحباب أو: الإرشاد ﴿وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بَالعَدْلِ﴾ بالسّويةِ ـ لا يزيد ولا ينقص ـ ويفيد اشتراط كونه فقيهاً أميناً ليتمَّ الغرض ﴿وَلاَ يَأْبَ كاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ﴾: لا يمتنع أحد من الكتابة ﴿كَما عَلَّمَهُ اللهُ﴾: مثل ما علمه من الكتابة بالعدل.

قيل: النهي للتّحريم، والكتابة فرض كفائي.[٥] وقيل: نسخ وجوبها بـ«ولايضارّ كاتب»[٦] ﴿فَلْيَكْتُبْ﴾ الكتابة المعلّمة. عقّب النهي عن الإمتناع منها بالأمر بها

---

(١) حجة القراءات: ١٤٩.

(٢) تفسير مجمع البيان ١: ٣٩٤.

(٣) قاله سعيد بن جبير ومقاتل ـ كما في تفسير مجمع البيان ١: ٣٩٤ـ الا ان فيه: «سبع ليالٍ» وذكر هذا القول واقوال اخرى: البيضاوي في تفسيره ١: ٢٦٩ والزمخشري في تفسير الكشّاف ١: ٤٠٢.

(٤) تفسير مجمع البيان ١: ٣٩٧.

(٥) قاله الشعبي والرماني والجبائي ـ كما في تفسير مجمع البيان ١: ٣٩٧ـ.

(٦) قاله الضحّاك ـ كما في تفسير مجمع البيان ١: ٣٩٧ـ.

تأكيداً ﴿وَلْيُمْلِلِ الَّذي عَلَيْهِ الْحَقُّ﴾ أي: المديون، لأنّه المشهود عليه.

والإملال: الإملاء. ﴿وَلْيَتَّقِ اللهَ رَبَّهُ﴾ في الإملال ﴿وَلا يَبْخَسْ مِنْهُ﴾ ولا ينقص من الحق ﴿شَيْئاً﴾ قدراً أو وصفاً ﴿فَإِنْ كانَ الَّذي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيْهًا﴾: ناقص العقل مبذّراً ﴿أَوْ ضَعِيفاً﴾: صبياً أو: شيخاً مختلاً ﴿أَوْلايَسْتَطَيْعُ﴾ أو غير مستطيع ﴿أَنْ يُمِلَّ هُوَ﴾ لخرسٍ أو جهل اللّغة ﴿فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ﴾ أي من يلي أمره كالأب والجدّ والوصيّ والحاكم والوكيل والمترجم، على تفصيل في محله ﴿وَاسْتَشْهِدْوا شَهِيْدَينِ﴾: اطلبوا أن يشهد شاهدان ﴿مِنْ رِجالِكُمْ﴾ المؤمنين.

ويفيد اشتراط بلوغ الشاهد وايمانه.

والأمر للإستحباب، أو: الإرشاد ﴿فَإِنْ لَمْ يَكُونا﴾ أي: الشّهيدان ﴿رَجُلَيْنِ فَرَجلٌ﴾ فليشهد رجل ﴿وَامْرَأَتانِ﴾ وهو مخصوص بالأموال ﴿مِمَّنْ تَرضَوْنَ مِنْ الشُّهَدَآءِ﴾ لعدالته عندكم. والقيد للجميع ﴿أَنْ تَضِلَّ إِحْدٰيهُما﴾ الشّهادة بأن تنساها ﴿فَتُذَكِّرَ إِحْداهُما الأُخْرى﴾ وعلّة اعتبار تعدّد المرأة: التذكير، لكن جعل الضّلال علّة لكونه سبباً له، كقولهم: «أعددت الخشبة أن يميل الحائط فأُدعمه» فكأنه قيل: إرادة أن تذكّر إحداهما الأُخرى إن ضلّت. ويشعر بنقص ضبطهن. وقرأ «حمزة» «إن تَضِلّ» ـ على الشّرط ـ، ورفع «فتُذكّرِ»، و«ابن كثير» و«أبو عمرو»: «فتذكر» من «الإذكار»[1] ﴿وَلا يَأْبَ الشُّهَداءُ إِذا ما دُعُواْ﴾ لإقامة الشّهادة أو تحمّلها.

وسمّوا «شهداء» لمجاز المشارفة. و«ما» مزيدة. وظاهر النهي: التحريم ﴿وَلا تَسْئَمُوا﴾: ولا تملّوا ﴿أَنْ تَكْتُبُوهُ﴾ أي: الدّين أو الحق ﴿صَغِيراً﴾ كان ﴿أَوْ كَبيراً إِلى أَجَلِهِ﴾ المسّمى ﴿ذٰلِكُمْ﴾ أي: الكتب ﴿أَقْسَطُ﴾: أعدل ﴿عِنْدَ اللهِ وَأَقْوَمُ﴾: وأثبت ﴿لِلشَّهادَةِ وَأَدْنى أَلاّ تَرْتابُواْ﴾: وأقرب إلى أن لا تشكّوا في قدر الدين وأجله ﴿إِلاّ أَنْ

(١) حجة القراءات: ١٥٠ وتفسير مجمع البيان ١: ٣٩٥ وتفسير البيضاوي ١: ٢٧٠.

تَكُونَ تِجارَةً﴾ نصبها «عـاصم» خبراً[1] أي: إلاّ أن تكـون التّجـارة تجـارةً ﴿حاضِرَةً﴾ حالّةً، وتعمّ المبايعة بعين ـ أو: دين ـ غير مؤجل، ولا يبعد تخصيصها بالأوّل.

ورفعها الباقون[2] ـ على «كان» التامة ـ أو: على انّها الإسم، والخبر: ﴿تُدِيرُونَها﴾ أي: تتعاطـونها ﴿بَيْنَكُمْ﴾ يـداً بيد والإستثنـاء مـن التّدايـن والتّعامـل، أي إن كـانت المعاملة بيعاً يداً بيد ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُناحٌ أَلاّ تَكْتُبُـوها﴾ لبعدها عـن الشك والتنازع ﴿وَأَشْهِدُوا إِذا تَبايَعْتُمْ﴾ مطلقاً للإحتياط. والأمـر للإستحباب أو: الإرشاد ﴿وَلا يُضارَّ كاتِبٌ وَلا شَهِيدٌ﴾ نهاهما عـن ترك الإجابة والتحـريف في الكتابة والشهـادة ـ إن بني للفاعـل ـ، أو: نهي عن الضـرار بهما باستعجـالهما عن مهمّ، أو: تكليف الكـاتب قرطاساً ونحـوه، أو: الشهيد مؤنة مجيئه من بلد ــ إن بني للمفعول ـ، ﴿وَإِنْ تفْعَلُوا﴾ المضارة ﴿فَإِنَّهُ فُسُوقٌ﴾: خروج عـن الطّاعـة، لاحق ﴿بِكُمْ وَاتَّقُـوا اللهَ﴾ في أوامـره ونواهيه ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ اللهُ﴾ ما فيه مصالحكم ﴿وَاللهُ بِكُلِّ شَيءٍ عَلِيْمٌ﴾ لعلّ تكرار لفظة «الله» في الجمل الثلاثة لكونه أدخل في التّعظيم من الضّمير.

[٢٨٣] ـ ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ عَلى سَفَرٍ﴾ مسافرين ﴿وَلَمْ تَجِدُوا كاتِباً فَـرِهانٌ مَقْبُوضَةٌ﴾ تقوم مقام الوثيقة، أو: فالوثيقة رهـان. وتقييد الإرتهان بالسفر وعدم وجدان الكاتب، خرّج مخرج الغالب.

واعتبــر الجـمهور ـ سوى «مالـك» ـ فيه القبض،[3] وعليه أكثر الأصحاب.

وادَّعى «الطبرسي» عليه الإجماع،[4] وكأنّه لـم يعتد بالخلاف. وقـرأ «ابن كثير» و«ابن عامر»: «فَرُهُنٌ»[5] كـ«سُقُفٌ» وكـلاهما جمع رهن، بمعنى: المـرهون. ﴿فَإِنْ

(١ـ٢) حجة القراءات: ١٥١.

(٣) ذكر ذلك البيضاوي في تفسيره ١: ٢٧١.

(٤) تفسير مجمع البيان ١: ٤٠٠.

(٥) حجة القراءات: ١٥٢.

أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضاً﴾: فإن وثق الدّائن بالمديـون ولم يرتهن منه ﴿فَلْيُؤَدِ الَّذي اؤْتُمِنَ أَمانَتَهُ﴾ أي: دينه الذي ائتمنه عليه، وسمي أمانةً لذلك. ﴿وَلْيَتَّقِ اللهَ رَبَّهُ﴾ في الخيانة ﴿وَلا تَكْتُمُواْ الشَّهادَةَ﴾ أيّها الشّهود ﴿وَمَنْ يَكْتُمْها﴾ مع تمكُّنه من أدائها ﴿فَإِنَّهُ ءَاثِمٌ﴾ خبر «إنّ» ﴿قَلْبُهُ﴾ فاعله، أو مبتدأ و«آثم» خبـره، والجملة خبر «إِنّ» وأُسند الإثم إلى القلب لأن الكتمـان فعله، أو: لأنـه رئيس الأعضـاء، فكأنـه قيل: تمكّن الإثـم في نفسه. وملك أشرف أعضائه ﴿وَاللهُ بِما تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ ترهيب.

[٢٨٤] ـ ﴿للهِ ما فِي السَّمـواتِ وَما فِي الْأَرْضِ﴾ ملكاً وخلقاً ﴿وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ﴾ من السّـوء ﴿أَوْتُخْفُوهُ يُحـاسِبْكُمْ بِهِ اللهُ﴾ في القيـامة ﴿فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشاءُ﴾ فضلاً ﴿وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَآءُ﴾ عدلاً، ولا يدخل ـ فيما يخفيه الإنسان ـ ما ليس في وسعه الخلوّ منه، كحـديث النفس، ولكن ما اعتقـده وعزم عليه[1] ولا ينافيه مـا اشتهر: انه لايعاقب بعزم المعصية، ويثاب بعزم الطّاعة، لجواز كونِ معناه: أنّه لا يعاقب عقابَ تلك المعصية وإن عوقب عقاب العزم، بخلاف عزم الطّـاعة فانّه يثاب به ثواب تلك الطاعـة تفضُّلاً منه تعـالى. ورفعهما[2] «ابن عـامر» و«عاصم» استئنـافاً، وجـزمهما البـاقون عطـفاً علـى الجـزاء[3] ﴿وَاللهُ عَلى كُلِّ شَيءٍ قَـديْـرٌ﴾ فيـقـدر عـلى المـغفرة والعذاب.

[٢٨٥] ـ ﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِما أُنزِلَ إِلَيْـهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ عطف على الرّسول ﴿كُلٌّ﴾ أي: كلّ واحـد منهم، فـالضّميـر المنويّ للـرسول والمـؤمنين، أو: مبتـدأ، والضمير للمؤمنين، والخبر: جملة: «كلّ» ﴿ءَامَنَ بِاللهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾. وقرأ «حمزة» و«الكسائي»: «وكتابِه»،[4] أي: القـرآن أو: الجنـس ﴿لاَ نُفَرِّقُ﴾ يقولون:

---

(١) يريد: لكن يدخل فيما يخفيه الإنسان ما اعتقده وعزم عليه. فيعاقب عليه.

(٢) اي: «يغفر» و«يعذب».

(٣) حجة القراءات: ١٥٢، والجزاء هو قوله تعالى: «يحاسبكم به الله».

(٤) حجة القراءات: ١٥٢.

لانفرّق: وقرأ «يعقـوب» بالياء،[1] والفعل لـ«كلّ»[2] ﴿بَيْنَ أَحَدٍ﴾ بمعنى: الجمـع ـ لوقوعه في سياق النفـي ـ، ولذلك دخل عليه «بين» ﴿مِنْ رُسُلِهِ﴾ أي نؤمن بجميعهم لا ببعض دون بعض ﴿وَقالُواْ سَمِعْنا﴾ قولك ﴿وَأَطَعْنا﴾ أمرك ﴿غُفْرانَكَ رَبَّنا﴾: إغفر غفرانك ﴿وإلَيْكَ الْمَصيرُ﴾: المرجع بعد الموت، وهو إقرار بالبعث.

[٢٨٦] ـ ﴿لا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إلاّ وُسْعَها﴾ إلاّ ما تتسـع فيه طاقتهـا، ولا تضيق عنه، أي: ما دونها ﴿لَها ما كَسَبَتْ﴾ من خيرٍ ﴿وَعَلَيْها ما اكْتَسَبَتْ﴾ من شرّ، لايثاب بطاعتها، ولا يؤاخذ بذنبها غيرها.

وخصّ الكسب بـالخير والإكتساب بـالشرّ، لأن في الإكتساب إعتمـالاً، والشرّ تشتهيه النّفـس الأمّارة، فهي أعمل فـي تحصيله بخـلاف الخير ﴿رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِـذْنَا إِنْ نَسِيْنَا أَوْ أَخْطأنَا﴾ إن تعرضنا لمـا يؤدي بنا إلى نسيان أو خطأ من تفـريط أو: إغفال، أو: إن تركنا، أو: أذنبنا، أو يكون الدّعاء بـه لاستدامة فضله تعالى كـ﴿إهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمْ﴾[3] ﴿رَبَّنَـا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْـراً﴾ عبءً[4] يأصـر حاملـه، أي: يحبسه مكانه لثقله، استعير للتكليف الشاق ﴿كَمَا حَمَلْتَهُ﴾ حملاً مثل حملك ﴿عَلَى الَّذِيْنَ مِنْ قَبْلِنَا﴾ كتكليف بني اسـرائيل بقتل الأنفس، وقطع مـوضع النّجاسة وغيـر ذلك[5] ﴿رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَـاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ من العقوبات ﴿وَاعْفُ﴾: وامح ﴿عَنّا﴾ ذنوبنا ﴿وَاغْفِرْ لَنَا﴾ واسترها ولا تفضحنا بها ﴿وَارْحَمْنَا﴾ وانعِم علينا ﴿أَنْتَ مَوْلنا﴾ الأولى بنا ﴿فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ فمن حقّ المولى أن ينصر عبيده على أعدائهم.

---

(١) تفسير مجمع البيان ١: ٤٠٢.

(٢) اي ان الفعل وهو: «لايفرّق» ـ على قراءة يعقوب ـ لـ«كلّ آمن».

(٣) في سورة الفاتحة الآية: ٥.

(٤) في «الف»: عباً والعب: الحمل والثقل.

(٥) للتفصيل ينظر تفسير نور الثقلين ١: ٣٠٦ والاحتجاج للطبرسي ١: ٣٢٧.

[illegible]

[illegible]

---

(1) [illegible]

(2) [illegible]

(3) [illegible]

(4) [illegible]

(5) [illegible]

سورة آل عمران

[٣]

مائتين آية مدنيّة

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيم

[١ ـ ٢] ـ ﴿الٓمٓ * اللهُ لَا إِلٰـهَ إِلاَّ هُوَ﴾ حق «الميم» الوقف عليها، والإبتداء بما بعدها، وقرأ بها «عاصم» وفتحها الباقون،[١] لا لإلتقاء الساكنين ـ لجوازه في الوقف، ولذا لم يحرّك في «لام» ـ، بل لإلقاء فتحة الهمزة عليها، إيذاناً بأنّها في حكم الثابت؛ لأنها حذفت تخفيفاً، لا للدرج؛ إذ الميم في حكم الوقف. ﴿الحَيُّ القَيُّومُ﴾ روي أنّ ذلك إسم الله الأعظم.[٢]

[٣] ـ ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتابَ﴾: القرآن نجوماً ﴿بِالحَقِّ﴾ بالصدق في إخباره، أو بما يحقق أنه منه تعالى، وهو حال، وكذا ﴿مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ من الكتب ﴿وَأَنْزَلَ التَّوْرِيةَ وَالْإِنْجِيْلَ﴾ جملةً على موسى وعيسى، وهما أعجميّان، وقيل: مشتقان من

---

(١) تفسير مجمع البيان ١: ٤٠٥ وتفسير الكشّاف ١: ٤١٠.

(٢) ورد ذلك عن ابن عباس ـ كما في تفسير مجمع البيان ١: ٤٠٧.

الوريّ [١] والنجل. [٢] ووزنهما: «تفعلة» و«إفعيل».

[٤] ـ ﴿مِنْ قَبْلُ﴾: من قبل تنزيل القرآن ﴿هُدًى لِلنّاسِ﴾ لقومهما ﴿وَأَنْزَلَ الْفُرْقانَ﴾ جنس الكتب السماوية، فإنها تفرّق بين الحق والباطل، من عطف العام على الخاص، أو: القرآن. وكرّر ذكره بوصفه المادح له، تعظيماً لشأنه ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآياتِ اللهِ﴾ من كتبه وغيرها ﴿لَهُمْ عَذابٌ شَدِيدٌ﴾ بكفرهم ﴿وَاللهُ عَزِيزٌ﴾: غالب لا يمنع من أن يعذّب ﴿ذُوانْتِقامٍ﴾ لا يقدر على مثله أحد.

والنقمة: عقوبة المجرم.

[٥ ـ ٦] ـ ﴿إِنَّ اللهَ لا يَخْفى عَلَيْهِ شَيْءٌ﴾ كلّيّ أو: جزئي، إيمان أو: كفر، كائن ﴿فِي الْأَرْضِ وَلا فِي السَّماءِ﴾ أي: في العالم، فعبّر عنه بهما؛ إذ الحس لا يتجاوزهما وفيه تقرير للحياة وفي ﴿هُوَ الَّذِيْ يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحامِ كَيْفَ يَشاءُ﴾ من الصور المختلفة، تقرير للقيّومية، واثبات لعلمه تعالى بإتقان فعله في تصوير الجنين، ﴿لاَ إِلهَ إِلاّ هُوَ﴾ لا يعلم غيره عِلْمَه، ولا يقدر قدرته ﴿الْعَزِيزُ﴾ في سلطانه ﴿الْحَكِيمُ﴾ في أفعاله.

قيل: هذا حجاج على من زعم أنّ «عيسى» كان ربّاً، وهم وفد «نجران» حاجّوا الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم فيه، فنزلت أوائل السورة إلى نيف وثمانين آية، تقريراً لحجاجه عليهم. [٣]

[٧] ـ ﴿هُوَ الَّذيْ أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتابَ مِنْهُ ءَاياتٌ مُحْكَماتٌ﴾: أُحكمت عبارتها [٤] بالحفظ من الإحتمال، ﴿هُنَّ أُمُّ الْكِتابِ﴾: أصله، يُرَدُّ إليها غيرها.

---

(١) الوري: مأخوذ من: وري الزند. وهو نوره وضياءه.

(٢) الإ نجيل معرب انجليون باليونانية ومعناه إنباءجيد او بشارة او خبر مفرح ـ كما في محيط المحيط «انجيل» ـ.

(٣) قاله الكلبي ومحمّد بن اسحاق والربيع بن أنس ـ كما في تفسير مجمع البيان ٢: ٤٠٦.

(٤) في «ط»: عباراتها.

وأفرد «أمّ» على إرادة كلّ واحدة، أو المجموع ﴿وَأُخَرُ مُتَشابِهاتٌ﴾: محتملات لايُعلمُ مرادها إلاّ بالنّظر؛ ليجتهد العلماء في تدبّرها وتحصيل ما يتوقف عليه فهم مرادها، فينالوا بإتعابهم القرائح ـ في استخراج معانيها، وردها الى المحكمات ـ رفيعَ الدرجات، وقوله تعالى: ﴿كِتابٌ أُحْكِمَتْ آياتُهُ﴾[1] أي: حفظت من فساد المعنى وركاكة اللفظ، وقوله: ﴿كِتاباً مُتَشابِهاً﴾[2] أي: يشبه بعضه بعضاً في صحة المعنى، وجزالة اللفظ ﴿فَأَمَّا الَّذين فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾: ميل عن الحق إلى البدع ﴿فَيَتَّبِعُونَ ما تَشابَهَ مِنْهُ﴾: يتعلقون به في باطلهم ﴿ابْتِغاءَ الْفِتْنَةِ﴾: طلب أن يفتنوا الناس عن دينهم ﴿وَابْتِغاءَ تَأْوِيلِهِ﴾: أن يؤوّلوه على مرادهم ﴿وَما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ﴾ الحق ﴿إِلاّ اللهُ وَالرّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾: الثابتون فيه.

عن الصادق عليه السّلام: «نحن الراسخون في العلم، ونحن نعلم تأويله»،[3] ومن وقف على «[إلاّ][4] الله» فسّر المتشابه بما استأثر الله تعالى بعلمه، كوقت قيام الساعة ونحوه، والأصح الأول ﴿يَقُولُونَ ءَامَنّا بِهِ﴾ حال من «الراسخين»، أو: خبر له ـ إن جعل مبتدأ ـ ﴿كُلٌّ﴾ أي: من المتشابه والمحكم ﴿مِنْ عِنْدِ رَبِّنا وَما يَذَّكَّرُ إِلاّ أُوْلُواْ الْأَلْبابِ﴾ مدح للراسخين بإلقاء الذهن وإعمال الفكر في ردّ المتشابه الى المحكم.

[٨] ـ ﴿رَبَّنا لاتُزِغْ قُلُوبَنا﴾ من مقول الراسخين، أي: لا تبلنا ببلاء تزيغ فيه قلوبنا ﴿بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنا﴾ لدينك، أو: لا تمنعنا ألطافك بعد إذ لطفت بنا ﴿وَهَبْ لَنا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً﴾: نعمة، أو: لطفاً نثبت به على الإيمان ﴿إِنّك أَنْتَ الْوَهّابُ﴾ للنّعم.

---

(١) سورة هود: ١/١١.

(٢) سورة الزمر: ٣٩/ ٢٣.

(٣) تفسير نور الثقلين ١: ٣١٦ الحديث ٣٤.

(٤) كلمة: «الاّ» زيادة اقتضاها السياق، اخذناها من تفسير البيضاوي ٢: ٥٤.

[٩] ـ ﴿رَبَّنا إنَّكَ جامِعُ النّاسِ لِيَوْمٍ﴾ لجزاء يوم ﴿لا رَيْبَ فِيْهِ﴾ : في وقوع اليوم ﴿إِنّ اللهَ لا يُخْلِفُ الْمِيعادَ﴾ : الوعد.

[١٠] ـ ﴿إِنَّ الَّذيْنَ كَفَرُوْا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوالُهُمْ وَلاَ أَوْلادُهُمْ مِنَ اللهِ شَيْئاً﴾ أي: بدل رحمته أو طاعته أو: من عذابه ﴿وَأُولئِكَ هُمْ وَقُودُ النّارِ﴾ حطبها.

[١١] ـ ﴿كَدَأْبِ﴾ مصدر دأب في العمل، أي: كدح فيه، فنقل الى معنى الشّأن. ومحل الكاف: الرّفع، أي: دأب هؤلاء كدأب ﴿ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ في الكفر، أو: النصب بـ«تغني» أو «وقود»، أي: لن تغني عنهم كما لم تغن عن أُولئك، أو توقد بهم كما توقد بأُولئك ﴿والَّذِين مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ عطف على «آل فرعون» ﴿كَذَّبُواْ بِآياتِنا﴾ تفسر لدأبهم، أو بيان لسببه ﴿فَأَخَذَهُمُ اللهُ﴾ : أهلكهم ﴿بِذُنُوبِهِمْ وَاللهُ شَدِيدُ الْعِقابِ﴾ ترهيب للكفرة.

[١٢] ـ ﴿قُلْ لِلَّذينَ كَفَرُواْ﴾ مشركي مكة ﴿سَتُغْلَبُونَ﴾ أي: يوم بدر ﴿وَتُحْشَرُونَ إِلى جَهَنَّمَ﴾ أو: لليهود حين حذّرهم بعد «بدر» أن ينزل بهم ما نزل بقريش، فقالوا: «لا يغرنَّك أنك أصبت أغماراً لا علم لهم بالحرب، لئن قاتلتنا لعلمت أنَّا نحن الناس» فنزلت،[١] وصدق الوعد بقتل «قريظة» وإجلاء «النضير» وفتح خيبر[٢] وضرب الجزية على ما بقي.

وهو من آيات النبوَّة. وقرأ «حمزة» و«الكسائي» بالياء فيهما ــ على الأمر ـ،[٣] بأن يحكى لهم ما أخبره به من وعيدهم بلفظه ﴿وَبِئْسَ الْمِهادُ﴾ : جهنم، أو: ما مهّدوا لأنفسهم.

[١٣] ـ ﴿قَدْ كانَ لَكُمْ ءَايَةٌ﴾ خطاب للمشركين، أو: اليهود، أو: المؤمنين

---

(١) نقله البيضاوي في تفسيره ٢: ٦.

(٢) ما بين المعقوفتين من «ب».

(٣) حجة القراءات: ١٥٣.

﴿فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتا﴾ يوم بدر ﴿فِئَةٌ تُقاتِلُ في سَبيلِ اللهِ وَأُخْرى كافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ﴾ يرى المشركون المسلمين مثلي عدد المشركين، قريب ألفين، أو: مثلي عدد المسلمين ستمائة وستة وعشرين. قُللوا أولاً في أعينهم حتّى اجترأوا عليهم كما قال: ﴿وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ﴾[1] فلما لاقوهم كُثّروا في أعينهم حتّى غلبوا.

أو: يرى المسلمون المشركين مثلي المسلمين ـ، وكانوا ثلاثة أمثالهم ـ ليثبتوا ثقةً بالنّصر الذي وُعِدوه في: ﴿فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ﴾[2] وقرأ «نافع» بالتاء[3] ﴿رَأْيَ الْعَيْنَ﴾: رؤية مكشوفة معاينة ﴿وَاللهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَآءُ﴾ كما أيّد أهل بدر ﴿إِنَّ في ذلِكَ﴾ التّقليل والتّكثير ونصر القليل على الكثير ﴿لَعِبْرَةً لِأُوْلي الْأَبْصارِ﴾ عظة لذوي العقول.

[١٤] ـ ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَواتِ﴾ أي: المشتهيات جعلها شهوات مبالغة، والمزيّن هو: الله، للإبتلاء، أو: لبقاء النوع وتعيُّشه.

وقيل: الشيطان،[4] إذ الآية في معرض الذم. وبيّن الشهوات بقوله: ﴿مِنَ النِّساءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَناطِيْرِ﴾ جمع: قنطار، وهو: المال الكثير، وقيل: ملء مسك ثور،[5] وقيل: مائة الف دينار[6] ﴿الْمُقَنْطَرَةِ﴾ مبنيّة منه للتأكيد كـ«بدرة مبدّرة» ﴿مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ﴾: المعلّمة من السومة، وهي: العلامة، أو: المرعية من أسام الدابة وسوّمها ﴿والْأَنْعامِ﴾: الإبل والبقر والغنم ﴿وَالْحَرْثِ ذلِكَ﴾

---

(١) سورة الأنفال: ٨/ ٤٤.

(٢) سورة الأنفال: ٨/ ٦٦.

(٣) حجة القراءات: ١٥٤.

(٤) قاله الحسن ـ كما في تفسير التبيان ٢: ٤١١ وتفسير مجمع البيان ١: ٤١٧ـ.

(٥) قاله ابونضرة والفرّاء وهو مروي عن الإمامين الباقر والصادق عليه السّلام ـ كما في تفسير التبيان ٢: ٤١١ وتفسير مجمع البيان ١: ٤١٧ـ.

(٦) قاله سعيد بن جبير ـ كما في تفسير الكشّاف ١: ٤١٦ـ.

المذكور ﴿مَتاعُ الْحَيوٰةِ الدُّنْيا وَاللهُ عِنْدَهُ حُسْنُ المَئَابِ﴾: المرجع.

[١٥] ـ ﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَلِكُمْ﴾ المتاع الفاني ﴿لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِديْنَ فِيْها﴾ استئناف لبيان ما هو خير، أو: يتعلق اللام بـ«خير» ويرتفع جنات على[1] «هو جنات» ﴿وَأَزْواجٌ مُطَهَّرَةٌ﴾ من الأدناس خلقاً وخُلقاً ﴿وَرِضْوانٌ مِنَ اللهِ﴾ وضمّ «عاصم» «الراء»[2] ﴿وَاللهُ بَصِيْرٌ بِالْعِبادِ﴾ أي بأعمالهم فيجازيهم بها.

[١٦] ـ ﴿الَّذينَ يَقُولُونَ رَبَّنا إِنَّنا ءَامَنَّا فَاغْفِرْ لَنا ذُنُوبَنا وَقِنا عَذابَ النَّارِ﴾ صفة للمتقين، أو: مدح منصوب أو مرفوع.

[١٧] ـ ﴿الصَّابِرِيْنَ﴾ على الطاعة وعنِ المعصية،[3] مجرور أو: منصوب كما مرّ، وكذا البواقي ﴿وَالصَّادِقِينَ وَالْقانِتِينَ﴾: المطيعين ﴿وَالْمُنْفِقِينَ﴾ أموالهم في سبيل الخير ﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾ المصلّين وقت السحر. عن الصادق عليه السلام: «من استغفر الله سبعين مرّة في السحر، فهو من أهل هذه الآية».[4]

[١٨] ـ ﴿شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلاّ هُوَ﴾ بدلالته على وحدانيته بعجيب صنعه، وبالآيات الناطقة بها ﴿وَالْمَلٰئِكَةُ﴾ بالإقرار بها ﴿وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ﴾ به، وبالإحتجاج عليها، شبّه ذلك في البيان بشهادة الشاهد ﴿قائماً بِالْقِسْطِ﴾: مقيما للعدل في أُمور خلقه، نصب حالاً من «الله»، وجاز إفراده ـ دون «جاء زيد وعمرو راكباً» ـ لعدم اللبس، أو: من «هو» فتكون حالاً مؤكدة وعاملها معنى الجملة، أي: تفرَّد قائماً، أو: على المدح، ويندرج في المشهود به ـ على الأخيرين ـ ﴿لا إِلهَ إِلاّ هُوَ﴾ كرر

---

(١) في «الف» زيادة: تقدير.

(٢) حجة القراءات: ١٥٧.

(٣) وفي الحديث الصبر ثلاثة: صبر على الطاعة وصبر عن المعصية وصبر عند المصيبة.

(٤) تفسير مجمع البيان ١: ٤١٩ وتفسير نور الثقلين ١: ٣٢١ الحديث(٦١).

تأكيداً ﴿الْعَزِيزُ﴾: الذي لا مغالب له ﴿الْحَكِيمُ﴾: الذي لا يخلّ بالعدل وهما مقرران للوحدانية والعدل. ورفعا بدلاً من «هو»، أو: خبراً لمحذوف. وورد في فضلها أخبار.[1]

[١٩] ـ ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الْإِسْلامُ﴾ جملة مستأنفة تؤكد الأولى، أي: لا دين مرضيّ عند الله غير الإسلام، وهو: التوحيد والتمسك بشريعة محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم، وفتح «الكسائي» «إنّ» بدلاً من «أنّه»[2] ﴿وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ﴾ اليهود والنصارى وأهل الكتب السّالفة في دين الإسلام فأثبته قوم، وخصّه قوم بالعرب، ونفاه قوم، أو: في التوحيد فثلّثت النصارى، وقالت اليهود: ﴿عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ﴾[3] وقيل: هم اليهود، اختلفوا بعد موسى،[4] وقيل: النصارى اختلفوا في أمر عيسى[5] ﴿إِلاّ مِنْ بَعْدِ ما جاءَهُمُ الْعِلْمُ﴾ بعد أن علموا الحقَّ، أو تمكنوا[6] من العلم به بالدلائل ﴿بَغْياً﴾ حسداً وطلباً للرئاسة ﴿بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآياتِ اللهِ فَإِنَّ اللهَ سَرِيعُ الْحِسابِ﴾ وعيد لهم. وفسّر في البقرة.[7]

[٢٠] ـ ﴿فَإِنْ حاجُّوكَ﴾ في الدين ﴿فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ﴾: أخلصت نفسي ﴿لِلّهِ﴾ وحده وهو الدين القيم الذي دعت اليه الرسل، وقامت عليه الحجج. وعبرّ بالوجه عن النفس لأنه أشرف الأعضاء الظاهرة ﴿وَمَنِ اتَّبَعَنِ﴾ عطف على التاء. وحَسُنَ للفصل، أو: مفعول معه. وحذف «عاصم» و«حمزة» و«الكسائي» الياء

---

(١) ينظر تفسير نور الثقلين ١: ٣٢٢ الحديث (٦٥) ومابعده.

(٢) حجة القراءات: ١٥٧.

(٣) سورة التوبة: ٩/ ٣٠.

(٤) قاله الربيع ـ كما في تفسير مجمع البيان ١: ٤٢١.

(٥) قاله محمّد بن جعفر بن الزبير ـ كما في تفسير مجمع البيان ١: ٤٢١.

(٦) في «ب» و«ط»: وتمكنوا.

(٧) في تفسير الآية ٢٠٢ من سورة البقرة.

اجتزاءً بالكسرة[١] ﴿وَقُلْ لِلَّذِيْنَ أُوْتـوا الْكِتابَ وَالْأُمِّيِّينَ﴾: من لا كتاب لهـم كمشركي العرب ﴿ءَأَسْلَمْتُمْ﴾ بعد وضـوح الحجج، أم أنتم بعد على كفركـم؟. ومثله: ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾[٢] وفيه تـوبيخ لهم بـالمعانـدة ﴿فَإِنْ أَسْلَمُواْ فَقَـدِ اهْتَدَواْ﴾ فقد نفعـوا أنفسهم بإخراجهـا من الضلال ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ لم يضـرّوك ﴿فَإِنَّما عَلَيْكَ الْبَلاغُ﴾: ما عليك إلاّ أن تبلّغ ﴿وَاللهُ بَصِيْرٌ بِالْعِبادِ﴾ وعد ووعيد.

[٢١] ـ ﴿إِنَّ الَّذِيْنَ يَكْفُرُونَ بِـآياتِ اللهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيّيْنَ بِغَيْرِ حَقٍ وَيَقْتُلُـونَ الَّذِيْنَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ﴾ هم أهل الكتاب المعـاصرون له صلّى الله عليه وآلـه وسلّم، قتل أوّلوهـم الأنبياء ومتابعيهم، وهـم رضوا به، وحـاولوا قتل الـرسول صلّى الله عليـه وآله والمؤمنين فعصعهم الله تعالى. وقرأ «حمزة»: «ويقاتلون الذين»[٣] ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذابٍ أَلِيْمٍ﴾ تدخـل الفاء خبر «إن» المتضمـن للجزاء لعدم تغييـرها معنى الإبتـداء بخلاف «ليت» و«لعلّ» ومنعه سيبويه، فالخبر.

[٢٢] ـ ﴿أُولئِكَ الَّذيْـنَ حَبِطَتْ أَعْمالُهمُ فِي الدُّنْيـا وَالْآخِرَةِ﴾ كقولنـا: «زيد ـ فاعرف ـ رجل كريـم» ﴿وَمالَهُمْ مِنْ ناصِرِيْنَ﴾ يدفعون عنهم العذاب.

[٢٣] ـ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلى الَّذِيْنَ أُوتُواْ نَصِيْباً مِنَ الْكِتابِ﴾: التوراة، أو: جنس الكتب المنـــزلـــة، و«مـــن» للتبعيـض، أو البيـــان. وتنكيـــر «النصيـــب» للتعظيـم أو: التحقير ﴿يُدْعَوْنَ﴾ يدعوهم محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم ﴿إِلَى كِتابِ اللهِ﴾: القرآن أو: التوراة ﴿لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾ في نبوّة محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم أو: في أنَّ دين إبـراهيم عليه السّلام: الإسـلام، أو: في أمـر الـرّجم ﴿ثُمَّ يَتَوَلّى فـريقٌ مِنْهُمْ﴾ استبعاد لتـولّيهم مع علمهم بوجوب الـرجوع إليه ﴿وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ شأنهم الإعراض. والجملـة حال من

---

(١) حجة القراءات: ١٥٨.

(٢) سورة المائدة: ٥/ ٩١.

(٣) حجة القراءات: ١٥٨.

«فريق» وسوَّغه الوصف.

[٢٤] ـ ﴿ذَلِكَ﴾ التولّي والإعراض ﴿بِأَنَّهُمْ قالُواْ﴾ بسبب تسهيلهم على أنفسهم أمر العقاب، بقولهم: ﴿لَنْ تَمَسَّنا النَّارُ إلاّ أَيّاماً مَعْدُوداتٍ﴾: قلائل ﴿وَغَرَّهُمْ فِي دِيْنِهِمْ ما كانُواْ يَفْتَرُونَ﴾ مِن أنّ آباءهم ـ الأنبياء ـ يشفعون لهم.

[٢٥] ـ ﴿فَكَيْفَ إذا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لا رَيْبَ فِيْهِ﴾ تهويل لما أُعدّ لهم في الآخرة ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ﴾: جزاء ما كسبت ﴿وَهُمْ لا يُظْلَمونَ﴾ الضمير لـ«كلّ نفس» لأنّه في معنى: كلّ الناس.

[٢٦] ـ ﴿قُلِ اللَّهُمَّ﴾ الميم عوض من «يا» ولذا «لا يجتمعان» وهو من خصائص هذا الإسم، كدخول «يا» عليه مع لام التعريف، وتاء القسم، وقطع همزته ﴿مالِكَ الْمُلْكِ﴾ كلّه، تتصرف فيه تصرُّف الملاّك، وهو نداء ثانٍ، وقيل: صفة[١] ﴿تُؤْتي الْمُلْكَ﴾ أي: ما تشاء منه ﴿مَنْ تَشآءُ﴾ وكذا: ﴿وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشآءُ﴾ فالملك الأوّل عام، والآخران خاصّان. وقيل: الملك ـ هنا ـ: النبوّة، ونزعه: نقلها من قوم إلى قوم[٢] ﴿وَتُعِزُّ مَنْ تَشاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشآءُ﴾ في الدنيا والدين بالنصر والإدبار، والتّوفيق والخذلان ﴿بِيَدِكَ الْخَيْرُ﴾ لم يذكر الشرّ لأنّ أفعاله تعالى من نافع وضارّ لمصالح، فكلّها خير، أو: لأن الكلام وقع في الخير؛ إذ وعد الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم أُمته ملك فارس والرّوم فأنكره المنافقون ﴿إنَّكَ على كُلِّ شَيءٍ قَدِيْرٌ﴾.

[٢٧] ـ ﴿تُولِجُ اللَّيْلَ في النَّهارِ وَتُولِجُ النَّهارَ في اللَّيْلِ﴾ تعاقب بينهما بإدخال كلّ واحد في الآخر، بالنّقص والزّيادة ﴿وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾: من النطفة ﴿وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ﴾: النطفة ﴿مِنَ الْحَيِّ﴾ أو: المؤمن من الكافر، وبالعكس، وخفّف

(١) نقله البيضاوي في تفسيره ٢: ١١.

(٢) قاله مجاهد ـ كما في تفسير التبيان ٢: ٤٢٩.

«الميت» «ابن كثير» و«أبو عمرو» و«ابن عامر» و«أبو بكر»[1] ﴿وَتَرْزُقُ مَنْ تَشاءُ بِغَيْرِ حِسابٍ﴾ وفي ذكر قدرته على معاقبة الليل والنهار، وإخراج الحيّ من الميت وعكسه، ورزقه الواسع دلالة على أن القادر على ذلك كلّه، قادر على إيتاء الملك ونزعه، والإعزاز والإذلال.

[٢٨] ـ ﴿لاَ يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكافِرِينَ أَوْلِيَاءَ﴾ نهوا أن يوالوهم لقرابة ونحوها حتّى لا يحبّوا ولا يبغضوا إلاّ في الله ﴿مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ فإنهم الأحقّاء بالموالاة، فلا يؤثروا الكفرة عليهم ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذلِكَ﴾ ومن يولّهم ﴿فَلَيْسَ مِنَ اللهِ﴾: من ولاية الله ﴿في شَيءٍ﴾ يسمى ولاية؛ إذ لا يجتمع موالاة متعاديين ﴿إلاّ أَنْ تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقْيَةً﴾:[2] إلاّ أن تخافوا من جهتهم ما يجب اتّقاؤه، أو: مصدر، وعدي الفعل بـ«من» لتضمنه معنى: تخافوا. وقرأ «يعقوب» تَقيَّةً،[3] رخّص لهم إظهار موالاتهم إذا خافوهم، مع إبطان عداوتهم ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ وَإلى اللهِ الْمَصِيرُ﴾ فلا تتعرّضوا لسخطه بموالاة أعدائه، وهو ترهيب بليغ.

[٢٩] ـ ﴿قُلْ إِنْ تُخْفُواْ مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ﴾ من ولاية الكفار وغيرها ﴿يَعْلَمْهُ اللهُ وَيَعْلَمُ ما فِي السَّمواتِ وَما فِي الْأَرْضِ﴾ فيعلم سرّكم وعلنكم ﴿وَاللهُ عَلى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ﴾ فيقدر على عقابكم، وهذا بيان لقوله: «ويحذركم الله نفسه»[4] لأن نفسه متصفة بعلم وقدرة ذاتيين، يحيطان بجميع المعلومات والمقدورات فلا يجسر على معصيته لإطّلاعه عليها، وقدرته على العقوبة بها.

[٣٠] ـ ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ ما عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَراً وَما عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ

---

(١) حجة القراءات: ١٥٩

(٢) في الأصل: «تقاة» ـ بالألف ـ.

(٣) تفسير مجمع البيان ١: ٤٢٩.

(٤) في الآية السابقة.

﴿لَوْ أَنَّ بَيْنَها وَبَيْنَهُ أَمَداً بَعِيْداً﴾ نصب «يوم» بـ«تودُّ» أي: تتمنى كلُّ نفس يوم تجد جزاء عملها من خير وشرّ حاضراً لو أنَّ بينها وبين ذلك اليوم وهَوْلَه مسافةً بعيدة، أو: بـ«اذكر ـ مضمراً ـ». و«تودُّ» حال من ضمير «عملت» أو خبر «ما عملت من سوء» وتقصر تجد على «ما عملت من خير». وليست «ما» شرطية لإرتفاع «تودّ» ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ﴾ ترهيب للحثِّ على عمل الخير وترك السّوء، والأوّل للمنع من موالاة الكفرة، فلا تكرار ﴿وَاللهُ رَءُوفٌ بِالْعِبادِ﴾ ومن رأفته أن حذَّرهم عقابه.

[٣١] ـ ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ﴾: تريدون طاعته ﴿فَاتَّبِعُوني﴾ حتّى تصح دعواكم محبته ﴿يُحْبِبْكُمُ اللهُ﴾ جواب الأمر، أي: يرض عنكم ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾: يستر ذنوبكم بالعفو ﴿وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيْمٌ﴾ لمن أطاعه واتبع نبيّه.

نزلت حين قالت اليهود: نحن أبناء الله وأحباؤه، أو: حين قال وفد نجران: إنّا[1] نعبد المسيح حبّاً لله.

[٣٢] ـ ﴿قُل أَطِيْعُواْ اللهَ وَالرَّسُولَ فإنْ تَوَلَّواْ﴾ ماضٍ أو: مضارع ﴿فَإِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ الْكافِرِينَ﴾ لا يرضى عنهم. وعدل عن «لا يحبّهم» للتعميم، والدلالة على ان التولّي كفر، واختصاص محبته بالمؤمنين.

[٣٣] ـ ﴿إِنَّ اللهَ اصْطفى ءَادَمَ وَنُوحاً وَءَال إِبْراهِيمَ وَءَال عِمْرانَ على الْعالَمِيْنَ﴾ بالنبوّة والإمامة والعصمة. وآل إبراهيم: اسماعيل واسحاق وأولادهما، ودخل فيهم النبي وآله صلوات الله عليهم.

وآل عمران: موسى وهارون ابنا عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب.

أو: عيسى ومريم بنت عمران بن ماثان من ولد سليمان بن داود بن ايشا من ولد

(١) وقد ورد في تفسير البيضاوي ٢: ١٣: «انما» وفي تفسير مجمع البيان ١: ٤٣٢: انه قول محمّد بن جعفر بن الزبير.

يهودا[1] بن يعقوب، وكان بين العمرانين ألف وثمان مائة سنة.

[٣٤] ـ ﴿ذُرِّيَّةً﴾ بدل أو حال من الآلين ﴿بَعْضُها﴾ متشعّب ﴿مِنْ بَعْضٍ﴾ أو: من بعض في الدين ﴿وَاللهُ سَمِيعٌ﴾ للأقوال ﴿عَلِيمٌ﴾ بالأعمال.

أو لقول امرأة عمران وبنتها، فينتصب به، أو: بـ«اذكر ـ مضمراً».

[٣٥] ـ ﴿إِذْ قالَتِ امرَأَتُ عِمْرانَ﴾ بن ماثان «حنّة بنت فاقوذا» جدَّة عيسى، وكانت لعمران بن يصهر بنت، اسمها: «مريم» أكبر من «هارون»، فظن ان المراد امرأته، ويبطله كفالة زكريا؛ لمعاصرته لابن ماثان، وتزوَّج بنته «ايشاع» أُم يحيى أُخت «مريم» للأب ﴿رَبِّ إِنّي نَذَرْتُ لَكَ ما في بَطْني﴾ رأت طائراً يطعم فرخه فحنَّت للولد، فقالت: «اللهم إنَّ لك عليّ نذراً إن رزقتني ولداً أن أتصدق به على بيت المقدس، فيكون من خدَمِهِ»، فحملت بمريم، وهلك عمران، وكان هذا النذر مشروعاً عندهم ﴿مُحَرَّراً﴾: معتقاً لخدمته ـ حال ـ ﴿فَتَقَبَّلْ مِنّي﴾ ما نذرت ﴿إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ﴾ لقولي ﴿الْعَلِيمُ﴾ بنيَّتي.

[٣٦] ـ ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْها﴾ الضمير لما «في بطني» وأُنث لأنه كان أُنثى، أو: لتأويله بالنفس، أو: النسمة ﴿قالَتْ﴾ ـ تحسُّراً الى ربِّها، إذ كانت ترجو أن تلد ذكراً، ولذا نذرت تحريره ـ: ﴿رَبِّ إِنّي وَضَعْتُها أُنْثى﴾ حال ﴿وَاللهُ أَعْلَمُ بِما﴾ بالشيء الذي ﴿وَضَعَتْ﴾ قاله تعالى تعظيماً لموضوعها، وتجهيلاً لها بقدره، وقرأ «ابن عامر» و«أبو بكر»: «وضعتُ»[2] تسلية لنفسها، أي: ولعلّ للهِ فيه حكمة، أو: هذه الأُنثى خير ﴿وَلَيْس الذَّكَرُ﴾ الذي طلبت ﴿كَالأُنْثى﴾ التي وُهِبَت،[3] فاللام للعهد، وإن كان من قولها فللجنس، أي: وليس الذكر كالأُنثى فيما نذرت ﴿وَإِنِّي سَمَّيْتُها مَرْيَمَ﴾ عطف

(١) في تفسير البيضاوي ٢: ١٤: يهوذا بالمعجمة.

(٢) حجة القراءات: ١٦٠.

(٣) في النسخ ـ هنا ـ زيادة: لها.

على «إِنِّي وَضَعْتُهـا»، وما بينهما اعتراض. وذكـرت تسميتها لربها طلبـاً لأن يعصمها حتى يطابـق فعلها إسمها، لأن مـريم في لغتهم بمعنى: العـابدة ﴿وَإِنّي أُعِيْذُها﴾: أُجيرها ﴿بِكَ وَذُرِّيَّتَها مِنَ الشَّيْطانِ الرَّجيمِ﴾: المطرود.

[٣٧] - ﴿فَتَقَبَّلَها رَبُّها﴾: فرضـي بها في النّـذر مكان الـذكر ﴿بِقَبُولٍ حَسَنٍ﴾ القبول: ما يقبـل به الشيء، وهو اختصاصها بـإقامتها مقام الذكـر، أو: مصدر على حذف مضاف، أي: بـذي قبول حسن ﴿وَأَنبَتَها نَباتاً حَسَناً﴾ مجاز عن تـربيتها بما يصلحها ﴿وَكَفَّلَها زَكَرِيَّا﴾ شدَّد «الفـاء» «حمزة» و«الكسائي» و«عـاصم»، وقصروا: «زكريّـا» غير «عاصـم» - في رواية ــ على أنه مفعـول والفاعل هـو الله، أي جعله الله كافلاًلها، وضامناً لمصالحها، وخفف الباقون ومدوا «زكريّا» مرفوعاً.[1]

روي: أن «حنة» حيـن ولدتهـا لفتها في خـرقة وأتت بهـا إلى المسجد، وقـالت لـلأحبار: «دونكـم النذيـرة» فتنـافسوا فيهـا؛ لأنهـا كانـت بنت إمـامهم، وصـاحب قربانهم، وكان بنـو ماثان رؤوس بني إسرائيل وملوكهم، فقال زكـريّا: «أنا أحقُّ بها، عندي أُختهـا» فأبوا إلاّ القـرعة فـانطلقوا - وهم سبعـة وعشرون ــ إلى نهر، وألقـوا فيه أقلامهم، فطفـاقلم «زكريّا» ورسبت أقـلامهم، فتكفلها[2] ﴿كُلَّما دَخَلَ عَلَيْهـا زَكَرِيَّا الْمِحْرابَ﴾ أي: الغرفة التي بناها لها، أو: المسجـد، أو: أشرف مواضعه، سمي به لأنه محلّ محاربة الشيطان ﴿وَجَدَ عِنْدَها رِزْقاً﴾ قيل: كان يدخل عليها وحده، وإذا خرج أغلق عليهـا سبعة أَبواب، فيجد عندهـا فاكهة الصيف في الشتـاء، والشتاء في الصيف ﴿قالَ يَا مَرْيَمُ أَنّىٰ﴾ من أين ﴿لَكِ هذا﴾: الرزق الآتي في غير حينه والأبواب مغلقة ﴿قالَتْ هُـوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ﴾ فـلا تستبعد. قيل: تكلمـت صغيرة كعيسى، ومـا

---

(١) حجة القراءات: ١٦١.

(٢) رواه ابن اسحاق وجماعة - كما في تفسير مجمع البيان ١: ٤٣٦.

رضعت قط، وكان رزقها يأتيها من الجنة كرامة لها، [١] ومن منع ذلك لغير الأنبياء جعله إرهاصاً [٢] لنبوّة عيسى ـ عليه السّلام ـ، أو: معجزة لزكريّا ﴿إِنَّ اللهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾: بغير تقدير لكثرته، أو بغير استحقاقٍ تفضُّلاً به. من كلامها، أو: كلامه تعالى. ولفاطمة عليها السّلام مثل هذه الكرامة. [٣]

[٣٨] ـ ﴿هُنَالِكَ﴾ في ذلك المكان ـ أو: الوقت؛ إذ تستعار للزمان ـ ﴿دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ﴾ لما رأى كرامة مريم على الله ﴿قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾ كما وهبتها لـ«حنّة» العاقر العجوز، أو: لمّا رأى الفاكهة في غير وقتها طمع في ولادة العاقر، فسأل الولد ﴿إِنَّكَ سَمِيْعُ الدُّعَاءِ﴾: مجيبه.

[٣٩] ـ ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلاَئِكَةُ﴾ جبرئيل، أي: نودي من جنسهم، وقرأ «حمزة» و«الكسائي»: «فناداه» بالتذكير والإمالة [٤] ﴿وَهُوَ قَائِمٌ﴾ حال عن «الهاء» ﴿يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ﴾ حال من الضمير في «قائم» ﴿أَنَّ اللهَ يُبَشِّرُكَ﴾ أي: بأن الله، وكسرها «حمزة» و«ابن عامر» على إضمار القول اولأن النّداء منه، وخفف «حمزة» «يبشرك» فاتحاً ياءه. [٥] ﴿بِيَحْيَى﴾ علم أعجمي، وإن كان عربياً فمنع صرفه للتعريف ووزن الفعل ﴿مُصَدِّقاً بِكَلِمَةٍ مِنَ اللهِ﴾ أي: بعيسى، سمي بذلك، لأنه حصل بأمره تعالى بلا أب ﴿وَسَيِّداً﴾ يسود قومه وقد فاق النّاس في أنه ما ارتكب سيّئة ﴿وَحَصُوراً﴾: لا يقرب النساء حصراً لنفسه عن الشهوات ﴿وَنَبِيّاً﴾ ناشئاً ﴿مِنَ الصَّالِحِيْنَ﴾ أو كائناً من جملة الأنبياء.

---

(١) نقله البيضاوي في تفسيره ٢: ١٦.

(٢) الارهاص: الامر الخارق العادة الذي ظهر من النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم قبل بعثته.

(٣) وردت فيه روايات كثيرة، للتفصيل ينظر تفسير الدر المنثور ١/ ٢٠، تفسير الكشّاف ١/ ٣٢١ جوامع الجامع ١/ ١٧١، مناقب آل ابى طالب لابن شهر آشوب ٣/ ٣٣٩.

(٤) حجة القراءات: ١٦٢.

(٥) حجة القراءات: ١٦٢ـ١٦٣.

[٤٠] ـ ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ﴾ تعَجّباً ﴿وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ﴾: أدركني كبر السنّ وأضعفني، وكان له تسع وتسعون سنة ولإمرأته ثمان وتسعون ﴿وَامْرَأَتِي عاقِرٌ﴾: لا تلد ﴿قَالَ كَذَٰلِكَ﴾ أي: مثل ذلك الفعل العجيب وهو خلق الولد من هرمين ﴿اللهُ يَفْعَلُ مَايَشَاءُ﴾ أو: كما أنتما عليه يفعل ما يشاء من خلق الولد.

[٤١] ـ ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي ءَايَةً﴾: علامة لوقت الحمل لأتلقّاه بالشكر ﴿قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النّاسَ﴾: أن لا تقدر على تكليمهم ﴿ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ﴾ وإنّما خصّ المنع بتكليمهم لتخلص المدة لذكر الله وشكره على النعمة، وكأنه قيل: آيتك أن تحبس لسانك إلّا عن الشكر ﴿إِلَّا رَمْزاً﴾ إشارة بيدٍ أو غيرها، والإستثناء منقطع، أو: متّصل إن أريد بالكلام مادلّ على الضمير ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيراً﴾ في ايـّام المنع وفيه تأكيد لما قبله ﴿وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ﴾: من الزوال إلى الغروب ﴿وَالأَبْكَارِ﴾ من الفجر إلى الضحى.

[٤٢] ـ ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ﴾ كلّموها شفاهاً كرامة لها. ومنكر الكرامة جعله إرهاصاً [١] لنبوّة عيسى ـ عليه السّلام ـ، أو معجزة لزكريّا ﴿إِنَّ اللهَ اصْطَفَاكِ﴾ أولاً حين تقبلك من أُمّك وربّاكِ وأكرمك برزق الجنّة ﴿وَطَهَّرَكِ﴾ مما يستقذر من النساء ﴿وَاصْطَفَاكِ﴾ آخراً بالهداية وتكليم الملائكة والولد بلا أب ﴿عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ عالمي زمانك، إذ فاطمة عليها السّلام سيدة نساء العالمين مطلقاً. [٢]

[٤٣] ـ ﴿يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي﴾ أمرت بالصلاة بذكر أركانها ﴿مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ أي: في الجماعة، أو: مع من يركع في صلاته لا مع من لا يركع.

[٤٤] ـ ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾ أي: ما سبق من القصص من

---

(١) انظر الهامش(٢) في الصفحة السابقة.

(٢) وردت فيه روايات كثيرة، ينظر الكتب المؤلفة في مناقب السيّدة فاطمة الزهراء عليها السّلام ومنها الجزء الخاص لحياتها من بحارالأنوار.

الغيوب التـي لا تعرف إلاّ بالـوحي ﴿وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِـمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلاَمَهُمْ﴾ التي كانوا يكتبون بهـا التوراة للإقتـراع، أو: قداحهم. قـرر كونه وحيـاً على التهكم[١] إذ طريق معـرفة الـوقـائع المشـاهدة والسمـاع، وعـدم السمـاع متيقن عنـدهم، فلـم يبق إلاّ المشاهدة ولم يتوهّمها عاقل[٢] ﴿أَيُّهُمْ﴾ أي: ليعلمـوا أيُّهم ﴿يَكْفُلُ مَرْيَـمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ تشاحًّا فيها.

[٤٥] ـ ﴿إِذْ قالَتِ الْمَلائكَةُ﴾ بدل من «إذ قالت» أو: من «إذ يختصمون» على أنّ الإختصام والبشارة وقعـا في زمان واسع[٣] ﴿يا مَرْيَمُ إِنَّ اللهَ يُبَشِّـرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ﴾ ذكر الضمير نظراً الى المعنى ﴿الْمَسِيْحُ﴾ من الألقاب الشريفـة، أصله ـ في لغتهم ـ مسيحا، ومعنـاه: المبارك ﴿عِيسى﴾ معرّب ايشـوع ﴿ابْنُ مَرْيَمَ﴾ صفة جعلـت من الأسماء لأنها تُميَّـز تمييزها، أو المراد: أنّ أسمَـهُ المميزله عن غيره هـذه الثلاثة، إذ الإسم علامة المسمَّى. وإنّما قيل: «ابن مريم» والخطاب لها، ليعلم أنه يولد من غير أبٍ؛ إذ لا ينسب الـى الأُم إلاّ إذا عدم الأب. ﴿وَجِيْهـاً﴾ حـال من «كلمـة» وسوّغـه وصفها ﴿في الدُّنيا﴾ بالنبوّة ﴿وَالآخِرَةِ﴾ بالشفاعة ﴿وَمِنَ الْمُقَرَّبِيْنَ﴾ مـن الله، أو: أُريد رفعه الى السماء.

[٤٦] ـ ﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي المَهْدِ وَكَهْلاً﴾ أي: يكلّمهم حال الطفولـة والكهولة كلام الأنبياء بلا تفاوت.

والمهد مصـدر، سمى بـه ما يمهّـد مضجعاً للصبي. قيـل: رفع شابـاً فالمـراد «وكهلاً» بعد نزوله،[٤] وذكر تقلُّب أحوالـه تنبيهاً على نفي إلهيته ﴿وَمِنَ الصَّالِحِيْنَ﴾

---

(١) في«ب» و«ج» زيادة: لمنكريه. والتهكم: السخرية.

(٢) في«ب» و«ج» زيادة: فتعيّن كونه وحياً.

(٣) في«ط»: واحد.

(٤) قاله زيد بن اسلم ـ كما في تفسير مجمع البيان ١: ٤٤٣.

حال رابع من: «كلمة».

[٤٧] ـ ﴿قالَتْ رَبِّ أنّى يَكُونُ لي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾ تعجُّب، أو: استفهام عن أنه يكون بزوج أو بدونه ﴿قالَ﴾ جبرئيل، أو: الله، وجبرئيل المبلغ ﴿كَذلِكِ اللهُ يَخْلُقُ ما يَشاءُ إذا قَضى أَمْراً فَإنَّما يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ فإنه يقدر أن يخلق الأشياء بلا أسباب كما يخلقها بأسباب.

[٤٨] ـ ﴿وَنُعَلِّمُهُ﴾[1] عطف على «يبشرك»، أو «وجيهاً»، أو: كلام مبتدأ، وقرأ «عاصم» و«نافع» بالياء[2] ﴿الْكِتابَ﴾ أو جنس الكتب المنزلة ﴿وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرِيةَ وَالْإنْجِيْلَ﴾ خصّا لفضلهما.

[٤٩] ـ ﴿وَرَسُولاً إلى بَنِي إسْرائيلَ أَنّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ نصب بمضمر على إرادة القول، تقديره: ويقول: أُرسلت رسولاً بأنّي قد جِئتكم ﴿أنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّيْنِ كَهَيْئَةِ الطَّيرِ﴾ نصب بدل «أني قد جئتكم»، أو جرّ بدل «آية»، أو: رفع على «هي اني»، وكسرها «نافع» على الإستئناف[3] أي: أُقدّر لكم شيئاً مثل صورة الطير ﴿فَأَنْفُخُ فِيْهِ﴾ الضمير للكاف ﴿فَيَكُونُ طَيْراً﴾ فيصير حيّاً طيّاراً، وقرأ «نافع»: «طائراً»[4] ﴿بِإذْنَ اللهِ﴾: بأمره، دلّ به على انَّ إحياءه من الله تعالى، لا منه ﴿وَأُبْرِئُ الأَكْمَهَ﴾: الّذي ولد أعمى ﴿وَالْأَبْرَصَ﴾ قيل: ربّما اجتمع عليه أُلوف من المرضى من أطاق منهم أتاه، ومن لم يطقْ أتاه عيسى عليه السّلام وما يداوي إلاّ بالدُّعاء[5] ﴿وَأُحْيِ الْمَوْتَى﴾ وممن أحيا: سام بن نوح عليه السّلام ﴿بِإذْنِ اللهِ﴾ كرِّر لدفع وهم اللاهوتية ﴿وَأُنَبِّئُكُمْ بِما تَأْكُلُونَ وَما تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ﴾ كان يقول للرجل: أكلتَ كذا وخبِّىء

(١) في المصحف الشريف بقراءة حفص: «يعلمه» كما سيشير اليه المؤلف.

(٢) حجة القراءات: ١٦٣.

(٣ـ٤) حجة القراءات: ١٦٤.

(٥) قاله وهب ـ كما في تفسير مجمع البيان ١: ٤٤٥ـ.

لَك كذا ﴿إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِيْنَ﴾ مصدِّقين بالمعجزات

[٥٠] ـ ﴿وَمُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيَّ مِن التَّوْرِيةِ﴾ عطف على «رسولاً» أو: منصوب بمضمر دلَّ عليه «جئتكم»، أي: وجئتكم مصدِّقاً ﴿وَلأُحِلَّ﴾ مقدّر بالمضمر، أي: وجئتكم لأحلّ ﴿لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ في شريعة موسى كلحم الإبل، والشحوم، والثرب[1] وبعض الطير، والسمك، والسبت ﴿وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُواْ اللهَ وَأَطِيْعُونِ﴾.

[٥١] ـ ﴿إِنَّ اللهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ﴾ أي: جئتكم بآيةٍ من إلهام ربّكم وهي قولي: إنَّ الله ربِّي وربّكم، فإنّه القول الذي اجمع عليه الرُّسل، وقوله: «واتَّقوا الله وأطيعون» إعتراض، أو: تكرير لقوله: «قَد جِئتكم بآية من ربّكم» أي جئتكم بآية بعد أُخرى مما ذكرت لكم من الخلق، والإبراء والإحياء والإنباء وغيره، فاتَّقوا الله في مخالفتي، وأطيعوني في دعوتي، ثمَّ ابتدأ بالدعوة، فقال: إن الله ربّي وربّكم، اشارة الى الإعتقاد الحق ﴿فَاعْبُدُوهُ﴾ إشارة الى العمل ﴿هذَا﴾ أي: الجمع بين الأمرين ﴿صِراطٌ مُستَقِيْمٌ﴾ موصل الى النجاة.

[٥٢] ـ ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيْسى مِنْهُمُ الْكُفْرَ﴾ علمه علم ما يدرك بالحواس ﴿قالَ مَنْ أَنْصارِي إِلى اللهِ﴾ ذاهباً اليه، أو: الجار متعلق بـ«أنصاري» مضمّناً معنى الإضافة، أي: مَن الّذين يضيفون أنفسهم الى الله في نصري ﴿قالَ الْحَوارِيُّونَ﴾ حواريّ الرجُل: خالصته، من الحور وهو البياض الخالص، سُمي به أصحاب عيسى عليه السّلام لنقاء قلوبهم وخلوص نيَّتهم ﴿نَحْنُ أَنْصارُ اللهِ﴾ أنصار دينه ﴿ءَامَنَّا بِاللهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ استشهدوه لأنَّ الرُّسل يوم القيامة يشهدون لقومهم وعليهم.

[٥٣] ـ ﴿رَبَّنا ءَامَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنا مَعَ الشَّاهِدينَ﴾ بالوحدانيَّة، أو: مع الأنبياء الّذين يشهدون لأُممهم، أو أُمَّة محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم فإنهم شهداء

(١) في «ب» الثروب، والثرب: هوالشحم الرقيق الذي يكون على الكرش والامعاء.

على الناس .

[٥٤] ـ ﴿وَمَكَرُواْ﴾ أي : اليهود الذين أحسَّ منهم الكفر بتوكيلهم من يقتله غيلة ﴿وَمَكَرَ اللهُ﴾ برفعه عيسى ، وإلقاء شَبَهِهِ على من أراد اغتياله حتّى قُتل ، وإسناد المكر اليه تعالى للمقابلة ﴿وَاللهُ خَيْرُ الْماكِرِيْنَ﴾ أنفذهم كيداً .

[٥٥] ـ ﴿إذْ قالَ اللهُ﴾ ظرف لـ«خير الماكرين» ، أو لـ«مكر الله» ﴿يا عِيْسى إِنّي مُتَوَفِّيْكَ﴾ : مستوفٍ أجلك ، وعاصمك من قتلهم الى أجلك المسمّى ، أو : متسلّمك من الأرض ، من : «توفيت كذا» : تسلمته ﴿وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ الى سمائي ومقر ملائكتي ﴿وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ من خبث صحبتهم ﴿وَجاعِلُ الَّذِيْنَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِلى يَومْ الْقِيْمَةِ﴾ يعلونهم بالحجة أو السيف في أكثر الأحوال ، ومتّبعوه ، هم المسلمون لأنّهم متّبعوه في أبواب التوحيد ، دون من كذبه وكذب عليه من اليهود والنصارى ﴿ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ﴾ الخطاب لعيسى ومن تبعه وكفر به ، على التغليب ﴿فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيما كُنْتُمْ فِيْهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ من أمر الدين .

[٥٦ ـ ٥٧] ـ ﴿فَأَمَّا الَّذِيْنَ كَفَرُواْ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذاباً شَدِيْداً فِي الدُّنْيا وَالْآخِرَةِ وَما لَهُمْ مِنْ ناصِرِينَ * وَأَمّا الَّذِيْنَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحاتِ فَنُوَفِّيْهِمْ[1] أُجُورَهُمْ﴾ تفصيل للحكم ، وقرأ «عاصم» : «فيوفيهم» ـ بالياء ـ[2] ﴿وَاللهُ لاُ يُحِبُّ الظّالِمِيْنَ﴾ لا يرضى عنهم .

[٥٨] ـ ﴿ذَلِكَ﴾ أي : ما ذكر من نبأ عيسى وغيره . وهو مبتدأ ﴿نَتْلُوهُ عَلَيْكَ﴾ خبره ﴿مِنَ الآيَاتِ﴾ حال من الهاء ، أو : خبر آخر ، أو : لمحذوف ﴿وَالذِّكْرِ﴾ : القرآن ﴿الْحَكِيْمِ﴾ وصف به لكثرة حِكَمِهِ كأنّه ينطق بالحكمة .

[٥٩] ـ ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ﴾ ان حاله العجيبة كحال آدم ﴿خَلَقَهُ

---

(١) في المصحف الشريف بقراءة حفص «فيوفّيهم باليا» ـ كما سيشير إليه الموالف ـ .

(٢) حجة القراءات : ١٦٤ .

مِنْ تُرابٍ﴾ جملة مفسرة لما لأجله الشّبه، وهو: خلقه بلا أب، كخلق آدم بلا أب وأمّ، شبّه الغريب بالأغرب، ليكون أقطع للخصم، والمعنى: قدّره جسداً من التّراب ﴿ثُمَّ قالَ لَهُ كُنْ﴾ أي: انشأه بشراً كقوله: ﴿ثُمَّ أَنْشأْناهُ خَلْقاً آخَرَ﴾[1] ﴿فَيَكُونَ﴾ حكاية حال ماضية.

[٦٠] ـ ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾ خبر محذوف ﴿فَلاَ تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ نهيه ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ من باب التهيُّج لزيادة اليقين.

[٦١] ـ ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ﴾ من النصارى ﴿فِيْهِ﴾ في عيسى ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾: من الدلائل الموجبة للعلم ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا﴾: هلّموا بالعزم ﴿نَدْعُ أَبْناءَنَا وَأَبْناءَكُمْ وَنِساءَنَا وَنساءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ﴾ أي: يَدْع كلّ مني ومنكم أبناءه ونساءه ومن هو كنفسه، الى المباهلة ﴿ثُمَّ نَبْتَهِلْ﴾ نتباهل، بأن نلعن الكاذب منّا.

والبهلة ـ بالفتح والضمّ ـ اللعنة ﴿فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِيْنَ﴾ عطف مفسر.

روي: انهم حين دعوا الى المباهلة قالوا: حتى نظر، فتخالوا، فقال العاقب ـ وكان ذا رأيهم ـ: والله لقد عرفتم نبوّته، ولقد جاءكم بالفصل من أمر صاحبكم.

والله ما باَهلَ قوم نبيّاً إلاّ هلكوا، فإن أبيتم إلاّ إلف[2] دينكم فوادعوه وانصرفوا.

فأتوه صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ وقد غدا آخذاً بيد عليّ بن أبي طالب عليه السّلام، والحسن والحسين بين يديه، وفاطمة خلفه ـ.

فقال أُسقفهم: يا معشر النصارى، إنّي لأرى وجوهاً لو سألوا الله أن يزيل جبلاً من مكانه لأزاله، فلا تبهلوا. فأبوا المباهلة وصالحوه على ألفي حلة، وعارية ثلاثين درعاً في كل عام.

فقال صلّى الله عليه وآله وسلّم: والذّي نفسي بيده، لو باهلوا لمسخوا قردة وخنازيراً،

---

(١) سورة المؤمنون: ٢٣/ ١٤.

(٢) الإلف بكسر الهمزة: الصداقة والمؤانسة.

ولاضطرم الوادي عليهم ناراً، ولاستأصل الله نجران وأهله حتى الطير على الشجر.[١]

وهو برهان واضح على صحة نبوّته، وعلوّ درجة أهل العبا[٢] في الفضل على من سواهم.

[٦٢] ـ ﴿إِنَّ هَذَا﴾ الذي قُصَّ من نبأ عيسى عليه السّلام ﴿لَهُوَ﴾ فصل، أو: مبتدأ خبره: ﴿الْقَصَصُ الحَقُّ وَمَا مِنْ إِلهٍ إِلاَّ اللهُ﴾ «من» مزيدة للإستغراق، وهو ردٌّ على النصارى في تثليثهم ﴿وَإِنَّ اللهَ لَهُوَ الْعَزِيْزُ الْحَكِيْمُ﴾ المتفرّد في القدرة الكاملة والحكمة البالغة، فلا يشارك في الإلهية.

[٦٣] ـ ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللهَ عَلِيْمٌ بِالْمُفْسِدِيْنَ﴾ وعيد لهم. ولم يقل: «بهم» ليدلّ على أن الإعراض عن الحجج والتوحيد إفساد للدّين بل للعالم.

[٦٤] ـ ﴿قُلْ يا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ هم أهل الكتابين، أو: وفد نجران؛ أو: يهود المدينة ﴿تَعَالَوْا إِلى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ﴾: مستوية ﴿بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ لا يختلف فيها الرسل، والكتب وتفسيرها ﴿أَلاّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللهَ﴾ أن نوحّده بالعبادة مخلصين ﴿وَلانُشرِكَ بِهِ شيْئاً﴾ ولانجعل احداً شريكاً له في استحقاق العبادة ﴿وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْباباً مِنْ دُونِ اللهِ﴾ ولا نقول: عُزَيرٌ ابْنُ اللهِ، ولا: المسيح ابن الله، ولا نطيع الأحبار فيما أحدثوا من التّحليل والتّحريم، لأن كلاًّ منهم بعضنا وبشر مثلنا.

روي أنّه حين نزلت: ﴿إِتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللهِ﴾.[٣]

قال «عدي بن حاتم»: ما كنا نعبدهم يا رسول الله، قال صلّى الله عليه وآله وسلّم: أليسوا كانوا يحلون لكم ويحرمون، فتأخذون بقولهم؟ فقال: نعم. قال (ص): «هو

---

(١) نقل هذه الرواية البيضاوي في تفسيره٢: ٢٢ وروى بعضه الطبرسي في تفسير مجمع البيان ١: ٤٥٢.

(٢) يراد بهم اصحاب الكساء وهم فاطمة وابوها وبعلها وبنوها صلوات الله عليهم اجمعين.

(٣) سورة التوبة: ٩/ ٣١.

ذاك»[1] ﴿فإنْ تَوَلَّوْا﴾ عن التوحيد ﴿فَقُولُوْا اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ أي: لزمتكم الحجة فاعترفوا بأنا مسلمون دونكم، أو: بأنكم كافرون حيث توليتم عن الحقّ الجليّ.

[٦٥] ـ ﴿يا أَهْلَ الْكِتابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْـرَاهِيْمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرِيةُ وَالإِنْجِيْلُ إِلاّ مِنْ بَعدِهِ﴾ زعم كل فـريق من اليهود والنصارى أن ابـراهيم منهم، فتنازعـوا عند النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم، فقيل لهم: إنّ اليهودية والنصرانية حدثتا بعد نزول التّوراة والإنجيل على مـوسى وعيسى عليهما السّلام، وكان ابـراهيم قبل مـوسى بألف سنـة، وقبل عيسى بألفين، فكيف يكون عليهما ﴿أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾ استحالة دعواكم.

[٦٦] ـ ﴿هَا﴾ للتنبيه ﴿أَنْتُمْ﴾ مبتدأ ﴿هَؤُلاءِ﴾ خبره: ﴿حَاجَجْتُمْ﴾ جملة مبيِّنةٌ للأُولى، أي: أنتم هؤلاء الحمقاء، وبيان حماقتكم أنكم جادلتم ﴿فِيْمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾ مِمّا في التّوراة والإنجيل ﴿فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيْمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾ ولا ذكر في كتابيكم من دين ابراهيم ﴿وَاللهُ يَعْلَمُ﴾ دين ابراهيم ﴿وَأَنْتُمْ لاَتَعْلَمُونَ﴾ جاهلون به.

[٦٧] ـ ﴿مَا كَانَ إِبْرَهِيْمُ يَهُـودِيّاً وَلاَ نَصْرَانِيّاً﴾ تصريح بمقتضى الحجّـة المقرّرة ﴿وَلَكِنْ كَانَ حَنِيْفاً﴾: مائلاً عن الأديان الباطلة ﴿مُسْلِماً﴾: مخلصاً لله ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكيْنَ﴾ كما لـم يكن منكم، أو: تعريض بشركهم به عزيراً والمسيح.

[٦٨] ـ ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ﴾: أخصّهم به وأقـربهم منه، من الـوَلْي: أي القرب ﴿لَلَّذيْنَ اتَّبَعُوهُ﴾ سابقاً ﴿وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِيْنَ ءَامَنُوْا﴾ معهُ لموافقتهم لـه في أكثر شريعته أصالة ﴿وَاللهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِيْنَ﴾ ناصرهم.

[٦٩] ــ ﴿وَدَّتْ طَـائِفَةٌ مِـنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَـوْ يُضِلُّـونكُمْ﴾: هم اليهـود، دعـوا «حذيفـة» و«عمّاراً» و«معـاذاً» الى اليهـودية، و«لـو» بمعنى: «أن» ﴿وَمَا يُضِلـوُّنَ إِلاّ أَنْفُسَهُمْ﴾ وما يلحق وبالُ إضلالهم إلاّ بهـم؛ إذ يضاعَف به عذابهم ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ بعود ضرره عليهم.

---

(١) تفسير مجمع البيان ١: ٤٥٥.

[٧٠] ـ ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ﴾ بما نطقت به التوراة والإنجيل من صحّة نبوّة محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم ﴿وَأَنْتُمْ تَشْهَدونَ﴾ بأنّها آيات الله، أو: بالقرآن وأنتم تشهدون نعته في كتابيكم.

[٧١] ـ ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾: تخلطونه به بالتحريف ﴿وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ﴾ نبوّة محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ انه حقّ.

[٧٢] ـ ﴿وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ءَامِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِيْنَ ءَامَنُوا﴾: أظهروا الإيمان بالقرآن ﴿وَجْهَ النَّهَارِ﴾: أوّله ﴿وَاكْفُرُواْ﴾ به ﴿ءَاخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ أي: يشكّون في دينهم ظنّاً بأنّ رجوعكم لخلل ظهر لكم.

وقيل: لما حولت القبلة الى الكعبة، قال كعب بن الأشرف لأصحابه: آمنوا بما أُنزل عليهم من الصلاة إلى الكعبة وصلّوا اليها أوّل النَّهار، ثمّ صلّوا إلى الصخرة آخره، لعلّهم يقولون: هم أعلم منّا وقد رجعوا فيرجعون.[1]

[٧٣] ـ ﴿وَلاَ تُؤْمِنُوا إِلاَّ لِمَنْ تَبِعَ دِيْنَكُمْ﴾ ولا تصدقوا إلاّ لأهل دينكم، أو: لا تظهروا إيمانكم وجه النهار إلاّ لمن كان على دينكم فإنّهم أرجى رجوعاً ﴿قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللهِ﴾ يوفّق من يشاء للإسلام ويثبته عليه ﴿أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ﴾ يتعلّق بـ«لا تؤمنوا» أي: لا تظهروا إيمانكم بأن يؤتى أحد مثل ما أُوتيتم إلاّ لأهل دينكم، ولا تفشوه للمسلمين لئلا يزيدهم ثباتاً، ولا للمشركين لئلا يدعوهم إلى الإسلام. أو بمحذوف، أي: قلتم ذلك ودبَّرتموه لأن يؤتى، يعني: دعاكم الحسد إلى ذلك ويؤيده قراءة «ابن كثير»: «أن يؤتى» ـ على الإستفهام ـ للتوبيخ،[2] أي: ألان يؤتى، دبرتم كذا؟.[3]

---

(١) تفسير الكشّاف ١: ٤٣٦ ونقل معناه الطبرسي في تفسير مجمع البيان ١: ٤٦٠.

(٢) حجة القراءات: ١٦٥.

(٣) أي: هل دبرتم كذا لأن يؤتى أحد مثل ما اوتيتم.

وقوله: «إن الهدى هدى، الله» اعتراض يفيد أنّ كيدهم لا ينفع، أو؛ خبر «إنّ» و«هدى الله» بدل من «الهدى» ﴿أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ﴾ عطف على «أن يؤتى» - على الأوّلين ـــ، و ـ على الثالث ـــ معناه: حتى يحاجوكم عند ربكم فيقطعوكم، و«الواو» لأحد، لأنّه في معنى الجمع ﴿قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾.

[٧٤] ـ ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُوالْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ فلا هداية ولا توفيق إلاّ من لطفه تعالى.

[٧٥] ـ ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ﴾ كعبدالله بن سلام، استودعه قرشي ألفاً ومائتي أُوقية[١] ذهباً، فأدّاه إليه ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ﴾ كـ«فيحاص[٢] بن عازوراء» استودعه قرشي ديناراً فجحده.

وقيل: المأمونون على الكثير النصارى لغلبة الأمانة فيهم، والخائنون في القليل اليهود لغلبة الخيانة فيهم[٣] ﴿إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِماً﴾: إلاّ مدة دوامك قائماً على رأسه تطالبه بالعنف ﴿ذَلِكَ﴾ أي: ترك الأداء، الدال عليه: «لايؤدِّه» ﴿بِأَنَّهُمْ قَالُوا﴾: بسبب قولهم ﴿لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ﴾ أي: في شأن من ليسوا أهل ديننا ﴿سَبِيلٌ﴾: عتاب. استحلوا ظلم من خالفهم وقالوا: لم يجعل لهم في كتابنا حرمة.

وقيل: بايع اليهود رجالاً من قريش فأسلموا فتقاضوهم، فقالوا لا حقّ لكم لتركّكم دينكم وذلك في كتابنا[٤] ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ﴾ بما ادعوا ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ انهم كاذبون.

---

(١) الاوقية تساوي نصف سدس الرطل وكانت في القديم وزن اربعين درهماً.

(٢) في تفسير مجمع البيان ١: ٤٦٢ فحاص، وفي تفسير البيضاوي ٢: ٢٦: فنحاص.

(٣) نقله البيضاوي في تفسيره ٢: ٢٦.

(٤) قاله الحسن وابن جريج كما في تفسير مجمع البيان ١: ٤٦٣.

[٧٦] ـ ﴿بَلَى﴾ عليهم فيهم سبيل ﴿مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِيْنَ﴾ استئناف مقرر لما نابته «بلى»، والضمير في: «بعهده» لله، أو: لـ«من» وعموم المتقين. ناب العائد[1] من الجزاء الى «من» وأفاد إعتناءً بالتقوى، وهو يعم أداء الواجبات وترك المحرمات.

[٧٧] ـ ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ﴾: يستبدلون ﴿بِعَهْدِ اللهِ﴾: بما عاهدوه عليه من الإيمان لمحمد صلّى الله عليه وآله وسلّم ﴿وَأَيْمَانِهِمْ﴾ وبما حلفوا به من قولهم: وَالله لَنُؤْمِنَنَّ بِهِ وَلَنَنصُرُنَّهُ[2] ﴿ثَمَناً قَلِيْلاً﴾ عرض الدنيا ﴿أُوْلئِكَ لاَ خَلاَقَ﴾ لا نصيب ﴿لَهُمْ فِي الآخِرَةِ وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللهُ﴾ بما يسرُّهم، أو بشيءٍ أصلاً، وإنما تحاسبهم الملائكة. أو: كناية عن سخطه عليهم مثل: ﴿وَلا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ﴾ إذ مَنْ سخط على غيره واستهان به أعرض عنه وعن تكليمه ﴿وَلاَ يُزَكِّيْهِمْ﴾: ولا يثني عليهم ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيْمٌ﴾ على فعلهم. نزلت في أحبار كتموا أمر محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم، وحرّفوا التوراة للرّشوة، أو: في رجل حلف كاذباً في تنفيق سلعته.[3]

[٧٨] ـ ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيْقاً﴾ «كعب» و«مالك» و«حيي» وغيرهم ﴿يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ﴾ يفتلونها بتلاوته عن الصحيح الى المحرّف ﴿لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ﴾ الضمير للمحرّف الدال عليه «يلوون» ﴿وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ﴾ تأكيد لقوله: «وما هو من الكتاب»، وتشنيع عليهم بالكذب، لإدّعائهم ذلك تصريحاً لا تعريضاً ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ تأكيد وتسجيل بتعمد الكذب على الله.

[٧٩] ـ ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُواْ

---

(١) الظاهر ان العبارة سقط، والصحيح ـ كما في تفسير البيضاوي ٢: ٢٦ ـ ناب مناب العائد.

(٢) إقتباس من قوله تعالى: «ثمَّ جاءكم رسول مصدّقٌ لما معكم لتؤمننَّ به ولتنصرنَّه».

(٣) نقل الطبرسي في تفسير مجمع البيان ١: ٤٦٣ الاول عن عكرمة والثاني عن مجاهد والشعبي.

﴿عِبَاداً لِي مِنْ دُونِ اللهِ﴾ تكذيب لعبدة عيسى ـ عليه السّلام ـ. وقيل: إن أبا رافع القرضي، ورئيس وفد نجران قالا: يا محمد أتريد أن نعبدك، ونتخذك ربّاً؟ قال: معاذ الله أن نعبد غير الله، وأن نأمر بعبادة غيره، ما بذلك بعثني، ولا بذلك أمرني.[١]

وقيل: قال رجل: يا رسول الله نسلم عليك كما يسلم بعضنا على بعض، أفلا نسجد لك؟ قال: لا ينبغي أن يسجد لأحد من دون الله، ولكن أكرموا نبيكم، واعرفوا الحق لأهله.[٢] ﴿وَلَكِنْ﴾ يقول: ﴿كُونُواْ رَبَّانِيِّينَ﴾ الربّاني: منسوب الى الربّ بزيادة الألف والنون، وهو: الكامل علماً وعملاً ﴿بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾: بسبب كونكم معلمين الكتاب، وبسبب كونكم دارسين له؛ إذ ثمرة التعليم والتعلم كسب العلم والعمل وقرأ «نافع» و«ابن كثير» و«أبو عمرو»: «تعلمون» أي: عالمين.[٣]

[٨٠] ـ ﴿وَلاَ يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُواْ الْمَلائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَاباً﴾ نصبه «ابن عامر» و«حمزة» و«عاصم» عطفاً على «ثمَّ يقول»[٤] و«لا» زيدت تأكيداً لمعنى النفي في «ما كان» أي: ما كان لبشر أن يستنبئه، ثمَّ يأمر الناس بعبادته، ويأمركم باتّخاذ المربوبين أرباباً. ورفعه الباقون استئنافاً[٥] ﴿أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ﴾ إنكار، والمستتر[٦] للبشر، أو: لله ﴿بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ دلَّ على أنَّ الخطاب للمسلمين وهم القائلون: «أفلا نسجد لك».

[٨١] ـ ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا ءَاتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ

---

(١) قاله ابن عباس وعطاء ـ كما في تفسير مجمع البيان ١: ٤٦٦.

(٢) نقل هذا القول كل من الطبرسي في تفسيرمجمع البيان١: ٤٦٦ والبيضاوي في تفسيره ٢: ٢٧.

(٣) حجة القراءات: ١٦٧.

(٤-٥) حجة القراءات: ١٦٨.

(٦) اي: الضمير المستتر.

﴿رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّه﴾ أخذ الله الميثاق على الأنبياء قبل نبينا صلّى الله عليه وآله وسلّم أن يُبَشِّروا أُممهم به، ويأمروهم بتصديقه ونصره، أو: أخذ على الأنبياء وأُممهم بذلك واستغنى بذكره عن ذكر الأُمم، او أخذ الميثاق الذي وثّقه الأنبياء على أُممهم، على إضافة الميثاق الى الفاعل.

وعن الصادق عليه السّلام معناه: أخذ الميثاق أُممهم بالعمل بما أُوتوا به، فما وفوا.

و«لام» «لما» للقسم، لأن أخذ الميثاق بمعنى: الإستحلاف. و«ما» شرطية، و«لتؤمننَّ» سدَّ مسدَّ جواب القسم والشّرط.

أو: موصولة. وكسر «حمزة» لام «لما» [1]فتكون «ما» مصدرية، أي: لأجل إيتائي إيّاكم بعض الكتب ثم مجيء رسول مصدّق أخذ الله الميثاق لتؤمنن به ولتنصرنه.

أو: موصولة أي: أخذه للذي أتيتكموه وجاءكم رسول مصدق له. وقرأ «نافع»: آتيناكم[2] ﴿قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي﴾: عهدي، سمّي به لأنّه يؤصر، أي: يشدّ ﴿قَالُوْا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا﴾: فليشهد بعضكم على بعض بالإقرار ﴿وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِيْنَ﴾ عليكم وعلى أممكم، وهو تحذير بليغ.

[٨٢] ـ ﴿فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ﴾ الميثاق والتوكيد ﴿فَاوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ المتمرّدون كفراً.

[٨٣] ـ ﴿أَفَغَيْرَ دِيْنِ اللهِ تَبْغُونَ﴾[3] عطف على الجملة المتقدّمة، وتوسطت بينهما همزة الإنكار أو على محذوف تقديره «تتولون فغير دين الله تبغون» وقدم المفعول به لتوجه الانكار اليه. وقرأ «أبوعمرو» و«حفص» بلفظ الغيبة، والباقون:

(١ـ٢) حجة القراءات: ١٦٨.

(٣) في المصحف الشريف بقراءة حفص: «يبغون» كما سيشير اليه المؤلف.

بالتاء،[1] بتقدير وقل لهم، ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوعًا وَكَرْهًا﴾ طائعين بالنظر في الحجج، وكارهين بالسيف أو معاينة ما يلجىء الى الإسلام ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[2] وقرأ «حفص» بالياء،[3] والضمير لـ«من».

[٨٤] ـ ﴿قُلْ ءَامَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحٰقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوْتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ أُمر صلّى الله عليه وآله وسلّم بأن يُخبر عن نفسه ومن معه بالإيمان، أو: بأن يتكلم عن نفسه تكلّم الملوك؛ إجلالاً له، والنزول يُعدَّى بـ«على» و«إلى» لأنَّه من فوق، وينتهي الى الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ﴾ بالتصديق والتكذيب ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾: منقادون موحّدون.

[٨٥] ـ ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلَامِ﴾ غير الإنقياد لله تعالى وتوحيده ﴿دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِيْنَ﴾ أي من طلب غير الإسلام فقد النفع ووقع في الخسران.

[٨٦] ـ ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللهُ قَوْماً كَفَرُواْ بَعْدَ إِيْمانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ[4] الْبَيِّنَاتُ﴾ كيف يلطف بهم وقد علم تصميمهم على كفرهم؛ إذ تركوا الحقَّ بعد ما وضح لهم، وتمسّكوا به، وهو استبعاد وإنكار، ولا ينافي قبول توبة المرتدّ، لعلمه تعالى بتركه الإصرار. و«شهدوا» عطف على معنى الفعل في «إيمانهم»، أو: حال من «كفروا» بتقدير «قد» ﴿وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِيْنَ﴾ لا يلطف بهم لعلمه بأنَّ اللطف لاينفع بهم لعنادهم.

---

(١) حجة القراءات: ١٧٠.

(٢) في المصحف الشريف بقراءة حفص: «يرجعون» كما سيشير اليه المؤلف.

(٣) حجة القراءات: ١٧٠ وعليه المصحف الشريف المطبوع في ايران بقرائته.

(٤) في: «ط»: جاءتهم. واثبتناه على ما في المصحف الشريف بقراءة حفص.

[٨٧] ـ ﴿أُوْلَئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللهِ وَالْمَلائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِيْنَ﴾ والتمسُّك بمفهومه في منع لعن غيرهم ضعيف.

[٨٨] ـ ﴿خَالِدِينَ فِيْهَا﴾ في اللعنة أو العقوبة التي استحقُّوها بها ﴿لاَ يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾.

[٨٩] ـ ﴿إِلاّ الَّذِيْنَ تَابُوْا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾: الإرتداد ﴿وَأَصْلَحُوا﴾ ما أفسدوا، أو: دخلوا في الصلاح ﴿فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ﴾: يغفر ذنوبهم ﴿رَحِيمٌ﴾: ينعم عليهم. نزلت في الحارث بن سويد، حين ندم على ردّته، فأرسل الى قومه: سلوا هل لي من توبةٍ؟ فأرسلوا إليه بالآية، فأتى المدينة فتاب.[١]

[٩٠] ـ ﴿إِنَّ الَّذِيْنَ كَفَرُواْ بَعْدَ إِيْمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُوْا كُفْراً﴾ هم اليهود كفروا بعيسى عليه السّلام بعد إِيمانهم بموسى، ثم ازدادوا كفراً بمحمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم، أو: بمحمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم بعد إيمانهم به قبل مبعثه، ثم ازدادوا كفراً بإصرارهم وطعنهم فيه، وصدّهم عن الإيمان.

أو: قوم ارتدّوا ولحقوا بمكة، ثم ازدادوا كفراً بقولهم: «نتربص بمحمد ريب المنون» فَإِنْ رَجَعْنَا نافقنا بإظهار التوبة[٢] ﴿لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ﴾ لنفاقهم فيها، أو: لأنّهم لا يتوبون إلاّ عند المعاينة لارتدادهم وزيادة كفرهم، ولذا ترك «الفاء» فيه ﴿وَأُوْلَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ﴾.

[٩١] ـ ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوْا وَمَاتُوْا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الأَرْضِ ذَهَباً﴾ أتى بـ«الفاء» ايذاناً بأنَّ سبب امتناع قبول الفدية: الموتُ على الكفر، و«ذهباً» تمييز ﴿وَلَوِ افْتَدَى بِهِ﴾ التقدير: فلن يقبل من أحدهم فدية ولو افتدى بملء الأرض ذهباً.

(١) تفسير مجمع البيان ١: ٤٧١.

(٢) في «ط»: فإن رجعنا أظهرنا التوبة.

أو: «ولَوِ افْتَدَى» بمثله، أي: معه، وكثر حذف المثل؛ إذ المثلان كشيء واحد ﴿أُوْلِئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ إقناط من العفو عنهم تفضلاً ﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِيْنَ﴾: يدفعون العذاب. و«من» زيدت للإستغراق.

[٩٢]ـ ﴿لَنْ تَنَالُوْا الْبِرَّ﴾ لن تبلغوا كمال البرّ، أو: لن تكونوا أبراراً، أو: لن تدركوا برّ الله، وهو: ثوابه ﴿حتّى تُنْفِقُوْا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ أي: من المال، أو: مما يعمّه والنفس والبدن والجاه في سبيل الله وطاعته ومعاونة النّاس.

ويعمّ الإنفاق الواجب والنفل و«من» للتبعيض أو للتبيين ﴿وَما تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ﴾ اي من أيْ شيء طيَب أو خبيث، و«من» بيانية ﴿فَإِنَّ اللهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ فيجازيكم بحسبه.

[٩٣]ـ ﴿كُلُّ الطَّعَامِ﴾ أي: المطعومات ﴿كَانَ حِلاًّ لِبَنِي إِسْرائِيل﴾ حلالاً لهم، وهو مصدر يستوي في الوصف به المذكر والمؤنث، والمفرد والجمع، قال الله تعالى: ﴿لاهُنَّ حلّ لهم﴾[١] ﴿إِلاّ مَا حَرَّمَ إِسْرائيلُ﴾ يعقوب ﴿عَلى نَفْسِهِ﴾ كان به عرق النسا[٢] فنذر إن شُفي لم يأكل العروق ولحوم الإبل، و[كان] ذلك أحبَ الطعام اليه.[٣]

وقيل: أشارت عليه الأطباء باجتنابه فحرّمه بإذن من الله[٤] ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَيةُ﴾ مشتملةً على تحريم ما حرّم الله عليهم فيها بظلمهم. وهو تكذيب لدعوى اليهود براءتهم مما نعي عليهم في: ﴿فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِيْنَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ﴾[٥] الآية

(١) سورة الممتحنة: ٦٠/ ١٠.

(٢) وهو من اوجاع المفاصل، والنّسا بالفتح والقصر ـ اسم عرق مخصوص وهو وريد يمتد على الفخذ وتقدير الكلام: وجع العرق الذي هو النسا، فالإضافة بيانية.

(٣) وهذا قول ابن عباس ومجاهد والضحاك ـ كما في تفسير مجمع البيان ١: ٤٧٥.

(٤) ذكر هذا القول الزمخشري في تفسير الكشّاف ١: ٤٤٥. وكذالبيضاوي في تفسيره ٢: ٣١.

(٥) سورة النساء: ٤/ ١٦٠.

ونحوها إذ قالوا: لسنا أوّل من حرمت عليه وقد كانت محرّمة على نوح وابراهيم ومن بعده حتى انتهى التحريم الينا.

وردّ لمنعهم النّسخ وإنكارهم دعوى النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم موافقة ابراهيم عليه السّلام في تحليل لحوم الابل ﴿قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرِيةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِيْنَ﴾ أمر بتبكيتهم بما في كتابهم من أنه تحريم حادث بظلمهم لا قديم، فلم يجسروا أن يأتوا بها، وفيه حجة على صدقة.

[٩٤] - ﴿فَمَنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ الْكَذِبَ﴾ بزعمه أنّ تحريم ذلك قديم ﴿مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ الذي لزمهم من الحجة ﴿فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ بمكابرة الحق الواضح.

[٩٥] - ﴿قُلْ صَدَقَ اللهُ﴾ تعريض بكذبهم، أي: ثبت أنه صادق فيما أنزل، وأنتم الكاذبون ﴿فَاتَّبِعُوْا مِلَّةَ إِبْرَاهِيم حَنِيفًا﴾ ملّة الإسلام التي هي مثل ملّة ابراهيم لتتخلصوا من اليهودية التي حملتكم على التحريف، وألزمتكم تحريم طيّبات احلّت لإبراهيم وأتباعه ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ تعريض بشركهم.

[٩٦] - ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وَضِعَ لِلنَّاسِ﴾ جُعل متعبّداً لهم، والواضع هو الله تعالى - لقراءة البناء للفاعل - ﴿لَلَّذِي﴾ للبيت الذي ﴿بِبَكَّةَ﴾ لغة في «مكة».

وقيل: موضع المسجد.

وبكة: البلد،[1] من البك، أي: الزحم، أو: الدقّ للإزدحام فيها ودقّها أعناق العتاة.

وعنه صلّى الله عليه وآله وسلّم: «أول مسجد وضع، المسجد الحرام، ثم بيت المقدس».[2]

وعن عليّ عليه السّلام: «كان قبله بيوت لكنه أول بيت وضع للعبادة»[3] وأول من بناه

---

(١) نقل هذا القول البيضاوي في تفسيره ٢: ٣١.

(٢-٣) تفسير مجمع البيان ١: ٤٧٧.

«ابراهيم» ثم قوم من «جرهم» ثم «العمالقة» ثم «قريش»[١] وقيل: «آدم» ثم «ابراهيم»[٢] وفيه روايات أُخر[٣] ﴿مُبَارَكاً﴾ كثير الخير لمن حجّه واعتمره، حال من المستكن في «ببكة» أو «وضع» ﴿وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾ لأنه متعبدهم.

[٩٧] ـ ﴿فِيْه ءَايَاتٌ بَيِّنَاتٌ﴾ كإهلاك أصحاب الفيل وغيرهم، ومخالطة السّباع الصّيد في حرمه ولم تتعرض له،[٤] وأنّ الطير لا يعلوه ﴿مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ﴾ بدل البعض من «آيات»، أو مبتدأ حذف خبره، أي: منها، أو عطف بيان لَها، على أنّ كلاًّ من أثر القدم في الحجر، وغوصها الى الكعبين، وحفظه مع كثرة الأعداء، وإبقاؤه دون سائر آيات الأنبياء آيةٌ.

وسبب هذا الأثر قيامُه عليه حين بنى البيت. أو عطف بيان لخبر «إنّ»؛ إذ الحرم كلّه مقامه فضلاً عن البيت ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ ءَامِناً﴾ عطف على «مقام» من حيث المعنى، أي: ومنها أمْنُ من دخله، أو: فيه آيات المقامُ والأمن. وطوى ذكر غيرهما إيذاناً بكثرة الآيات، أي هي هاتان وكثير سواهما، أو: جملة مستأنفة والضّمير في «دخله» لـ«مقام»، وهو خبر عن إجابة دعاء إبراهيم عليه السّلام: ﴿اجْعَلْ هذَا بَلَداً آمِناً﴾.[٥]

وعن الصادق عليه السّلام: «من دخله عارفاً بما أوجبه الله عليه كان آمناً في الآخرة من النار»[٦] أو: أمر، أي: ليُؤمَّنْ مَن دخله جانياً خارجه، ولا يُتَعرّضْ له، ولكن يلجأ الى الخروج ﴿ولله عَلَى النَّاسِ حَجُّ الْبَيْتِ﴾: قصده على الوجه المخصوص. وكسر

---

(١) ورد ذلك باختلاف يسير في تفسير البرهان ١: ٣٠١.

(٢) نقله البيضاوي في تفسيره ٢: ٣١.

(٣) راجع تفسير البرهان ١: ٢٩٩.

(٤) كذا في النسخ، والمراد: ان ضواري السباع تخالط الصيود في الحرم ولاتتعرض لها.

(٥) سورة البقرة: ٢/ ١٢٦.

(٦) رواه الطبرسي في تفسير مجمع البيان ١: ٤٧٨ عن ابي جعفر عليه السّلام.

الحاء «حمزة» و«الكسائي» و«حفص»[1] ﴿مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً﴾ بدل البعض من الناس.

وفسّرت الإستطاعة بالزاد والراحلة، ونفقة واجبي النفقة ولو مبذولة، وصحة البدن، وتخلية السّرب، وعليه أصحابنا، لكن اشترط بعضهم الرجوع الى كفايةٍ لرواية ضعيفة[2] معارضة بالآية وأخبار صحيحة[3] مع تأويلها، والضمير في «اليه» للبيت أو الحج. ﴿وَمَنْ كَفَرَ فإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ أكّد أمر الحجّ بإيجابه بصيغة الخبر.

والجملة الإسمية، وإِيرادِه على وجه يُفيد أنه حقّ للهِ في رقاب الناس، وتخصيص الحكم بعد تعميمه، وهو تكرير للمراد، وبيان بعد ابهام، وتغليظ تركه بتسميته كفراً، كما سُمّى تاركه في الحديث يهودياً أو نصرانياً.[4]

وذكر الإستغناء الدال على المقت والسخط، وإِبدال «عنه» بـ«عن العالمين» الدال على الإستغناء عنه بالبرهان أو: على عظم السّخط.

[٩٨] ـ ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ﴾ الدّالة على صدق محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم ﴿وَاللهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ﴾ والحال انّه مطّلع على أعمالكم فمجازيكم بها.[5]

[٩٩] ـ ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ مَنْ ءَامَنَ﴾ التي أمر بسلوكها، وهو الإسلام. كانوا يحتالون لصدّ المؤمنين عنه، ويغرون بين الأوس والخزرج بتذكيرهم تحاربهم وتعاديهم الجاهلي ليعودوا لمثله ﴿تَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ حال

---

(١) حجة القراءات: ١٧٠.

(٢) اوردها الحر العاملي في وسائل الشيعة ٨: ٣٥ في الباب التاسع من ابواب وجوب الحج ـ الحديث الرابع ـ.

(٣و٤) ينظر الوسائل ٨: ١٩ الباب السابع من ابواب وجوب الحج ـ الحديث الاول ـ.

(٥) في «ط» فيجازيكم بها.

من «الـواو»، أي طالبين اعـوجاجـاً بتلبيسكم على النـاس لتوهموا أنّ فيـه عوجـاً عن الحق، أو: بإغرائكم بين المؤمنين ليختلّ أمر دينهم ﴿وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ﴾ أنها سبيل الله، والصادُّ عنها ضال مضلّ، أو: وأنتم ثقاة عنـد أهل دينكم يستشهدون بكم في أُمورهم ﴿وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ وعيد لهم.

[١٠٠] ـ ﴿يا أَيُّهَا الَّـذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنْ تُطِيْعُوا فَرِيْقًـا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَـابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيْمانِكُمْ كَافِرِينَ﴾ نزلت في الأوس والخزرج إذ مرّ «شاس بن قيس» اليهودي بنفر منهم جلوس يتحدّثون؛ فغاظه تألّفهم فأمر يهودياً أن يذكّرهم «يوم بعاث»[1] وينشدهم مما قيل فيـه، فتنازعوا وتغاضبـوا، ودعوا بالسلاح، فأتـاهم النبيّ صلّى الله عليـه وآلـه وسلّم قال: «أتدّعون الجاهلية وأنا بين أظهـركم بعد إذ أكرمكم الله بالإسلام، «وألّف بينكم» فعرفـوا أنهـا نزغـة شيطان وكـيد عدوٍ، فألقـوا السلاح وبكـوا وتعانـقوا، وانصرفوا معه صلّى الله عليه وآله وسلّم».

[وانّما][2] خاطبهم الله تعالى بنفسه بعد أمره نبيّه صلّى الله عليه وآله وسلّم بخطاب أهل الكتاب إجلالاً لهم وإيذاناً بأنّهم الأحقّاء بأن يخاطبه.

[١٠١] ـ ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلى عَلَيْكُمْ ءَايَـاتُ اللهِ وَفِيْكُمْ رَسُولُهُ﴾ استبعاد لكفرهـم حال وجـود ما يدعـوهم الى الإيمـان، ويصرفهم عـن الكفر ﴿وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللهِ﴾: يتمسك بدينه، أو: يلتجيء إليـه في مهامّه ﴿فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيْمٍ﴾ فقد اهتدى ألبتة.[3]

[١٠٢] ـ ﴿يا أَيُّهَـا الَّذين ءَامَنُـوا اتَّقُوْا اللهَ حَقَّ تُقَـاتِهِ﴾ واجب تقواه، وهـو فعل

---

(١) جاء في هامش «الف» مايلي: بعاث ـ بالبـاء موحدة والعين مهملة والثاء مثلثة ـ: يوم مشهور في الجاهليّة وكان الظفر فيه للأوس. منه رحمه الله ـ.

(٢) الزيادة اقتضاها السياق.

(٣) في «الف»: فقد اهتدى اليه.

الواجب وترك الحرام.

وعن الصادق عليه السّلام: «هو أن يطاع فلا يعصى، ويُذكر فلا ينسى، ويُشكر فلا يكفر»[١] ونحو ﴿فَاتَّقُوا اللهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾[٢] وفيه تأكيد للنهي عن طاعة أهل الكتاب.

واصل تقاة «وقية» قُبلت واوها «تاءً» وياؤها «ألفاً» ﴿وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ ولا تكوننَّ على حال سوى الإسلام إذا أدرككم الموت.

[١٠٣]ـ ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ﴾ بدينه أو كتابه. وعن الصادق عليه السّلام: «نحن حبل الله»[٣] استعير الحبل لذلك، لأنّ التمسك به سبب للنجاة من النار، كما أن التمسك بالحبل سبب للنجاة من التردّي. والإعتصام ترشيح[٤] ﴿جَمِيْعاً﴾: مجتمعين عليه ﴿وَلاَتَفَرَّقُواْ﴾: ولا تتفرقوا عن الحقّ تفرّق أهل الكتاب باختلافهم، أو تفرقكم الجاهليّ بالمحاربة ﴿وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعدَاءً﴾ في الجاهلية ﴿فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ﴾ بالإسلام ﴿فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً﴾ متواصلين متحابّين.

كان الأوس والخزرج أخوين تطاولت الحروب والعداوة بين أولادهما مائة وعشرين سنة حتى أزالها الله وألّف بينهم بالإسلام وبرسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم ﴿وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ﴾ مشفين على الوقوع في جهنم لكفركم؛ إذ لو متم عليه لوقعتم فيها.

وشفا الشيء جرفُه: كشفته[٥] ولامها واو، قلبت في المذكر وحذفت في المؤنث

---

(١) تفسير التبيان ٢: ٥٤٤ وتفسير نور الثقلين ١: ٣٧٦ عن معاني الأخبار.

(٢) سورة التغابن: ٦٤/ ١٦.

(٣) تفسير البرهان ١: ٣٠٧.

(٤) اي استعار للوثوق به والاعتماد عليه كلمة «الاعتصام» ترشيحاً للمجاز.

(٥) اي كشفة الشيء، فإن شفا بمعنى الشفة، وشفا البئر وشفتها: طرفها، كالجانب والجانبة. وأصله شفو. وهذا ما قصده المصنّف بقوله: ولامها واو.

﴿فَأَنقَذَكُمْ﴾ بالإسلام ﴿مِنْهَا﴾ من الحفرة أو النّار ﴿كَذَلِكَ﴾ مثل ذلك البيان ﴿يُبَيِّنُ اللهُ ءَايَاتِهِ﴾ دلائله ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾: لكي تثبتوا على الهدى، أو تزدادوه.

[١٠٤] ـ ﴿وَلْتَكُنْ مِنكُمْ أُمَّةٌ﴾ «من» للتبعيض. واحتجّ به من أوجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كفايةً، ومن قال بالعينية، جعلها للتبيين، أي: وكونوا أُمّة ﴿يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ﴾ يعمّ الأفعال والتروك الحسنة شرعاً وعقلاً ﴿وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ﴾ بالطّاعة ﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾: المعصية، وهو من عطف الخاص على العام، إيذاناً بفضله ﴿وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ الأخصّاء بالفلاح.

[١٠٥] ـ ﴿وَلا تكونُواْ كَالَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَاخْتَلَفُواْ﴾ في الدّين، وهم اليهود والنصارى ﴿مِنْ بَعْدِ ما جَاءَهُمُ البَيِّنَاتُ﴾ الدّلائل الموجبة للإتّفاق على الحقّ ﴿وَأُولئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ وعيد للمتفرقين.

[١٠٦] ـ ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ نصب بالظّرف وهو «لهم» أو بـ«اذكر» مضمراً.

والبياض من النّور، والسّواد من الظّلمة، فيوسم أهل الحق ببياض الوجه، والصحيفة، وسعي النور بين يديه وبيمينه، وأهل الباطل بأضداد ذلك، أو: هما كناية عن ظهور البهجة والكآبة ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ أي: فيقال لهم: أكفرتم. والهمزة للتوبيخ، أو التعجيب من حالهم، وهم المرتدّون أو أهل البدع، أو أهل الكتاب، كفروا بالنبي صلّى الله عليه وآله وسلّم بعد ايمانهم به قبل مبعثه، أو جميع الكفار كفروا بعد إقرارهم حين أشهدهم على أنفسهم،[1] أو تمكنوا من الإيمان بالنّظر في الحجج. ﴿فَذُوقُوا العَذَابَ﴾ أمر إهانةٍ. ﴿بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرونَ﴾ بسبب كفركم.

---

(١) كما ورد في قوله تعالى: «وإذ أخذ ربُّك من بني آدم من ظهورهم ذرّيَّتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربّكم قالوا بلى. . .» (سورة الاعراف: ٧/ ١٧٢).

[١٠٧] ـ ﴿وَأَمَّا الَّـذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِـي رَحْمَةِ اللهِ﴾ ثوابـه الدائم. سمي رحمـة ـ وهـو مستحق ـ، بـإعتبار سببـه، وهو التكليف الـذي هو تفضّـل. وعكس التـرتيب في ذكـرهم ليكون مطلعـاً ومقطعاً للكـلام. ﴿هُمْ فِيْهَا خَـالِدُونَ﴾ استئناف للتأكيد، كأنه قيل: كيف يكونوا فيها؟ فأُجيب به.

[١٠٨ ـ ١٠٩] ـ ﴿تِلْكَ ءَايَاتُ اللهِ﴾ المتضمّنة للوعد والوعيد ﴿نَتْلُوهَا عَلَيْكَ﴾ متلبّسةً ﴿بِالْحَقِّ﴾ والعدل ﴿وَمَا اللهُ يُرِيْدُ ظُلْمًا﴾ شيئاً من الظلم ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾ لأحد من خلقه؛ إذ لا يظلم إلاّ جاهل أو محتاج، وهو منـزَّه عن ذلك. وبيّن غناه بقوله: ﴿وَللهِ مَا فِي السَّمَـواتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ ملكاً وخَلْقاً ﴿وَإِلَى اللهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ فيجازي بما وعد وأوعد كلاً بفعله.

[١١٠] ـ ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾ دلّ على الخيرية فيما مضـى، ولم يدل على انقطاع طاريء كقوله: ﴿وَكَـانَ اللهُ غَفُوراً رَحِيماً﴾[1] أو: كنتـم في علـم الله، أو: في الأُمـم قبلكم ﴿أُخْرِجَتْ﴾ أُظهرت ﴿لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ إستئناف لبيان خيريتهم، أو: حال عنها، فيفيد اشتراطها بالأوصاف المذكورة ﴿وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ﴾ يعمّ الإيمان بكل ما أمر أن يؤمن به ﴿وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ﴾ ايمانا يعتد به ﴿لَكَانَ﴾ الإيمان ﴿خَيْراً لَهُمْ﴾ ممّـا هم عليـه ﴿مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ﴾ كعبدالله بـن سلام وأضـرابه ﴿وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ المتمرّدون في الكفر.

[١١١] ـ ﴿لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلاَّ أَذًى﴾ إلاّ ضرراً يسيـراً كطعنٍ ووعيد ﴿وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ﴾ منهـزمين، ولا يضـروكـم بقتل وأسـر ﴿ثُمَّ لاَ يُنْصَرُونَ﴾ لا يعانـون عليكم، ولا يمنعـون منكم وهو عطف علـى الشّرطيـة لا الجزاء، فيكون نفـي النّصر مطلقاً لا مقيداً بقتالهم. و«ثم» للتراخي في المرتبة.

والآية من الغيـب الذي وافقه الواقع مـن حال «قريظة» و«النضيـر» و«بني قينقاع»

---

(١) سورة النساء: ٤/ ١٠٠.

و«يهود خيبر».

[١١٢] ـ ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ﴾ فهي محيطة بهم إحاطة البيت المضروب على أهله ﴿أَيْنَ مَا ثُقِفُوا﴾ وجدوا ﴿إِلاّ بِحَبْلٍ مِنَ اللهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ﴾ استثناء من أعمّ الأحوال، أي: ضربت عليهم الذلة في عامة الأحوال إلاّ معتصمين بذّمة الله تعالى وذمة المسلمين ﴿وَباءُو﴾:[1] رجعوا ﴿بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ﴾ فاليهود غالباً فقراء ومساكين ﴿ذٰلِكَ﴾ الضرب والبوء ﴿بِأَنَهُمْ كانُوا يَكْفُرونَ﴾ بسبب كفرهم ﴿بِآيات الله وَيَقْتُلُونَ﴾ وبقتلهم ﴿الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حقٍّ ذَلِكَ﴾ الكفر والقتل ﴿بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ بسبب عصيانهم واعتدائهم حدود الله؛ إذ الإصرار على الصغائر يجرُّ الى الكبائر، أو: ذلك الضرب والبوء بعصيانهم واعتدائهم مع الكفر والقتل إذهم مخاطبون بالفروع أيضاً.

[١١٣] ـ ﴿لَيْسُوْا سَوَاءً﴾ ليس أهل الكتاب مستوين ﴿مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قائِمَةٌ﴾: مستقيمة عادلة، من «أقمت العود فقام» وهو الذين أسلموا منهم. وهو استئناف لبيان نفي استوائهم ﴿يَتْلُونَ ءَايَاتِ اللهِ ءَانَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ عبر عن تهجّدهم بتلاوة القرآن في ساعات اللّيل مع السّجود. لأنّه أبلغ في المدح.

أو: أُريد صلاة العشاء لأن أهل الكتاب لا يصلّونها.

[١١٤] ـ ﴿يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسارِعُونَ في الْخَيْراتِ﴾ وصفوا بصفات ليست في اليهود؛ لا نحرافهم عن الحق وعدم تهجّدهم، وشركهم وتغييرهم صفة الآخرة، ومداهنتهم وتباطئهم عن الخيرات ﴿وَأُوْلَئِكَ﴾ الموصوفون ﴿مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ الذين صلحت أحوالهم عند الله تعالى.

[١١٥] ـ ﴿وَمَا تَفْعَلُوْا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ تُكْفَرُوهُ﴾ فلن تنقصوا ثوابه، سمي ذلك كفراناً كما سمي توفية الثواب شكراً، وضمّن معنى الحرمان فعدّى الى مفعولين.

---

(١) يراجع تعليقنا على كلمة «باءو» في الآية ٦١ من سورة البقرة.

وقرأ «حفص» و«حمزة» و«الكسائي» بالياء فيهما[1] ﴿وَاللهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾ بشارة لهم، وإيذان بأنه لا يفوز عنده إلاّ أهل التقوى.

[١١٦] - ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ﴾: لن تدفع ﴿عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلاَ أَوْلاَدُهُمْ مِنَ اللهِ﴾: من عذابه ﴿شَيْئاً وَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ ملازموها ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

[١١٧] - ﴿مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ﴾ سمعة أو قربة أو في عداوة الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم ﴿فِي هذِهِ الْحَيَوةِ الدُّنْيا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ﴾: برد شديد، ويقال للريح الباردة: كالصرصر، فهو وصف للبرد، مبالغة، كقولهم: برد بارد ﴿أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُواْ أَنْفُسَهُمْ﴾ بالمعاصي ﴿فَأَهْلَكَتْهُ﴾ عقوبة لهم إذ الإهلاك عن سخط أشد. شبّه ما أنفقوا في ضياعه بحرث عصاة أهلكه البرد، فذهب حطاماً، وهو من التّشبيه المركّب، ولذا جاز ايلاء الأداة، الريحَ دون الحرثِ، أو يقدّر: كمثل مهلك الريح، وهو: الحرث ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ اللهُ﴾: وما ظلم المنفقين بضياع نفقاتهم ﴿وَلكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ حيث لم يأتوا بها مستحقةً للقبول، أو: ما ظلم أهل الحرث بإهلاكه، ولكنهم ظلموا انفسهم بارتكاب ما استحقوا به العقوبة.

[١١٨] - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ ءَامَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا بِطَانَةً﴾ هو الذي يعرّفه الرجل أسراره ثقةً به، شبّه ببطانة الثوب ﴿مِنْ دُونِكُمْ﴾ كائنة من غير المسلمين، أو: متعلق بـ«لا تتخذوا» ﴿لاَ يأْلُونَكُمْ خَبَالاً﴾ لا يقصرون لكم في الفساد.

والألو: التقصير، وتعديته بالحرف، ثم عدي الى مفعولين في نحو: لا آلوك جهداً، بتضمين معنى: المنع، ﴿وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ﴾ تمنّوا عنتكم وهو شدّة الضّرر والمشقة ﴿قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾ في كلامهم؛ لعدم تمالكهم أنفسهم ﴿وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ ممّا بدا، والواو للحال ﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ﴾ الدالة على وجوب موالاة أولياء الله، ومعاداة أعدائه ﴿إِنْ كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ ما بيّنّاه. والجمل الأربع

(١) حجة القراءات: ١٧٠.

مستأنفات للتعليل، وقيل الثلاثة الأول نعوت لـ«بطانة».

[١١٩] ـ ﴿هَا﴾ للتنبيه ﴿أَنتُمْ﴾ مبتدأ، خبره ﴿أُوْلَآءِ﴾ الخاطئون في موالاة الكفرة ﴿تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبونَكُمْ﴾ بيان لخطئهم في موالاتهم، وهو خبر ثان، أو خبر لـ«أولاء» والجملة خبر «انتم»، أو: صلة، أو حال عاملها معنى الإشارة ﴿وتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ﴾ بجنسه ﴿كُلِّهِ﴾ وهو حال، أي: لا يحبونكم والحال أنكم تؤمنون بكتابهم، فما بالكم تحبونهم وهم لا يؤمنون بكتابكم؟.

وفيه توبيخ بأنّهم في باطلهم أصلب منكم في حقكم ﴿وَإذا لَقُوكُمْ قَالُوا ءَامَنَّا﴾ نفاقاً ﴿وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ﴾ من أجله. يوصف المغتاظ والنّادم بعضّ الأنامل ﴿قُلْ مُوتُوا بَغَيْظكُمْ﴾ دعاء عليهم بزيادة غيظهم بازدياد عزّ الإسلام وأهله، حتى يموتوا به ﴿إِنَّ اللهَ عَلِيْمٌ بِـذَاتِ الصُّدُورِ﴾ فيعلم ما في صدورهم من البغضاء، وهو من المقول، أي قل لهم: ان الله عليم بما هو أخفى ممّا تسرونه من عضّ الأنامل، أو خارج عنه، أي: قل لهم ذلك ولا تتعجب من إطلاعي إيّاك على ما يسرّونه، فإني عليم بالأخفى وهو ضمائرهم.

[١٢٠] ـ ﴿إِنْ تَمْسَسْكُمْ﴾ تصبكم ـ على الإستعارة ـ ﴿حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوْا بِهَا﴾ بيان لفرط بغضهم؛ إذ حسدوا ما نالهم من نعمة وشمتوا بما أصابهم من محنة ﴿وَإِنْ تَصبِرُوْا﴾ على عداوتهم، أو: التكاليف ﴿وَتَتَّقُوْا﴾ موالاتهم، أو: المعاصي ﴿لا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً﴾ لحفظ الله إياكم، وضمّ الراء إتباعاً، وقرأ «نافع» و«ابن كثير» و«أبو عمرو»: «يَضِركم» من ضارّه يضيره[١] ﴿إِنَّ اللهَ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[٢] من الصبر والتقوى وغيرهما ﴿مُحِيطٌ﴾ علماً، ففاعل بكم ما أنتم أهله.

---

(١) حجة القراءات: ١٧١.

(٢) كذا في النسخ بالتاء، وهو قراءة الحسن وابوحاتم، وفي المصحف الشريف بالياء وهي القراءة المشهورة ينظر تفسير مجمع البيان ١: ٤٩٤.

[١٢١] ـ ﴿وَإِذْ﴾ واذكر إذ ﴿غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ بالمدينه ﴿تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ تَنزّلهم، أو: تتخذ لهم ﴿مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ﴾ مواطن، واستعمل المقعد والمقام بمعنى المكان إتّساعاً كـ﴿مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾[1] و﴿تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ﴾[2] ﴿وَاللهُ سَمِيعٌ﴾ لأقوالكم ﴿عَلِيمٌ﴾ بنيّاتكم.

روي أن المشركين نزلوا بـ«أحد» يوم الأربعاء، فاستشار النبيّ أصحابه. فقال «عبدالله بن أُبيّ» واكثر الأنصار: يا رسول الله لا تخرج من المدينة فما خرجنا منها الى عدوّنا إلاّ ظفر بنا، ولا دخلها علينا إلاّ ظفرنا به، فكيف وأنت فينا، فدعهم فإن أقاموا فبشرّ محبس، وإن دخلوا قاتلهم الرجال والنساء والصبيان، وان رجعوا فبالخيبة.

وقال جماعة: اخرج بنا اليهم وألحّوا، فخرج بعد صلاة الجمعة وأصبح بشعب أُحد يوم السّبت، وصفّ أصحابه وجعل ظهره الى «أُحد» وأمّر «عبدالله بن جبير» على الرماة، وقال: انضحوا عنّا بالنّبل، لا يأتونا من ورائنا ولا تبرحوا، غَلَبْنا أو غُلِبنا.[3]

[١٢٢] ـ ﴿إِذْ هَمَّتْ﴾ بدل من «إذ غدوت» أو متعلّق بـ«سميع عليم» ﴿طَائِفَتَانِ مِنكُمْ﴾ «بنو سلمة» من الخزرج «وبنو حارثة» من الأوس، وهما الجناحان[4] ﴿أَنْ تَفْشَلا﴾ تجبُنا.

خَرج رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم في نحو الف رجل؛ ووعدهم النصر، إن صبروا، فانخزل[5] «ابن أُبي» بثلث الناس، وقال: علام نقتل انفسنا وأولادنا؟ فتبعهم «عمرو بن حزم الأنصاري» فقال: أُنشدكم الله في نبيّكم وأنفسكم. فقال «ابن أُبي»:

---

(١) سورة القمر: ٥٤/ ٥٥.

(٢) سورة النمل: ٢٧/ ٣٩.

(٣) تفسير مجمع البيان ١: ٤٩٥ عن أبي عبدالله عليه السّلام في حديث طويل.

(٤) اي كانا جناحي العسكر يومئذ.

(٥) انخزل من المكان: انفرد.

لو نعلم قتالاً لا تّبعناكم، فهمّ الحيّان باتباعه، فعصمهم الله، فمضوا مع النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم؛ وكأنه همَّ خَطْرَة[1] لقوله: ﴿وَاللهُ وَلِيُّهُمَا﴾ إذ لا تثبت الولاية مع العزيمة، أو أُريد: والله ناصرهما، فما لهما يفشلان ﴿وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ أمرهم بأن لا يتوكلوا إلاّ عليه.

[١٢٣] ـ ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ بِبَدْرٍ﴾ ذكّرهم بما نفعهم التوكّل، و«بدر» ماء بين الحرمين، سمي باسم صاحبه ﴿وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ حال، وعدل عن «ذلاّن»[2] ليدلّ على قلّتهم مع ذلتهم، لقلة العُدة والعدد ﴿فَاتَّقُوْا اللهَ﴾ في الثبات ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ بتقواكم نعمة نصره.

[١٢٤] ـ ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِيْنَ﴾ ظرف لـ«نصركم» أو بدل ثانٍ من «إذ غدوت» على أن قوله لهم يوم أُحد [كان][3] مع اشتراط الصّبر والتقوى فلم يصبروا عن الغنائم، ولم يتّقوا مخالفة الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم، فلم تنزل الملائكة ﴿أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلاثَةِ ءَالاَفٍ مِنَ الْمَلاَئِكَةِ مُنْزَلِيْنَ﴾ انكار أن لا يكفيهم ذلك، وجيء بـ«لن» اشعاراً بأنهم كانوا لضعفهم وقوة عدوّهم كالآيسين من النّصر، وشدّد «ابن عامر»: «منزلين».[4]

[١٢٥] ـ ﴿بَلى﴾ ايجاب لمنفيّ «لن»، أي: بلى يكفيكم، ثم وعدهم الزيادة على الصّبر والتقوى بقوله: ﴿إِنْ تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُوْا وَيأْتُوكُم﴾ أي المشركون ﴿مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا﴾ مصدر «فارت القدر» أي: غلت، فاستعير للسرعة. والمعنى: إن يأتوكم من ساعتهم هذه ﴿يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ ءَالاَفٍ مِنَ الْمَلاَئِكَةِ﴾ في حال اتيانهم

---

(١) لا همّ عزيمة اذ لو كان همّ عزيمةٍ وقصدٍ لكان ذمّهم أولى من مدحهم.

(٢) في «الف»: ذلائل، و«الاذلة» جمع قلّة و«الذلان» جمع الكثرة.

(٣) الزيادة اقتضاه السياق.

(٤) حجة القراءات: ١٧٢.

بلا تأخير ﴿مُسوَّمين﴾ معلّمين، من التسويم، أي: إظهار السيماء، أو: مرسلين ـ من التسويم، أي: الإرسال ـ. وكسر الواو «ابن كثير» و«أبو عمرو» و«عاصم»[(١)].

[١٢٦] ـ ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللهُ﴾ أي إمدادكم بالملائكة ﴿إِلاّ بُشْرَى﴾ بشارة ﴿لَكُمْ﴾ بالنصر ﴿وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ﴾ ولتسكن اليه من الرّوع ﴿ومَا النَّصْرُ إِلاّ مِن عِنْدِ اللهِ﴾ لا من العدد والعدّة، ولا من الملائكة، وإنّما أمدّهم ووعدهم به بشارةً لهم، وتقويةً لقلوبهم ﴿الْعَزِيْزِ﴾ الذي لا يغالب في حكمه ﴿الْحَكِيْمِ﴾ الذي ينصر، ويخذل بحسب المصلحة.

[١٢٧] ـ ﴿لِيَقْطَعَ طَرَفاً مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ متعلق بـ«نصركم»، أو «وما النصر»، والمعنى: ليهلك طائفة منهم بالقتل والأسر، وهو ما كان «يوم بدر» من قتل سبعين، وأسر سبعين من رؤسائهم ﴿أَوْ يَكْبِتَهُمْ﴾: أو يحتريهم.

والكبت: شدّة غيظٍ يقع في القلب ﴿فَيَنقَلِبُوْا خَائِبِيْنَ﴾ فينهزموا منقطعي الأمل.

[١٢٨] ـ ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيءٌ﴾ اعتراض ﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يَعَذِّبَهُمْ﴾ عطف على ما قبله، والمعنى: إنَّ الله مالك أمرهم، فإما أن يهلكهم أو يهزمهم، أو يتوب عليهم إن تابوا، أو يعذبهم إن اصروا، ليس لك من أمرهم شيء، إنّما أنت عبد مبعوث لإنذارهم وجهادهم، أو: على الأمر، بإضمار «ان» أي: ليس لك من أمرهم أو: من التوبة عليهم أو: من تعذيبهم شيء.

وقيل: «أو» بمعنى: إلاّ أن، أي ليس لك من أمرهم شيء إلاّ أن يتوب الله عليهم فتسرّ به، أو يعذبهم فتشتفي بهم. وقيل: شجَّ يوم أحد، وكسرت رباعيته فقال: كيف يفلح قوم نالوا من نبيّهم. فنزلت.[(٢)]

---

(١) حجة القراءات: ١٧٣.

(٢) قاله انس بن مالك وابن عباس والحسن وقتادة والربيع ـ كما في تفسير مجمع البيان ١: ٥٠١.

وقيل: همَّ بالدعاء عليهم فنهاه الله لعلمه أن فيهم من يتوب[1] ﴿فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾ مستحقون للعذاب بظلمهم.

[١٢٩] ـ ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ فله الأمر كلّه ﴿يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ من مذنبي المؤمنين. ﴿وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾ ممن لم يتب ﴿وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ للمؤمنين.

[١٣٠] ـ ﴿يا أَيُّهَا الَّذِيْنَ ءَامَنُوْا لاَ تَأْكُلُوْا الرِّبٰوا أَضْعَافاً مُضَاعَفَةً﴾ لا تأخذوا زيادة مكرّرة، ولعل التقييد بحسب ما وقع، إذ كان الرجل يربى الى أجل ثم يزيد فيه زيادة أُخرى، وهكذا. وقرأ «ابن كثير» و«ابن عامر»: «مضعّفة»[2] ﴿وَاتَّقُوْا اللهَ﴾ في مناهيه ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ راجين الفلاح.

[١٣١] ـ ﴿وَاتَّقُوْا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِيْنَ﴾ باجتناب ما يوجب دخولها.

ودلّ على أنها معدّة للكفرة أصالة، وللعصاة تبعاً.

[١٣٢] ـ ﴿وَأَطِيعُوا اللهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ ترغيب بالوعد بعد التّرهيب بالوعيد. و«لعلّ» في نحو ذلك تفيد دقّة مسلك الطاعة.

[١٣٣] ـ ﴿وَسَارِعُوْا﴾: وبادروا. وحذف «الواو» «نافع» و«ابن عامر»[3] ﴿إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ الى ما يوجب المغفرة كالتوبة والطاعة ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ أي: عرضها كعرضهما. ذكر العرض مبالغة في وصفها بالسعة لأنه دون الطول[4] قيل: كسبع سماوات وسبع أرضين، لو تواصلت.[5] ﴿أُعِدَّتْ﴾ هيّئت

---

(١) ذكر معناه الطبرسي في تفسير مجمع البيان ١: ٥٠١ عن ابي علي الجبائي.

(٢) حجة القراءات: ١٧٤ وتفسير البيضاوي ٢: ٤٣.

(٣) حجة القراءات: ١٧٤.

(٤) ان العرض انما يفيد معنى مايقابل الطول فيما لو ذكر «الطول» ايضاً، وحيث انه لم يذكر الطول هنا أصلاً فالعرض بمعنى: السّعة. لاما يقابل الطول.

(٥) قاله ابن عباس ـ كما في تفسير الكشّاف ١: ٤٦٣ وتفسير البيضاوي ٢: ٤٣.

﴿لِلْمُتَّقِيْنَ﴾ فهي مخلوقة اليوم.

[١٣٤] ـ ﴿الَّذِيْنَ يُنْفِقُونَ﴾ نعت للمتّقين ﴿فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾ في حالي العسر واليسر، أو: كلّ الأحوال إذ لا تخلو من مسرّة أو مضرّة، أي: لا يمنعهم حال عن الإنفاق ما قدروا عليه ﴿وَالْكَاظِمِيْنَ الْغَيْظَ﴾ الممسكين عليه، فلم يمضوه مع القدرة، من «كظم القربة» أي: ملأها وشدّ رأسها ﴿وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾ التاركين مؤاخذة من جنى عليهم ﴿وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِيْنَ﴾ للعهد، إشارة إلى هؤلاء، أو: الجنس، ويدخلون فيه:

[١٣٥] ـ ﴿وَالَّذِيْنَ إِذَا فَعَلُوْا فَاحِشَةً﴾ فعلة عظيمة القبح ـ كالزنا ـ ﴿أَوْ ظَلَمُوْا أَنْفُسَهُمْ﴾ بارتكاب ذنب.

وقيل: الفاحشة: الكبيرة، وظلم النفس: الصغيرة[1] ﴿ذَكَرُوا اللهَ﴾ تذكروا نهيه أو عقابه أو عظمته ﴿فَاسْتَغْفَرُوْا لِذُنُوبِهِمْ﴾ بالتوبة ﴿وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاّ اللهُ﴾ استفهام معناه النفي، معترض لبيان سعة رحمته ومغفرته وحثّ على التوبة وتقوية للرّجاء ﴿وَلَمْ يُصِرُّوْا عَلَى مَا فَعَلُوْا﴾ ولم يقيموا على الذنب ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ حال من« يصّروا» أي: لم يصرّوا على القبيح، عالمين به.

[١٣٦] ـ ﴿أُوْلَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِيْنَ فِيْهَا﴾ إستئناف يبيّن ما قبله إن عطف «الذين» على «المتقين»، أو خبر له ـ ان ابتدىء به ـ. وأفاد الكلام ان المؤمنين ثلاث طبقات:

متقون وتائبون ـ ولهم الجنة والمغفرة إستحقاقاً ـ.

ومصرّون لا يستحقون ذلك، ولا ينفي التفضّل ﴿وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِيْنَ﴾ المخصوص محذوف، تقديره: نعم اجرهم ذلك، أي: المغفرة والجنات.

[١٣٧] ـ ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ﴾ وقائع، سنّها الله تعالى في الأمم المكذّبة

---

(١) قاله القاضي عبدالجبار بن احمد الهمداني ـ كما في تفسير مجمع البيان ١:٥٠٦.

نحو ﴿وقتّلوا تقتيلاً﴾[1] ﴿سُنَّةَ اللهِ فِـي الَّذِيْنَ خَلَـوْا مِنْ قَبْلُ﴾[2] ﴿فَسِيْـرُوْا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوْا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ لتتعظوا بما ترون من آثار هلاكهم.

[١٣٨] ـ ﴿هَذا﴾ اشارة الى قوله: «قد خلت» أو: الى ما ذكر من أمر المتّقين والتائبين، وقوله: «قد خلت» اعتراض، أو: الى القرآن ﴿بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى﴾ أي مع كونه بيان للمكذبين فهو زيادة تثبيت ﴿وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِيْنَ﴾.

[١٣٩] ـ ﴿وَلاَتَهِنُوا﴾ لا تضعفوا في الجهاد بما اصابكم ﴿وَلاَ تَحْزَنُوا﴾ على من قُتل منكم، تسليةً لهم عمّا أصابهم بأُحد ﴿وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ﴾ وحالكم أنكم أعلى منهم شأناً، لأن قتالكم لله، وقتالهم للشيطان، وقتلاكم في الجنة، وقتلاهم في النار.

أو: لأنّكم نلتم منهم بـ«بدر» اكثر ممّا نالوا منكم بـ«أُحد» أو: هو بشارة لهم بالغلبة، أي: وأنتم الأعلون في العاقبة ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِيْنَ﴾ أي: لا تهنوا ان صح إيمانكم فإنه يوجب قوّة القلب والثّقة بالله، أو متعلق بـ«الأعلون».

[١٤٠] ـ ﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ﴾ ضمّ القاف «حمزة» و«الكسائي» و«أبو بكر» وفتحها الباقون[3] لغتان في الجراح، أو: الفتح لها، والضم لألمها، يعني: إن نالوا منكم بـ«أُحد» فقد نلتم منهم بـ«بدر»، ثم لم يهنوا وانتم أُولى بأن لا تهنوا؛ إذ ترجون من الله مالا يرجون.

وقيل: كان المسّان يوم «أُحد» إذ نال المسلمون منهم قبل أن يخالفوا أمر الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم[4] ﴿وَتِلْكَ﴾ مبتدأ ﴿الْأَيَّامُ﴾ وهي أوقات الظفر، خبره. أو: صفته، والخبر: ﴿نُداوِلُها﴾: نصرفها ﴿بَيْنَ النَّاسِ﴾ نديل تارة لهؤلاء وتارة لهؤلاء.

---

(١) سورة الأحزاب: ٣٣/ ٦١.

(٢) سورة الأحزاب: ٣٣/ ٣٨ و٦٢.

(٣) حجة القراءات: ١٧٤.

(٤) نقل هذا القول البيضاوي في تفسيره ٢: ٤٤.

والمداولة كالمعاودة، يقال: داولت الشيء بينهم فتداولوا، ﴿وَلِيَعْلَمَ اللهُ الَّذِيْنَ ءَامَنُوْا﴾ المعلل محذوف، أي: وليتميَّز الثابتون على الإيمان ممّن على حرف[1] فعَلنا ذلك، وليس المراد اثبات علمه تعالى، بل إثبات متعلقه، أو المعنى: ليعلمهم علماً يتعلّق بالجزاء، وهو العلم بالشيء موجوداً، أو عطف على علة محذوفة، أي: نداولها لحكم، وليعلم الله ايذاناً بأن المصلحة فيه غير واحدة، وان فيما يصيبهم مصالح لا يعلمونها ﴿وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ﴾ ويكرم بعضكم بالشهادة يعني: شهداء أُحد، أو: يتخذ منكم شهوداً موثقين بصبرهم في الإبتلاء ﴿وَاللهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ اعتراض يفيد بأنه تعالى لا ينصر الكافرين على الحقيقة، وانما يمكّنهم أحياناً استدراجاً لهم وابتلاءً للمؤمنين.

[١٤١] ـ ﴿وَلِيُمَحِّصَ اللهُ الَّذِيْنَ ءَامَنُوْا﴾ ليخلصهم من الذنوب إن كانت الدولة عليهم ﴿وَيَمْحَقَ﴾ ويهلك ﴿الْكَافِرِيْنَ﴾ ان كانت عليهم، والمحق: فناء الشيء حالاً فحالاً.

[١٤٢] ـ ﴿أَمْ﴾: بل أ﴿حَسِبْتُمْ﴾ وهو اللإنكار ﴿أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ﴾ وَلَمَّا تجاهدوا، أريد بنفي العلم، نفي متعلقه، إذ لو وَقع لعلمَه تعالى. و«لما» كـ«لم» مع تضمنه توقع الفعل فيما يستقبل ﴿وَيَعْلَمَ الصَّابِرِيْنَ﴾ نصب بإضمار «إن» على أن الواو للجمع.

[١٤٣] ـ ﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ﴾ بالشهادة، خطاب لمن لم يشهدوا بدراً، وتمنّوا ان يحضروا مشهداً مع رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ليكرموا بالشّهادة كشهداء «بدر» فألحوا يوم «أُحد» في الخروج ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ﴾ من قبل أن تشاهدوه وتعرفوا شدّته ﴿فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ رأيتموه معاينين له، حين قتل من قتل منكم.

---

(١) الذي ورد ذكرهم في قوله تعالى: «ومن النَّاس من يعبد الله على حرفٍ فإن أصابه خير اطمأنَّ به وإن اصابته فتنة انقلب على وجهه...» (سورة الحج: ٢٢/ ١١).

وبّخوا على تمنّيهم الموت ثم انهزامهم، ويجوز تمنّي الشهادة وان تضمنت غلبة الكفار؛ إذ لم يقصد به إلاّ نيل الكرامة فقط.

[١٤٤] ـ ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ فسيخلو كما خلوا ﴿أَفَإِينْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلى أَعْقَابِكُمْ﴾ إنكار لانقلابهم عن دينه لخلوّه بموت أو قتلٍ، مع علمهم بخلوّ الرسل قبله وبقاء دينهم متمسكاً به.

روى أن «عبدالله بن قميّة»[1] لما كسر رباعيّة النبيّ، وشجّه ذبّ عنه صاحب الراية «مصعب بن عمير» فقتله ابن قميّة ـ ويرى أنه النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ فقال: قتلت محمّداً، وصرخ صارخ أن محمداً قتل، فانكفأ النّاس، وجعل النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم يدعو: «إليّ عباد الله» فاجتمع اليه ثلاثون، وكشفوا عنه المشركين، وقال بعض المسلمين: «ليت ابن أُبيّ يأخذ لنا أماناً من أبي سفيان».

وقال ناس منافقون: لو كان نبيّاً ما قتل، ارجعوا الى دينكم.

فقال «أنس بن النضر»: إن كان محمد قتل، فربّه حيّ، وما تصنعون بالحياة بعده؟ فقاتلوا على ما قاتل عليه، اللهم إني أعتذر اليك ممّا يقولون، وأبرأ منه. ثم قاتل حتى قتل، فنزلت[2] ﴿وَمَنْ يِنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ﴾ يرتدّ ﴿فَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شَيْئاً﴾ بل يضرّ نفسه ﴿وَسَيَجْزِي اللهُ الشّاكِرِيْنَ﴾ نعمة الإسلام بثباتهم عليه كـ«انس» وأمثاله.

[١٤٥] ـ ﴿وَمَا كانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلاّ بِإِذْنِ اللهِ﴾ بعلمه وأمره، أي: لكل نفس أجل مسمّى في علمه، لا يؤخره إحجام[3] عن الجهاد، ولا يقدّمه إقدام عليه، وفيه تشجيع على الجهاد ﴿كِتَاباً﴾ مصدر مؤكد، أي: كتب الموت كتاباً ﴿مُؤَجَّلاً﴾ مؤقّتاً

---

(١) كذا في الاصل ـ بتشديد الياء المثناة من تحت ـ. ولكنه في جوامع الجامع ١: ٢٠٨: قمئة. وفي تفسير الكشّاف ١: ٤٦٧ وتفسير البيضاوي ٢: ٤٦: قميئة.

(٢) تفسير مجمع البيان ١: ٥١٣ وجوامع الجامع ١: ٢٠٨.

(٣) الاحجام ضد الاقدام.

لا يتقدّم ولا يتأخّر ﴿وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا﴾ تعريض بمن أخلوا مـراكزهم وأقبلوا على الغنائم، فأتـاهـم المشركون من ورائهم فهـزموهم ﴿نُؤْتِهِ مِنْهَا﴾ من ثـوابها ﴿وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِيْنَ﴾ للنعمة فلم يؤثروا شيئاً على الجهاد.

[١٤٦] ـ ﴿وَكَأَيِّنْ﴾ بمعنى «كم»، وأصله: «أي» دخلتها الكـاف واثبت تنوينها خطّاً علـى غير قيـاس. وقرأ «ابن كثيـر»: «وكايـن» كـ«كاعن»[١]﴿مِنْ نَبِيٍّ﴾ بيان له ﴿قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيْرٌ﴾ ربانيون علماء عبّاد، أو: جماعات، وقرأ «ابن كثير» و«نافع» و«أبو عمرو»: «قتل»[٢] والفاعل «ربيّون»، أو: ضمير النبي، و«معـه ربيون» حال عنه ﴿فَمَا وَهَنُوْا﴾: فما فتروا ﴿لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيْلِ اللهِ﴾ من قتل النبيّ، أو بعضهم ﴿وَمَا ضَعُفُوا﴾ عـن الجهـاد ﴿وَمَا اسْتَكَانُوا﴾ ومـا خضعـوا لعدوّهـم، أصلـه: استكن، فاشبعت الفتحـة ألفاً من السكـون؛ إذ الخاضع يسكن لصـاحبه ليفعل به مـا يشاء، وهذا تعريض بما اصابهم بالإرجاف بقتله صلّى الله عليه وآله وسلّم ﴿واللهُ يُحِبُّ الصَّابِرِيْنَ﴾ فينصرهم ويرضى عنهم.

[١٤٧] ـ ﴿وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلاَّ أَنْ قَالُوْا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ أي: وما كان قـولهم ـ مع كونهم ربـانيّين ـ إلاّ هذا القول، وهـو إضافة الذنـوب والإسراف الى أنفسهم، كسراً لهـا، والإستغفار منها قبل طلـب التثبيت فـي مـواطن الحـرب والنصـر علـى العـدوّ، ليكـون عن خضـوع وزكاء،[٣] فيكون أحـرى بالإجابة. وإنمـا جعل «ان قالـوا» اسماً لأنه أعرف، لـدلالته على جهة النسبة وزمان الحدث.

[١٤٨] ـ ﴿فَآتَاهُمُ اللهُ﴾ بما قالوا ﴿ثَوَابَ الدُّنْيَا﴾ النصر والغنيمة ﴿وَحُسْنَ ثَوَابِ

(١) تفسير مجمع البيان ١: ٥١٦ حجة القراءات: ١٧٤.

(٢) حجة القراءات: ١٧٤.

(٣) اي: طهارة.

﴿الْآخِرَةِ وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِيْنَ﴾ خصّ ثواب الآخرة بالحسن إيذاناً بأنّه المعتدّ به عنده.

[١٤٩] - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوْا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوْا يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾ نزلت في قول المنافقين للمؤمنين عند الهزيمة: «ارجعوا الى دين اخوانكم».[١]

وقيل: ان تستأمنوا «أبا سفيان» واصحابه يردوكم الى دينهم.[٢]

وقيل: عامّ في إطاعة الكفرة فإنها تجرّ الى موافقتهم.[٣]

[١٥٠] - ﴿بَلِ اللهُ مَوْلَيكُمْ﴾ ناصركم ﴿وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ﴾ فلا تحتاجون معه الى نصر غيره.

[١٥١] - ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾ قذف في قلوبهم الخوف يوم «أُحد» فرجعوا من غير سبب. وقيل: لما رجعوا ندموا ببعض الطريق وعزموا ان يعودوا اليهم يستأصلوهم فألقى الله في قلوبهم الرعب.[٤] وضمّه «ابن عامر» و«الكسائي»[٥] ﴿بِمَا أَشْرَكُوا﴾ بسبب اشراكهم ﴿بِاللهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً﴾ آلهة ليس على اشراكها حجة، فالمراد نفي الحجة ونزولها. وأصل السلطنة: القوة ﴿وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ﴾ أي: مثواهم، وعدل الى الظاهر للتعليل.

[١٥٢] - ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللهُ وَعْدَهُ﴾ اياكم النصر بشرط الصّبر والتّقوى وكان كذلك حتى خالفتم ﴿إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ﴾ تقتلونهم من «حسّه»: إذا أبطل حسّه، لما أقبل[٦] المشركون جعل الرماة يرشقونهم، وباقي المسلمين يضربونهم بالسيف حتى

---

(١) تفسير مجمع البيان ١: ٥١٨، عن علي عليه السّلام.

(٢) قاله السدي - كما في تفسير الكشّاف ١: ٤٦٩ -.

(٣) نقله البيضاوي في تفسيره ٢: ٤٧.

(٤) نقله البيضاوي في تفسيره ٢: ٤٧ والزمخشري في تفسير الكشّاف ١: ٤٧٠.

(٥) حجة القراءات: ١٧٦.

(٦) في «ط»: لما أشرف.

هزموهم ﴿حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ﴾ جبنتم وضعف رأيكم ﴿وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ حين انهزم المشركون قال بعض الرماة: فما موقفنا ها هنا؟.

وقال آخرون: لا نخالف أمر النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم فثبت أميرهم في نفر دون العشر ونفر الباقون للنهب، وهو معنى: ﴿وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَيكُمْ مَا تُحِبُّونَ﴾ ومن النّصر والغنيمة وحذف جواب«اذا» وهو«ابتلاكم» ﴿مِنكُم مَنْ يُرِيْدُ الدُّنْيَا﴾ وهم من أخلوا مراكزهم للغنيمة ﴿وَمِنكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْأَخِرَةَ﴾ وهم من ثبتوا، طاعةً لأمر الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم ﴿ثُمَّ صرفكُمْ﴾: كفّكم ﴿عَنْهُمْ﴾ إذ كرّوا عليكم فغلبوكم ﴿لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾ ليمتحن صبركم ﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ﴾ بعد أن عصيتم أمر الرسول ﴿وَاللهُ ذُوفَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ يتفضّل عليهم بالعفو.

أو في كل الأحوال سواء غلبوا أو غُلبوا؛ إذ الإبتلاء نعمة.

[١٥٣] ـ ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ﴾ نصب بـ«صرفكم» أو: بـ«يبتليكم» أو بإضمار «إذكروا».

والإصعاد: الإبعاد في الأرض ﴿وَلاَ تَلْوُون عَلى أَحدً﴾ لا يقف أحد لأحدٍ ﴿وَالرَّسُولُ يَدعُوكُمْ﴾ إليَّ عباد الله، أنا رسول الله ﴿فِي أُخْرَيكُمْ﴾ في ساقتكم ﴿فَأَثَابَكُمْ غَمّاً بِغَمٍّ﴾ عطف على «صرفكم»، أي فجازاكم غمّاً بسبب غمّ اذقتموه الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم بعصيانكم له.

أو فجازاكم عن فشلكم وعصيانكم غمّاً متّصلاً بغمّ بالإرجاف بقتل الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم وظفر المشركين والقتل والجرح ﴿لِكَيْلاَ تَحْزَنُواْ﴾ لتمرّنوا على تجرُّع الغموم فلا تحزنوا فيما بعد ﴿عَلَى مَا فَاتَكُمْ﴾ من نفع ﴿وَلاَ مَا أَصَابَكُمْ﴾ من ضرّ ﴿وَاللهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ عالم بأعمالكم.

[١٥٤] ـ ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمّ أَمَنَةً﴾ أمناً، مفعول. ﴿نُعَاسًا﴾ بدل منه، أو هو المفعول و«أمنةً» حال منه.

عن أبي طلحة: غشينا النعاس في مصافّنا وكان السيف يسقط من يد أحدنا فيأخذه ﴿يَغْشَى﴾ النّعاس. وقرأ «حمزة» و«الكسائي» بالتاء للأمنة[١] ﴿طَائِفَةً مِنكُمْ﴾ خلّص المؤمنين ﴿وَطَائِفَةٌ﴾ هم المنافقون، أي: ومنكم طائفة ﴿قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾ ما بهم إلاّ همّ خلاص أنفسهم ﴿يَظُنُّونَ بِاللهِ﴾ صفة اخرى لـ«طائفة» أو حال، أو إستئناف ﴿غَيْرَ﴾ الظن ﴿الْحَقِّ﴾ الذي يجب أن يظنّ به. نصب مصدراً ﴿ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ بدل له، أي ظناً: يختص بالملة الجاهلية أو أهلها ﴿يَقُولُونَ﴾ للرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم. وهو بدل: «يظنون» ﴿هَل لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ﴾ هل لنا من أمر الله، أي: النصر والفتح نصيب؟ ﴿قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ﴾ النصر ﴿كُلَّهُ لِلَّهِ﴾ وأولياءه. وهو اعتراض. ورفع «أبو عمرو»: «كلّه» بالإبتداء[٢] ﴿يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ﴾ استئناف، أو حال من «يقولون»، أي: يظهرون انهم مسترشدون، ويبطنون النفاق ﴿يَقُولُونَ﴾ في انفسهم، أو بعضهم لبعض، بدل «يخفون» أو استئناف لبيانه ﴿لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ﴾ النصر الذي وُعدناه ﴿شَيْءٌ﴾ أو كان لنا اختيار ولم نخرج ﴿مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا﴾ لما غلبنا وقتل اصحابنا في هذا الموطن ﴿قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ﴾ في علم الله ﴿إِلَى مَضَاجِعِهِمْ﴾ مصارعهم ليكون ما علم كونه ﴿وَلِيَبْتَلِيَ اللهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ﴾ من الإخلاص. وهو علة لمحذوف، أي: فعل ذلك ليبتلي، أو عطف على محذوف، أي: لبرزوا لمصالح وللإبتلاء، ﴿وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾ وليخلّصه من الشك ﴿وَاللهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ بأسرارها قبل ظهورها، وفيه وعد ووعيد.

[١٥٥] ـ ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ﴾ انهزموا بـ«أُحد» ﴿يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا﴾ أي: كان السبب في تولّيهم ان طلب الشيطان

---

(١) حجة القراءات: ١٧٦.

(٢) حجة القراءات: ١٧٧.

منهم الزّلل، فأطاعوه واقترفوا ذنوباً بترك المركز حرصاً على الغنيمة، فمنعوا التأييد.

وقيل: إستزلالُهُ لهم: تولّيهم، وهو بسبب ذنوب قدّموها؛ إذ الذنب يجرّ الى الذنب ـ كالطاعة ـ ﴿وَلَقَدْ عَفَا اللهُ عَنْهُمْ﴾ لتوبتهم ﴿إِنَّ اللهَ غَفُورٌ﴾ للذّنوب ﴿حَلِيمٌ﴾ لا يعجّل العقاب.

[١٥٦] ـ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ ءَامَنُوْا لَا تَكُونُوْا كَالَّذِيْنَ كَفَرُوا﴾: المنافقين ﴿وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ﴾ لأجلهم، وأخوّتهم: اتفاقهم نسباً أو مذهباً ﴿إِذَا ضَرَبُوْا﴾ سافروا ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ لتجارة ونحوها. ومجيء «إذا» مع «قالوا» على حكاية الحال الماضية ﴿أَوْ كَانُوا غُزًّى﴾ جمع غاز كـ«عفى» «عاف» ﴿لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا﴾ مقول «قالوا» ﴿لِيَجْعَلَ اللهُ ذٰلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ﴾ متعلّق: بـ«قالوا» واللام للعاقبة كـ«لام» ﴿لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوّاً﴾[1] أو: لا تكونوا مثلهم في النّطق بذلك القول واعتقاده ليجعل حسرة في قلوبهم خاصة و«ذلك» اشارة الى اعتقادهم الدّال عليه قولهم أو مادلّ عليه النهي، أي: لا تكونوا مثلهم ليجعل الله انتفاء كونكم مثلهم حسرة في قلوبهم؛ إذ مخالفتهم تغمّهم ﴿وَاللهُ يُحْيِي وَيُمِيْتُ﴾ لا الحضر ولا السّفر، فقد يحيى في السفر ويميت في الحضر ﴿وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فلا تماثلوهم. وقرأ «ابن كثير» و«حمزة» و«الكسائي» بالياء،[2] أي: الذين كفروا.

[١٥٧] ـ ﴿وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ أَو مُتُّمْ﴾ في سبيله. وكسر «الميم»، «حمزة» و«الكسائي» من مات يمات[3] ﴿لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللهِ وَرَحْمَةٌ﴾ جواب القسم، وأغنى عن

---

(١) سورة القصص: ٢٨/ ٨.

(٢) حجة القراءات: ١٧٧.

(٣) حجة القراءات: ١٧٨ وفيه: قال الفرّاء: «متّ» مأخوذة من يمات على وزن فعل يفعل مثل سمع يسمع، وكان الأصل: يموت، ثم نقلوا فتحة الواو الى الميم وقلبوا الواو ألفاً لانفتحاح ماقبلها فصارت «يمات» الا انه لم يجيء «يمات» في المستقبل.

الجزاء. والمعنى: ان السّفر والغزو لم يقدّما أجلاً، وان وقع ذلك في سبيل الله، فما تنالون من المغفرة والرحمة بالموت ﴿خَيْرٌ مِمَّا تَجْمَعُونَ﴾ من منافع الدنيا، لو لم تموتوا. وقرأ «حفص» بالياء[1] أي: الكفار.

[١٥٨] ـ ﴿وَلَئِنْ مُتُّمْ﴾ بالقراءتين ﴿أَوْ قُتِلْتُمْ لإِلَى اللهِ﴾ الواسع الرّحمة، لا الى غيره ﴿تُحْشَرُونَ﴾ فيعظم أُجوركم.

[١٥٩] ـ ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ﴾ «ما» مزيدة للتأكيد، وتقديم الظرف للحصر، أي ما لنت لهم إلاّ برحمته وهي أن وفّقك للرّفق بهم ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا﴾: جافياً ﴿غَلِيْظَ الْقَلبِ﴾: قاسيه ﴿لاَ نْفَضُّوْا مِنْ حَوْلِكَ﴾: لتفرّقوا عنك ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ﴾ فيما يختص بك ﴿وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ فيما لله ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ أي: أمر الحرب ونحوه مما لم يوح اليك، تطييباً لنفوسهم، وتأسيساً لسنّة المشاورة للأُمّة ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ﴾ عقدت قلبك على شيء بعد الشورى ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ﴾ في امضاء أمرك على الأصلح إذ لا يعلمه غيره ﴿إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ فيهديهم للصلاح.

[١٦٠] ـ ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللهُ﴾ كما نصركم بـ«بدر» ﴿فَلاَ غَالِبَ لَكُمْ﴾ فلا أحد يغلبكم ﴿وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ﴾ كما خذلكم بـ«أحد» ﴿فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُركُمْ مِنْ بَعْدِهِ﴾ بعد خذلانه. أو بعد الله، أي: إذا تعديتموه فلا ناصر لكم.

وفيه تنبيه على الموجب للتّوكل وحثّ على ما يُستحق به نصر الله، وتحذير عمّا يوجّب خذلانه ﴿وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ فليخصّوه بالتّوكل عليه لإيمانهم به، وعلمهم أن لا ناصر سواه.

[١٦١] ـ ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ﴾ وما صحّ لنبيّ ان يخون في المغنم؛ إذ النّبوّة تنافي الخيانة. يقال: غل في الغنيمة: إذا أخذ منها خفية ـ كـ«أغل» ـ، والمراد به براءة الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم مما أُتّهم به؛ إذ فقدت قطيفة حمراء يوم بدر، فقال

---

(١) تفسير مجمع البيان ١: ٥٢٤. وعليه القراءة في المصحف الشريف المتداول.

بعض المنافقين: لعلَّ النبيّ أخذها، أو ظن به الرماة يوم «أُحد» حين اخلوا المركز للغنيمة وقالوا: نخشى ان لا يقسم لنا، أو نهيه صلّى الله عليه وآله وسلّم، إذ روي انه قسّم المغنم ولم يقسم لطلائع بعثها.[1] فعُرِّف الحكم.

وسمي حرمانهم غلولاً مبالغة. وقرأ «نافع» و«ابن عامر» و«حمزة» و«الكسائي» «يغل» ـ بصيغة المجهول ـ[2] ومعناه: وما صحَّ له أن يوجد غالاً، أو أن ينسب الى الغلول ﴿وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ﴾ يأت بالذي غلّه يحمله على ظهره ـ كما في الحديث ـ[3] أو: بما حمل من وباله ﴿ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ﴾ تعطى جزاؤه وافياً. ولم يقل يوفي ما كسب، للمبالغة فإنه إذا كان كل كاسب مجزياً بعمله شمل الحكم الغال وغيره ﴿وَهُمْ لاَيُظْلَمُونَ﴾ فلا ينقص ثواب محسنهم ولا يزيد عقاب مسيئهم.

[١٦٢] ـ ﴿أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوانَ اللهِ﴾ بطاعته ﴿كَمَنْ باءَ﴾: رجع ﴿بِسَخَطٍ مِنَ اللهِ﴾ بسبب المعصية ﴿وَمَأْواهُ﴾ ومصيره ﴿جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ يفرّق بينه وبين المرجع بمخالفته للحالة الاولى بخلاف المرجع.

[١٦٣] ـ ﴿هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللهِ﴾ أي: متفاوتون في الثواب والعقاب تفاوت الدرجات، أو: ذووا درجات ﴿وَاللهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ عالم بأعمالهم ودرجاتها فمجازيهم على حسبها.

[١٦٤] ـ ﴿لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ خصّوا ـ مع عموم نعمة البعثة ـ لأنهم المنتفعون بها ﴿إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ من جنسهم عربيّاً ليسهل عليهم فهم كلامه، أو: من نسبهم ليكونوا عارفين صدقه وأمانته، ويفخروا به ﴿يَتْلُوا عَلَيْهِمْ

---

(١) نقل الرواية البيضاوي في تفسيره ٢: ٥١.

(٢) حجة القراءات: ١٨٠.

(٣) والحديث طويل، نقل الطبرسي موضع الحاجة منه في تفسير مجمع البيان ١: ٥٣٠.

ءَايَاتِهِ﴾ القرآن، وكـانوا قبل جهّالاً لم يسمعـوا وحياً ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ ويطهّرهـم من دنس العقائد والأعمال ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ القرآن والسنّـة ﴿وَإِنْ كَانُـوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ «إن» المخففة واللام فـارقة، أي: وان الشأن كانوا من قبـل بعـثته في ضلال ظاهر.

[١٦٥] ـ ﴿أَوَ لَمَّا أَصَـابَتْكُمْ مُصِيبَـةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَـا قُلْتُمْ أَنَّى هـذَا﴾ «الهمزة» للتقريع، و«الواو» لعطف الجملة على قصة «أُحد». و«لّما» ظرف «قلتم» مضاف الى «اصابتكم» أي: حين اصابتكم مصيبة ـ وهو قتل سبعين منكم بـ«أُحد» والحال انكم نلتم ضعفها بـ«بدر» من قتل سبعين وأسر سبعين ـ قلتم من أين هذا أصابنا وقد وعدنا النّصر ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾ أي: انتم السبب فيه لترككم المـركز أو لاختياركم الخـروج من المدينة.

أو الفداء يوم بدر ﴿إِنَّ اللهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فيقدر على النصر ومنعه.

[١٦٦] ـ ﴿وَمَـا أَصَابَكُمْ يَـوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَـانِ﴾ بأُحـد ﴿فَبِإِذْنِ اللهِ﴾ فبتخليته الكفار. سميت «اذناً» لأنها من لوازمه ﴿وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

[١٦٧] ـ ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا﴾ ليتميز الفـريقان فيظهر إيمان المـؤمنين وكفر المنافقين ﴿وَقِيلَ لَهُمْ﴾ عطف على «نافقوا» أو كلام مبتدأ: ﴿تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَوِ ادْفَعُوا﴾ خُيّروا بين ان يقاتلوا للآخرة أو للدفع عن أنفسهم.

أو المعنى: قاتلوا العدوَّ أو ادفعوهم بتكثيركـم سواد المجاهدين فإنّ كثرة السّواد مما يروّعهم ﴿قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ﴾ لو نحسن ﴿قِتَالاً لَاتَّبَعْنَاكُمْ﴾ لو نعلم مـا يسمى قتالاً لاتّبعناكم فيه، لكنه ليس بقتال، بل إلقاء النّفس الى التهلكة ﴿هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلإِيمَانِ﴾ إذ انخزالهم وقـولهم هذا، أمـارة تؤذن بكفرهم. أو: هـم لأهل الكفر أقـرب نصرة منهم لأهـل الايمان، إذ كـان فعلهم وقـولهم تقـوية للمشـركين ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ يظهرون بألسنتهم الإيمان ويبطنون الكفر. وذكر الأفواه

تأكيداً لنفي تواطؤ قلوبهم لألسنتهم ﴿وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾ من النفاق، فإنه يعلمه مفصّلاً بإحاطة، وأنتم تعلمون مجملاً بأمارت.

[١٦٨] ـ ﴿الَّذِينَ قَالُواْ﴾ رفع بـدلاً من واو «يكتمـون» أو نصب وصفاً لـ«الذين نافقوا» أو على الذم ﴿لإِخْوَانِهِمْ﴾ لأجلهم يعني: من قتل بأُحد من جنسهم أو أقاربهم ﴿وَقَعَدُوا﴾ أي؛ قالوا وقد قعدوا عن القتال ﴿لَوْ أَطَاعُونَا﴾ على القعود ﴿مَا قُتِلُوا﴾ كما لم نقتل ﴿قُلْ فَادْرَءُوا﴾ فادفعوا ﴿عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في ان سبب نجاتكـم من القتل القعـود. يعني إنّ القعود غيـر مغنٍ، لأنه كمـا يكون سببـاً للنجاة والقتال سبباً للموت، قد يكون الأمر على العكس.

[١٦٩] ـ ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتاً﴾ نزلت في شهداء بدر، أو أُحد، والخطاب للـرسول صلّى الله عليـه وآلـه وسلّم، أو لكل أحـد. وشدّد «ابـن عامـر»: «قتلوا»[1] لكثرتهم ﴿بَلْ أَحْيَاءٌ﴾ بل هم أحياء ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ مقرّبون شرفاء ﴿يُرْزَقُونَ﴾ من الجنة وهو تأكيد لكونهم أحياء.

[١٧٠] ـ ﴿فَرِحِينَ بِمَا ءَاتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ وهو كرامة الشهادة والحياة وشرف الرتبة والتّنعّم في الجنة ﴿وَيَسْتَبْشِرُونَ﴾ يسرّون بالبشارة ﴿بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِمْ﴾ أي بإخوانهم المجاهدين الـذين لم يقتلوا فيلحقوا بهم ﴿مِنْ خَلْفِهِمْ﴾ زماناً أو رتبةً ﴿أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ بدل من «الذين» والمعنى: يستبشرون بما تبيّن لهم من حال من تـركوا خلفهم من المؤمنيـن وهو أنهم إذا بعثوا لم يصبهم خـوف، ولا حزن. وفيها حثّ على الجهاد وترغيب في الشهادة، وازدياد الطاعة.

[١٧١] ـ ﴿يَسْتَبْشِرُونَ﴾ كرر ليتعلّـق به ما هـو بيان لقولـه «ألاّ خوف». أو الأول بحال اخوانهم والثاني بحال انفسهم ﴿بِنِعْمَةٍ مِنَ اللهِ﴾ أجراً لأعمالهم ﴿وَفَضْلٍ﴾ زيادة عليه. ونكّرا تعظيماً ﴿وَأَنَّ اللهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ عطف على «فضل» وكسرها

---

(١) تفسير كنز الدقائق ٢: ٢٦٨ وتفسير البيضاوي ٢: ٥٣.

«الكسائي»[1] استئنافاً معترضاً يفيد أن ذلك أجراً لإيمانهم.

[١٧٢] ـ ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا للهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ﴾ وضمه «حمزة» و«الكسائي» و«أبو بكر»[2] والموصول صفة «المؤمنين»، أو نصب على المدح، أو مبتدأ خبره: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ و«من» للبيان، إذ المستجيبون كلّهم محسنون متّقون.

لما رجع «أبو سفيان» وأصحابه فبلغوا «الروحاء» ندموا وهمّوا بالعود، فبلغ ذلك النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم فندب أصحابه لطلبهم وقال:

لا يخرجنَّ معنا إلاّ من حضر يومنا بالأمس، فخرج في جماعة مع ما بهم من القرح، حتى بلغوا «حمراء الأسد» على ثمانية أميال من المدينة، فألقى الله الرعب في قلوب المشركين فذهبوا، فنزلت.

[١٧٣] ـ ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ﴾ لما انصرف «أبو سفيان» من «أُحد» نادى: يا محمّد موعدنا موسم بدر القابل ان شئت، فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: إن شاء الله. فلما كان القابل خرج في أهل مكة حتى نزل «مرّ الظهران»[3] فألقى الله عليه الرّعب فبدا له [أن يرجع][4] فلقى «نعيم

---

(١) حجة القراءات: ١٨١.

(٢) أي قرأوا قاف «القرح» بالضم.

(٣) كذا في الأصل وتفسير البيضاوي ٢: ٥٤ وتفسير الكشّاف ١: ٥٨٠ ولكنه في تفسير مجمع البيان ١: ٥٤٠ هكذا: «حتى نزل مجنة من ناحيه الظهران» وفي معجم البلدان ٧: ٣٩٠ مايلي: «مجنّة» بالفتح وتشديد النون اسم المكان من الجنة وهو الستر والاخفاء... اسم سوق للعرب كان في الجاهلية، وكان «ذوالمجاز» و«مجنة» و«عكاظ» = = اسواقاً في الجاهليّة.
قال الاصمعي: وكانت مجنة يمرّ الظهران قرب جبل يقال له: الاسفل، وهو بأسفل «مكة» على قدر بريد.

(٤) الزيادة اقتضاها السياق، واخذناها من تفسير البيضاوي ٢: ٥٤.

ابن مسعـود» وقد قـدم معتمراً، فجعل لـه عشراً مـن الإبل إن ثبّط المسلمين، فـأتى فـوجدهـم يتجهّزون، فقـال لهم: أتـوكم فـي دياركـم فلم يفلت منكـم إلاّ شريـد، أفتريدون ان تخرجوا وقد جمعوا لكم، ففتروا.

فقال صلّى الله عليه وآله وسلّم: والّذي نفسي بيـده لأخرجنّ ولو وحدي، فخرج في سبعين وهم يقولون: حسبنا الله،[1] و«النّاس» الاول: «نعيم»؛ لأنّـه من جنسهم. والثاني: أبو سفيان واصحابه ﴿فَزَادَهُمْ﴾ المقول أو القـول أو القائل ﴿إِيْمَاناً﴾ إذ لم يصغوا له، بل قـوى يقينهم والعزم على الجهاد. ويفيد ان الإيمـان يزداد وينقص كما جاء في الأثر[2] ﴿وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ﴾ محسبنـا وكافينـا من «أحسبه» أي كفـاه ﴿وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ ونعم الموكول إليه هو

[١٧٤] ـ ﴿فَانْقَلَبُوا﴾ فـرجعوا من بـدر ﴿بِنِعْمَـةٍ مِنَ اللهِ﴾ بعافية وزيـادة إيمان ﴿وَفَضْلٍ﴾ وربح في التجـارة التي وافوا بها سـوق بدر ﴿لَمْ يَمْسَسْهُم سُوءٌ﴾ من كيد عدوّ ﴿وَاتَّبَعُوا رِضْوانَ اللهِ﴾ بجرأتهم وخـروجهم ﴿وَاللهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيـمٍ﴾ قد تفضّل عليهم بالتوفيق لما فعلوا. وفيه تحسير لمن تخلف؛ إذ حرم نفسه ما نالوا.

[١٧٥] ـ ﴿إِنَّمَا ذَلِكُـمُ الشَّيْطَانُ﴾ يعنـي المثبّط «نعيمـاً» أو «أبـا سفيـان»، و«الشيطان» خبر «ذلكم» وما بعده بيان لشيطنتـه، أو صفة وما بعده الخبر. أو الإشارة الى القـول علـى نيّـة مضـاف أي: إنمـا ذلكم قـول الشيطـان أي ابليـس. ﴿يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ﴾ القاعدين عن الخروج مع النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم أو يخوفكم من اولياءِه أبي سفيان واتبـاعه ﴿فَلا تَخَافُوهُمْ﴾ يعني النـاس علـى الأول، و«أوليـاءه» على الثـانـي ﴿وَخَافُونِ﴾ فاطيعوا رسولي وجاهدوا معه، وأثبت «أبو عمرو» «الياء» وصلاً ﴿إِنْ كُنْتُمْ

(١) في «ط»: حسبنا الله ونعم الوكيل.

(٢) وفي تفسير البيضاوي ٢: ٥٤ قلنا: يا رسول الله الايمان يزيد وينقص؟ قال: نعم يزيد حتى يدخل صاحبه الجنة، وينقص حتى يدخل صاحبه النار.

مُؤْمِنِينَ﴾ إذ المؤمن لا يخاف إلاّ الله .

[١٧٦] ـ ﴿وَلاَ يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾ يقعون فيه سريعاً وهم المنافقون المتخلّفون، أو قوم ارتدوا، أي: لا يحزنوك خوف أن يضروك ﴿إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّواْ اللهَ﴾ لن يضروا أولياء الله بكفرهم وانما يضرّون به أنفسهم ﴿شَيْئًا﴾ مفعول أو مصدر ﴿يُرِيْدُ اللهُ أَلاّ يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا﴾ نصيباً من الثواب ﴿فِي الآخِرَةِ﴾ وفي ذكر الإرادة، اشعار ببلوغهم الغاية في الكفر حتى أراد أرحم الراحمين أن لا يرحمهم ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ بدل الثواب .

[١٧٧] ـ ﴿إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْكُفْرَ بِالإِيْمَانِ لَنْ يَضُرُّوا اللهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ تكرير للتأكيد، أو عام والأول خاص بالمنافقين أو المرتدين .

[١٧٨] ـ ﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ﴾ خطاب للرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم أو لكلّ أحد ﴿الَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ مفعول ﴿أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيرٌ لِأَنْفُسِهِمْ﴾ بدل منه، ناب مناب المفعولين ولكونه المعوّل عليه اقتصر على مفعول واحد أو المفعول الآخر على حذف مضاف أي: ولا تحسبن الذين كفروا أصحاب ان املاءنا خيرلهم .[1]

أو لا تحسبن حال الذين كفروا: ان املاءنا خير لهم . و«ما» مصدرية حقها الفصل خطأً، وانما وصلت تبعاً للرسم وقرأ «ابن كثير» و«أبو عمرو» و«عاصم» و«الكسائي» بالياء،[2] فـ«الذين» فاعل و«ان» وما في حيزها ناب مناب المفعولين .

---

(١) لمزيد من التوضيح للقارىء الكريم نقول :
انّ«انّما نملى . . . » بدل اشتمال من«الذين» ناب مناب مفعولى«حسب» لكون البدل هو المعول عليه، اوبتقدير مفعول آخر مضافة وهو«اصحاب» بمعنى اهل، فيكون للفعل«تحسب» في هذه الحالة مفعولان: الأول هو «الذين» والثاني هو كلمة «اصحاب» المضاف الي ما بعدها اي«انّما نملى» ـ للتصيل ينظر تفسير روح المعاني ٤: ١٢٠.

(٢) كنزالدقائق ٢: ٢٨١ وحجة القراءات: ١٨٢.

وفتح سينه ـ أين جاء ـ «ابن عامر» و«عاصم و«حمزة» .[1]

والإملاء: الإمهال واطالة العمر ﴿إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْماً﴾ استئناف يعلّل ماقبله، و«ما» كافّة، واللام للعاقبة ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ .

[١٧٩] ـ ﴿مَا كَانَ اللهُ لِيَذَرَ﴾ ليترك ﴿الْمُؤْمِنِينَ عَلى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ﴾ أيها الخلّص والمنافقون من اختلاطكم لا يعرف مخلصكم من منافقكم ﴿حَتَّى يَمِيزَ﴾ بالتّخفيف والتّشديد ﴿الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ حتى يعزل المنافق عن المخلص بإخباره رسوله بأحوالكم أو بالتكاليف الصّعبة كبذل النّفس والمال لله ليظهر به ما تضمرون ﴿وَمَا كَانَ اللهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ﴾ وما كان ليؤتي احدكم علم الغيب فيطّلع على ما في القلوب من إيمان وكفر ﴿وَلَكِنَّ اللهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ﴾ يختار لرسالته ﴿مَنْ يَشَاءُ﴾ فيعرّفه بعض المغيّبات بوحي أو نصب دليل ﴿فَآمِنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ﴾ بأن تعلموه وحده مطلعاً على الغيب وتعلموهم عباداً مصطفين، لا يعلمون إلاّ ما علّمهم الله .

قيل: قال الكفرة: ان كان محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم صادقاً فليخبرنا من يؤمن ومن يكفر. فنزلت[2] ﴿وَإِنْ تُؤْمِنُوا﴾ بإخلاص ﴿وَتَتَّقُوا﴾ النفاق ﴿فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ على ذلك .

[١٨٠] ـ ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا ءَاتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْراً لَهُمْ﴾ بالقراءتين. «التاء» على نية مضاف، أي: ولا تحسبن بخل الذين يبخلون هو خيراً لهم، وكذا «الياء»[3] ان جعل الفاعل ضمير الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم، أو أحد، وان جعل «الذين» فالمفعول الاول محذوف يدل عليه «يبخلون» أي ولا يحسبن البخلاء بخلهم هو خيراً لهم ﴿بَلْ هُوَ﴾ البخل ﴿شَرٌّ لَهُمْ﴾ ويفسّره ﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ

---

(١) كنزالدقائق ٢: ٢٨٢ وتفسير البيضاوي ٢: ٥٥ .

(٢) نقله البيضاوي في تفسيره ٢: ٥٦ .

(٣) حجة القراءات: ١٨٤ .

﴿الْقِيٰمَةِ﴾ سيلزمون وباله إلزام الطوق.

وعنه صلّى الله عليه وآله وسلّم: ما من رجل لا يؤدّي زكاة ماله إلاّ جعل في عنقه شجاع يوم القيامة ـ وتلاها ـ[1] ﴿وَلِلّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ وله ما فيهما مما يتوارث، فما لهم يبخلون عليه بملكه، أو انه يرث ما يمنعونه ويبقى عليهم وباله ﴿واللهُ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ من اعطاء ومنع ﴿خَبِيرٌ﴾ فيجازيهم به. وقرأ «نافع» و«ابن عامر» و«حمزة» و«الكسائي» بالتاء[2] ـ على الإلتفات ـ.

[١٨١] ـ ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوْا إِنَّ اللهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ قاله اليهود حين سمعوا ﴿من ذا الذي يقرض الله﴾[3] والمعنى انه لم يخف عليه وانه أعدّ لهم العقوبة عليه ﴿سَنَكْتُبُ مَا قَالُوْا﴾ في صحف الحفظة أو سنحفظه في علمنا، وقرن بقوله: ﴿وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ إيذاناً بأنهما في العظم سيان، وان هذا ليس بأوّل عظيمة أجترحوها، وانّ من قتل الأنبياء لم يستبعد منه هذا القول، وقرأ «حمزه» «سيكتب» بالياء بصيغة المجهول ورفع «قتلهم» و«يقول» بالياء[4] ﴿وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ وننتقم منهم بأن نقول لهم: ذوقوا العذاب المحرق.

واستعمل الذوق له اتساعاً.

[١٨٢] ـ ﴿ذَلِكَ﴾ العذاب ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ بما عملتم من المعاصي، وذكر الأيدي لأنّ أكثر الأعمال بها ﴿وَأَنَّ اللهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ عطف على «بما قدمت» وسببيته انه يستلزم العدل الموجب معاقبة المسيء وإثابة المحسن.

[١٨٣] ـ ﴿الَّذِينَ قَالُوْا﴾ هم جماعة من اليهود: ﴿إِنَّ اللهَ عَهِدَ إِلَيْنَا﴾ أمرنا في

---

(١) حجة القراءات: ١٨٣.

(٢) تفسير البيضاوي ٢: ٥٧.

(٣) حجة القراءات: ١٨٤.

(٤) سورة البقرة: ٢/ ٢٤٥.

التوراة واوصانا ﴿أَنْ﴾ بأن ﴿لا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِيَنَا بِقُرْبانٍ تأْكُلُهُ النَّارُ﴾ بهذه الآية الخاصة التي كانت لأنبياء بني اسرائيل، وهو أن يقرّب قربان فيدعو النبي فتنزل نار فتحرقه، وهذا محض افتراء؛ إذ أكل النار القربانَ لم يوجب الإيمان إلاّ بكونه آية فهو وسائر الآيات سواء ﴿قُلْ﴾ في إلزامهم: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِي﴾ كـ«زكريا» و«يحيى» ﴿بِالْبَيِّنَاتِ﴾ الكثيرة الموجبة للتصديق ﴿وَبِالَّذِي قُلْتُمْ﴾ وبمقترحكم ﴿فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ انكم تؤمنون بذلك.

[١٨٤] ـ ﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ جاءُو[١] بِالْبَيِّنَاتِ﴾ تسليةَ له صلّى الله عليه وآله وسلّم عن تكذيب قومه واليهود ﴿وَالزُّبُرِ﴾ جمع زبور وهو الكتاب المتضمن للحكم أو الزواجر. وقرأ «ابن عامر»: «وبالزبر»، بإعادة «الباء» للتأكيد[٢] ﴿والْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾ التوراة والإنجيل والزبور.

[١٨٥] ـ ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ﴾ تعطون جزاء أعمالكم من ثواب وعقاب وافياً ﴿يَوْمَ الْقِيٰمَةِ﴾ يوم قيامكم عن قبوركم. واما نعيم القبر وعذابه فبعض الأجور لا توفيها ﴿فَمَن زُحْزِحَ﴾: نحّي[٣] ﴿عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فازَ﴾ فقد ظفر بالبغية ﴿وَمَا الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا﴾ أي شهواتها وزينتها ﴿إلاّ مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ شبّهت بمتاع يغرّ به طالبه بالتدليس حتى يشتريه. والغرور مصدر أو جمع غار.

[١٨٦] ـ ﴿لَتُبْلَوُنَّ﴾ أي: والله لتمتحنن ﴿فِي أَمْوَالِكُمْ﴾ بتكليف الإنفاق وآفات تصيبها ﴿وَأَنْفُسِكُمْ﴾ بالقتل والأسر والجراح والمصائب ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُم وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ أَذًى كَثِيرًا﴾ من هجاء النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم والطعن في الدين والصدّ عن الإيمان، أخبروا بذلك قبل كونه ليوطّنوا انفسهم على

---

(١) يراجع تعليقنا على كلمة «باءو» في الآية ٦١ من سورة البقرة.

(٢) حجة القراءات: ١٨٥.

(٣) في «ج» و«ط»: نجا.

الصبر حتى لا يرهقهم وقوعه ﴿وَإِنْ تَصْبِرُواْ﴾ على ذلك ﴿وَتَتَّقُواْ﴾ المعاصي ﴿فَإِنَّ ذَلِكَ﴾ أي الصبر والتقوى ﴿مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ من معزومات الأمور التي يجب العزم عليها، أو ممّا عزم الله عليه، أي: أوجبه.

[١٨٧] ـ ﴿وَإِذْ﴾: واذكروا إذ ﴿أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ أي العلماء به ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلاَ تَكْتُمُونَهُ﴾ حكاية مخاطبتهم. وقرأ «ابن كثير» و«أبو عمرو» و«عاصم» ــ في رواية ـ بالياء[1] لغيبتهم، واللام جواب قسم نابه «أخذ ميثاقهم»، والهاء للكتاب ﴿فَنَبَذُوهُ﴾ أي الميثاق ﴿وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ﴾ فلم يراعوه.

والنبذ وراء الظهر مثل في الطرح وترك الإعتناء ﴿وَاشْتَرَوْا بِهِ﴾ وأخذوا بدله ﴿ثَمَناً قَلِيْلاً﴾ من عرض الدنيا ﴿فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾.

عن النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم: من كتم علماً من أهله أُلجم بلجام من نار.[2]

وعن عليّ عليه السلام: ما أخذ الله على أهل الجهل أن يتعلموا حتى أخذ على أهل العلم أن يعلّموا.[3]

[١٨٨] ـ ﴿لاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُواْ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوْا فَلاَ تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ﴾ خطاب للرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم، والمفعول الاول الموصول[4] والثاني: «بمفازة»، وقوله «فلا تحسبنهم» تأكيد، تقديره: لا تحسبن الذين يفرحون بما فعلوا من كتمان الحق ويحبّون أن يحمدوا بما لم يفعلوا من الاخبار بالصدق بمفازة: بمنجاة من العذاب، أي فائزين بنجاة منه، وقرأ «ابن كثير» و«ابن عامر» بالياء وفتح باء الاول وضم باء الثاني،[5] فـ«الذين» فاعل، ومفعولا

(١) حجة القراءات: ١٨٥.

(٢) تفسير جوامع الجامع ١: ٢٢٧.

(٣) تفسير جوامع الجامع ١: ٢٢٧ وتفسير مجمع البيان ١: ٥٥٢.

(٤) اي «الذين يفرحون».

(٥) حجة القراءات: ١٨٦.

«يحسبن» محذوفان بقرينة مفعولي تأكيـده، والتقدير: «لا يحسبن الذين يفرحون فلا يحسبن أنفسهم بمفازة» ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ بكفرهم وكذبهم.

نزلت في اليهود إِذ سألهم صلّى الله عليه وآله وسلّم عن شيء في التوراة فأخبروه بخلاف ما فيها، وأروه أنهم صدقوا وفرحوا بمـا فعلوا، أو في المنافقين؛ إِذ يفرحون بمنافقتهم المسلمين ويستحمدون اليهم بالإيمان الذي لم يفعلوه على الحقيقة.

[١٨٩] ـ ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمواتِ وَالْأَرْضِ﴾ فيملك أمرهم ﴿واللهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فيقدر على عقابهم.

[١٩٠] ـ ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمواتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِـلَافِ الَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ كلّ يخلف الآخر ﴿لَآيَاتٍ لِأُوْلِي الْأَلْبَابِ﴾ لدلائل علـى وجود الصـانع ووحدتـه وعلمه وقـدرته وحكمته لذوي العقول السليمة.

وعن النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم: «ويل لمن قرأها ولم يتفكرّ [فيها]». [١]

[١٩١] ـ ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلى جُنُوبِهِمْ﴾ يذكرونه دائمًا على كل الحالات من قيام وقعود واضطجاع.

وقيل: معنـاه: يصلون لله على هـذه الأحوال حسب قـدرتهم[٢] ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَواتِ وَالْأَرْضِ﴾ اعتباراً، وهو أفضل العبادات.

عنه صلّى الله عليه وآله وسلّم: «لا عبادة كالتفكر»[٣] ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً﴾ أي يتفكرون قـائلين ذلك، و«هذا» اشـارة الى الخلق على ارادة المخلوق مـن السماوات والأرض، أي ما خلقته عبثاً ﴿سُبْحَانَكَ﴾ تنزيهاً لك عن العبث. وهو اعتراض ﴿فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ لإخـلالنا بـالتفكـر فيه. و«الفـاء» تفيـد أن علمهم بمـا لأجلـه خلقت

(١) تفسير البيضاوي ٢: ٥٩ـ ٦٠ والزيادة منه.

(٢) كما ورد في رواية ابي حمزة الثمالي عن الباقر عليه السّلام ينظر تفسير البرهان ١: ٣٣٣.

(٣) تفسير جوامع الجامع ١: ٢٢٩.

السماوات والأرض دعاهم الى الإستعاذة.

[١٩٢] ـ ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ﴾ فقد أبلغت في إخزائه، ونظيره ﴿فقد فاز﴾[١] ويشعر بأن العذاب الروحاني أشد ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ﴾ المدّخلين ﴿مِنْ أَنْصَارٍ﴾ يدفعون عنهم العذاب قهراً، فلا ينفي الشفاعة؛ إذ لا قهر فيها.

وفيه أن ظلمهم سبب إدخالهم النار وفَقْدهم الأنصار.

[١٩٣] ـ ﴿رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ﴾ أوقع الفعل على المسمِع، وحذف المسموع لغناء صفته عنه.

وفي إطلاق «منادياً» ثم تقييده تفخيم لشأنه، والمراد به الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم وقيل: القرآن.[٢] والنداء ونحوه يعدى بإلى واللام لتضمّنه الانتهاء والإختصاص ﴿أَنْ﴾ بأن أو أي ﴿ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا﴾ فأجبنا ﴿رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾ كبائرنا ﴿وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا﴾ صغائرنا بتوفيقنا لإجتناب الكبائر ﴿وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ﴾ مصاحبين لهم، معدودين من جملتهم. والأبرار: جمع برّ أو بارّ.

[١٩٤] ـ ﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَى رُسُلِكَ﴾ على تصديقهم من الثواب، أو على ألسنتهم، أو يتعلق بمحذوف، أي: ما وعدتنا منزلاً على رسلك. سألوا انجاز ما وعد تعبداً أو تذللاً، أو طلباً للتوفيق في حفظ أسبابه ﴿وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ ولا تفضحنا، أو: ولا تهلكنا ﴿إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ بإثابة المؤمن وإجابة الداعي، وتكرير «ربّنا» للمبالغة في السؤال والإشعار باستقلال الطلبات.

وعن الصادق عليه السلام «من حزنه أمر فقال خمس مرات: «ربّنا» نجاه الله ممّا يخاف واعطاه ما أراد[٣] ـ وتلاها ـ».

---

(١) في الآية ١٨٦من هذه السورة.

(٢) قاله محمّد بن كعب القرضي وقتادة ـ كما في تفسير التبيان ٣: ٨٤ـ.

(٣) تفسير جوامع الجامع ١: ٢٣٠.

[١٩٥] ـ ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ﴾ ما طلبوا. ويعدى بنفسه وباللام ﴿أَنِّي﴾ بأني ﴿لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى﴾ بيان لـ«عامل» ﴿بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾ يجمع ذكوركم واناثكم اصل واحد، أو الإسلام. وهو اعتراض لبيان شركة النساء مع الرجال فيما وعد العمّال.

قيل: قالت «أم سلمة»: يا رسول الله ما بال الرجال يذكرون في الهجرة دون النساء؟ فنزلت.[1] ﴿فَالَّذِينَ هَاجَرُوا﴾ تفصيل لعمل العامل على جهة المدح، أي هاجروا الشرك أو أوطانهم، أو قومهم، للدين ﴿وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي﴾ من أجل ديني وبسببه ﴿وَقَاتَلُوا﴾ المشركين ﴿وَقُتِلُوا﴾ واستشهدوا. وعكس «حمزة» و«الكسائي».[2] إذ «الواو» لا توجب ترتيباً.

أو المراد: لما قتل منهم قاتلوا ولم يهنوا. وشدد «ابن كثير» و«ابن عامر» «قتلوا» للتكثير[3] ﴿لَأُكَفِّرَنَّ﴾ لأمحون ﴿عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا﴾ أي اثيبهم بذلك إثابةً ﴿مِنْ عِنْدِ اللهِ﴾ يستحقونه منه ﴿وَاللهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾ على الأعمال، لا يقدر عليه سواه.

[١٩٦] ـ ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ﴾ خطاب للرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم أُريد به الأمّة، أو لكل أحد، والنهي للمخاطب، وجعل للتقلب مبالغة بتنزيل السبب منزلة المسبب، أي لا تنظروا الى ماهم عليه من السعة والحظ، ولا تغتر بما ترى من تصرّفهم في البلدان، يكتسبون ويتّجرون.

قيل: كان بعض المؤمنين يرون المشركين في سعة ورخاء فيقولون: إن أعداء الله

---

(١) تفسير التبيان ٣: ٨٩.

(٢) حجة القراءات: ١٨٧.

(٣) حجة القراءات: ١٨٨.

في العيش الرخيّ وقد هلكنا جوعاً. فنزلت.[١]

[١٩٧] ـ ﴿مَتَاعٌ﴾ أي: تقلّبهم متاع ﴿قَلِيلٌ﴾ في جنب ما أُعد للمؤمنين، أو لزواله ﴿ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ أي ما مهّدوا لأنفسهم.

[١٩٨] ـ ﴿لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِنْ عِنْدِ اللهِ﴾ النزل ما يعد للنازل من الكرامة، ونصب حالاً من «جنات» والعامل «لهم» أو مصدراً مؤكداً، أي: انزلوها إنزالاً ﴿وَمَا عِنْدَ اللهِ﴾ لدوامه ﴿خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ﴾ مما يتقلّب فيه الفجّار لزواله.

[١٩٩] ـ ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللهِ﴾ دخلت «اللام» في إسم «إنَّ» لفصل الظرف بينهما.

نزلت في «ابن سلام» واصحابه، أو في ثمانين بين نجراني وحبشي ورومي، كانوا على دين «عيسى» فأسلموا.

أو: في «أضخمة»[٢] النجاشي حين نعاه جبرئيل الى النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم، فخرج فصلّى عليه، فقال المنافقون: انظروا إليه يصلّي على علج نصراني لم يره قطّ ﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ﴾ من القرآن ﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ﴾ من الكتابين. ﴿خَاشِعِينَ للهِ﴾ حال من فاعل «يؤمن» وجمع نظراً الى المعنى ﴿لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ كما يفعل المحرّفون[٣] ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ الأجر المختص بهم الموعد في «اولئك يؤتون أجرهم مرتين»[٤] ﴿إِنَّ اللهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ لعلمه بالأعمال وجزائها، فأجرهم

(١) ذكره البيضاوي في تفسيره ٢: ٦٢.

(٢) «ب» و«ج»: اضخمة وفي «د»: ضخمة، وفي تفسير الكشّاف وتفسير البيضاوي: اصحمة، ومعنى اصحمة: عطيّة ـ بالعربيّة ـ كما في تفسير الكشّاف ١: ٤٩١.

(٣) في «ط»: المجرمون.

(٤) في سورة القصص: ٦٨/ ٥٤.

الموعود سريع الوصول.

[٢٠٠]- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اصْبِرُوا﴾ على مشاقّ التكاليف ﴿وَصَابِرُوا﴾ وغالبوا عدوّكم بالصّبر على القتال، أو على مخالفة الهوى. وذكر بعد الصبر مطلقًا تخصيصًا لشدّته ﴿وَرَابِطُوا﴾: وأقيموا في الثغور، رابطين خيلكم، مستعدّين للغزو ﴿وَاتَّقُوا اللهَ﴾ باجتناب المعاصي ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ لكي تظفروا بالبغية.

سورة النّساء

[٤]

مائة وخمس وسبعون آية مدنيّة

بسم الله الرّحمن الرّحيم

[١] ـ ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ يا بني آدم ﴿اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ آدم عليه السّلام ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ عطف على محذوف، أي: من نفس واحدة أنشأها، وخلق من ضلعها، أو من فضل طينتها أُمّكم «حواء» ـ بالمد ـ، أو: على خلقكم، أي: خلقكم من نفس واحدة وخلق منها أُمّكم ﴿وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ بيان لكيفية تولدهم منهما، أي ونشر من النفس وزوجها ذكوراً وإناثاً كثيرة.

واكتفى بوصف الرجال بالكثرة عن وصف النساء بها لاقتضاء الحكمة كثرتهن.

ورتب الأمر بالتقوى على هذه القصة لدلالتها على كمال القدرة الموجبة خشية القادر، وتمام النعمة الموجبة طاعة المنعم، أو لأنّ المراد أن يتّقوه فيما يتصل بحفظ الحقوق بينهم كما تعطيه الآيات الآتية ﴿وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ﴾ تتساءلون، فأُدغمت التاء الثانية في السين، وحذفها «عاصم» و«حمزة» و«الكسائي»[1] أي يسأل

(١) حجة القراءات: ١٨٨.

بعضكم بعضاً بالله ﴿وَالْأَرْحَامَ﴾ بالنصب عطف على محل «به» أو على «الله» أي واتقوا الأرحام فصلوها. وجرها «حمزة»[1] عطفاً على الضمير المجرور. وقَرنها بإسمه تعالى ليؤذن بأن صلتها منه بمكان ﴿إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾: حافظاً.

[٢] ـ ﴿وَءَاتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ﴾ جمع يتيم، وهو الذي مات أبوه، من اليتم وهو الانفراد، على أنه اجري مجرى الأسماء، كصاحب. وجمع «يتايم» فقلب «يتامى» أو جمع «يتمى» ثم جمع يتمى على يتامى، كأسرى وأسارى.

ومقتضى الإشتقاق وقوعه على الصغار والكبار، ولكن خصّ عرفاً بمن لم يبلغ. والمراد به ـ هنا ـ اما للبّلغ على القياس أو الإتساع؛ لقرب عهدهم بالصغر حثاً على دفع أموالهم اليهم أول بلوغهم إن أُونس منهم رشد؛ ولذا أمر بابتلائهم صغاراً.

أو غير البلّغ، والحكم مقيد ببلوغهم ﴿وَلَا تَتَبَدَّلُوا﴾ ولا تستبدلوا ﴿الْخَبِيثَ﴾ الحرام من أموالهم ﴿بِالطَّيِّبِ﴾ بالحلال من أموالكم، أو بما أعد في الجنة لمن عفّ عن مالهم ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ﴾ ولا تنفقوها مضمومة الى أموالكم حتى لا تفرقوا بينهما إلّا قدر أُجرة المثل بسبيل القرض، أو الإستحقاق ـ على الخلاف ـ، «فليأكل[2] بالمعروف» ﴿إِنَّهُ﴾ أي الأكل ﴿كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾. ذنبًا عظيمًا.[3]

[٣] ـ ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا﴾ ألّا تعدلوا ﴿فِي الْيَتَامَى﴾ يتامى النساء إذا تزوّجتم بهنّ ﴿فَانْكِحُوا﴾ فتزوّجوا ﴿مَا طَابَ﴾ ما حلّ ﴿لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾ من غيرهن. إذ كان الرجل يجد يتيمة ذات مال وجمال فيتزوّجها فربما جمع عنده عشراً منهنّ

---

(١) حجة القراءات: ١٨٨.

(٢) في«الف»: وليأكل. والعبارة غير مرتبطة بما قبلها ــ كما ترى ـ وفي تفسير البيضاوي ٢: ٦٥ جاءت العبارة هكذا: ولاتأكلوا اموالهم الى اموالكم: ولاتأكلوها مضمومة الى اموالكم اي لاتنفقوهما معاً ولاتسوّوا بينهما وهذا حلال وذاك حرام، وهو فيما زاد على قدر اجره لقوله تعالى: «فليأكل بالمعروف».

(٣) الآية ٦ من هذه السورة.

فيقصّر فيما يجب لهنَّ.

أو إن خفتم أن تجوروا في أمر اليتامى وتحرّجتم منه فخافوا أيضاً الجور في أمر النساء، فانكحوا مقداراً تفون بحقه، فإنهم تحرّجوا[١] من ولاية اليتامى خوف الحرب،[٢] ولا يتحرجون من تكثير النساء واضاعتهن.

أو تحرّجوا[٣] منهم ولا يتحرجون من الزنا، فقيل لهم: ان خفتم الجور في أمرهم فخافوا الزنا، فانكحوا ما أحل لكم. وعبر بـ«ما» قصداً الى الوصف، وايذاناً بقلّة عقولهن ﴿مَثْنَى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ﴾ حال من «ما طاب» معدولة عن أعداد مكررة هي: ثنتان ثنتان[٤] وثلاث ثلاث، وأربع أربع، منع صرفها للعدل والوصف، أو لتكرير العدل باعتبار الصيغة والتكرير.

ومعناه: الإذن لكل ناكح يريد الجمع أن ينكح ما شاء من العدد المذكور، متّفقين فيه أو مختلفين، نظيره: اقتسموا هذا المال درهمين درهمين وثلاثة ثلاثة، ولو افردت وقيل اثنتين وثلاثاً واربعاً لزم جواز الجمع بين الأعداد دون التوزيع، ولو قيل «أو» لمنع الإختلاف في العدد ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُوا﴾ بين هذه الأعداد أيضاً ﴿فَوَاحِدَةً﴾ فانكحوا واحدة وذروا الجمع ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ سوّى بين الحرة الواحدة والإماء لخفّة مؤنتهن ﴿ذلِكَ﴾ أي اختيار الواحدة أو التسرّي ﴿أَدْنَى أَلاَّ تَعُولُوا﴾ أقرب من أن لا تميلوا، من عال الميزان: مال، والحاكم جارَ.

وقيل: أن لا تكثر عيالكم، من «عال الرجال عياله» مَانَهم، فكنى عن كثرة

(١) كذا في النسخ، والصحيح: كانوا يتحرّجون.

(٢) في «ط»: خوف الجور.

(٣) كذا في النسخ، والصحيح: كانوا يتحرّجون ـ كما في تفسير البيضاوي ٢: ٦٥ ـ.

(٤) في النسخ: ثنتين ثنتين، وفي تفسير البيضاوي ٢: ٦٥ وتفسير الكشّاف ١: ٤٩٧: ثنتين ثنتين وثلاثاً ثلاثاً وأربعاً.

العيال بكثرة المؤن، ويعضده قراءة: «أن لا تُعيلوا» من «عال» كثر عياله، وقلة العيال بالتسري؛ لأنه مظنّة قلّة الولد بالعزل.

[٤] - ﴿وَءَاتُوا۟ النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ﴾ مهورهن ﴿نِحْلَةً﴾ عطيّة، من «نحله كذا» أعطاه اياه عن طيب نفس نحلة ونحلاً. ونصبت مصدراً، إذ معناها الإيتاء، أو حالاً من «الواو» أو «الصدقات» أي آتوهن صدقاتهن ناحلين أو منحولة، أو عطية من الله لهن، أو فريضة منه، فهي حال من الصدقات، والخطاب للأزواج، وقيل للأولياء، لأنهم كانوا يأخذون مهور بناتهم ﴿فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ﴾ من الصداق، حملاً على المعنى ﴿نَفْسًا﴾ تمييز، وتوحيدها لأنها لبيان الجنس، أي فإن وهبن لكم شيئًا من الصداق، وتجاوزت عنه نفوسهن طيّبات ﴿فَكُلُوهُ﴾ خذوه وانفقوه ﴿هَنِيئًا مَرِيئًا﴾ حلالاً بلا تبعة، [١] من «هنؤ الطعام ومرؤ» أي ساغ بلا غصّ.

وقيل: الهنيّ ما يلذّه الآكل، والمريّ ما يحمد عاقبته. وهما وصف للمصدر، [٢] أو حال من الواو، [٣] أو صفتان [٤] نابتا مصدريهما. [٥] قيل: تأثم ناس أن يقبل أحدهم من زوجته شيئاً مما نحلها، فنزلت.

[٥] - ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ﴾ نهي للأولياء أن يعطوا من لا رشد لهم أموالهم، فيضيّعوها. وأُضيفت إلى الأولياء لأنها بأيديهم، أو نهي لكل أحد عن إعطاء ماله كل سفيه، أو زوجته وأولاده؛ ثم ينظر الى أيديهم.

---

(١) في هامش «الف»: في نسخة: اي عقوبة.

(٢) في هامش «الف»: اي اكلاً هنيئاً مريئاً فنصبهما على انهما مفعول مطلق. كذا.

(٣) في هامش «الف»: أي: حال كون المأكول هنيئاً. بل حالان من الضمير، وهو «الهاء».

(٤) في هامش «الف»: اي حال كونكم هنيئن. وتفسير البيضاوي على أنهما حال من الضمير فيحتمل الواو. (ع. ق).

(٥) في هامش «الف»: فيكون الاصل هنوتم هنيئاً - على الدعاء - والوقف على ذكر الفعلان (كلمات لاتقرأ) فصار هنيئاً مريئاً فيكون (كلمة لاتقراء) المصدرية بالنيابة عن (كلمة لاتقراء).

وسمّوا سفهاء استخفافاً بعقلهم ﴿الَّتِي جَعَلَ اللهُ لَكُمْ قِيَامًا﴾ أي تقومون بها، وعلى الأول يراد به التي من جنس ما جعل لكم قياماً. وقرأ «نافع»: «قيماً» بمعناه.[١]

﴿وارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ﴾ واجعلوها مكاناً لرزقهم وكسوتهم، بأن تتّجروا فيها وتموّتوهم من ربحها ﴿وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلاً مَعْرُوفًا﴾ حسناً شرعاً، أو عقلاً من وَعدٍ جميل.

[٦] ـ ﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَى﴾ اختبروهم قبل البلوغ بتتبّع حالهم في صلاح الدين وإصلاح المال ﴿حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ﴾ كنى بذلك عن البلوغ وهو بأن يحتلم أو ينبت أو يبلغ الذكر خمس عشرة، والأنثى تسعاً ﴿فَإِنْ ءَانَسْتُمْ﴾ أبصرتم ﴿مِنْهُمْ رُشْدًا﴾ تهدياً الى حفظ المال ﴿فَادْفَعُواْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾ عند تحقّق البلوغ والرشد بلا تأخير ﴿وَلاَ تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَاراً أَنْ يَكْبَرُوا﴾ مسرفين ومبادرين كبرهم، أو لإسرافكم ومبادرتكم كبرهم ﴿وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ﴾ عن أكلها ﴿وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ بقدر أُجرته أو كفايته، أو أقلهما مع الرد إذا أيسر، أو لا ـ على الخلاف ـ ﴿فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ﴾ بأنّهم تسلّموها، دفعاً للتهمة والتخاصم ولزوم الضمنان ﴿وَكَفَى بِاللهِ حَسِيبًا﴾ محاسباً، فلا تتعدّوا حدوده.

[٧] ـ ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ﴾ هم المتوارثون بالقرابة ﴿مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ﴾ بدل من «ممّا» بتكرير العامل ﴿نَصِيباً مَفْرُوضًا﴾ نصب مصدراً، بمعنى قسمة مفروضة، أو على الإختصاص، أي أعني نصيباً مقطوعاً واجباً لهم.

نزلت ردّاً للسنة الجاهلية من عدم توريث النّساء.[٢]

[٨] ـ ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ﴾ قسمة التركة ﴿أُولُوا الْقُرْبَى﴾ ممن لا يرث ﴿وَالْيَتَامى وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ﴾ من المقسوم شيئاً، أمر ندب للورثة البلّغ، وقيل أمر

---

(١) حجة القراءات: ١٩٠.

(٢) في «ب»: النساء والأطفال.

وجـــوب، واخـــتلف في نســـخه ﴿وَقُولُـوا لَهُمْ قَوْلاً مَعْـرُوفًا﴾ هـو الـــدعاء لهم والإعتذار اليهم.

[٩] ـ ﴿وَلْيَخْشَ الَّـذِينَ لَوْ تَـرَكُوا مِنْ خَلْفِهِـمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًـا خَافُـوا عَلَيْهِمْ﴾ أمر للأوصيـاء بأن يخشـــوا الله في أمـر اليتامى ليفعلـوا بهم مـا يحبّون ان يفعل بـذرايهم الصغار بعدهم.

أو للحاضرين المـريض عند الايصاء بأن يخشوا الله فـي أولاده، ويحبـون لهـم ما يحبّون لأولادهم فلا يتركوه أن يضرَّبهم بصرف مازاد على الثلث عنهم.

و«لو» بما في حيّـزه صلة «الذين» ومعناه: وليخش الذين صفتهم أنهـم لو شارفوا أن يخلّفـوا ذرية ضعـافاً خـافوا عليهم الضيـاع ﴿فَلْيَتَّقُوا اللهَ﴾ تأكيـد للأمر بـالخشية ﴿وَلْيَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا﴾ لليتامى بالشفقة والملاطفة كما يقولون لأولادهـم، أو للمريض بمنعه عن تجاوز الثلث، وأمره بالتوبة وغيرها.

[١٠] ـ ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْـوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا﴾ ظالمين، أو علـى وجه الظّلم ﴿إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ﴾ ملؤها ﴿نَارًا﴾ ما يجر الى النار، أو يأكلونها يوم القيامة.

عن النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم: «يبعث نـاس من قبورهم يـوم القيامة تـأجج من أفواههـم نـار» فقيـــل: من هم؟ فقـرأ الآية[1] ﴿وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ وسيدخلـون ناراً ملتهبة فظيعة.

وضم «الياء» «ابـن عامر» و«أبـو بكر»[2] يقال: «صلـى النار» أي قـاسى حرّهـا، وأصليته: ألقيته فيها.

[١١] ـ ﴿يُوصِيكُمُ اللهُ﴾ يأمركم ﴿فِي أَوْلَادِكُمْ﴾ في شأن ميراثهـم وهو اجمال، تفصيله: ﴿لِلذَّكَرِ﴾ أي مـنهم، وحذف للـــعلم بـه ﴿مِثْلُ حَـظِّ الْأُنْثَيَيْنِ﴾ حيث

(١) تفسير مجمع البيان ٢: ١٣.

(٢) حجة القراءات: ١٩١.

اجتمع الصنفان.

وقدم «الذكر» لفضله كما ضوعف حظّه لذلك ﴿فَإِنْ كُنَّ﴾ أي المولودات ﴿نِسَاءً﴾ خلّصاً ليس معهنّ ذكر ﴿فَوْقَ اثْنَتَيْنِ﴾ خبر ثان، أو صفة لـ«نساء» ﴿فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ﴾ الميّت المعلوم من المقام ﴿وَإِنْ كَانَتْ﴾ أي المولودة ﴿وَاحِدَةً﴾. ورفعها «نافع»[1] على التامة ﴿فَلَهَا النِّصْفُ﴾.

واختلف في الإثنين فقال ابن عباس:[2] حكمهما حكم الواحدة: لأن الثلثين لما فوقهما، وقال الباقون ـ وهو الحق ـ: حكمهما حكم ما فوقهما للإجماع بعد ابن عباس.

ويعضده أن للواحدة الثلث مع أخيها، فاولى ان تستحقه مع أُخت مثلها، وأنّ للأُختين الثلثين، والبنتان أمسّ رحماً ﴿وَلِأَبَوَيْهِ﴾ وَلأبوي الميت ﴿لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا﴾ بدل منه بإعادة العامل. وذكر تنصيصاً على استحقاق كل واحد منهما السدس، وتأكيداً بتفصيل بعد اجمال ﴿السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ﴾ للميت ﴿وَلَدٌ﴾ وَان نزل ذكراً أو انثى متعدداً أو لا، لكنهما يشاركان البنت في الباقي بعد السهام فيقسم أخماساً ﴿فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ﴾ مما ترك أجمع ولو مع أحد الزوجين عندنا، وثلث ما بقي بعد نصيبه عند الجمهور، ولم يذكر ما للأب لظهور أن له الباقي ﴿فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ﴾ لأب أو أبوين، أقلهم ذكرانِ، وتنوب الاختان ذكراً، وأُريد بالجمع ما فوق الواحد اجماعاً ما عدا ابن عباس إذ اعتبر الثلاثة فما زاد ﴿فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ﴾ يحجبها الإخوة عن الثلث الى السدس، ولا يرثون.

وعن ابن عباس: أن لهم ما حجبوا عنه الأُم،[3] وكسر «حمزة» و«الكسائي» همزة

(١) حجة القراءات: ١٩٢.

(٢) تفسير مجمع البيان ٢: ١٤ وتفسير البيضاوي ٢: ٧١.

(٣) تفسير البيضاوي ٢: ٧١.

«فلأُمة»[1] إتباعاً لما قبلها. ﴿مِنْ بَعْدِ﴾ متعلق بجميع ما تقدم من قسمة المواريث. أي: هذه الحصص للورثة من بعد ﴿وَصِيَّةٍ يُوصِى بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾ «أو» للإباحة وتفيد تساويهما في وجوب التقديم على القسمة انفردا أم اجتمعا.

وقدمت الوصية على الدين مع تقدمه شرعاً اهتماماً بشأنها، لأنها شاقة على الورثة لشبهها بالإرث فهي مظنة التفريط بخلاف الدين لاطمئنانهم الى أداءه.

وبنى «ابن كثير» و«ابن عامر» و«أبو بكر» «يوصى» للمفعول[2] ﴿ءَابَاؤُكُمْ وَأَبناؤُكُمْ لَاتَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا﴾ اعتراض مؤكد لأمر القسمة، أو تنفيذ الوصية، أي: لا تعلمون من أنفع لكم ممن يرثكم من أُصولكم وفروعكم، فاقسموا على ما بيَّنه الله ولا تفضلوا بعضاً وتحرموا بعضاً، أو ممن ترثونه منهم: أمن أوصى فعرَّضكم للأجر بتنفيذ وصيته، أم من لم يوص فوفَّر عليكم ماله ﴿فَرِيضَةً مِنَ اللهِ﴾ مصدر مؤكد، أي فرض ذلك فريضة ﴿إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ بالمصالح ﴿حَكِيمًا﴾ فيما فرض.

[١٢] ـ ﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ﴾ وان نزل ذكراً أو انثى، منكم أو من غيركم ﴿فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾ في الصورتين ﴿وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِنْ لَمْ لَكُمْ وَلَدٌ﴾ ولو من غيرهن ﴿فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾ وتستوي الواحدة والعدد منهن في الربع والثمن ﴿وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ﴾ وهو الميت ﴿يُورَثُ﴾ من «وُرِثَ» أي يورث منه، صفة لـ«رجل» ﴿كَلَالَةً﴾ خبر «كان» أو الخبر «يورث»، و«كلالة» حال من الضمير فيه، وهو من لم يخلف ولداً ولا والداً، ويحتمل كون الرجل الوارث ويُورِثُ من أوْرَثَ.

وكلالة من ليس بولد ولا والد، وهي في الأصل مصدر بمعنى الكلال،

---

(١) حجة القراءات: ١٩٢.

(٢) حجة القراءات: ١٩٣.

فاستعيرت لقرابة ليست بأحدهما، لأنها كالّة بالإضافة اليهما، ثم وصف بها الموروث والوارث، بمعنى: ذي كلالة ﴿أَوِ امْرَأَةٌ﴾ عطف على «رجل» ﴿وَلَهُ﴾ أي للرجل وحذف حكم المرأة للعلم به من العطف ﴿أَخٌ أَوْ أُخْتٌ﴾ من الأم للإجماع والأخبار[1] أيضاً، ويؤيده قراءة «أخ أو أخت من الأم»[2] وان آخر السورة أن للأختين الثلثين، وللإخوة الكل، ولا يليق بأولاد الأم، والمقدّر هنا فرض الأم فيليق بأولادها ﴿فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوٓا أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ﴾ يستوي الذكر والأنثى في القسمة ﴿مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ﴾ فيه القراءتان[3] ﴿بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ﴾ حال من فاعل «يوصى» المذكور على البناء للفاعل، أو المدلول عليه بـ«يوصى» على البناء للمفعول، أي: غير مضارّ لورثته بالزيادة على الثلث أو قصد المضارّة بالوصية لا القربة، أو الإيصاء بدين لا يلزمه ﴿وَصِيَّةً مِنَ اللهِ﴾ مصدر مؤكد ﴿وَاللهُ عَلِيمٌ﴾ بمن ضارّ وغيره ﴿حَلِيمٌ﴾ لا يعجّل بالعقوبة.

[١٣] ـ ﴿تِلْكَ﴾ الأحكام المذكورة في اليتامى والوصايا والمواريث ﴿حُدُودُ اللهِ﴾ شرائعه، فإنها كالحدود المضروبة، الممنوع تعدّيها ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ﴾ وحد الضمير للّفظ. وقرأ «نافع» وان عامر» بالنون[4] ﴿جَنَّاتٍ تَجْرِيْ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيْهَا﴾ حال مقدرة لا صفة «جنات»، وإلاّ لأبرز الضمير لجريانها على غير من هي له، وجمع للمعنى ﴿وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيْمُ﴾.

[١٤] ـ ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ﴾ بالقراءتين ﴿نَارًا خَالِدًا فِيهَا﴾ حال لا صفة «نار» لما مرّ ﴿وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ يتضمن إهانته.

[١٥] ـ ﴿وَاللاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ﴾ يفعلنها، يقال: «أتى الفاحشة

---

(١) راجع الكافي ٧: ١٠١ـ١٠٣.

(٢) تفسير البيضاوي ٢: ٧٢.

(٣ـ٤) حجة القراءات: ١٩٣.

وجاءها وغشيها ورهقها» أي فعلها.

والفاحشة: الزنا؛ لزيادة قبحه ﴿فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ﴾ فاطلبوا من قاذفهن شهادة أربعة رجال من المؤمنين عليهن ﴿فَإِنْ شَهِدُواْ فَأَمْسِكُوهُنَّ﴾ فاحبسوهن ﴿فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ﴾ ملك الموت، أو: يستوفى أرواحهن الموت.

قيل: كان ذلك عقوبتهن أول الإسلام فنسخ بالحدّ[١] واحتمل ارادة صيانتهن بعد جلدهن عن مثل فعلهنّ فكنى عنه بالإمساك ﴿أَوْ يَجْعَلَ اللهُ لَهُنَّ سَبِيلاً﴾ هو النكاح، أو الحدّ.

قيل: لمّا نزلت آية الجلد، قال: صلّى الله عليه وآله وسلّم: «قد جعل الله لهن سبيلاً».[٢]

[١٦] ــ ﴿وَالَّذانِ يَأْتِيَانِهَا مِنْكُمْ﴾ يريد الزاني والزانية. وشدّد «ابن كثير» نون «اللذان»[٣] ﴿فَآذُوهُمَا﴾ بالتوبيخ والتعيير ﴿فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا﴾ فكفّوا عن ايذائهما ﴿إِنَّ اللهَ كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ علّة الأمر بالإعراض. قيل: هذه سابقة على الاولى نزولاً،[٤] وكانت عقوبة الزنا الأذى ثم الحبس ثم الجلد.

[١٧] ـ ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ﴾ قبول التوبة ـ من تاب عليه قبل توبته ـ واجب ﴿عَلَى اللهِ﴾ بمقتضى وعده وفضله ﴿لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ﴾ متلبّسين بها، سفهاء،[٥] إذ ارتكاب الذنب جهل وسفه ﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ﴾ من زمان قريب، وهو ما قبل حضور الموت لقوله تعالى: ﴿حتى إذا حضر أحدهم الموت﴾[٦] وقوله صلّى الله عليه وآله

---

(١) جوامع الجامع ١: ٢٤٣.

(٢) تفسير التبيان ٣: ١٤٣.

(٣) حجة القراءات: ١٩٣.

(٤) قاله الحسن ـ كما في تفسير التبيان ٣: ١٤٤.

(٥) في «ب»: سفهاً. وفي «ج»: متلبسين بها حكما سفهاء.

(٦) في الآية الآتية.

وسلّم: «من تاب قبل ان يغرغر، تاب الله عليه»[1] و«من» للتبعيض، أي يتوبون في أي جزء من الزمان القريب الذي هو أمد الحياة ﴿فَأُوْلَئِكَ يَتُوبُ اللهُ عَلَيْهِم﴾ عدة بالوفاء بما اوجب على نفسه بقوله: «انّما التّوبة عَلَى اللهِ» ﴿وَكَانَ اللهُ عَلِيمًا﴾ فيعلم توبتهم ﴿حَكِيمًا﴾ فيما يعاملهم به.

[١٨] ـ ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الآنَ وَلاَ الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ نفى التوبة عمن سوّفها الى حضور الموت ومن مات كافراً، وسوى بينهما في نفيها؛ لمجاوزة كل منهما وقت التكليف والإختيار ﴿أُوْلَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ يؤذن بقدرته على عذابهم متى شاء، ويؤكّد عدم قبول توبتهم.

والإعتاد: التهيئة من العتاد، وهو العدة.

[١٩] ـ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوْا لاَ يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوْا النِّسَاءَ كَرْهًا﴾ وضمّه «حمزة» و«الكسائي» أين جاء،[2] وهما لغتان.

كان الرجال إذا مات قريبه ألقى ثوبه على امرأته وقال: أنا أحق بها، فإن شاء تزوجها بصداقها الأول، وان شاء زوجها غيره وأخذ صداقها، فقيل: لا يحل لكم أن تأخذوهن على سبيل الإرث كارهات لذلك أو مكرهات عليه ﴿وَلاَ تَعْضُلُوْهُنَّ﴾ عطف على «أن ترثوا»، و«لا» لتأكيد النفي، أي ولا تمنعوهن من النكاح.

وأصل العضل: التضييق ﴿لِتَذْهَبُوْا بِبَعْضِ مَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ﴾ كان الرجل يمسك زوجته إضراراً بها لتفتدي بما لها فنهوا عن ذلك ﴿إِلاَّ أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ﴾ كالنّشوز، أو كل معصية.

---

(١) تفسير مجمع البيان ٢: ٢٢.

(٢) حجة القراءات: ١٩٥.

والإستثناء من أعم عام الظرف، أي لا تعضلوهن للإفتداء إلاّ وقت إتيانهن بفاحشة. وفتح ياء «مبينة» «ابن كثيرو و«أبو بكر»[1] ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ بالنصفة في الفعل، والإجمال في القول ﴿فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ أي فلا تفارقوهن لكراهة النفس، إذ قد تكره الأصلح ديناً والأكثر خيراً وتحب ضده.

و«عسى» علة الجزاء نائبة عنه، والتقدير: فان كرهتموهن فاصبروا عليهن، فعسى أن تكرهوا ما هو خير لكم.

[٢٠] ـ ﴿وَإِنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ﴾ تزويج امرأة ومفارقة أُخرى ﴿وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَيهُنَّ﴾ إحدى الزوجات إذ أُريد جنس الزوج ﴿قِنْطَارًا﴾ مالاً عظيماً ﴿فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾ إنكار، أي أتأخذونه باهتين وآثمين، أو للبهت والإثم. كان الرجل إذا اراد جديدة بهت التي تحته بفاحشة حتى يلجئها أن تفتدى بما أعطاها ليتزوج به غيرها، فنهوا عن ذلك.

والبهتان: كذب يبهت المكذوب عليه، ويقال للباطل.

[٢١] ـ ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾ إنكار لأخذه، والحال انه وصل اليها بالملامسة ودخل بها، ووجب المهر ﴿وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ عهداً وثيقاً، وهو حق الصحبة والمضاجعة، أو قول الولي: «أُنكحك على ما في كتاب الله من إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان».[2]

[٢٢] ـ ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ﴾ التي نكحها ﴿ءَابَاؤُكُمْ﴾ وان علوا ﴿مِنَ النِّسَاءِ﴾ بيان «ما» ﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ استثناء من لازم النهي، أي فتعاقبون بنكاح ما نكح آباؤكم إلاّ ما قد سلف، أو من اللفظ مبالغةً في التحريم كـ﴿لَايذوقون فيها الموت إلاّ

---

(١) حجة القراءات: ١٩٦.

(٢) اقتباس من الآية ٢٢٩ من سورة البقرة.

الموتة الاولى﴾[1] أي لا تنكحوهن إلاّ ما قد سلف ان امكنكم ان تنكحوه.

أو منقطع، أي ولكن ما سلف فلا تؤاخذون عليه ﴿إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا﴾ علّة النهي أي نكاحهن كان فاحشة وموجباً لمقت الله ما حلّ لأمة قطّ ﴿وَسَاءَ سَبِيلاً﴾ سبيل من دان به.

[٢٣] ـ ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ﴾ أي نكاحهنّ، لما قبله وبعده، وللتبادر كالأكل في «حرمت عليكم الميتة». والأُم من ولدتك أو ولدت من وَلَدك وان علت ﴿وَبَنَاتُكُمْ﴾ يعمّ من ولدتها أو ولدت من ولدها وان نزلت ﴿وَأَخَوَاتُكُمْ﴾ الأُخت: الانثى التي ولدها من ولدك بلا واسطة ﴿وَعَمَّاتُكُمْ﴾ العمة أُخت كل ذكر ولدك وان علا ﴿وَخَالاَتُكُمْ﴾ الخالة أُخت كل انثى ولدتك وان علت ﴿وَبَنَاتُ الأَخِ وَبَنَاتُ الأُخْتِ﴾ وإن نزلن ﴿وَأُمَّهَاتُكُمُ اللاتِي أَرْضَعْنَكُم وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرَّضَاعَةِ﴾ نزّل تعالى الرضاع منزلة النسب، فسمّى المرضِعة أُمّاً والمرضَعَة أُختاً.

وقال صلّى الله عليه وآله وسلّم: «يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب»[2] فيحرم منه السبع المحرمات بالنسب ﴿وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ﴾ يحرم بالمصاهرة أُم الزوجة وان علت، وبنتها من غير الزوج وان نزلت، ربّاها أم لا.

وسميت «ربيبة» وقيدت بالحجر لتربيته لها في حجره غالباً. وللبعث على حفظها كولده. و«من نسائكم» متعلق بـ«ربائبكم»، لقربه فلا تحرم الربيبة مؤبّداً إلاّ بالدخول بالأم ـ اجماعاً ـ. ولا يصح تعلّقه بـ«امهات نسائكم» أيضاً لأن «من» إذا عُلِّقت بها تكون بياناً لـ«نسائكم»، وإذا علّقت بالربائب تكون ابتدائية ولا تحمل كلمة واحدة على معنيين. فتحرم أُم الزوجة مدخولاً بها أم لا.

---

(١) سورة الدخان: ٤٤/ ٥٦.

(٢) جوامع الجامع ١: ٢٤٧. وتفسير التبيان ٣: ١٥٧.

ومنّا من اعتبر الدخول كبعض العامة، واخبارنا فيه مختلفة.[١] و«دخلتم بهنّ» كناية عن الجماع، أي دخلتم معهن الستر، وقد يلحق بـه المسّ والتجريد ﴿فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ يشعر بعدم اعتبار مفهوم القيود ﴿وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ﴾ زوجاتهم من الحل للزوج، أو الحلول معه ﴿الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ﴾ دون من تبنّيتم، فيعم ولد الولد ﴿وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ﴾ عطف على المحرمات، فالمحرّم الجمع دون العين، فلو فارق إحداهما حلّت له الأُخرى ﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ ولكن ما مضى مغفور؛ لقوله: ﴿إِنَّ اللهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ فلا تيأسوا من رحمته.

[٢٤] ـ ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ﴾ ذوات الأزواج، أحصنهن التزويج عطف على المحرمات ﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ من سبايا دار الكفر المزوّجات، فإنهن حلال؛ لرفع السبي النكاح، أو ما ملكتم من الإماء المزوّجات، فإن للمالك فسخ نكاحهن ووطئهنّ بعد العدة على بعض الوجوه ﴿كِتَابَ اللهِ﴾ كتب ذلك كتاباً ﴿عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُمْ﴾ عطف على «كتاب» المضمر وبناه «حمزة» و«الكسائي» للمفعول[٢] عطف على «حرمت» ﴿مَا وَرَاءَ ذَلِكُمْ﴾ ما عدا ما ذكر من المحرمات إلّا ما خصّ بالسنّة كالمنكوحة على عمتها وخالتها وغيرها ﴿أَنْ تَبْتَغُوا﴾ بدل اشتمال من «ما» أو مفعول له، أي أُحلّ ذلك إرادة أن تطلبوا النساء ﴿بِأَمْوَالِكُمْ﴾ بصداق أو ثمن. وقد لا يقدر له مفعول كأنه قيل أن تصرفوا أموالكم ﴿مُحْصِنِينَ﴾ اعفّاء ﴿غَيْرَ مُسَافِحِينَ﴾ غير زناة ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ﴾ فمن تمتعتم ﴿بِهِ﴾ الهاء للفظ «ما» ﴿مِنْهُنَّ﴾ من النساء. المراد به نكاح المتعة بدلالة قراءة «أُبي» و«ابن عباس» و«ابن مسعود»: «فما استمتعتم به منهن الى اجل مسمّى».[٣]

---

(١) تفسير البرهان ١: ٣٥٦.

(٢) حجة القراءات: ١٩٨.

(٣) تفسير مجمع البيان ٢: ٣٢.

ولا خلاف في شرعيته، وفعله الصحابة في زمن النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم وزمن أبي بكر وبرهة من زمن عمر، ثم نهى عمر عنه، وادّعى نسخه، وخالفه جماعة من الصحابة والتابعين.

وأطبق أهل البيت عليهم السّلام على بقاء شرعيته.

وقال علي عليه السّلام: «لولا أن عمر نهى عن المتعة ما زنى إلاّ شقي». [1]

واعترف عمر أيضاً بشرعيته ونسب النهي عنه الى نفسه، [2] واضطرب نقلهم للنسخ بحيث لا يفيد الظن فضلاً عن القطع فكيف ينسخ به القطعي ﴿فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ التي وقع العقد عليها. والضمير لمعنى «ما» ﴿فَرِيْضَةً﴾ أي مفروضة، حال من الأُجور أو ايتاء مفروضاً، أو فرضها فرضاً ﴿وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعدِ الْفَرِيضَةِ﴾ من استئناف عقد آخر بعد انقضاء المدّة بزيادة في الأجر والمدّة ﴿إِنَّ اللهَ كانَ عَلِيمًا﴾ بمصالحكم ﴿حَكِيمًا﴾ فيما شرع لكم.

[٢٥] ـ ﴿وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلاً﴾ غنًى، وأصله: الفضل والزيادة، أي: ومن لم يجد غنى يبلغ به ﴿أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ﴾ الحرائر ﴿الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ فليتزوج من مملوكاتكم، أو فليسترّ ﴿مِنْ فَتَيَاتِكُمُ﴾ إمائكم ﴿الْمُؤْمِنَاتِ﴾ وظاهره جواز تزوج الأمة مع عدم امكان الحرة على الأول، ومفهوم الشرط عدم جوازه للحرّ مع امكان الحرة وقال به بعضنا.

وردّ باحتمال ارادة المعنى الثاني وعدم صراحة الشرط، وأن حجيته فيما إذا لم يظهر له فائدة سوى نفي الحكم عن المسكوت وظاهر انه يفيد الحث على النكاح ولو بأمة.

وأولوية الحرة مع القدرة مع المعارضة بعموم «وأحلَّ لكم ما وراء ذلكم» [و]

---

(٣) تفسير العياشي ١: ٢٣٣ وتفسير التبيان ٣: ١٦٧ وكنزالعمال ١٦: ٥٢٢ الحديث ٤٥٧٢٨

(٤) يراجع سنن البيهقى ٧/ ٢٠٦ ومسند احمد ٣/ ٣٥٦ ـ ٣٦٣.

﴿وانكحوا الأيامى . . . ﴾ الآية[1] ﴿وَاللهُ أَعْلَمُ بِإِيْمَانِكُمْ﴾ فاكتفوا بظاهر الإيمان وَكِلوا السرائر اليه فإنه العالم بها، فربّ أُمةٍ تفضّل الحرّةَ فيه. وهذا تأنيس بنكاح الإماء ﴿بَعْضُكمْ مِنْ بَعْضٍ﴾ كلكم من آدم ودينكم الإسلام، فلا تستنكفوا من نكاحهنّ ﴿فانْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ﴾ مالكيهنّ ﴿وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ مهورهن، ولعل المراد: وآتو اهلهنّ. ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ بلا مطل ونقص ﴿مُحْصَنَاتٍ﴾: عفائف ﴿غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ﴾: غير معلنات بالزنا ﴿وَلاَ مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ﴾ أخلاء يزنون بهنّ سرّاً ﴿فَإِذَا أُحْصِنَّ﴾ بالتّزويج. وبناه «حمزة» و«أبو بكر» و«الكسائي» للفاعل[2] ﴿فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ﴾ بزنا ﴿فَعَلَيهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ﴾ أي الحرائر ﴿مِنْ الْعَذَابِ﴾ من الجلد كقوله تعالى: ﴿وليشهد عذابهما﴾ .[3]

وليس الإحصان شرطاً للحد وانما ذكر لإفادة انه لا رجم عليهن أصلاً لأنه لا يتنصف ﴿ذَلِكَ﴾ أي نكاح الإماء ﴿لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنكُمْ﴾ لمن خاف الوقوع في الزنا.

وأصله انكسار العظم بعد الجبر، فاستعير للمشقّة، ولا مشقّة أعظم من الإثم. وقيل: أُريد به الحدّ. والكلام في مفهومه ما مرّ[4] ﴿وَأَنْ تَصْبِرُوْا﴾ وصبركم عن نكاح الإماء ﴿خَيْرٌ لَكُمْ﴾ للحوق العار بالولد، وعدم اصلاحهنَّ البيت ﴿واللهُ غَفُورٌ﴾ لذنوبكم بالتوبة أو بفضله ﴿رَحِيمٌ﴾ بكم.

[٢٦] ـ ﴿يُرِيدُ اللهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ أحكام دينكم ومصالحكم وأصله «أن يبين»، فزيدت اللام لتأكيد ارادة التبيين ﴿وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبلِكُمْ﴾ طرائق من

---

(١) سورة النور: ٢٤/ ٣٢.

(٢) حجة القراءات: ١٩٨.

(٣) سورة النور: ٢٤/ ٢.

(٤) يراجع الآية ٢٢٠ من سورة البقرة و١١٨ من سورة آل عمران.

تقدّمكم من أهل الحق لتقتدوا بهم ﴿وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ ويقبل توبتكم أو يرشدكم الى ما يحثّكم على التوبة، أو الى طاعات تكفر سيئاتكم إن قمتم بها ﴿وَاللهُ عَلِيمٌ﴾ بمصالحكم ﴿حَكِيمٌ﴾ فيما دبّر لكم.

[٢٧] ـ ﴿وَاللهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ كرر للتأكيد وليبنى عليه ﴿وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ﴾ المبطلون، أو الزناة، أو المجوس، أو اليهود فإنهم يحلّون الاخوات من الأب، وبنات الأخ وبنات الأخت ﴿أَنْ تَمِيلُوا﴾ عن الحق بموافقتهم على اتباع الشهوات أو احلال المحرمات ﴿مَيْلاً عَظِيمًا﴾ إذ لا ميل أعظم من ذلك.

[٢٨] ـ ﴿يُرِيدُ اللهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنكُمْ﴾ بإحلال نكاح الأمة وغيره من الرخص ﴿وَخُلِقَ الإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ لا يصبر عن النساء أو الشهوات.

[٢٩] ـ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾ بما حرّمه الشرع كالربا والقمار والظلم ﴿إِلاّ أَنْ تَكُونَ تِجَارَةٌ عَنْ تَرَاضٍ مِنكُمْ﴾ منقطع، أي ولكن كون تجارةٍ صادرة عن رضا المتبايعين غير منهيّ عنه.

وقيل: اريد بالمنهي عنه صرف المال فيما لا يرضاه الله، وبالتجارة صرفه بما يرضاه. ونصب الكوفيون «تجارة» على الناقصة[١] أي: إلاّ أن تكن التجارة تجارة ﴿وَلاَ تَقْتُلُوْا أَنْفُسَكُمْ﴾ بإلقائها الى التهلكة، أو بالبخع[٢] كفعل بعض الجهلة، أو بارتكاب ما يؤدي الى هلاكها في الدنيا والآخرة، أو اريد بالأنفس من كان من أهل دينهم، إذ المؤمنون كنفس واحدة ﴿إِنَّ اللهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ أي: نهاكم عن ذلك لفرط رحمته بكم.

[٣٠] ـ ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾ أي القتل، أو ما ذكر من المحرمات ﴿عُدْوانًا وَظُلْمًا﴾ إفراطاً في تعدّي الحق، وايماناً بما لا يستحق، أو اريد بالعدوان التعدي

---

(١) حجة القراءات: ١٩٩.

(٢) في «ط»: النّجع، والبخع قتل الانسان نفسه غمّاً.

على الغير، وبالظلم ظلم النفس ﴿فَسَوْفَ نُصْلِيهِ﴾ ندخله ﴿نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرًا﴾ هيّناً لا مانع عنه.

[٣١]- ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ وهي كل ما أوعد الله عليه عقاباً، أو جعل فيه حدّاً. وقيل كلّ ما نهى الله عنه.

وصغر الذنب وكبره بالإضافة الى ما فوقه وما تحته، وروي أنها سبع، [١] والمعنى ان تتركوا كبائر الذنوب ﴿نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ نغفر لكم ما سوى ذلك من الصلاة الى الصلاة، ومن الجمعة الى الجمعة، ومن شهر رمضان الى شهر رمضان.

وقيل: إن تتركوا كبائر ما نهيتم عنه في هذه السورة نكفّر عنكم ما ارتكبتموه منها فيما سلف[٢] ﴿وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلاً﴾ وفتح «نافع» «الميم»[٣] أي موضعاً ﴿كَرِيمًا﴾ وهو الجنة، أو ادخالاً مع كرامة.

[٣٢]- ﴿وَلاَ تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ من جهة الدنيا كالمال والجاه لئلا يؤدي الى التحاسد والتباغض، وارضوا بما قسم الله لكم ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ﴾ أي لكلّ من الرّجال والنّساء حظّ وفضل بسبب ما اكتسب بالعمل لا بالحسد، أو ممّا اكتسب من نعيم الدنيا بالتجارة وغيرها. فليرض بما قسم له، أو من الميراث. جعل ما قسم لكل منهم على حسب ما عرف من حاله الموجبة للزيادة والنقص مكتسباً له ﴿وَسْئَلُوا اللهَ مِنْ فَضْلِهِ﴾ أي لا تتمنَّوا ما لغيركم واسألوا الله مثله من خزائنه. وقرأ «ابن كثير» و«الكسائي» «وَسَلوا»[٤]

---

(١) رواه كل من العياشي ١: ٢٣٧ عن الباقر عليه السّلام والطبرسي في تفسير مجمع البيان ٢: ٣٨ عن النبي وابن عباس، وهي: الإشراك بالله، وقتل النفس، وقذف المحصنة، واكل مال اليتيم، والربا، والفرار من الزحف، وعقوق الوالدين.

(٢) تفسير مجمع البيان ٢: ٣٨.

(٣) حجة القراءات: ١٩٩.

(٤) حجة القراءات: ٢٠٠.

﴿إِنَّ اللهَ كَانَ بِكُلِّ شَىءٍ عَلِيمًا﴾ فيلعم من يستحق التفضيل.

قيل: قالت ام سلمة: «يا رسول الله، يغزوا الرجال ولا نغزو، وانما لنا نصف الميراث، ليتنا رجال» فنزلت.[1]

[٣٣] ـ ﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ﴾ ولكل ميّت جعلنا ورّاثاً لما ترك. الضمير لـ«كل» و«من» صلة «موالي» لأنّه بمعنى الوارث والوالدان استئناف مبيّن لـ«موالى»، أو لكل قوم جعلناهم موالي حظّ ممّا ترك الوالدان والاقربون على أن «جعلنا موالي» صفة «كلّ» والعائد اليه محذوف، والجملة مبتدأ وخبر. ﴿وَالَّذِينَ عَاقَدَتْ[2] أَيْمَانُكُمْ﴾ جمع يمين بمعنى اليد، أو القسم، أي الحلفاء الذين عاهدتموهم على النصرة والإرث، وهو متبدأ ضمّن معنى الشرط، وخبره ﴿فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ﴾ أو عطف على «الوالدان» وقوله: «فآتوهم نصيبهم» تأكيد للجملة المتقدّمة والضمير لـ«موالي».

وقرأ أهل الكوفة: «عقدت»[3] قيل: التوريث بالتعاقد منسوخ[4] بقوله تعالى: ﴿وأُولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض﴾.[5]

وعند اصحابنا أنه باق عند عدم الوارث النسبي والسببي وهو المسمّى بضمان الجريرة ﴿إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَىءٍ شَهِيْدا﴾ مطّلعاً.

[٣٤] ـ ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ﴾ قيّمون مسلّطون ﴿عَلَى النِّسَاءِ﴾ في السياسة والتدبير ﴿بِمَا فَضَّلَ اللهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ بسبب تفضيله الرجال على النساء بكمال العقل

---

(١) تفسير مجمع البيان ٢: ٤٠.

(٢) وقد وردت الكلمة في المصحف الشريف بقراءة حفص: «عقدت».

(٣) حجة القراءات: ٢٠١.

(٤) تفسير مجمع البيان ٢: ٤٢ وجوامع الجامع ١: ٢٥٣.

(٥) سورة الانفال: ٨/ ٧٥ وسورة الاحزاب: ٦/٣٣.

والعلم وحسن الرأي وغير ذلك ﴿وَبِمَا أَنْفَقُوْا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ عليهن من المهر والنفقة.

قيل: إن «سعد بن الربيع» من نقباء الأنصار نشزت عليه امرأته «حبيبة بنت زيد» فلطمها، فانطلق بها ابوها الى النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم فشكا. فقال صلّى الله عليه وآله وسلّم: «لتقتص منه» فنزلت، فقال: «أردنا امراً وأراد الله أمراً، والذي أراد الله خير»[١].

﴿فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ﴾ مطيعات لله ولأزواجهن ﴿حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ﴾ لموجب الغيب أي يحفظن ما يجب حفظه في غيبة الأزواج من النفس والمال، أو لأسرارهم ﴿بِمَا حَفِظَ اللهُ﴾ بحفظ الله إياهنَّ بالتوفيقِ لحفظ الغيب، أو بالذي حفظه الله لهنَّ عليهم من المهر والنفقة ﴿وَاللاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ﴾ عصيانهن وترفّعهن عن مطاوعتكم لظهور أسبابه، أو أُريد بالخوف العلم ﴿فَعِظُوهُنَّ﴾ فخوّفوهنّ بالله ﴿وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ﴾ المراقد، فلا تدخلوهن تحت اللحف أو لا تجامعوهن، أو ولّوهن ظهوركم ﴿وَاضْرِبُوهُنَّ﴾ ضرباً غير مبرّح ولا مدم. والثلاثة مترتبة فيتدرّج فيها ﴿فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلاَ تَبْغُوْا عَلَيْهِنَّ سَبيلاً﴾ الى التوبيخ والايذاء، إذ التائب من الذنب كمن لا ذنب له ﴿إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيًّا كَبِيرًا﴾ فاحذروه فإنه أقدر عليكم منكم عليهن، أو: انه مع علوّ شأنه تعصونه ويقبل توبتكم، فاقبلوا توبتهن.

[٣٥] ـ ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ﴾ خلاف ﴿بِيْنِهِمَا﴾ أصله شقاقاً بينهما، فأضيف الى الظرف اتساعاً، والضمير للزوجين المدلول عليهما بذكر الرجال والنساء ﴿فَابْعَثُوْا﴾ أيها الحكام ﴿حَكَمًا﴾ رجلاً عدلاً صالحاً للحكومة والإصلاح ﴿مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا﴾ إذ الأقارب أعرف بأحوالهما وبما يصلحهما.

والمشهور أن هذا على الأغلب، فلو بعثا من الأجانب صحّ. والأظهر أنّ بعثهما تحكيم لا توكيل، فلا يشترط رضاهما إلاّ في التفريق، وقيل: لا يشترط مطلقاً[٢] ﴿إِنْ

(١) تفسير مجمع البيان ٢: ٤٣.

(٢) قاله مالك ـ كما في تفسير البيضاوي ٢: ٨٦ـ.

يُرِيدا إِصْلاَحًا يُوَفِّقِ اللهُ بَيْنَهُمَا﴾ الضميران للحكمين، أي: إن قصدا الإصلاح يوفق الله بينهما فتتفق كلمتهما ويحصل الغرض، أو للزوجين، أي: إن ارادا الإصلاح وزوال الشقاق أوقع الله بينهما الوفاق والأُلفة. والاول للحكمين، والثاني للزوجين، أي إن قصدا الإصلاح أوقع الله بحسن نيّتهما الوفاق بين الزوجين ﴿إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ بكلّ شيء ﴿خَبِيرًا﴾ بالبواطن كالظواهر.

[٣٦] ـ ﴿وَاعْبُدُوا اللهَ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ غيره، أو شيئاً من الاشراك ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ﴾ واحسنوا بهما ﴿إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى﴾ القرابة ﴿وَالْيَتَامَى وَالْمَساكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى﴾ القريب في الجوار، أو النسب أو الدين ﴿والْجَارِ الْجُنُبِ﴾ البعيد جواراً أو نسباً أو ديناً ﴿وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ﴾ الرفيق في سفر أو تعلّم أو حرفة. وقيل: الزوجة[1] ﴿وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ المسافر أو الضيف ﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ أرقائكم ﴿إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالاً﴾ متكبّراً لا يلتفت الى أقاربه وجيرانه واصحابه ﴿فَخُورًا﴾ عليهم.

[٣٧] ـ ﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ﴾ نصب بدلاً من «من كان» أو على الذم، أو رفع عليه، أو مبتدأ حذف خبره، تقديره: الذين يبخلون بما وجب عليهم، أو بإظهار صفة محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم ﴿وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ﴾ به. وفتح «حمزة» و«الكسائي» «الباء» و«الخاء»[2] ﴿وَيَكْتُمونَ مَا ءَاتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ المال والعلم أحقّاء بالعقوبة ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ﴾ بذلك وغيره ﴿عَذَابًا مُهِينًا﴾ لهم. نزلت في اليهود الّذين كانوا يتنصّحون للأنصار، ويقولون: لا تنفقوا أموالكم فإنّا نخشى عليكم الفقر، أو: الذين

---

(١) قاله عبدالله بن مسعود وابن ابي ليلى والنخعي كما في تفسير مجمع البيان ٢/ ٤٦ وفي تفسير التبيان ٣: ١٩٤ انّ القائل: عبدالله بن مسعود وعلي عليه السّلام وابراهيم وابن ابي ليلى.

(٢) حجة القراءات: ٢٠٣.

كتموا صفة محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم.[(١)]

[٣٨] ـ ﴿وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ﴾ عطف على «الذين يبخلون»، أو «الكافرين»، أو مبتدأ حذف خبره، ودل عليه «ومن يكن الشيطان» ﴿رِئَاءَ النَّاسِ﴾ مرائين، أو مراآة لهم ﴿وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ هم المنافقون أو مشركو مكة ﴿وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا﴾ صاحباً، يتّبع أمره كهؤلاء، أو هو وعيد لهم بان يُقرن بهم في النار ﴿فَسَاءَ قَرِينًا﴾ هو.

[٣٩] ـ ﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللهُ﴾ أي: أيّ ضرر عليهم بالإيمان والإنفاق في سبيل الله. وهو توبيخ لهم؛ إذ كل [الـ] منفعة في ذلك وانما الضرر فيما هم عليه ﴿وَكَانَ اللهُ بِهِمْ عَلِيماً﴾ فيجازيهم بأعمالهم.

[٤٠] ـ ﴿إِنَّ اللهَ لَا يَظْلِمُ﴾ لا ينقص من أجر ولا يزيد في عقاب ﴿مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ زنة نملة صغيرة، أو جزء من أجزاء الهباء، لغناه عن الظلم وعلمه بقبحه، فيستحيل عليه تعالى في الحكمة ـ لا في القدرة ـ ﴿وَإِنْ تَكُ﴾ وإن يك مثقال الذرة، وأُنث الضمير لتأنيث الخبر، أو لإضافة المثقال الى مؤنث ﴿حَسَنَةً﴾ ورفعه «ابن كثير» على التامّة[(٢)] ﴿يُضَاعِفْهَا﴾ يضاعف ثوابها وقرأ «ابن كثير» و«ابن عامر»: «يضعّفها»[(٣)] ﴿وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ﴾ ويعط صاحبها من عنده تفضلاً مع المضاعفة ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾ عطاءً جزيلاً. وسمي «أجراً» لأنه تابع للأجر.

[٤١] ـ ﴿فَكَيْفَ﴾ حال هؤلاء الكفرة ﴿إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ﴾ يشهد عليها بعملها وهو نبيّها ﴿وَجِئْنَا بِكَ﴾ يا محمد ﴿عَلَى هَؤُلَاءِ﴾ الكفرة أو الشهداء أي على تصديقهم ﴿شَهِيدًا﴾.

[٤٢] ـ ﴿يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ﴾ يتمنى ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ الْأَرْضُ﴾

---

(١) تفسير التبيان ٣: ١٩٦.

(٢ـ٣) حجة القراءات: ٢٠٣.

أن لم يبعثوا، أو كانوا هم والأرض سواء، أو أن يدفنوا فتسوى بهم الارض كالموتى ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ اللهَ حَدِيثًا﴾ ولا يقدرون على كتمانه لأن جوارحهم تشهد عليهم. وقيل: الواو للحال، أي: يَودّون أن يدفنون تحت الارض، وأنهم لا يكتمون الله حديثاً، ولا يقولون: ﴿والله ربّنا ما كنّا مشركين﴾[1] لأنّهم إذا قالوا ذلك ختم على أفواهم، فتشهد عليهم جوارحهم، فيشتد الأمر عليهم، فيتمنون لو تسوّى بهم الأرض. وقرأ «نافع» و«ابن عامر»: «تسوى» على أنه تتسوى، اُدْغم التاء في السين، وحذف «حمزة» و«الكسائي» التاء الثانية.[2]

[٤٣]ـ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوْا لَا تَقْرَبُوْا الصَّلٰوةَ﴾أي مواضعها، وهي المساجد، أو لا تصلّوا ﴿وَأَنْتُمْ سُكَارى﴾ من النعاس أو الخمر. والخطاب لهم قبل زوال عقولهم ﴿حَتَّى تَعْلَمُوْا مَا تَقُولُونَ﴾ في الصلاة بأن تصحّوا.

نقل: أن عبد الرحمن بن عوف ونفر من الصحابة شربوا خمراً قبل نزول تحريمها، فصلّوا سكارى، وقرأ إمامهم: «أعبد ما تعبدون» فنزلت.[3] ويشعر أنه ينبغي للمصلي أن يعلم ما يقوله في الصلاة ويلاحظ معانيه ﴿وَلَا جُنُبًا﴾ عطف على «وأنتم سكارى» إذ محله النصب على الحال.

والجنب يستوي فيه المذكر والمؤنث والواحد والجمع ﴿إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ﴾ استثناء من عامة الأحوال، أي لا تدخلوا المساجد جنباً في عامة الأحوال إلاّ حال اجتيازكم فيها من باب الى باب وهو مقيّد بما عدى المسجدين، لمنع الجواز فيهما بأخبار أهل البيت عليهم السّلام.

أو لا تصلّوا جنباً في حال إلاّ مسافرين، إذا لم تجدوا ماءً فيرخص لكم الصلاة

---

(١) سورة الانعام: ٦/ ٢٣.

(٢) حجة القراءات: ٢٠٣.

(٣) تفسير البيضاوي ٢: ٨٨.

بالتيمّم وإن لم يرفع الجنابة ﴿حَتَّى تَغْتَسِلُوْا﴾ غاية النهي عن القربان حال الجنابة ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضى﴾ مرضاً يضره الماء أو يعجز عن تناوله ﴿أَوْ عَلى سَفَرٍ﴾ تفقدونه فيه. خص أولاً بالرخصة في التيمم المرضى والمسافرين جنباً أو محدثين، لكثرة المرض والسفر وغلبتهما على سائر أسباب الرخصة.

ثم عمّ كلّ من وجب عليه طهارة وفقد الماء من هؤلاء وغيرهم بقوله: ﴿أَوْ جَاءَ اَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ﴾ هو المنخفض من الأرض، كني به عن الحدث بخروج الخارج من أحد السبيلين لأنه يقصد له. وقيل «أو» بمعنى الواو ﴿أَوْ لاَمَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾ وقرأ «حمزة» و«الكسائي»: «لمستم»،[1] وهما بمعنى جامعتموهنّ، عن أئمتنا عليهم السلام، وعليه أصحبنا وأبو حنيفة.[2] وقيل: ماسستموهن بالبشرة، وبه احتج الشافعي لنقض المس للوضوء،[3] ﴿فَلَمْ تَجِدُوْا مَاءً﴾ لعدمه، أو لضرره إذ واجده كفاقده ﴿فَتَيَمَّمُوْا صَعِيْدًا طَيِّبًا﴾ فاقصدوا شيئاً من وجه الأرض طاهراً مباحاً ﴿فَامْسَحُوْا بِوُجُوهِكُمْ﴾ أي بعضها، إذ الباء للتبعيض بنص الباقر عليه السلام وهو الجبهة والجبينان الى طرف الأنف الأعلى للنص[4] ﴿وَأَيْدِيْكُمْ﴾ ظهورها من الزند الى أطراف الأصابع، للنص.

ومنّا من أوجب استيعاب الوجه واليدين الى المرفقين كأكثر العامة لأخبار توهم ذلك[5] ﴿إِنَّ اللهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ فلذلك خفف عنكم ورخّص لكم.

[٤٤] ـ ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ من رؤية القلب. عدّي بـ«الى» بتضمين معنى: «ألم ينته

---

(١) حجة القراءات: ٢٠٤.

(٢) تفسير التبيان ٣: ٢٠٥.

(٣) تفسير البيضاوي ٢: ٨٩.

(٤) تفسير البرهان ١: ٤٥١ الحديث ٦ و١٦.

(٥) تفسير البرهان ١: ٣٧١ الحديث ٧ و١٥.

علمك» ﴿إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ﴾ حظاً من علم التوراة وهم أحبار اليهود ﴿يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ﴾ يستبدلونها بالهدى بإنكار نبوة محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم ﴿وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ﴾ تخطئوا طريق الحق كما اخطأوه.

[٤٥] ـ ﴿وَاللهُ أَعْلَمُ﴾ منكم ﴿بِأَعْدَائِكُمْ﴾ وقد أخبركم بهم فاحذروهم ﴿وَكَفَى بِاللهِ وَلِيًّا﴾ يلي أمركم ﴿وَكَفَى بِاللهِ نَصِيرًا﴾ يعينكم، فاكتفوا به عن غيره، وزيدت الباء للتأكيد.

[٤٦] ـ ﴿مِنَ الَّذِينَ هادُوا﴾ بيان لـ«الذين أُوتوا» وما بيهما اعتراض، أو لأعدائكم، أو صلة لـ«نصيراً»، أو خبر محذوف، أي منهم قوم ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ﴾ يميلونه ﴿عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ التي وضعه الله فيها بتبديله بغيره، أو بتأويله على ما يشتهون ﴿وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا﴾ قولك ﴿وَعَصَيْنَا﴾ أمرك ﴿وَاسْمَعْ﴾ منا ﴿غَيْرَ مُسْمَعٍ﴾ حال تضمن الدعاء، أي لا سمعت، أو اسمع غير مجاب لك ﴿وَرَاعِنَا﴾ انظرنا، يريدون به السبّ أو السخرية ﴿لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ﴾ فتلاً بها وتحريفاً بالحق الى الباطل بوضعهم «راعنا» مكان «انظرنا» و«غير مسمع» مكان «لاسمعت مكروهاً» أو يفتلون بها ما يضمرون من التحقير الى ما يظهرونه من التوقير ﴿وَطَعْنًا﴾: عيباً ﴿فِي الدِّينِ﴾: الإسلام ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانْظُرْنَا﴾ ولو حصل قولهم هذا بدل ما قالوه ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ﴾ مما قالوه ﴿وَأَقْوَمَ﴾ وأعدل منه ﴿وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللهُ بِكُفْرِهِمْ﴾ أبعدهم عن رحمته بسبب كفرهم ﴿فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ منهم كإبن سلام واصحابه، أو إلاّ إيماناً قليلاً ضعيفاً لا إخلاص فيه.[1]

[٤٧] ـ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ءَامِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا﴾ مِن القرآن ﴿مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ﴾ من التوراة ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا﴾ نمحو ما فيها من عين وأنف وحاجب، فنجعلها على هيئة أدبارها، وهي الأقفية أو ننكسها إلى خلف

---

(١) تفسير مجمع البيان ٢: ٥٥.

﴿أَوْ نَلْعَنَهُمْ﴾ نخزيهم بالمسخ، والضمير لأصحاب الوجوه، أو لـ«الذين» على الإلتفات ﴿كَمَا لَعَنَّا﴾ أخزينا ﴿أَصْحَابَ السَّبْتِ﴾ وهذا وعيد مشروط بعدم إيمانهم، فلما آمن بعضهم رفع.

أو: يقع في الآخرة، أو: منتظر يقع قبل يوم القيامة، أو أُريد باللعن متعارفه، وقد لعنوا بكلّ لسان ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللهِ﴾ بكون شيء أو وعيده أو قضاؤه ﴿مَفْعُولاً﴾ كائناً فلابد أن يقع ما اوعدوا به إن لم يؤمنوا.

[٤٨] ـ ﴿إِنَّ اللهَ لاَ يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ﴾ أي الشرك ﴿بِهِ﴾ بدون توبة؛ للإجماع على غفرانه بها ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ﴾ ما سوى الشرك من المعاصي بدون توبة ﴿لِمَنْ يَشَاءُ﴾ تفضّلاً، ومقتضاه الوقوف بين الخوف والرجاء، فلا إغراء فيه.

وتقييد المعتزلة ايّاه بالتوبة لاحجة له، وتخصيصه بالعمومات الوعيدية ليس أولى من العكس بل الأولوية للعكس، وإلاّ لساوى الشرك في الحكم، فيلغو التقسيم اليهما، وأن هذا يغفر وذاك لا يغفر، والتعليق بالمشيئة لا يجابهم الغفران بالتوبة ـ حاشا كلامه تعالى ـ ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا﴾ ارتكبه،[١] والإفتراء يقال للقول والفعل كالإختلاق.

[٤٩] ـ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِيْنَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ﴾ هم أهل الكتاب، قالوا: ﴿نَحْنُ أَبْنَاءُ اللهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾،[٢] ﴿وَلَنْ يَدْخُلَ الجَنَّةَ إِلاَّ مَنْ كَانَ هُوداً أو نَصَارَى﴾[٣] ويعم كلّ من زكّى نفسه ومدحها ﴿بَلِ اللهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ﴾ فتزكيته هي المعتد بها دون تزكية غيره لعلمه بمن هو أهل التزكية، وقد ذمّهم وزكّى من ارتضاه من المؤمنين.

---

(١) هنا في هامش«الف» ـ بخط يغاير خط المتن ـ مايلي: يقول ارتكبه على انه اثماً مفعول به لامفعول مطلق كما قال الطبرسي(ع. ق).

(٢) سورة المائدة: ٥/ ١٨.

(٣) سورة البقرة: ٢/ ١١١.

والتزكية: التطهير والوصف به، وأصلها نفي المستقبح ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ﴾ بعقابهم على تزكية أنفسهم ﴿فَتِيلًا﴾ قدر ما في شقّ النواة.

[٥٠] - ﴿انْظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ﴾ في زعمهم أنهم ازكياء عنده ﴿وَكَفَى بِهِ﴾ بزعمهم هذا ﴿إِثْمًا مُبِينًا﴾ بيّناً.

[٥١] - ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾ صنمان لقريش، أو كلّ ما عبد من دون الله.

نزلت في «حُيي» و«كعب» خرجا في جمع من اليهود الى مكة يحالفون قريشاً على محاربة النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم، فقالوا: «انتم أقرب الى محمد منكم الينا، فلا نأمن مكركم، فاسجدوا لآلهتنا حتى نطمئن اليكم» ففعلوا[1] ﴿وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي فيهم ﴿هَؤُلَاءِ﴾ اشارة اليهم ﴿أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا﴾ أرشد طريقاً.

[٥٢] - ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا﴾ دافعاً عنه العذاب.

[٥٣] - ﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ﴾ «أم» منقطعة، والهمزة للإنكار، أي ليس لهم حظّ منه، ولو كان ﴿فَإِذاً لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا﴾ قدر النقرة في ظهر النواة لفرط بخلهم، و«إذاً» بعد الواو والفاء يجوز اعمالها والغاؤها ولذلك قرىء «لايؤتوا» بالنصب.

[٥٤] - ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ﴾ بل أيحسدون الرسول وأهل بيته صلوات الله عليهم ﴿عَلَى مَا ءَاتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ من النبوّة والإمامة.

وعن الصادق عليه السّلام: «نحن المحسودون الذين قال الله: «أم يحسدون الناس...» الآية[2] ﴿فَقَدْ ءَاتَيْنَا ءَالَ إِبْرَاهِيمَ﴾ الذين هم أسلاف محمد صلّى الله عليه وآله

(١) جوامع الجامع ١: ٢٦٣ وتفسير البيضاوي ٢: ٩٣.
(٢) تفسير البرهان ١: ٣٧٨ الحديث ٢٢.

وسلّم ﴿الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ النّبوة والعلم ﴿وَءَاتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾ افتراض الطاعة، أو ملـك «يـوسف» و«داود» و«سليمان» فليس ببـدع ان يـؤتى محمد وآله عليهم السّلام مثل ما اوتوا.

[٥٥] ـ ﴿فَمِنْهُمْ﴾ فمن اليهـود ﴿مَنْ ءَامَنَ بِـهِ﴾ بمحمـد صلّى الله عليه وآلـه وسلّـم ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ﴾ أعرض ﴿عَنْهُ﴾ فلم يـؤمن به، أو: فمن أمّـة ابراهيم من آمـن به، ومنهم من كفر، فلم يـوهن ذلك أمره، فكذا كفر هـؤلاء لا يوهن أمرك ﴿وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا﴾ ناراً موقـدة يعذّبـون بهـا، أي: إن لـم يعجل عقـابهم فقد كفاهم مـا أعدّ لهم من النار.

[٥٦] ـ ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَاراً كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ يخلقها[1] مكانها.

ومدرك العذاب النفـس العاصية لا الجلد، وإنمـا هو آلة لإدراكها، أو بإعـادتها بنفسها على صـورة أُخرى كتبديل الخاتم خـاتماً، أو بإذهاب اثر الإحـراق عنها ليعود اثر الإحساس بها[2] ﴿لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ أي ليـدوم احساسهم به ﴿إِنَّ اللهَ كَانَ عَزِيزًا﴾ لا يعجزه شيء ﴿حَكِيمًا﴾ في تعذيب من يعذبه.

[٥٧] ـ ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُـوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّـاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَـا أَبَدًا لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ﴾ من كلّ دنس وقذر ﴿وَنُدْخِلُهُمْ ظِلاًّ ظَلِيْلاً﴾ كثيفاً لا حـرَّ فيه ولا برد، ودائمـاً لا تنسخه الشمس. وصف اشتـق من الظل لتأكيده كـ«ليل أليل».

[٥٨] ـ ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾ يعمّ كل مكلف، وكل أمانة إئتمنها الله من أوامره ونواهيه.

---

(١) في «الف»: يخلفها.

(٢) في «الف»: ليعود اجسامها، وفي «د»: ليعود احساسها.

أو العباد بعضهم بعضاً. ومن ذلـك ما روى عن أهل البيت عليهم السّلام: «أنه أمر لكل واحد من الأئمة أن يسلم الأمر الى من بعده».[1]

وقيل: أمـر للنبيّ صلّى الله عليه وآلـه وسلّم برّد مفتـاح الكعبة الى «عثمان بـن طلحة» حين قبضـه منه يـوم الفتح.[2] والسبب الخـاص لا يخصّـص ﴿وَإِذَا حَكَمْتُمْ﴾ أي ويأمركم ايها الولاة إذا قضيتم ﴿بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوْا بِالْعَدْلِ﴾ بالنّصفة والسّوية ﴿إِنَّ اللهَ نِعِمَّا يَعِظُكُـمْ بِهِ﴾ «ما» مـوصوفة منصـوبة، أو موصولـة مرفوعـة، والمخصوص محـذوف، أي نعم شيئًـا، أو الشـيء الـذي يعظكم بـه الأداء والعـدل ﴿إِنَّ اللهَ كَـانَ سَمِيعًا﴾ لأقوالكم ﴿بَصِيرًا﴾ بأفعالكم.

[٥٩] ـ ﴿يَا أَيُّهَا الَّـذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوْا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُـولَ وَأُوْلِى الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ هم الأئمة من آل محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم إذ لا يوجب الله طاعة أحد على الإطلاق، كما أوجب طاعته وطاعـة رسوله إلاّ من أيّد بالعصمة، وكان أفضل ممـن أُمر بطاعته على الإطـلاق، ولا أحد بهـذا الـوصف إلاّ أئمـة الهدى الـذين أذهـب الله عنهم الـرجس وطهرهـم تطهيراً صلـوات الله عليهم ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ﴾ اختلفتم ﴿فِي شَيْءٍ﴾ من امور الدين ﴿فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ﴾ فارجعوا فيه الى الكتاب والسنّة بسؤال من جُعل القيّم عليهما. واستودع علمهما، وهو الرسول صلّى الله عليه وآلـه وسلّم في حياته، وبعده عترته الأوصياء الحافظون لشريعته، الذين أوجب التمسك بهم بعده بقوله:

«اني تـارك فيكم الثقلين ما إن تمسكتـم بهما لن تضلـوا بعدي أبـداً: كتاب الله وعترتي أهل بيتي وانهـما لن يفتـرقا حتى يردا عـليّ الحـوض»[3] فإن الكتـاب والسنة

(١) تفسير مجمع البيان ٢: ٦٣.

(٢) قاله ابن جريج ـ كما في تفسير مجمع البيان ٢: ٦٣ـ.

(٣) هو حديث الثقلين، وقد رواه العامة والخاصة. علما انّ المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السّلام بصدد تهيئة موسوعـة تجمع كلّ ما يتعلّق بهذا الحديث الشريف، نأمـل من الله تعالى التوفيق لانجازها بأحسن الوجوه، إنّه وليّ قدير.

لا يرفعان نزاعاً بدون قيّم، كيف وكل فرقة من الثلاثة والسبعين تحتج بهما لمذهبها ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ فانَّ من أبى ذلك لا ايمان له ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي الرد ﴿خَيْرٌ﴾ لكم من التنازع والقول بالرأي والتّشهّي ﴿وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾ مآلاً.

أو احسن تأويلاً من تأويلكم بلا ردّ.

[٦٠]- ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ﴾ خاصم منافق يهودياً فدعاه اليهودي الى النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم ليحكم بينهما، ودعاه المنافق الى كعب بن الأشرف، فنزلت.

فالطاغوت «كعب» وكل من يحكم بغير الحق سمّي بذلك لفرط طغيانه، أو لتشبيهه بالشيطان، أو لأن التحاكم اليه تحاكم الى الشيطان لقوله: ﴿وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلاَلاً بَعِيدًا﴾ عن الحق.

[٦١]- ﴿وَإِذا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللهُ﴾ في القرآن من الحكم ﴿وَإِلَى الرَّسُولِ﴾ ليحكم به[1] ﴿رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ﴾ حال. أي: يعرضون ﴿عَنْكَ﴾ الى غيرك ﴿صُدُودًا﴾.

[٦٢]- ﴿فَكَيْفَ﴾ يصنعون ﴿إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ﴾ عقوبة ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ من النّفاق والصدّ عنك ﴿ثُمَّ جَاؤُكَ﴾ بعد ذلك عطف على «أصابتهم» أو «يصدّون» وما بينهما اعتراض ﴿يَحْلِفُونَ بِاللهِ﴾ حال ﴿إِنْ أَرَدْنَا﴾ ما اردنا بالتحاكم الى غيرك ﴿إِلاَّ إِحْسَانًا﴾ تخفيفاً عنك او صلحاً بين الخصمين دون الحكم المرّوث للضغائن ﴿وَتَوْفِيقًا﴾ تأليفاً بينهما بالتوسط دون الحمل على مُرّ الحق، ولم نرد مخالفتك.

[٦٣]- ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ من النفاق ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ لا تعاقبهم لمصلحة في استبقائهم ﴿وَعِظْهُمْ﴾ بلسانك ﴿وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ﴾ في شأنها، أو خالياً بهم، إذ النصح سرّاً أنجع ﴿قَوْلاً بَلِيغًا﴾ بالغاً منهم مؤثراً فيهم، وهو

---

(١) في «د»: ليحكم بينهم.

التوعد بالقتل.

[٦٤] - ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ لِيُطاعَ﴾ في أمره وحكمه ﴿بِإِذْنِ اللهِ﴾ بسبب اذنه بطاعته، وامره المرسل اليهم بأن يطيعوه ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ بنفاقهم وتحاكمهم الى الطاغوت ﴿جَاءُوكَ﴾ تائبين ﴿فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ﴾ من ذلك بإخلاص ﴿وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ﴾ واعتذروا اليك حتى صرت شفيعاً لهم.

وعدل عن الخطاب تفخيماً لشأنه صلّى الله عليه وآله وسلّم.

وعن أهل البيت عليهم السّلام: أن الخطاب لعلي عليه السّلام[1] ﴿لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّابًا﴾ لعلموه قابلاً لتوبتهم ﴿رَحِيمًا﴾ بهم.

[٦٥] - ﴿فَلاَ وَرَبِّكَ﴾ «لا» زائدة لتأكيد القسم، أي: فوربك ﴿لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ﴾ اختلف واختلط ﴿بَيْنَهُمْ﴾ من الشجر؛ لتداخل أغصانه ﴿ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ﴾ ضيقاً أو شكاً من حكمك ﴿وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ وينقادوا لك انقياداً في الظاهر والباطن.

[٦٦] - ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا﴾ أوجبنا ﴿عَلَيْهِمْ أَنِ﴾ مصدرية أو مفسرة ﴿اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ﴾ كما أوجبنا على بني اسرائيل قتل انفسهم وخروجهم الى التّيه. وكسر «أبو عمرو» نون «ان اقتلوا وضم واو «أو اخرجوا» وكسرهما «عاصم» و«حمزة» وضمهما الباقون[2] ﴿مَا فَعَلُوهُ﴾ أي المكتوب عليهم ﴿إِلاَّ قَلِيلٌ مِنْهُمْ﴾ وهو المخلصون. رفع على البدل، ونصبه «ابن عامر» على الإستثناء،[3] أو على إلاّ فعلاً قليلاً ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ﴾ من طاعة الرسول والإنقياد له ﴿لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ﴾ آجلا وعاجلاً ﴿وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾ لإيمانهم.

---

(١) تفسير نور الثقلين ١: ٥١٠ عن تفسير القمي والمناقب لابن شهراشوب ٣: ٤٠٠.

(٢) تفسير مجمع البيان ٢: ٦٩.

(٣) حجة القراءات: ٢٠٦.

قيل: نزلت الآية والتي قبلها في شأن المنافق واليهودي.[١]

وقيل: في حاطب ابن أبي بلتعة، خاصم الزبير في شراج من الحرة،[٢] كان يسقيان بها النخل، فقال النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم: «اسق يا زبير، ثم ارسل الماء الى جارك» فقال حاطب: «لأن كان ابن عمتك. فقال النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم: «اسق يا زبير ثم احبس الماء الى الجدر واستوف حقك، ثم ارسل الى جارك».[٣]

[٦٧] ـ ﴿وَإِذًا﴾ جواب سؤال مقدر، كأنه قيل: وما يكون لهم بعد التثبيت؟ فقيل: وإذا لو ثبتوا ﴿لآتَيْنَاهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا﴾ لأنّ «اذن» جواب وجزاء.

[٦٨] ـ ﴿وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ وللطفنا بهم ووفّقناهم للثبات على طريق الحقّ.

[٦٩] ـ ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ﴾ بيان لـ«الذين» ﴿وَالصِّدِّيقِينَ﴾ الصادقين في القول والعمل، المصدّقين بما جاءت به الرسل ﴿وَالشُّهَدَاءِ﴾ المقتولين في سبيل الله ﴿وَالصَّالِحِينَ﴾ الملازمين للصلاح غير من ذكر ﴿وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ فيه معنى التعجّب، و«رفيقاً» تمييز أو حال، يقال للواحد والجمع، كالصدّيق؛ فلذلك لم يجمع.

أو أريد «وحسن كل واحد منهم رفيقاً».

قال الصادق عليه السّلام لأبي بصير: «يا أبا محمد لقد ذكركم الله في كتابه ثم تلا الآية، وقال: فالنبي: رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، ونحن الصديقون والشهداء، وأنتم الصالحون فاتّسموا بالصّلاح كما سماكم الله».[٤]

---

(١) تفسير البيضاوي ٢: ٩٨.

(٢) الشراج: جمع شرج، وهو: مسيل الماء من الحرّة الى السهل.

(٣) جوامع الجامع ١: ٢٦٧.

(٤) تفسير مجمع البيان ٢: ٧٢.

قيل: قالت الصحابة للنبي صلّى الله عليه وآله وسلّم: ينبغي لنا ألاّ نفارقك، فإنّا لانراك إلاّ في الدنيا، واما في الآخرة فإنك ترفع فوقنا بفضلك، فنزلت.[1]

وقيل: في «ثوبان» مولى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وقد قال له نحو قولهم.[2]

[٧٠] ـ ﴿ذَلِكَ﴾ أي كونهم مع المنعم عليهم مبتدأ ﴿الْفَضْلُ﴾ خبره ﴿مِنَ اللهِ﴾ حال، أو هو الخبر و«الفضل» صفة ﴿وَكَفَى بِاللهِ عَلِيمًا﴾ بجزاء المطيعين وتوفير الحظ فيه.

[٧١] ـ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ ءَامَنُوْا خُذُوا حِذْرَكُمْ﴾ تيقّظوا واحتزوا من عدوّكم.

والحِذر: الحذر، كالإثر والأثر، أو ما يحذر به كالسلاح ﴿فَانْفِرُوا﴾ فاخرجوا الى الجهاد ﴿ثُبَاتٍ﴾: جماعات متفرقة، سريّة، سريّة، جمع «ثِبة» وتجمع أيضاً على ثبين ﴿أَوِانْفِرُوا جَمِيعًا﴾ مجتمعين.

[٧٢] ـ ﴿وَإِنَّ مِنكُمْ﴾ أي من عسكركم أيها المؤمنون ﴿لَمَنْ﴾ اللام للإبتاء، دخلت على اسم «ان» للتأكيد ﴿لَيُبَطِّئَنَّ﴾ ليتثاقلنّ ويتأخرنّ عن الجهاد، وهم المنافقون من «بطأ» بمعنى «أبطأ» لازم، أو ليثبّطنّ غيره كما ثبطّ ابن أُبيّ ناساً يوم أحد من «بطأ» المتعدي بالتضعيف، واللام جواب قسم محذوف، تقديره: «وان منكم لمن أقسم بالله ليبطّئن» ﴿فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ﴾ كقتل أو هزيمة ﴿قَالَ﴾ المبطىء ﴿قَدْ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيْدًا﴾ حاضراً فأُصاب.

[٧٣] ـ ﴿وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللهِ﴾ كفتح وغنيمة ﴿لَيَقُولَنَّ﴾ متحسّراً ﴿كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ﴾ حال من القائل، أو اعتراض بين القول ومقوله وهو: ﴿يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزاً عَظِيمًا﴾ للإيذان بأنّ قوله هذا قول من لا مواصلة بينكم وبينه، وإنما اراد الكون معكم للمال لا للقتال و«كأن» مخففة، واسمها ضمير شأن

(١) قاله قتادة ومسروق بن الاجدع ـ كما في تفسير مجمع البيان ٢: ٧٢ـ.

(٢) قاله الكلبي ـ كما في تفسير روح البيان ٥: ٦٨ـ.

مقدّر. وقرأ «ابن كثير» و«حفص»: «تكن» بالتاء[1] والمنادى في «يا ليتنى» محذوف، أي يا قوم ليتني.

وقيل: «يا» للتنبيه على الإتساع، ونصب «فأفوز» على جواب التمني.

[٧٤] ـ ﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ الَّـذِينَ يَشْرُونَ﴾ يبيعون ﴿الْحَيٰوةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ﴾ أي: إنْ صدَّ المنافقون عن القتال، فليقاتل المخلصون المختارون للآخرة على الدنيا ﴿وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيُقْتَلْ﴾ فيستشهد ﴿أَوْ يَغْلِبْ﴾ يظفر بالعدوّ ﴿فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ وعد المجاهد الثواب الجزيل، غُلِب أو غَلَب، حثاً على الجهاد في إعزاز الدين، ورداً لقولهم: ﴿قد أنعم الله عليَّ إذ لم أكن معهم شهيداً﴾.[2]

[٧٥] ـ ﴿وَمَا لَكُمْ﴾ مبتدأ وخبر ﴿لَا تُقَاتِلُونَ﴾ حال عاملها معنى الفعل في الظرف ﴿فِي سَبِيلِ اللهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ﴾ عطف على اسم «الله»، أي وفي سبيل المستضعفين وهو خلاصهم من أيدي المشركين، أو على «السبيل» بحذف مضاف أي وفي خلاص المستضعفين ﴿مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ﴾ بيان للمستضعفين، وهم المسلمون الذين لم يستطيعوا الهجرة وبقوا بمكة مستذلين، يلقون الأذى من أهلها.

وذكر «الولدان» مبالغة في الحث وايذاناً بتناهي ظلم الكفرة حتى آذوا الصبيان ﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ﴾ داعين ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ﴾ مكة ﴿الظَّالِمِ أَهْلُهَا﴾ صفتها وذكّر لتذكير فاعله ﴿وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ﴾ من عندك ﴿وَلِيًّا﴾ يلي أمرنا ﴿وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا﴾ يعيننا عليهم، فاستجاب الله دعاءهم، فيسّر لبعضهم الخروج،

---

(١) حجة القراءات: ٢٠٨، وقال الشيخ الطوسي في تفسير التبيان ٣: ٢٥٦: قرأ ابوجعفر المدني وحفص ورويس والبرجمي: «كأن لم تكن» بالتاء، لان لفظة المودة مؤنثة، ومن قرأ بالياء فلأن التأنيث ليس بحقيقيّ، ومع ذلك فقد وقع الفصل بين الفعل والفاعل.

(٢) مرّ آنفاً في الآية/ ٧٢.

وجعل ـ لمن بقي ـ نبيّه صلّى الله عليه وآله وسلّم ولياً وناصراً حين فتح مكة واستعمل عليها «عتاب ابن أسيد» فتولاهم ونصرهم، فكانوا أعز أهلها.

[٧٦] ـ ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ﴾ في طاعته الموصلة الى رضوانه ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ﴾ في طاعة الشيطان ﴿فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ﴾ اتباعه، ينصركم الله عليهم ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ﴾ للمؤمنين ﴿كَانَ ضَعِيفًا﴾ في جنب كيد الله للكافرين، وفيه تشجيع للمؤمنين.

[٧٧] ـ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ﴾ قلت لهم في مكة قبل الهجرة: ﴿كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ﴾ عن قتال الكفرة حين طلبوه لإيذائهم لهم ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا الزَّكَوٰةَ﴾ واشتغلوا بما فرض عليكم[1] ﴿فَلَمَّا كُتِبَ﴾ فرض ﴿عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ﴾ في المدينة ﴿إِذَا﴾ للمفاجأة جواب «لمّا» ﴿فَرِيقٌ﴾ مبتدأ ﴿مِنْهُمْ﴾ صفته، والخبر ﴿يَخْشَوْنَ النَّاسَ﴾ الكفار أن يقتلوهم ﴿كَخَشْيَةِ اللهِ﴾ كما يخشون الله أن ينزل عليهم بأسه. من اضافة المصدر الى المفعول، حال من الواو ﴿أَوْ أَشَدَّ﴾ عطف عليه ﴿خَشْيَةً﴾ تمييز، أي يخشون الناس مشبهين لأهل خشية الله، أو حال كونهم أشد خشية من أهل خشية الله.

وانما لم يقدّر «يخشون خشية مثل خشية الله» ليكون صفة للمصدر، لأن «أشد» عطف عليه ولا يجوز فيه سوى الحال، إذ لو كان مصدراً لجرّ ما بعده حتى يكون المفضّل من جنس المفضّل عليه، فنصب ما بعده أوجب ألاّ يكون من جنسه، فلا يكون مصدراً ﴿وَقَالُوا﴾ خوفاً من الموت ﴿رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَآ﴾ هلاّ ﴿أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾ استزادة في مدّ الكفّ عن القتال ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾ نافد ﴿وَالْآخِرَةُ﴾ أي ثوابها الباقي ﴿خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى﴾ الله ﴿وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ لاتنقصون من أجوركم أدنى شيء، وقرأ «ابن كثير» و«حمزة» و«الكسائي»:

---

(١) في «د»: بما فرض الله عليكم.

يظـلمون» بالياء[1] لسبق الغيبة.

[٧٨] ـ ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ﴾ يلحقكم ويحـلّ بكم ﴿الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ﴾ في قصور أو حصون مـرفّعة أو مجصّصة، فلا ينجيكم منـه ترك القتال ﴿وَإِنْ تُصِبْهُم﴾ اي اليهود او المنـافقين ﴿حَسَنَةٌ﴾ نعمة كالخصب ﴿يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِندِ اللهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ بليّة كالجدب ﴿يَقُولُوْا هذِهِ مِنْ عِندِكَ﴾ بشؤمك يا محمد ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿كُلٌّ﴾ من النعمـة والبليّة ﴿مِنْ عِندِ اللهِ﴾ صادر عن حكمتـه حسب المصالح ﴿فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقِوْمِ لا يَكَـادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ لا يقاربون أن يفهمـوا قولاً، فيعلمون أنّ الباسط والقابض هو الله.

[٧٩] ـ ﴿مَا أَصَابَكَ﴾ يا انسان ﴿مِنْ حَسَنَةٍ﴾ من نعمة ﴿فَمِنَ اللهِ﴾ تفضّلاً منه وامتحاناً ﴿وَمَا أَصَـابَكَ مِنْ سَيِّئَـةٍ﴾ مـن بليّـة ﴿فَمِنْ نَفْسِكَ﴾ لأنك السّبـب فيهـا لارتكابك الذنـوب الجالبة لها، ﴿وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولاً﴾ حال مـؤكدة ﴿وَكَفى بِاللهِ شَهِيدًا﴾ على ارسالك.

[٨٠] ـ ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ﴾ لأنه إنما يأمر بمـا أمره الله به، وينهى عمّا نهـى الله عنه ﴿وَمَنْ تَوَلَّى﴾ أعرض عن طـاعته ﴿فَما أَرْسَلْنَـاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ تحفظ أعمالهم بل نذيراً، وعلينا حسابهم.

[٨١] ـ ﴿وَيَقُولُون﴾ إذا أمرتهـم بشيء ﴿طَاعَةٌ﴾ أي شأننا طـاعة ﴿فَإِذَا بَرَزُوا﴾ خرجوا ﴿مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طائِفَـةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ﴾ أضمرت خلاف مـا قالت لك وأظهرت من الطاعة، أو ما قلت وأمرت به.

والتبييت من البيتـوتة؛ لأنـه يدبّر ليـلاً، أو من بيت الشعر لأن الشـاعر يـدبّره، وأدغم «أبـو عمرو» و«حمـزة»: «بيّت طائفـة»[2] ﴿وَاللهُ يَكْتُبُ مَـا يُبَيِّتُـونَ﴾ يثبتـه في

(٢) حجة القراءات: ٢٠٨.

(١) تفسير مجمع البيان ٢: ٨٠.

صحائفهم فيجازيهم عليه، أو في جملة ما يوحى اليك لتطّلع على سرّهم ﴿فَأَعْرِضْ عنهُمْ﴾ بالصَّفح ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ﴾ ثق بـه،[١] يكفك أمـرهم ﴿وَكَفَى بـاللهِ وَكِيلاً﴾ حافظاً لما فوّض اليه.

[٨٢] ـ ﴿أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْءَانَ﴾ يتأمّلون معانيه. وأصل التـدبّر: النظر في أدبار الأُمور ﴿وَلَو كَـانَ مِنْ عِنْـدِ غَيْرِ اللهِ﴾ كما زعمـوا انه قـول البشر ﴿لَوَجَدُوْا فِيـهِ اخْتِلاَفًا كَثِيرًا﴾ من تناقض معانيه وتفاوت نظمه بشهادة الإستقراء لقصور القوّة البشريّة.

[٨٣] ـ ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ﴾ إذا بلغ المنافقين، أو: ضعاف المسلمين عن سـرايا النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم خبر ممـا يوجـب الأمن كالنصـر، أو الخوف كالهزيمة ﴿أَذَاعُوا بِهِ﴾ أفشوه وكانت اذاعتهم مفسدة و«الباء» زائدة أو لتضمين «اذاعوا» معنى تحدّثوا ﴿وَلَوْرَدُّوهُ﴾ أي الخبر ﴿إِلَى الرَّسُولِ﴾ الى رأيه ﴿وَإِلى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ﴾ الائمّة المعصومين عليهم السلام.

وقيل أُمراء السرايا[٢] أي لو سكتوا حتى يظهر لهم ﴿لَعَلِمَهُ﴾ لعلم تدبيره ﴿الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ يستخرجون تدبيره بأفكارهم.

وقيل: كانوا يسمعون أراجيف المنافقين فيـذيعونها فتكون مفسدة، ولو ردّوه الى الرسول، وإِلى أُولي الأمر منهم لعلمه أيـذاعُ أم لا، الذين يطلبون علمه وهم المذيعون منهم، أي من جهة الرسول وأُولي الأمر.

والاستنبـاط: إِخراج النبط، وهـو: الماء يخـرج من البئـر، أول ما يحفـر ﴿وَلَوْلاَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾ بالإسـلام والقرآن، أو: النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم وعليّ عليه السّلام ﴿لاَتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ﴾ بالكفر ﴿إِلاَّ قَلِيلاً﴾ منكم، اهتدوا بعقـل راجح الى الحق كـ«قسّ بن ساعدة» وامثاله، أو إِلاّ اتباعاً قليلاً.

---

(١) في«ط»: توثق به.

(٢) قاله السدي وابن زيد وابوعلى ـ كما في تفسير مجمع البيان ٢: ٨٢ وتفسير التبيان ٣: ٢٧٣ـ.

[٨٤] ـ ﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ﴾ ولو وحدك ﴿لاَ تُكَلَّفُ إِلاّ نَفْسَكَ﴾ إلاّ فعل نفسك ولا يهمّك تقاعدهم عن الجهاد معك فإن الله ناصرك لا الجنود.

قيل: دعا صلّى الله عليه وآله وسلّم الناس في بدر الصغرى الى الخروج لوعد «أبي سفيان» فكره بعضهم، فنزلت، فخرج في سبعين ولو لم يخرجوا لخرج وحده[1] ﴿وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ حثّهم ﴿عَلى القِتَالِ﴾ ما عليك في شأنهم إلاّ التحريض ﴿عَسى اللهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يمنع حربهم وقد فعل بإلقاء الرعب في قلوبهم فلم يخرجوا ﴿وَاللهُ أَشَدُّ بَأْسًا﴾ منهم ﴿وَأَشَدُّ تَنْكِيلاً﴾ تعذيباً منهم.

[٨٥] ـ ﴿مَنْ يَشْفَعْ﴾ للناس ﴿شَفَاعَةً حَسَنَةً﴾ توافق الشّرع ﴿يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا﴾ بسببها وهو أجرها ﴿وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً﴾ تخالفه ﴿يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ﴾ نصيب وكأنّه مختص بالشر ﴿مِنْهَا﴾ بسببها، وهو وزرها ﴿وَكَانَ اللهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ مُقِيتًا﴾ مقتدراً، أو حفيظاً من القوت لحفظه النفس.

[٨٦] ـ ﴿وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ﴾ وهي السّلام المتعارف شرعاً، لا الجاهلي ﴿فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْرُدُّوهَا﴾ أوجب الردّ إما بأحسن منها، وهو أن يزيد «ورحمة الله» فإن قالها المسلم، زاد «وبركاته» وهي النهاية. ووجوبه كفائي.

وظاهر الإطلاق وجوبه في الخطبة وقراءة القرآن، والحمام، والخلاء، وعدم مشروعية السّلام في هذه ممنوع، ولو سلّم فعدم وجوب الردّ ممنوع.

قيل: الرد بالأحسن للمسلمين، وبالمثل لأهل الكتاب[2] والظاهر ان كليهما للمسلمين، واما أهل الكتاب فيقال لهم: «وعليكم» لأنهم ربما قالوا: السّام، أي: الموت، ويحتمل عدم وجوب الردّ لهم. ﴿إِنَّ اللهَ كَانَ عَلى كُلِّ شيءٍ﴾ من تحية وغيرها ﴿حَسِيبًا﴾ محاسباً.

---

(١) قاله الكلبي كما في تفسير مجمع البيان ٢: ٨٣.

(٢) قاله قتادة وابن عباس ووهب ـ كما في تفسير التبيان ٣: ٣٧٨.

[٨٧] ـ ﴿اللهُ﴾ مبتدأ ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ خبره، أو إعتراض والخبر: ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ﴾ أي الله، والله ليجمعنكم أي يفضين بكم جميعاً ﴿إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَٰمَةِ﴾ أو ليحشرنكم فيه والقيامة: قيامهم من قبورهم أو للحساب ﴿لَارَيْبَ فِيهِ﴾ في اليوم أو الجمع ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللهِ﴾ انكار، أي: لا أحد أصدق منه ﴿حَدِيثًا﴾ تمييز.

[٨٨] ـ ﴿فَمَا لَكُمْ﴾ تفرّقتم ﴿فِي الْمُنَافِقِينَ﴾ في شأنهم ﴿فِئَتَيْنِ﴾ فرقتين، ولم تجتمعوا على كفرهم. وهو حال، عاملها: «مالكم» ﴿وَاللهُ أَرْكَسَهُمْ﴾ ردهم الى حكم الكفر، أو خذلهم حتى ارتكسوا فيه ﴿بِمَا كَسَبُوْا﴾ من الكفر وهم قوم قدموا من «مكة» وأظهروا الإسلام ثم رجعوا وأظهروا الشرك، ثم سافروا الى اليمامة، فاختلف المسلمون في اسلامهم.

وقيل: هم المتخلّفون يوم أحد[1] ﴿أَتُرِيْدُونَ أَنْ تَهْدُوا﴾ تعدّوا من جملة المهتدين ﴿مَنْ أَضَلَ اللهُ﴾ من حكم الله بضلاله، أو خذله لخبث نيته حتى ضلّ ﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ﴾ يحكم بضلاله أو يخذله ﴿فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً﴾ حجّة أو محجّة تنجيه.

[٨٩] ـ ﴿وَدُّوْا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوْا﴾ تمنّو أن تكفروا ككفرهم ﴿فَتَكُونُونَ﴾ انتم وهم، عطف على «تكفرون» ﴿سَوَاءً﴾ في الكفر ﴿فَلاَ تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ فلا توالوهم وان اظهروا الإيمان ﴿حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللهِ﴾ هجرة صحيحة تحقّق ايمانهم في طاعة الله ودينه لا في غرض دنيوي ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ عن الإيمان والهجرة ﴿فَخُذُوهُمْ واقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ في الحلّ والحرام كسائر الكفرة ﴿وَلاَ تَتَّخِذُوْا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلاَ نَصِيرًا﴾ وان بذلوا لكم الولاية والنصرة.

[٩٠] ـ ﴿إِلاَّ الَّذِينَ يَصِلُونَ﴾ أي فخذوهم واقتلوهم إلاّ الذين يلجئون ﴿إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ﴾ عهد، والقوم هم الأسلميّون فإنه صلّى الله عليه وآله وسلّم وادع «هلال

---

(١) قاله زيد بن ثابت ـ كما في تفسير مجمع البيان ٢: ٨٦ـ.

بن غويمر الأسلمي»[١] على ألاّ يعينه ولايعين عليه، ومن لجأ اليـه فله من الجوار مثل ما له ﴿أَوْ جَاءُوكُمْ﴾ عطف على الصّلة، أي: أو الذين جاءوكم ممسكين عن قتالكم وقتال قومهم.

أو: على صفة قوم، والتقدير: إلاّ الذين يصلون الى قوم معاهدين، أو قوم كافّين عن الحرب لكـم وعليكم. ويعضد الاول «فإن اعتـزلوكم» ﴿حَصِرَتْ﴾ حال بإضمار «قد» أي ضاقت ﴿صُدُورُهُمْ﴾ عن ﴿أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ﴾ أو كراهة أن يقاتلـوكم مع قومهم ﴿أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ﴾ معكم وهـم بنو مـدلج،[٢] أتـوا النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم غير مقاتلين. وهذا وما بعـده نسخ بآية السيف[٣] ﴿وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ﴾ بتقوية قلوبهم ﴿فَلَقَاتَلُوكُمْ﴾ ولكنه لـم يشأ فقذف فـي قلوبهم الـرّعب ﴿فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ﴾ فإن كفـوا عنكم ﴿وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ﴾ الإستسـلام أي انقـادوا لكم ﴿فَمَا جَعَلَ اللهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلاً﴾ بأخذٍ وقتل.

[٩١] ـ ﴿سَتَجِدُونَ ءَاخَرِيـنَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ ويَأْمَنُـوا قَوْمَهُمْ﴾ هم نـاس أتوا المدينة وأظهروا الإسلام ليأمنـوا المسلمين، فلمّا رجعوا كفروا ﴿كُلَّمَا رُدُّوا إِلى الْفِتْنَةِ﴾ دعوا الى الشرك ﴿أُرْكِسُوا﴾ انتكسوا ﴿فِيهَا فَإِنْ لَمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ﴾ وَلـم يستسلموا لكم ﴿وَيَكُفُّوا أَيْدِيَهُمْ﴾ عن قتالكم ﴿فَخُذُوهُمْ واقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾ صادفتموهم ﴿وَأُوْلَئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُبِينًا﴾ حجّة بيّنة على قتلهم وسبيهم لوضوح عدواتهم وكفرهم، أو تسلطاً ظاهراً بالإذن لكم في قتلهم.

[٩٢] ـ ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ﴾ وما صح، أو وما جاز له ﴿أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا﴾ بغير حق

---

(١) كذا فـي تفسير مجمع البيـان وجوامع الجـامع وتفسير الكشّـاف وتفسير البيضـاوي، ولكن في النسخ التي بايدينا: هلال بن عويم الاسلمي.

(٢) في«ج»: بنو مدحج.

(٣) وهي الآية الخامسة من سورة التوبة.

في حال من الأحوال، أو لعلة من العلل ﴿إِلاَّ خَطَأً﴾ إلاّ مخطأً، أو إلاّ للخطأ، أو إلاّ قتلاً خطأً[١] أو أريد به النهي، والإستثناء منقطع، أي: لا يقتله لكن قتله خطأ جزاؤه ما يذكر. والخطأ: أن لا يقصد بفعله قتله. نزلت في «عيّاش ابن ابي ربيعة» أخي «أبي جهل» لأمه، قتل «حارث بن زيد» ولم يعلم بإسلامه ﴿وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ أي فعليه أو فالواجب في ماله اعتاق نسمة ﴿مُؤْمِنَةٍ﴾ مسلمة ولو حكماً، فتجزي الصغيرة في الأظهر ﴿وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ﴾ مؤدّاة من العاقلة الى ورثته ﴿إِلاَّ أَنْ يَصَّدَّقُوْا﴾ يتصدقوا عليهم بالدّية بأن يعفوا عنها. استثناء من وجوب التسليم، أي يجب تسليمها إليهم إلاّ حال تصدّقهم أو زمانه، فهو حال أو ظرف ﴿فَإِنْ كَانَ﴾ القتيل ﴿مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ﴾ محاربين ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ ولم يعلم قاتله إيمانه ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾ فعلى قاتله الكفارة، ولادية لأهله، لأنّهم [أهل][٢] حرب ﴿وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثاقٌ﴾ عهد ﴿فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلى أَهْلِهِ﴾ تلزم عاقلة قاتله ﴿وَتَحْرِيْرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾ يلزم قاتله كفارة.

قيل: المراد كون القتيل مؤمناً للسوق وللكفارة، ولكن تعطى ديته لورثته المسلمين خاصة.[٣]

وقيل: أُريد به الكافر، ولزوم الدية بسبب العهد[٤] ﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ﴾ رقبة لفقدها، أو فقد ما يحصلها به ﴿فَصِيَامُ﴾ فعليه صيام ﴿شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنَ﴾ ويتحقق التتابع بشهر ويوم من الثاني ﴿تَوْبَةً مِنَ اللهِ﴾ مصدر أو مفعول له، أي قبل توبتكم بالكفارة

(١) في«ب»: او الاّ قتالاً خطأ، وفي«د»: الاّ مخطئاً او الاّ قتلاً خطأ.

(٢) الزيادة اقتضاها السياق.

(٣) قاله ابراهيم والحسن ينظر تفسير التبيان ٣: ٢٩٢ـ.

(٤) قاله ابن عباس والزهري والشعبي وابراهيم النخعي وقتادة وابن زيد ـ كما في تفسير التبيان ٣: ٢٩٢ـ.

قبولاً، أو شرع ذلك للتوبة، أي لقبولها، من «تاب الله» أي قبل التوبة.

قيل التوبة في الخطأ لترك التحرّز. وفيه أنه لم يكلّف به، وقيل: أُريد بالتوبة: التخفيف بالصيام بدل الرقبة كـ«علم ان لن تحصوه فتاب عليكم»[1] ﴿وَكَانَ اللهُ عَلِيمًا﴾ بخلقه ﴿حَكِيمًا﴾ في تدبيره.

[٩٣]- ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا﴾ قاصداً عالماً بإيمانه ﴿فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا﴾ أن لم يتب، أو يعفو الله عنه، وأُوّل بمستحلّه، كما فسر «عكرمة» وجماعة المتعمد بالمستحل لقتله.

وعن الصادق عليه السلام: «هو أن يقتله على دينه» ويعضده أنه نزل في «مقيس بن ضبابة» وجد أخاه قتيلاً في بني النجار، ولم يظهر قاتله، فأمرهم النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم بدفع ديته اليه، فأخذها ثم حمل على مسلم فقتله ورجع الى مكة مرتداً، أو بأن هذا جزاؤه إن جوزي، وخلف الوعيد حسن ﴿ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾.[2]

أو كنى بالخلود عن طول المكث؛ إذ قام الدليل على انقطاع عذاب عصاة المؤمنين ﴿وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ هدد قاتل المؤمن بأبلغ تهديد، وتوعّد بعقوباتٍ كل واحدةٍ منها كافية في الدلالة على عظم جرمه.

[٩٤]- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ﴾ سافرتم للغزو ﴿فِي سَبِيلِ اللهِ فَتَبَيَّنُوا﴾ وقرأ «حمزة» و«الكسائي»: «فتثبّتوا»[3] أي فاطلبوا بيان الأمر أو ثباته، ولا تعجلوا فيه ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ﴾ حيّاكم بتحيّة الإسلام، أو استسلم - كقراءة «نافع» و«ابن عامر» و«حمزة» بحذف الالف -[4] ﴿لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾ وإنما قلت ذلك تقيّةً فتقتلونه ﴿تَبْتَغُونَ﴾ بذلك ﴿عَرَضَ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا﴾ حطامها النافذ وهو ماله ﴿فَعِنْدَ اللهِ

---

(١) سورة المزمل: ٧٣/ ٢٠.

(٢) هذه السورة / ٤٨ و١١٦.

(٣-٤) حجة القراءات: ٢٠٩.

﴿مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ﴾ تغنيكم عن قتل مثله لما له ﴿كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ﴾ أي أول دخولكم في الإسلام تفوّهتم بالشهادة فعصمتم بهـا دماءكم وأموالكم ولـم تعلم بواطنكم ﴿فَمَنَّ اللهُ عَلَيْكُمْ﴾ بالإستقامة والإشتهار بالإيمان ﴿فَتَبَيَّنُوٓا﴾ كرّر تأكيـداً، أي لا تبادروا الى قتل من دخل في الإسلام ظناً بأنه دخل فيه تقيّة، وافعلوا به كما فعل بكم ﴿إِنَّ اللهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ عالماً فاحتاطوا في القتل.

قيل: غزت سريّة للنبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم أهل «فدك» فهربوا، وبقي «مرداس» لإسلامـه وانحاز بغنمـه الى جبل فتـلاحقوا، فنزل وقـال: السلام عليكـم، لا إله إلاّ محمد رسول الله، فقتله «أُسامة» واستاق غنمه، فنزلت.[1]

[٩٥] ـ ﴿لَّا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ﴾ عن الجهاد ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ حال ﴿غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ﴾ من مرض أو عمىً أو زمانـة ونحوها بالرفع صفـة لـ«القاعدون» إذ لم يعينوا، ونصبه «نافع» و«الكسائي» على الحال أو الإستثناء.[2]

قيل: نـزلت بدون «غيـر اولي الضرر، فقـال «ابن أم مكتوم» فكيف وانـا اعمى. فغشي النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم الوحي فقال: اكتب «لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أُولـي الضرر»[3] ﴿وَالْمُجَاهِـدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْـوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ﴾ وفيه تـرغيب للقاعـد في الجهاد بـالإعلام بمـا بين الفريقين مـن التفاوت ﴿فَضَّلَ اللهُ الْمُجَاهِـدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَـى الْقَاعِدِينَ﴾ جملة مـوضحة لما نفـي من استواء المجاهـدين والقاعـدين غير أُولـي الضرر ﴿دَرَجَةً﴾ نصب بنـزع الخـافض أي بـدربجـة، أو على المصـدر لوقـوعه مـوقع تفضيلـه ﴿وَكُلًّا﴾ من المجـاهـدين والقـاعـدين ﴿وَعَـدَ اللهُ الْحُسْنَىٰ﴾ المثوبة الحسنى وهي الجنّة؛ لحسن نيتهـم وإن فضل المجاهدون بالعمل

---

(١) تفسير البيضاوي ٢/ ١٠٩.

(٢) حجة القراءات: ٢١٠.

(٣) قاله زيد بن ثابت ـ كما في تفسير مجمع البيان ٢: ٩٦ـ.

﴿وَفَضَّلَ اللهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِيْنَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ نصب على المصدر لأن «فضل» بمعنى أجر.

[٩٦] ـ ﴿دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً﴾ إبدال من «أجراً» ويجوز نصب «درجات» على المصدر أي فضّلهم تفضيلات و«أجراً» حال عنها، تقدمتها لتنكيرها «ومغفرة ورحمة» على المصدر بتقدير فعلهما. كرّر تفضيلهم لزيادة الترغيب في الجهاد.

وقيل: «الدرجة» ما خوّلوا في الدنيا من الغنيمة والثناء، و«الدرجات» مالهم في الآخرة[1] وقيل: القاعدون الاول: الإضراء، والثاني: المأذون لهم بالقعود إكتفاء بغيرهم.[2]

وقيل: المجاهدون الأول: من جاهد الكفار، والآخر: من جاهد نفسه كما سماه صلّى الله عليه وآله وسلّم: الجهاد الأكبر[3] ﴿وَكَانَ اللهُ غَفُورًا﴾ لعباده ﴿رَحِيمًا﴾ بهم.

[٩٧] ـ ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ﴾ ماض أو مضارع أي قبضت أو تقبض أرواحهم ﴿الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾ في حال ظلمهم بالمقام مع الكفرة وترك الهجرة. وهم ناس من «مكة» اسلموا ولم يهاجروا ﴿قَالُوْا﴾ أي الملائكة توبيخاً لهم ﴿فِيمَ﴾ في أي شيء ﴿كُنْتُمْ﴾ من أمر دينكم؟ ﴿قَالُوا﴾ اعتذاراً: ﴿كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ﴾ عجزة عن الهجرة أو إقامة الدّين ﴿قَالُوْا﴾ أي الملائكة ردّاً لإعتذارهم: ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوْا فِيهَا﴾ الى بلد آخر، كمن هاجر الى المدينة أو الحبشة ﴿فَأُوْلئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ﴾ خبر «إنّ» والفاء لتضمن الإسم معنى الشرط. و«قالوافِيْمَ كُنتُم» حال من «الملائكة» بتقدير «قد» أو الخبر «قالوا» بتقدير عائد أي قالوا لهم ﴿وَسَاءَتْ مَصِيراً﴾ هي، ودلّت على وجوب الهجرة عن بلد لا يتمكن فيه من

(١) قاله ابوعلي الجبائي ـ كما في تفسير مجمع البيان ٢: ٩٧ـ.
(٢) جوامع الجامع ١: ٢٨١ وتفسير الكشّاف ١: ٥٥٦.
(٣) تفسير البيضاوي ٢: ١١١.

إقامة الدين.

[٩٨] ـ ﴿إِلاَّ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ﴾ منقطع، إذ لم يدخلوا في «اولئك» ﴿وَالْوِلْدَانِ﴾ الصّبيان. ذكروا مبالغة، أو المماليك ﴿لاَ يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً﴾ صفة «المستضعفين» إذ لم يعينوا، أو حال عنهم أي لا يجدون أسباب الهجرة لعجزهم ﴿وَلاَ يَهْتَدُونَ سَبِيلاً﴾ لا يعرفون طريقاً الى دار الهجرة.

وعن الباقر عليه السّلام: «لا يهتدون حيلة الى الكفر فيكفروا، ولا سبيلاً الى الإيمان فيؤمنوا». [1]

وعنه أيضاً: «لا يستطيعون حيلة الى الإيمان ولا يكفرون». [2]

[٩٩] ـ ﴿فَأُوْلَئِكَ عَسَى اللهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ﴾ ذكر العفو وكلمة الإطماع إشعاراً بخطر ترك الجهاد، حتى أن المضطر من حقه ان لا يقطع بالعفو فكيف غيره ﴿وَكَانَ اللهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾.

[١٠٠] ـ ﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللهِ يَجِدْ فِي الأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا﴾ متحوّلاً من الرّغام، أي؛ التراب، أو طريقاً يراغم بسلوكه قومه، أي يهاجرهم على رغم أُنوفهم من الرغام أيضاً ﴿وَسَعَةً﴾ في الرزق ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ﴾ في الطريق كما وقع لـ«جندب بن ضمرة» هاجر الى المدينة محمولاً على سرير، فأشرف على الموت[3] في «التنعيم» فصفّق بيمينه على شماله، وقال: «اللهم هذه لك وهذه لرسولك، ابايعك على ما بايعك عليه رسولك» فمات ﴿فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ﴾ وجب ثوابه ﴿عَلَى اللهِ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾.

[١٠١] ـ ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ﴾ سافرتم ﴿فِي الأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ

---

(١) معاني الاخبار: ٢٠١ الحديث(٤).

(٢) تفسير البرهان ١: ٤٠٦ الحديث(٥).

(٣) في «ط» فادركه الموت.

الصَّلٰوةِ﴾ الـرباعيـة ركعتين، وهـو صفـة محـذوف أي شيئاً مـن الصلاة، أو مفعـول «تقصروا» بزيـادة «من» فالسفر شرط للقصـر. وظاهر نفي الجناح أنّـه رخصة، وعليه الشافعي، وعنـد ابي حنيفة انه عزيمـة، وعليه أصحابنا لإجمـاعهم ونصوص ائمتهم عليهم السّلام وأخبار عـامية، ولا ينافيـه نفـي الجـناح كـما فـي ﴿فلا جنـاح عليه أن يطوّف بهما﴾.[1]

وأقلّ سفر يقصر فيه عند أبي حنيفة ستة برد[2] وعند الشافعي أربع. وعندنا بـريدان. وفي بعض أخبارنـا بريد ﴿إِنْ خِفتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُـمُ الَّذِينَ كَفَـرُوا﴾ يتعرضّوا لكم بمكروه. شـرط باعتبار الغالب في ذلك الوقت، فـلا مفهوم له، ولثبوت القصر في الأمن بالاجماع والأخبار. نعم الخوف موجب له أيضاً فالشرط أحد الأمرين ﴿إِنَّ الْكَافِرِيْنَ كَانُواْ لَكُمْ عَدُوًّا مُبِيْنًا﴾ بيِّن العداوة.

[١٠٢] ـ ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيْهِمْ﴾ في الخائفيـن. وتشبث بمفهومه مـن خصّ ذلك بالنبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم وردّ بثبوت العموم بإجماعنا ودليل التأسّي، وان حكم الأئمة حكمه ﴿فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلوةَ﴾ بأن تأمّهم ﴿فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ﴾ يصلّون وتكون طائفة تجاه العدوّ ﴿وَلْيَأْخُذُوا﴾ أي المصلّون ﴿أَسْلِحَتَهُمْ﴾ مما لا يشغل عن الصلاة كـالسيف ونحوه ﴿فَإِذَا سَجَدُوا﴾ صلّوا ﴿فَلْيَكُونُوا﴾ أي غيـر المصلّين ﴿مِنْ وَرَائِكُمْ﴾ يحرسونكم حتى تؤدّوا الصلاة كلّها جماعة ـ كصلاة «بطن النخل».[3]

أو تجمعوا فـي ركعة وينفـردوا ويتمـّوا الركـعة الأُخـرى، ـ وأنت قـائم منتظر ـ كصلاة ذات الرقاع.[4]

---

(١) سورة البقرة: ٢/ ١٥٨.

(٢) البرد: جمع بريد، وهو اربعة فراسخ او اثنا عشر ميلاً او مابين المنزلين.

(٣) اي: صلاة النبي في محلّ اسمه بطن النخل ـ انظر تفسير البيضاوي ٢: ١١٣ـ.

(٤) اي: صلاة النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم في حرب ذات الرقاع.

والضمير في «فليكونوا» لمصلين، أي: فليصيروا بعد فراغهم من الصلاة من ورائكم مكان غير المصلين ﴿وَلْتَأتِ طائِفةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا﴾ لاشتغالهم بحراسة المصلّين ﴿فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ﴾ بصلاة مستأنفة، هي لك نافلة ولهم فريضة، أو بتتمة صلاتك بالأولى على ما مرّ من الإحتمالين ﴿وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ﴾ جعل الحذر وهو التحرز آلة يعتصم بها الغازي فجمع بينه وبين الأسلحة في الأخذ ﴿وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوْا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ﴾ أي تمنّوا أن يجدوا منكم غرّة في الصلاة ﴿فَيَمِيلُونَ﴾ يحملون ﴿عَلَيكُمْ مَيْلَةً﴾ حملة ﴿وَاحِدَةً﴾ وهو علّة الأمر بأخذ السلاح ﴿وَلاَ جُنَاحَ﴾ ولا حرج ﴿عَلَيْكُمْ إن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوْا أَسْلِحَتَكُمْ﴾ فلا تأخذوها. وهذا يفيد أن الأمر بأخذها للوجوب لا للندب ﴿وَخُذُوْا حِذْرَكُمْ﴾ واحترزوا إذ ذاك من عدوّكم ﴿إِنَّ اللهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾ أمرهم بالحزم قد يوهِمُهُم انه لضعفهم وغلبة الكفار، فأُزيل الوهم بوعدهم أن الله تعالى يهين عدوّهم وينصرهم عليه ليقوّي قلوبهم.

[١٠٣] ـ ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلٰوةَ﴾ فرغتم منها ﴿فَاذْكُرُوْا اللهَ﴾ بالتسبيح ونحوه ﴿قِيَامًا وقُعُودًا وَعَلى جُنُوبِكُمْ﴾ مضطجعين أي في كل حال، أو إذا أردتم فعل الصلاة حال الخوف فصلوا كيفما أمكن قياماً مقارعين، وقعوداً مرامين، وعلى جنوبكم مثخنين[1] ﴿فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ﴾ بالأمن ﴿فَأَقِيمُوا الصَّلَوةَ﴾ فأدّوها بحدودها وشرائطها، أو أتمّوها ولا تقصروها ﴿إِنَّ الصَّلَوةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتابًا﴾ فرضاً ﴿مَوْقُوتًا﴾ مدوداً بأوقات لا يجوز إخراجها عنها، وهذا يؤذن بأنه أُريد بالذكر الصلاة.

[١٠٤] ـ ﴿وَلاَ تَهِنُوا﴾ ولا تضعفوا ﴿فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ﴾ في طلب الكفار بالقتال ﴿إِنْ تَكُونُوا تَألَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَألَمُونَ كَمَا تَألَمُونَ﴾ أي ليس ما تجدون من ألم القتال مختصاً بكم، إنما هو مشترك بينكم وبينهم وهم يصبرون عليه ﴿وَتَرْجُونَ﴾ أنتم ﴿مِنَ

---

(١) اثخن: اثقل بالجراح.

اللهِ﴾ من النصر والثواب عليه ﴿مَالاَ يَرْجُونَ﴾ هم، فأنتم أولى بالصبر عليه والرغبة فيه. نزلت في بدر الصغرى ﴿وَكَانَ اللهُ عَلِيمًا﴾ بخلقه ﴿حَكِيمًا﴾ في تدبيره.

[١٠٥] ـ ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللهُ﴾.

سرق «أبو طعمة بن ابيرق» درعاً وخبّأها عند يهودي، فوجدت عند، فقال دفعها إليّ «أبو طعمة» فانطلق قومه «بنو ظفر» الى النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم فسألوه أن يجادل عنه ويبريه، فهمّ أن يفعل فنزلت. ﴿وَلاَ تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ﴾ لأجلهم ﴿خَصِيمًا﴾ للبرآء.

[١٠٦] ـ ﴿وَاسْتَغْفِرِ اللهَ﴾ ممّا هممت به ﴿إِنَّ اللهَ كَانَ غَفُورًا﴾ للمستغفرين ﴿رَحِيمًا﴾ بهم.

[١٠٧] ـ ﴿وَلاَ تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ﴾ يخونونها بالمعصية، إذ وبال خيانتهم عليها. والضمير لـ«أبي طعمة» وأمثاله، أو: له ولقومه إذ نصروه وبرّأوه ﴿إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾ كثير الخيانة والإثم مصراً عليهما.

[١٠٨] ـ ﴿يَسْتَخْفُونَ﴾ يستترون ﴿مِنَ النَّاسِ﴾ حياءً وخوفاً ﴿وَلاَ يَسْتَخْفُونَ﴾ ولا يستحيون ﴿مِنَ اللهِ وَهُوَ مَعَهُمْ﴾ عالم بهم ﴿إِذْ يُبَيِّتُونَ﴾ يدبّرون ﴿مَا لاَ يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ﴾ من الحلف الكاذب وشهادة الزور ورمي البريء ﴿وَكَانَ اللهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾ عليماً.

[١٠٩] ـ ﴿هَا أَنْتُمْ﴾ مبتدأ ﴿هَؤُلاَءِ﴾ خبره ﴿جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا﴾ جملة تبيّن كون «أولاء» خبراً، أو صلة إن جعل موصولاً ﴿فَمَنْ يُجَادِلُ اللهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلاً﴾ حافظاً من عذاب الله.

[١١٠] ـ ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا﴾ ذنباً يسوء به غيره، أو صغيرة، أو ما دون الشرك ﴿أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ﴾ بذنب لايتعدّاه الى غيره، أو كبيرة، أو الشرك ﴿ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللهَ﴾ يتب ﴿يَجِدِ اللهَ غَفُورًا﴾ لذنوبه ﴿رَحِيمًا﴾ به.

[١١١] ـ ﴿وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا﴾ ذنباً ﴿فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ﴾ لا يتعدى ضرره

الى غيره ﴿وكَانَ اللهُ عَلِيمًا﴾ بكسبه ﴿حَكِيمًا﴾ في عقابه.

[١١٢] - ﴿وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً﴾ صغيرة، أو ما لا يتعمده ﴿أَوْ إِثْمًا﴾ كبيرة[1] أو ما تعمده ﴿ثُمَّ يَرمِ بِهِ بَرِيًّا﴾ كرمى أبي طعمة اليهودي ﴿فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا﴾ برميه البريء ﴿وَإِثْمًا مُبِينًا﴾ بيّناً بكسبه.

[١١٣] - ﴿وَلَوْلا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ﴾ بالنبوة أو الطافه ﴿وَرَحْمَتُهُ﴾ بالعصمة، أو إعلامك سرّهم بالوحي ﴿لَهَمَّتْ﴾ اضمرت ﴿طَائِفَةٌ مِنْهُمْ﴾ من بني ظفر ﴿أَنْ يُضِلُّوكَ﴾ عن الحكم بالحق. ولم يُرِد نفي همّهم بل نفي تأثيره فيه ﴿وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ﴾ لعود وبالهم عليهم ﴿وَمَا يَضُرُّونَكَ﴾ لأن الله عاصمك ومسدّدك ﴿مِنْ شَيْءٍ﴾ في محل المصدر أي شيئاً من الضّرر ﴿وَأَنْزَلَ اللهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ القرآن والأحكام ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمْ﴾ من الشرائع وخفيّات الأمور ﴿وَكَانَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ إذ ختم بك النّبوّة.

[١١٤] - ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوِيهُمْ﴾ من تناجيهم ﴿إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ﴾ إلّا نجوى من أمَر. أو منقطع، أي: ولكن من أمر؛ ففي نجواه الخير ﴿أَوْ مَعْرُوفٍ﴾ عمل برّ أو قرض، أو إغاثة ملهوف، أو صدقة تطوّع ﴿أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ تأليف بينهم بالمودّة ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿ابْتِغَاءَ﴾ طلب ﴿مَرْضَاتِ اللهِ﴾ لا لغرض دنيوي ﴿فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ﴾ وقرأ «حمزة» و«أبوعمرو» بالياء[2] ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾ يحتقر في جنبه ما فات من أعراض الدنيا.

[١١٥] - ﴿وَمَنْ يُشاقِقِ الرَّسُولَ﴾ يخالفه من الشق، إذ مخالفه في شقّ غير شقّه ﴿مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى﴾ ظهر له الحق بالدلائل ﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الذي هم عليه من الدين ﴿نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى﴾ نجعله والياً لما تولى من الضلال، ونخلّي

(١) هكذا وردت الصفة «كبيرة» مؤنثة في تفسير البيضاوي ٢: ١١٥.

(٢) حجة القراءات: ٢١١.

بينه وبينه ﴿وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ﴾ وندخله فيها ﴿وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ هي. واحتج به على حجية الإجماع، وفيه بحث.

[١١٦] - ﴿إِنَّ اللهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ كرّر تأكيداً، أو لقصة «ابي طعمة» ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً بَعِيداً﴾ عن الحق إذ الشرك أبعد أنواع الضّلال عنه.

[١١٧] - ﴿إِنْ يَدْعُونَ﴾ ما يعبدون ﴿مِنْ دُونِهِ﴾ دون الله ﴿إِلاَّ إِنَاثاً﴾ اصنامًا مؤنثة كاللات و«العزى» و«مناة». كان لكل حي صنم يعبدونه، ويسمّونه انثى بني فلان، أو: إلاّ جمادات لأن الجمادات تؤنث.

أو: إلاّ ملائكة؛ لقولهم: «الملائكة بنات الله» ﴿وَإِنْ يَدعُونَ﴾ وما يعبدون بعبادتها ﴿إِلاَّ شَيْطَانًا﴾ لطاعتهم له فيها ﴿مَرِيْدًا﴾ عاتيًا خارجًا عن الطاعة.

[١١٨] - ﴿لَعَنَهُ اللهُ﴾ طرده عن رحمته، صفة ثانية ﴿وَقَالَ﴾ عطف عليه، أي: شيطاناً مريداً جامعاً بين لعنه وقوله ﴿لأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا﴾ مقطوعًا فرضته لنفسي من قولهم: «فرض له في العطاء» فكل من أطاعه فهو من نصيبه.

[١١٩] - ﴿ولأُضِلَّنَّهُمْ﴾ عن الحق بالوسوسة ﴿وَلأُمَنِّيَنَّهُمْ﴾ الأماني الكاذبة كطول العمر، وأن لا بعث ولا حساب ﴿وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ﴾ فليقطّعن أو يشقّقن ﴿ءَاذَانَ الأَنْعَامِ﴾ لتحريم ما أحلّ الله وقد فعلوه بالبحائر والسوائب ﴿وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللهِ﴾ دينه، بتحريم ما أحل وتحليل ما حرّم أوفقء عين الحامي وإخصاء العبيد أو الوشم. ﴿وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللهِ﴾ بإيثار طاعته على طاعة الله ﴿فَقَدْ خَسِرَ خُسْرانًا مُبِينًا﴾ إذ استبدل الجنة بالنار.

[١٢٠] - ﴿يَعِدُهُمْ﴾ الشَّيطان الأكاذيب ﴿وَيُمَنِّيهِمْ﴾ الأباطيل ﴿وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُوراً﴾ هو إيهام النفع فيما فيه ضرر.

[١٢١] - ﴿أُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلاَ يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيْصًا﴾ معدلاً من «حاص»

أي عدل و«عنها» حال عنه، لا صلة له.

[١٢٢] ـ ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنهارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللهِ﴾ مصدر مؤكّد لنفسه لأنّ مضمون الجملة قبله وعد ﴿حَقًّا﴾ أي حقّ ذلك حقاً، مصدر مؤكد لغيره ﴿وَمَنْ﴾ أي: لا أحد ﴿أَصْدَقُ مِنَ اللهِ قِيلًا﴾ قولاً تمييز، والجملة مؤكدة، والآية تضمنت معارضة مواعيد الشيطان الكاذبة لقرناءه بوعد الله الصادق لأولياءه، وبولغ في توكيده ترغيباً في نيله.

[١٢٣] ـ ﴿لَيْسَ﴾ ما وعد الله من الثواب ينال ﴿بِأَمَانِيِّكُمْ﴾ ايها المسلمون ﴿وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ بل بالعمل الصالح، أو: ليس الإيمان بالتمنّي ولكن ما وقّر في القلب وصدقه العمل.

قيل: تفاخر المسلمون وأهل الكتاب، فقال أهل الكتاب: نبينا وكتابنا قبل نبيكم وكتابكم، ونحن أولى بالله منكم.

وقال المسلمون: نحن أولى منكم، نبيّنا خاتم النبيين وكتابنا يقضي على الكتب المتقدمة فنزلت.[1]

وقيل: الخطاب للمشركين أي ليس الأمر بامأنيكم أن لا جنة ولا نار، ولا أماني أهل الكتاب أنه ﴿لن يدخل الجنة إلاّ من كان هودًا﴾[2] ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ آجلا أو عاجلاً بالآلام والمصائب ما لم يتب أو يعفو الله عنه بفضله ﴿وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللهِ﴾ إذا جاوز موالاته ونصرته ﴿وَلِيًّا﴾ يحميه ﴿وَلَا نَصِيرًا﴾ ينجيه من العذاب.

[١٢٤] ـ ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ﴾ شيئاً ﴿مِنَ الصَّالِحاتِ﴾ أو بعضها، وهو ما في وسعه وكلّف به ﴿مِنْ ذَكَرٍ أو أُنْثى﴾ حال من المستكن في «يَعْمَل» و«مِنْ» بيانية، أو من «الصالحات»، و«مِنْ» ابتدائية ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ حال، لبيان أن الطاعة لا تنفع بدونه

---

(١) قاله قتادة والضحاك ـ كما في تفسير مجمع البيان ٢: ١١٤ـ.

(٢) قاله مجاهد وابن زيد ـ كما في تفسير التبيان ٣: ٣٣٧ـ، والآية من سورة البقرة: ٢/ ١١١.

﴿فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ﴾ وبناه «ابن كثير» و«أبو عمرو» للمفعول[1] ﴿وَلاَ يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ بنقص شيء من أجرهم ويعلم منه أنه لا يزاد في عقاب المجرم، ولذلك اكتفى بذكره عقيب الثواب.

[١٢٥] ـ ﴿وَمَنْ﴾ أي: لا أحد ﴿أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ﴾ اسلم نفسه أو أخلص قلبه ﴿للهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ قولاً وعملاً، أو موحّدٌ ﴿وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾ الموافقة لملة الإسلام ﴿حَنِيفًا﴾ مائلاً عن الأديان. حال من المتبع، أو الملة، أو ابراهيم ﴿وَاتَّخَذَ اللهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً﴾ مجاز عن اصطفاءه واختصاصه بكرامة تشبه كرامة الخليل عند خليله.

والخلّة من الخلال؛ وهو: الودّ أو من الخلل إذ كلّ من الخليلين يسدّ خلل الآخر، أو: من الخلة بمعنى الخصلة لتوافقهما في الخلال. والجملة اعتراضية تفيد الترغيب في اتباع ملته.

[١٢٦] ـ ﴿وَللهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾ ملكًا وخلقًا ﴿وَكَانَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطًا﴾ علماً وقدرة.

[١٢٧] ـ ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ﴾ يطلبون منك الفتوى ﴿فِي النِّسَاءِ﴾ في ميراثهنّ ﴿قُلِ اللهُ يُفْتِيكُمْ﴾ يبيّن لكم حكمه ﴿فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ﴾ عطف على اسم الله، أي: الله يفتيكم وما في القرآن من آية المواريث يفتيكم كقولك: نفعني زيد وعلمه» أو «ما يتلى عليكم» مبتدأ، خبره «في الكتاب» ويراد به اللوح المحفوظ.

والجملة معترضة لتعظيم المتلوّ عليهم ﴿فِي يَتَامَى النِّسَاءِ﴾ صلة «يتلى» ان عطف «ما يتلى» على ما قبله، وإلاّ فبدل من «فيهن» والإضافة بمعنى «من» ﴿اللاَّتِي لاتُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ﴾ فرض ﴿لَهُنَّ﴾ من الميراث ﴿وَتَرْغَبُونَ أَنْ﴾ في أن، أو: عن أن ﴿تَنْكِحُوهُنَّ﴾ كان الرجل منهم يضمّ اليتيمة، فإن كانت جميلة تزوجها وأكل مالها،

---

(١) حجة القراءات: ٢١٢.

وإلاّ عضلها ليرثها. والواو للعطف أو الحال ﴿وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ﴾ الصبيان عطف على «يتامى النساء» وكانوا لا يورثونهم كالنساء ﴿وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل في حقوقهم، عطف عليه أيضاً، أو: منصوب بتقدير فعل، أي: ويأمركم أن تقوموا ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ﴾ في أمر هؤلاء ﴿فَإِنَّ اللهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا﴾ فلا يضيّعه.

[١٢٨] ـ ﴿وَإِنِ امْرَأَةٌ﴾ فاعل فعل يفسره ﴿خَافَتْ﴾ علمت أو توقّعت ﴿مِنْ بَعْلِهَا﴾ لأمارات ظهرت لها ﴿نُشُوزًا﴾ ترفّعاً عنها بمنع حقوقها كراهة لها ﴿أَوْ إِعْرَاضًا﴾ بتقليل محادثتها ومؤانستها ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا﴾ يتصالحا ﴿بَيْنَهُمَا صُلْحًا﴾ بأن تهب له بعض القسم، أو المهر، أو غيره فتستعطفه به، هكذا فسّر.

وفيه لزوم إباحة الأخذ بفعل الواجب وترك الحرام. ويمكن حمله على ترك بعض الأُمور المتعارفة بين الزوجين من التلطّف والمودّة زيادة على الوجب.

وقرأ الكوفيون: «أن يصلحا» من أصلح بين الخصمين، وحينئذ جاز كون «صلحا» مفعولاً به و«بينهما» ظرف أو حال منه، وكونه مصدراً كالقراءة الأُولى ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ من الفرقة أو من النشوز[1] والإعراض، أو: من الخصومة، أو: خير من الخيور، كما أن الخصومة شرّ من الشرور؛ فلا يراد التفضيل، وهو اعتراض، وكذا ﴿وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ﴾ جبلت عليه وجعل حاضراً لها لا ينفك عنها فلا تكاد المرأة تسمح بنصيبها من زوجها ولا الرّجل يسمح بإمساكها على ما ينبغي إذا كرهها ﴿وَإِنْ تُحْسِنُوا﴾ العشرة ﴿وَتَتَّقُوا﴾ النشوز والإعراض ﴿فَإِنَّ اللهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ فيثيبكم عليه.

[١٢٩] ـ ﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ﴾ بحيث لا يقع ميل قلبي أصلاً، ولذلك كان النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم يقسّم بين نسائه فيعدل ويقول: «هذا قسمي[2]

---

(١) في «ط»: من الفرقة ومن النشوز.

(٢) في «ب» و«ج»: هذه قسمتي.

فيما أملك فلا تأخذني فيما تملك ولا أملك»[(١)] ﴿وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾ على ذلك فلا تكلّفون منه إلاّ ما تستطيعون ﴿فَلاَ تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ﴾ فلا تجوروا على المرغوب عنها كل الجور بترك المستطاع ﴿فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ﴾ التي ليست بأيّم ولا ذات بعل ﴿وَإِنْ تُصْلِحُوْا﴾ بترك الميل ﴿وَتَتَّقُوْا﴾ الله فيه ﴿فَإِنَّ اللهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ فيغفر لكم ما سلف من ميلكم.

[١٣٠] ـ ﴿وَإِنْ يَتَفَرَّقَا﴾ أي الزوجان بالطلاق ﴿يُغْنِ اللهُ كُلاًّ﴾ منهما عن الآخر ببدل أو غيره ﴿مِنْ سَعَتِهِ﴾ غناه واقتداره ﴿وَكَانَ اللهُ وَاسِعًا﴾ غنياً مقتدراً ﴿حَكِيمًا﴾ في تدبيره.

[١٣١] ـ ﴿وَللهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾ تقرير لكمال[(٢)] سعته وقدرته ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوْا الْكِتَابِ﴾ جنسه من اليهود والنصارى وغيرهم ﴿مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ متعلق بـ«وَصَّيْنَا» أو بـ«أُوتوا» ﴿وَإِيَّاكُمْ﴾ ووصيناكم ﴿أَنِ﴾ بأن، أو: أي ﴿اتَّقُوا اللهَ﴾ أطيعوه ولا تعصوه ﴿وَإِنْ﴾ أي: وقلنا لهم ولكم إن ﴿تَكْفُرُوْا فَإِنَّ للهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾ ملكًا وخلقاً؛ فلا يضرّه كفركم كما لا تنفعه تقواكم، وإنما وصّاكم رحمة بكم ﴿وَكَانَ اللهُ غَنِيًّا﴾ عن خلقه وطاعتهم ﴿حَمِيدًا﴾ مستحقاً للحمد.

[١٣٢] ـ ﴿وَللهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾ ذكر ثالثاً؛ تقريراً لغناه واستحقاقهُ الحمد لحاجة الخلق اليه وانعامه عليهم بإصناف النعم ﴿وَكَفَى بِاللهِ وَكِيْلاً﴾ حافظاً ومدبّراً لخلقه.

[١٣٣] ـ ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ﴾ يعدمكم ﴿وَيَأْتِ بِآخَرِيْنَ﴾ ويوجد قوماً آخرين بدلكم، أو خلقاً آخرين بدل الإنس ﴿وَكَانَ اللهُ عَلَى ذَلِكَ﴾ على الإعدام والإيجاد ﴿قَدِيْرًا﴾ بليغ القدرة وهو تقرير لقدرته، وتخويف لمن خالف أمره.

---

(١) رواه البيضاوي ذيل تفسيره للآية.

(٢) في «ب»: تقديراً لكمال.

وقيل: الخطاب لمن عادى الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم، أي: إن يشأ يمتكم ويأت بناس آخرين يوالونه[١] قيل: لما نزلت، ضرب [الرّسول][٢] صلّى الله عليه وآله وسلّم يده على ظهر سلمان قال: «هم قوم هذا».[٣]

[١٣٤] ـ ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ﴾ بجهاده ﴿ثَوَابَ الدُّنْيَا﴾ الغنيمة ﴿فَعِنْدَ اللهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ لمن أراده فلم يطلب أخسّهما، وهلا طلبهما أو طلب الأشرف بإخلاصه له فينالهما معاً ﴿وَكَانَ اللهُ سَمِيْعًا بَصِيرًا﴾ عالماً بما يقصد بالأقوال والأعمال، فيجازي به.

[١٣٥] ـ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوْا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ﴾ مجتهدين في إقامة العدل، ﴿شُهَدَاءَ للهِ﴾ بالحقّ. خبر ثان، أو حال ﴿وَلَوْ﴾ كانت الشهادة ﴿عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ بأن تقرّوا عليها ﴿أَوِالْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾ ولو على والديكم وأقاربكم ﴿إِنْ يَكُنْ﴾ المشهود عليه أو كلّ منه ومن المشهود له ﴿غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا﴾ فلا تمتنعوا من الشهادة عليهما أولهما محاباة أو ترحّمًا ﴿فَاللهُ أَوْلَى بِهِمَا﴾ وانظر لهما؛ فلو لا أن الشهادة عليهما أو لهما مصلحة لما شرعها. والضمير لجنسي الفقير والغني المدلول عليهما بالمذكور، لا له؛ إلاّ لأفرد. ﴿فَلَا تَتَّبِعُوْا الهَوَى أَنْ تَعْدِلُوْا﴾ ارادة العدول عن الحق أو كراهة العدل بين الناس ﴿وَإِنْ تَلْوُوْا﴾ تحرّفوا الشهادة وقرأ «ابن عامر» و«حمزة»: «وان تَلُوا»[٤] أي: وان ولّيتم إقامة الشهادة ﴿أَوْ تُعْرِضُوْا﴾ عن اقامتها ﴿فَإِنَّ اللهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ فيجازيكم به.

[١٣٦] ـ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوْا﴾ على الحقيقية أو نفاقًا أو الخطاب لمؤمني أهل

---

(١) نقله جوامع الجامع ١: ٢٩٣. ولم ينسبه.

(٢) مابين المعقوفتين من «ب».

(٣) رواه ابوهريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ـ كما في تفسير التبيان ـ٣: ٣٥٢ـ.

(٤) حجة القراءات: ٢١٥.

الكتاب كـ«ابن سلام» وأصحابه، إذ قالوا يا رسول الله نؤمن بك وبكتابك وبموسى والتوراة وعزير ونكفر بما سواء، فنزلت ﴿ءَامِنُوْا﴾ اثبتوا على الإيمان أو اخلصوا فيه، أو آمنوا ايمانًا عامًّا ﴿بِاللهِ وَرَسُولِـهِ وَالْكِتَابِ﴾ القرآن ﴿الَّذِي نُزِّلِ﴾ منجّماً، وبناه «الكوفيون» و«نافع» للفاعل[1] ﴿عَلَى رَسُولِـهِ وَالْكِتَابِ﴾ أي جنسه ﴿الَّذِي أَنْزَلَ﴾ جملة. وفيه القراءتان ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ قبل محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم والقرآن ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِـهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ أي ومن يكفر بشيء من ذلك ﴿فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً بَعِيْدًا﴾ عن الحق.

[١٣٧]- ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ هم اليهود، آمنوا بموسى ﴿ثُمَّ كَفَرُوْا﴾ بعبادة العجل ﴿ثُمَّ ءَامَنُوْا﴾ بعد ذلك ﴿ثُمَّ كَفَرُوْا﴾ بـ«عيسى» ﴿ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا﴾ بمحمد صلّى الله عليه وآله وسلّم، أو المنافقون تكرر منهم الإرتداد سرّاً بعد إظهار الإيمان، ثم اصرّوا على الكفر ﴿لَمْ يَكُنِ اللهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ﴾ إذ يستبعد منهم التوبة والثبات عليها لتمرّنهم على الرّدة، لا أنهم لو آمنوا بإخلاص لم يغفر لهم ﴿وَلاَ لِيَهدِيَهُمْ سَبِيلاً﴾ الى الجنة أو لا يلطف بهم.

[١٣٨]- ﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ يفيد أن الآية في المنافقين ووضع «بشّر» موضعَ «خبرّ» تهكم بهم.

[١٣٩]- ﴿الَّذِينَ﴾ نصب أو رفع على الذم ﴿يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ﴾ أيطلبون ﴿عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ﴾ القوّة والمنعة بموالاتهم ﴿فَإِنَّ الْعِزَّةَ للهِ جَمِيعًا﴾ لا يعزّ إلاّ أولياءه.

[١٤٠]- ﴿وَقَدْ نُزِّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ﴾ القرآن، وبناه «عاصم» للفاعل[2] ﴿أَنْ﴾ مخففة، أي: إنه ﴿إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَاتِ اللهِ﴾ القرآن ﴿يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا﴾ حالان من «الآيات» ﴿فَلاَ تَقْعُدُوا مَعَهُمْ﴾ مع الكفار والمستهزئين ﴿حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ

(١و٢) حجة القراءات: ٢١٧.

﴿غَيْرِهِ﴾ والمنزل عليهم في الكتاب ما نزل بمكة في «الأنعام»: ﴿وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا... ﴾ الآية[1] ﴿إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ﴾ في الإثم لقدرتكم على الإنكار عليهم، أو في الكفر لرضاكم بذلك، وكان الذين يقاعدون الخائضين في القرآن من الأحبار هم المنافقون ﴿إِنَّ اللهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِيْنَ فِي جَهَنَّمَ جمِيعًا﴾ يعني القاعدين والمقعود معهم.

[١٤١] ـ ﴿الَّذِيْنَ﴾ بدل من «الذين يتخذون»، أو صفة للمنافقين والكافرين، أو ذم منصوب أو مرفوع ﴿يَتَرَبَّصُونَ﴾ ينتظرون ﴿بِكُمْ﴾ وقوع أمر ﴿فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللهِ قَالُوْا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ﴾ مجاهدين، فاعطونا من الغنيمة ﴿وَإِنْ كَان لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ﴾ من الظفر ﴿قَالُوْا﴾ لهم ﴿أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ﴾ نستول ﴿عَلَيْكُمْ﴾ ونقدر على قتلكم فأبقينا عليكم ﴿وَنَمْنَعْكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ بتخذيلهم عنكم وإفشاء أسرارهم اليكم فاعطونا مما أصبتم ﴿فَاللهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ القِيمَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيْلاً﴾ بالحجّة أو يوم القيامة.

[١٤٢] ـ ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ فسّر في البقرة[2] ﴿وَإِذَا قَامُوْا إِلَى الصَّلوةِ قَامُوْا كُسَالَى﴾ متثاقلين ﴿يُراءُونَ النَّاسَ﴾ في صلاتهم ليحسبوهم مؤمنين.

و«المراءات» مفاعلة من الرؤية إذ المرائي يري غيره عمله وهو يريه استحسانه، أو بمعنى التّفعيل كنعّم وناعم ﴿وَلا يَذْكُرُونَ اللهَ﴾ بالتسبيح ونحوه، أو لا يصلّون ﴿إِلاّ قَلِيلاً﴾ إذ لا يفعلونه إلاّ بحضرة من يراؤونه وهو قليل، أو اريد الذكر في الصلاة إذ لا يذكرون فيها غير التكبير وما يجهر به.

[١٤٣] ـ ﴿مُذَبذَبِينَ﴾ حال من واو «يراءون» مثل «ولا يذكرون» أي يراءونهم غير

---

(١) سورة الانعام: ٦/ ٦٨.

(٢) في تفسير الآية(٩) من سورة البقرة.

ذاكرين، مذبـذبين، أو ذم منصوب من الذبذبة وهي جعل الشـيء مضطرباً، وأصله الـذب بمعنى الطـرد أي ذبـذبهم الشيطـان ﴿بَيْنَ ذَلِكَ﴾ أي الإيمـان والكفـر، فهم متردّدون بينهما ﴿لاَ إِلَى هَـؤُلاَءِ وَلا إِلَى هَـؤُلاَءِ﴾ لا منسوبيـن الى المؤمنيـن ولا الى الـكافرين ﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ﴾ يمـنعه اللـّطـف بسوء اختياره ﴿فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً﴾ الى الحق.

[١٤٤] ـ ﴿يَا أَيُّهَـا الَّذِينَ ءَامَنُـوا لاَ تَتَّخِذُوا الْكَافِـرِينَ أَوْلَيَاءَ مِنْ دُونِ الْمـؤْمِنِينَ﴾ كصنع المنافقين فتكونوا مثلهم ﴿أَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوْا للهِ عَلَيْكُـمْ سُلْطَانًا مُبِينًا﴾ حجّة بينة، إذ موالاتهم دليل النّفاق، أو سبيلاً الى عذابكم.

[١٤٥] ـ ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ﴾ الطبق. وسكّن «الكوفيون» الراء[1] ﴿الْأَسفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ وهو قعرها، وسميـت طبقاتها السبع دركات لأنها متدارك متـابعة، بعضها فوق بعض. وانما استحقوا ذلك لضمّهم الـى الكفر تمويهًا واستهزاءً ﴿وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ ينقذهم منه.

[١٤٦] ـ ﴿إِلاّ الَّذِينَ تَـابُوْا﴾ من نفاقهم ﴿وَأَصْلَحُوْا﴾ نيّاتهم ﴿وَاعْتَصَمُوْا بِاللهِ﴾ وثقوا به ﴿وَأَخْلَصُوْا دِينَهُمْ للهِ﴾ لا يبتغون بطـاعتهم إلاّ وجهه ﴿فَأُوْلَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ رفقاؤهم في الدّارين ﴿وَسَوْفَ يُؤْتِ اللهُ الْمُؤْمِنِّينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ فيشاركونهم فيه.

[١٤٧] ـ ﴿ما يَفْعَلُ اللهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَءَامَنْتُمْ﴾ أيستجلب به نفعاً، أو يدفع بـه ضرراً؟! وهمـا مستحيلان عليـه، وإنما يعـاقب المسيء، لأنّ إسـاءته كـالسّبب للمرض له،[2] فإذا زال بالإيمان والشّكر تخلّص من العذاب ﴿وَكَانَ اللهُ شاكِرًا﴾ مثيباً يعطى الجزيل على القليل ﴿عَلِيمًا﴾ بما يستحقونه من الجزاء.

[١٤٨] ـ ﴿لاَ يُحِبُّ اللهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلاَّ مَنْ ظُلِمَ﴾ إلاّ جهر من ظلم

---

(١) تفسير مجمع البيان ٣ : ١٢٩.

(٢) في «ط»: لان اساءته كالمرض له.

بأن يشكو ظالمه ويدعو عليه ﴿وَكَانَ اللهُ سَمِيعاً﴾ للأقوال ﴿عَلِيمًا﴾ بالأعمال.

[١٤٩] ـ ﴿إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا﴾ تظهروا برّاً ﴿أَوْ تُخْفُوهُ﴾ تعملوه سرّاً ﴿أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ﴾ ظلم وهو المقصود. وذكر إبداء الخير وإخفاءه تسبّب له بدليل ﴿فَإِنَّ اللهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾ يكثر العفو عن الجناة مع قدرته على الإنتقام فاقتدوا بسنته.

[١٥٠] ـ ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللهِ وَرُسُلِهِ﴾ بالإيمان به دونهم ﴿وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ﴾ من الرسل ﴿وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ﴾ منهم ﴿وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ﴾ أي الإيمان والكفر ﴿سَبِيلاً﴾ طريقاً وسطاً. ولا واسطة بينهما إذ الكفر ببعض الرسل كفر بالله وبجميع الرسل؛ ولذلك قال:

[١٥١] ـ ﴿أُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ الكاملون في الكفر ﴿حَقًّا﴾ مصدر مؤكّد لغيره. أي حقّ ذلك حقّاً، أو صفة مصدر الكافرين، أي هم الذين كفروا كفراً حقاً ثابتاً ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِيْنَ عَذابًا مُهِيْنًا﴾ لهم.

[١٥٢] ـ ﴿وَالَّذِيْنَ ءَامَنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنهُمْ﴾ وعموم «أحد» في سياق النفي سوّغ دخول «بين» المقتضي للمتعدّد عليه ﴿أُوْلَئِكَ سَوْفَ نُؤْتِيهِمْ﴾[1] وقرأ «حفص» بالياء[2] ﴿أُجُورَهُمْ﴾ المستحقة بإيمانهم ﴿وَكَانَ اللهُ غَفُورًا﴾ لزلاّتهم ﴿رَحِيمًا﴾ بهم بتفضّله[3] عليهم.

[١٥٣] ـ ﴿يَسْئَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ﴾ اليهود ﴿أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتاباً مِنَ السَّمَاءِ﴾ قالوا: ان كنت صادقًا فأتنا بكتاب من السّماء جملة، كما أتى به موسى.

أو كتابًا مكتوبًا من السماء كما كانت التوارة على الألواح، أو كتاباً إلينا بأعياننا بأنك رسول الله ﴿فَقَدْ﴾ جواب شرط مقدر، أي: فإن استكبرت ذلك ﴿سَأَلُوْا مُوسَى

---

(١) في المصحف الشريف بقراءة حفص: «يؤتيهم» ـ كما سيشير اليه المؤلف ـ.

(٢) حجة القراءات: ٢١٨.

(٣) في «ج» و«ط»: يتفضّل.

﴿أَكْبَرَ مِنْ ذَٰلِكَ﴾ أسند هذا السؤال لهم ـ وهو من آبائهم ـ لرضاهم به ومضاهاتهم لهم في التعنّت ﴿فَقَالُوٓا أَرِنَا اللهَ جَهْرَةً﴾ عياناً ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ﴾ نار نزلت فأهلكتهم ﴿بِظُلْمِهِمْ﴾ بسبب ظلمهم، وهو سؤالهم المستحيل ﴿ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ﴾ إلهاً ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ المعجزات على أن لا إلـه إلاّ الله ﴿فَعَفَوْنَا عَنْ ذَٰلِكَ﴾ بترك استئصالهم ﴿وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَانًا مُبِينًا﴾ تسلّطاً ظاهراً عليهم، إذ أمرهم بقتل أنفسهم توبة فأطاعوه.

[١٥٤] ـ ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ﴾ الجبل ﴿بِمِيثَاقِهِمْ﴾ بسبب ميثاقهم ليخافوا فلا ينقضوه ﴿وَقُلْنَا لَهُمْ﴾ وهو مطلّ عليهم: ﴿ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا﴾ منحنين ﴿وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ﴾ بأخذ الحيتان. وفتح «ورش» «العين» وشدّد «الدال» على انه «تعتدوا» فأُدغمت التاء في الدال[1] ﴿وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ وثيقاً على ذلك فنقضوه.

[١٥٥] ـ ﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ﴾ «ما» زائدة، والباء للسببية، تعلّقت بمحذوف، أي فعلنا بهم ما فعلنا بنقضهم ﴿مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللهِ﴾ دلائله على صدق رسله ﴿وَقَتْلِهِمُ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ في أكِنَّةٍ لا تعي قولك ﴿بَلْ طَبَعَ اللهُ عَلَيْهَا﴾ خذلها ومنعها ألطافه ﴿بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ منهم كـ«ابن سلام» وأصحابه، أو إلاّ إيماناً قليلاً ناقصاً.

[١٥٦] ـ ﴿وَبِكُفْرِهِمْ﴾ بعيسى، عطف على «فبما نقضهم» أو على «بكفرهم» ﴿وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا﴾ وهو رميها بالزنا.

[١٥٧] ـ ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللهِ﴾ بزعمهم، أو قالوه استهزاءً، أو هو استئناف من الله لمدحه ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ﴾ قيل: لما مسخ الله الذين سبّوا «عيسى» وأُمّه بدعائه، اتفقت اليهود على قتله، فأخبره

(١) حجة القراءات: ٢١٨.

الله بأنه يرفعه الى السماء، فقال لأصحابه: «أيّكم يرضى أن يلقى عليه شبهي فيقتل، ويصلب، وله الجنة»؟ فقام أحدهم فألقى الله عليه شبهه، فقتل، وصلب.[١]

وقيل: دلّ عليه رجل كان ينافقه فألقى الله عليه شبهه، فأُخذ وصلب،[٢] و«شبّه» مسند الى «لهم» أو الى ضمير المقتول الدّال عليه «إنّا قتلنا» ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ في «عيسى» فقال بعضهم: رفع الى السماء، وقال بعضهم: قتلناه، وقال بعضهم: صُلِب النّاسوت وصعد اللاهوت وتردد آخرون فقال بعضهم: الوجه وجه عيسى والبدن بدن صاحبنا، وقال بعضهم: ان كان هذا عيسى فأين صاحبنا؟ وان كان صاحبنا وأين عيسى؟ ﴿لَفِي شَكٍّ مِنْهُ﴾ أُريد بالشّك ما يقابل العلم، ترجح أحد طرفيه أم لا ﴿مالَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ﴾ استثناء منقطع ولكنهم يتّبعون الظن ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ قتلاً يقيناً كما زعموا، أو متيقنين، أو هو تأكيد للنفي.

[١٥٨] ـ ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللهُ عَزِيزًا﴾ لا يقهر ﴿حَكِيمًا﴾ فيما يدبّر.

[١٥٩] ـ ﴿وَإِنْ﴾ وما ﴿مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ أحد ﴿إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ﴾ بعيسى أنه عبد الله ورسوله ﴿قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ أي الكتابي حين يعاين ولا ينفعه ايمانه. ويعضده أن قرىء: «إلاّ ليؤمنن به قبل موتهم» ـ بضمّ النون ـ لأن أحداً بمعنى الجمع.

وهذا بعث لهم على معاجلة الإيمان به أوانَ الإنتفاع، أو قبل موت عيسى إذا نزل من السماء، فإنه ينزل في آخر الزمان فلا يبقى أحد من أهل الكتاب إلاّ يؤمن به، ويصلي خلف المهدي من آل محمد عليه السّلام، وتكون الملّة واحدة وهي ملة الإسلام، وتقع الأمَنة حتى ترتع السباع مع الأنعام، ويلبث في الأرض أربعين سنة ثم يتوفى، ويصلّي عليه المسلمون ويدفنونه ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ بكفر

---

(١) قاله قتادة، والسدي، ومجاهد، وابن اسحاق، وابن جريج ـ كما يفي تفسير التبيان ٣: ٣٨٢ وتفسير مجمع البيان ٣: ١٣٦ـ.

(٢) قاله بعض النصارى ـ كما في تفسير التبيان ٣: ٣٨٣ـ.

اليهود به وغلوّ النصارى فيه .

[١٦٠] ـ ﴿فَبِظُلْمٍ﴾ فبسبب ظلم عظيم ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾ هي ما في قوله: ﴿وعلى الذين هادوا حرّمنا. . .﴾ الآية[١] ﴿وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللهِ﴾ أناساً، أو صداً ﴿كَثِيرًا﴾.

[١٦١] ـ ﴿وَأَخْذِهِمُ الرِّبَوا وَقَدْ نُهُوْا عَنْهُ﴾ في التوراة. ويفيد ان النهي للتحريم ﴿وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ﴾ بالرّشا ونحوها ﴿وَأَعتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾.

[١٦٢] ـ ﴿لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ الثّابتون في علم التوراة ﴿مِنْهُمْ﴾ كـ«ابن سلام» وأصحابه ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ من المهاجرين والأنصار. وخبر المبتدأ ﴿يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَوةَ﴾ نصب على المدح، أو عطف على «ما انزل اليك» ويراد بهم الأنبياء أو الأئمة المعصومون ﴿وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَوةَ﴾ عطف على «الراسخون» أو مبتدأ، والخبر: «اولئك». ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ الذين حازوا الإيمان بطرفيه ﴿أُوْلَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ﴾ وقرأ «حمزة» بالياء[٢] ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾ على إيمانهم وعملهم.

[١٦٣] ـ ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلى نُوحٍ وَالنَّبِيِّين مِنْ بَعْدِهِ﴾ احتجاج على المقترحين أن ينزّل عليهم كتابًا، بأن شأنه في الوحي كسائر الأنبياء ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمِعِيلَ وَإِسْحٰقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ﴾ أولاده ﴿وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَرُونَ وَسُلَيْمَانَ﴾ خصّوا بالذكر مع دخولهم في النبيين تعظيماً لهم ﴿وءَاتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا﴾ مصدر، أو بمعنى مزبور وضمّه «حمزة»[٣].

[١٦٤] ـ ﴿وَرُسُلاً﴾ نصب بمضمر في معنى «أوحينا» كأرسلنا، أو بما فسره ﴿قَدْ

---

(١) سورة الانعام: ٦/ ١٤٦.

(٢ـ٣) حجة القراءات: ٢١٩.

قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ﴾ قبل اليوم ﴿وَرُسُلاً لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ بلا واسطة.

[١٦٥] - ﴿رُسُلاً﴾ نصب على المدح، أو بإضمار «ارسلنا» ﴿مُبَشِّرِينَ﴾ بالثواب للمطيع ﴿وَمُنْذِرِينَ﴾ بالعقاب للعاصي ﴿لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ فيقولوا: ﴿لولا أرسلت الينا رسولاً فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين﴾[١] و«اللام» متعلقة بـ«أرسلنا» مضمراً، واسم كان «حجة»، وخبرها «للناس»، و«على الله» حال، أو بالعكس ﴿وَكَانَ اللهُ عَزِيزًا﴾ لا يقهر ﴿حَكِيمًا﴾ فيما يدبر.

[١٦٦] - ﴿لَكِنِ اللهُ يَشْهَدُ﴾ لما اقترحوا عليه إنزال كتاب واحتجّ عليهم بـ«إنا أوحينا» فكأنه قيل: انهم لا يشهدون، ولكن الله يشهد، أو أنهم قالوا: لا نشهد برسالتك فنزل لكن الله يشهد، يثبتها ﴿بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ﴾ من القرآن الدال باعجازه على صدقك ﴿أَنْزَلَهُ﴾ متلبساً ﴿بِعِلْمِهِ﴾ بأنه معجز، أو بأنك أهل لإنزاله اليك. والجملة كالبيان لما قبلها ﴿وَالْمَلاَئِكَةُ يَشْهَدُونَ﴾ أيضاً برسالتك ﴿وَكَفَى بِاللهِ شَهِيدًا﴾ بها بما نصبه من الدلائل عليها وإن لم يشهد غيره.

[١٦٧] - ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ﴾ دين الإسلام ﴿قَدْ ضَلُّوا ضَلالاً بَعِيدًا﴾ بعيداً عن طريق الحق لضمّهم الى الضلال والإضلال.

[١٦٨] - ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا﴾ محمداً صلّى الله عليه وآله وسلّم بتكذيبه، أو أعمّ من ذلك، أي الذين جمعوا بين الكفر والظلم، فالكفار مخاطبون بالفروع ﴿لَمْ يَكُنِ اللهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلاَ لِيَهْدِيَهُمْ﴾ يوم القيامة ﴿طَرِيقًا﴾.

[١٦٩] - ﴿إِلاَّ طَرِيقَ جَهَنَّمَ﴾ الموصل اليها ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ حال مقدرة ﴿وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرًا﴾ هيّناً.

[١٧٠] - ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ﴾

---

(١) سورة القصص: ٢٨/ ٤٧.

أي وائتوا أمراً خيراً لكـم مما أنتم فيه ﴿وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ للهِ مَـا فِى السَّمَواتِ وَالأَرْضِ﴾ ملكاً وخلقاً؛ فلا يضره كفركم ﴿وَكَانَ اللهُ عَلِيمًا﴾ بخلقه ﴿حَكِيمًا﴾ في تدبيره لهم.

[١٧١] ـ ﴿يا أَهْلَ الْكِتـابِ لاتَغْلُوْا فِى دِيْنِكُمْ﴾ خطاب للفريقين. غلت اليهود في حطّ «عيسى» حتى قالوا: «وَلِدَ لغير رَشِدَة»[1] والنصارى في رفعه حتى عبدوه، أو للنصارى خاصة بدليل ﴿وَلاَ تَقُولُوْا عَلَى الله إلاَّ الْحَقَّ﴾ من تنزيهه عن الشريك والولد ﴿إِنَّمَا الْمَسِيْحُ عِيْسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا﴾ أوصلها ﴿إِلى مَرْيَمَ﴾ وسمّي كلمته لأنه وجـد بكلمته ﴿وَرُوحٌ مِنْهُ﴾ ذو روح اختـرع من قـدرته لا بتـوسـط ما هـو كالمادة ﴿فـآمِنُوْا بِـاللهِ وَرُسُلِـهِ وَلاَ تَقُولـوْا﴾ الآلهــة ﴿ثَلٰثَةٌ﴾ الله، وعيسـى، وأُمّــه. ويعضده: ﴿ءأنت قلت للناس اتخذوني وأمّي إلهين من دون الله﴾.[2]

أو الله ثلاثة أقانيم: الأب والإبن وروح القـدس ـ ان صحّ عنهم ذلك ـ ﴿إِنْتَهُوْا﴾ عــن التثليث وأتــوا ﴿خَيْرًا لَكُم﴾ منـه وهو التوحيد ﴿إِنَّمَا اللهُ إِلهٌ وَاحِدٌ﴾ بالذات، لا شريك له، ولا ولد ولا صاحبة ﴿سُبْحَانَهُ﴾ اسبّحه تسبيحاً من ﴿أَنْ يَكُوْنَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَواتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾ ملكاً وخلقاً وذلك ينافي البنوّة ﴿وَكَفى بِاللهِ وَكِيلاً﴾ قيّماً ومدبراً وحافظاً لخلقه؛ فهو الغني عن أن يكون له ولد ليخلفه.

[١٧٢] ـ ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيْحُ﴾ لن يأنف، من نكفت الدمع نحيّته بإصبعك ﴿أَنْ﴾ من أن ﴿يَكُونَ عَبْدًا للهِ﴾ قال وفـد نجران للنبي صلّى الله عليه وآله وسلّم: لم تعيب صَاحِبنا؟ قـال: وأي شيء أقول؟ قالوا: تقول: انـه عبد الله. فنزلت ﴿وَلا الْمَلاَئِكَةُ﴾ ولا يستنكف الملائكة ﴿الْمُقَرَّبُونَ﴾ عند الله أن يكونوا عبيداً لله.

واستـدل به علـى فضل المـلائكة علـى الأنبياء إذ سيـق لردّ غلـوّ النّصـارى في المسيح، ومقتضاه أن يكون ما عطف عليه أعلى درجة منه.

---

(١) الرّشدة: ضد الزّنية.

(٢) سورة المائدة: ٥/١١٦.

وردّ بأن الآيـة للـرد علـى عبـدة المسيح والمـلائكـة فـلا يتـم ذلك، ولـم سلم اختصاصهـا بالنصـارى فلعل العطف للمبالغـة باعتبار التكثيـر دون التّفضيل ﴿وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ﴾ يترفّع عنها.

والإستكبار طلب الكبربلا استحقاق والتّكبّـر قد يكون باستحقاق ﴿فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا﴾ للمجازاة.

[١٧٣]ـ ﴿فَأَمَّا الَّذين ءَامَنُوْا وَعَمِلُوْا الصَّالِحاتِ فَيُوَفِّيْهِمْ أُجُورَهُمْ﴾ ثواب إيمانهم وأعمالهم ﴿وَيَزِيْدُهُـمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾ أضعـاف ما يستحقّـونه من الثّـواب ﴿وَأَمَّا الَّذِيْنَ اسْتَنْكَفُوْا وَاسْتَكْبَرُوْا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلاَ يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللهِ وَلِيًّا﴾ يحميهم من العذاب ﴿وَلاَ نَصِيرًا﴾ ينجيهم منه.

[١٧٤]ـ ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ﴾ حجة ﴿مِنْ رَبِّكُمْ﴾ وهو محمد ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ أو معجـزاته أو: الـدين، أو: القـرآن ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِيْنًا﴾ بيّناً وهو القرآن.

وعن الصادق عليه السّلام: انه ولاية علي عليه السّلام.[1]

[١٧٥] ـ ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوْا بِاللهِ وَاعْتَصَمُـوْا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ﴾ نعمة وهي الجنة ﴿وَفَضْلٍ﴾ إحسـان زائد على ما يستحقّـون ﴿وَيَهْدِيْهِمْ إِلَيْهِ﴾ الـى الله أو الفضل ﴿صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ هو الإسلام أي: يوفقهم له ويثبتهم عليه.

[١٧٦]ـ ﴿يَسْتَفْتُونَكَ﴾ أي: في الكـلالـة بدليل ﴿قُلِ اللهُ يُفْتِيْكُمْ فِي الْكَلاَلَةِ﴾ مرّ تفسيرها.[2]

قيل: مـرض «جابر» فعـاده النبيّ صلّى الله عليـه وآلـه وسلّم فقال: «اني كـلالة فكيف

---

(١) تفسير مجمع البيان ٣: ١٤٧.

(٢) في تفسير الآية(١٢) من هذه السورة.

أصنع في مالي؟ فنزلت[1] ﴿إِنِ امْرُؤٌا﴾ فاعل فعل يفسره ﴿هَلَكَ﴾ مات ﴿لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ﴾ ذكر أو انثى، صفة له، أو حال عن فاعل «هلك» وهو مقيّد بعدم الوالد أيضاً للإجماع والسنّة، ودلالة الكلالة عليه ـ ان فسرت بالميّت ـ ﴿وَلَهُ﴾ عطف أو حال ﴿أُخْتٌ﴾ لأبوين أو لأب، لسبق حكم الأُخت للأم ﴿فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ﴾ بالفرض، والباقي ردّ عليها، لا للعصبة ﴿وَهُوَ يَرِثُهَا﴾ أي المرء يرث أخته كل المال إن انعكس الأمر ﴿إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ﴾ ذكر أو انثى، ولا والد لما مرّ ﴿فَإِنْ كَانَتَا﴾ أي من يرث بالاخوة.

والتأنيث باعتبار المعنى ﴿اثْنَتَيْنِ﴾ فصاعداً خبر «كان» وفائدته بيان ان الحكم باعتبار العدد دون غيره من الصفات ﴿فَلَهُما الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ﴾ الميت بالفرض والباقي بالردّ ﴿وَإِنْ كَانُوا﴾ الكلام فيه كما في «كانتا» ﴿إِخْوَةً﴾ تغليب للمذكّر ﴿رِجَالاً وَنساءً﴾ بدل أو صفة أو حال ﴿فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حظّ الأُنْثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ﴾ الأحكام كراهة ﴿أَنْ تَضِلّوا﴾ أو لأن لا تضلوا ﴿وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ فيعلم الأصلح لعباده فيفعله لهم.

(١) تفسير جوامع الجامع ١: ٣٠٦.

سورة المائدة

[٥]

مائة وعشرون آية مدنية

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيم

[١] ــ ﴿يـا أَيُّهَا الَّـذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُـوْا بِالْعُقُـودِ﴾ الوفـاء والإيفاء بـالعقد: القيـام بمقتضاه. والعقود أوكد العهود، والمراد بها ما عقده الله على عباده وكلّفهم به، أو ما يتعاقدونه بينهم في معامـلاتهم ونحوها، أو ما يعمّهما ﴿أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعامِ﴾ لعله تفصيل للعقود.

والبهيمة: كلّ حي لا يميّـز، أو كل ذي أربع، واضافتها الى الأنعـام بيانية، أي البهيمـة من الأنعام وهـي الإبل والبقـر والغنم ﴿إِلاَّ مَا يُتْلَـى عَلَيْكُمْ﴾ تحريمه كـآية ﴿حرمت عليكم الميتة﴾[1] ﴿غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ﴾ حال مـن ضمير «لكم» أو «أوفـوا» ﴿وَأَنْتُمْ حُرُمٌ﴾ حال من ضمير «محلّي و«حـرم» جمع حرام للمحرم ﴿إِنَّ اللهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ من تحليل وغيره.

[٢] ـ ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لاَ تُحِلُّوا شَعَائِرَ الله﴾ حدوده أو فرائضه أو مناسكه،

(١) وهي الآية الثالثة من هذه السورة.

أو دينه، جمع شعيرة أي علامة ﴿وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ﴾ بالقتال فيه ﴿وَلَا الْهَدْيَ﴾ ما أُهدى الى الكعبة جمع هدية كـ«جدي» جمع جدية: السرج ﴿وَلَا الْقَلَائِدَ﴾ جمع قلادة، وهي ما قلد به الهدي من نعل وغيره، علامة له فلا يتعرض له.

والنهي عن أخذها مبالغة في النهي عن الهدي، أو: أُريد ذات القلائد من الهدي. وعطفها عليه لشرفها ﴿وَلَا آمِّينَ﴾ قاصدين ﴿الْبَيْتَ الْحَرَامَ﴾ بأن تقاتلوهم ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا﴾ ثوابه ورضاه عنهم في الآخرة، والجملة حال من مستكن «آمّين» يعطى علة المنع.

وقيل: يبتغون رزقاً منه بالتجارة، و«رضوانًا» بزعمهم،[1] إذ قيل: نزلت الآية في المشركين حجّاج اليمامة حين همّ المسلمون أن يتعرضوا لهم.[2] فقيل: انها منسوخة بآيات منع المشركين عن المسجد،[3] وقيل: محكمة إذ لا يجوز أن يبدئوا بالقتال في الأشهر الحرم[4] ويؤيده ما اشتهر أنّ «المائدة» آخر ما نزل.

وأما آيات منعهم فمخصصة لهذه فيما إذا وصلوا وأرادوا دخول الموضع المحرّم ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا﴾ إباحة للإصطياد بعد زوال ما حرّمه ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ﴾ لايكسبنّكم ﴿شَنَآنُ قَوْمٍ﴾ بغضهم مصدر مضاف الى الفاعل أو المفعول. وسكّن نونه «ابن عامر» و«أبو بكر» و«نافع»[5] ﴿أَنْ صَدُّوكُمْ﴾ لأن صدوكم. وكسر الهمزة «ابن كثير» و«أبو عمرو» على الشرط[6] ﴿عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ عام الحديبية ﴿أَنْ تَعْتَدُوا﴾ بقتالهم. مفعول ثانٍ لـ«يجرمنكم» إذ هو كـ«كسب» يتعدى الى واحد واثنين

(١) قاله قتادة وابن عباس ـ كما في تفسير التبيان ٣ : ٤٢٣.

(٢) قاله السدّي ـ كما في تفسير روح المعاني ٦: ٤٨.

(٣) قاله قتادة وابن عباس ـ كما في تفسير التبيان ٣ : ٤٢٣، وانظر سورة التوبة: ٩/ ٢٨.

(٤) قاله ابن جريج ـ كما في تفسير التبيان ٣ : ٤٢٢.

(٥) حجة القراءات: ٢١٩.

(٦) حجة القراءات: ٢٢٠.

﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوى﴾ فعل الطاعة وترك المعصية ﴿وَلاَ تَعاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ المعاصي وتعدّي حدود الله ﴿وَاتَّقُوا اللهَ﴾ في أوامره ومناهيه ﴿إِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقابِ﴾ لمن عصاه.

[٣] ـ ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ﴾ ما مات بلا تذكية، أكلاً أو انتفاعاً ﴿وَالدَّمُ﴾ مطلقاً إلاّ ما خرج بدليل كالمتخلّف في الذّبيحة. ولا يقيّده «أو دماً مسفوحاً» لعدم حجية مفهومه، ولا منافاة ﴿وَلَحْمُ الْخِنْزِيزِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ﴾ رفع الصوت به للصنم، أو ما لم يُسَمَّ الله عليه، سمّي غيره أم لا ﴿وَالْمُنْخَنِقَةُ﴾ الميتة خنقاً ﴿وَالْمَوْقُوذَةُ﴾ المقتولة بالضّرب.

والوقذ: الضرب ﴿وَالْمُتَرَدِّيَةُ﴾ الساقطة من علوّ، أو في بئر فتموت ﴿وَالنَّطِيحَةُ﴾ التي نطحتها أُخرى فماتت. وتاؤها للنقل ﴿وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ﴾ منه فمات ﴿إِلاّ مَا ذَكَّيْتُمْ﴾ أدركتم ذكاته مما يقبلها من ذلك. وفيه حياة مستقرة.

والذكاة: الذبح والنّحر على وجه مخصوص ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ﴾ جمع نصاب، أو: واحد الأنصاب، وهي أحجار كانت منصوبة حول البيت، يذبحون عليها تقرباً إليها.

وقيل: هي الأصنام[1] و«على» بمعنى اللام، أو على أصلها، أي: على إسم الأصنام ﴿وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا﴾ تطلبوا معرفة ما قسم لكم مما لم يقسم ﴿بِالأَزْلامِ﴾ جمع زُلَمْ كـ«جمل» و«صرد» قدح لا ريش فيه ولا نصل.

كانوا إذا قصدوا أمراً ضربوا ثلاثة قداح كتب على أحدها: «أمرني ربي».

وعلى الآخر: «نهاني ربي» والثالث غفل، فان خرج الأمر فعلوا، وإن خرج النهي تركوا، وإن خرج الغفل أجالوها ثانياً.

وقيل: تطلبوا قسمة الجزور بالأزلام، وهي عشرة ـ كما روي عن

(١) نقل هذا القول الآلوسي في تفسير روح المعاني ٦: ٥٢.

الصادقيـن ـ عليهما السّلام [١]ـ ﴿ذالِكُمْ فِسْقٌ﴾ أي تنـاول هذه المحـرمـات خـروج عن الطاعة، أو الإشـارة الى الإستقسام ﴿الْيَوْمَ﴾ لم يُرَد يـوم بعينه، بل أريد الحاضـر وما بعده مـن الزمان. وقيل: يـوم نزولها وهـو يوم الجمعـة، عرفة حجـة الوداع[٢] ﴿يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ﴾ من ارتـدادكم عنه بتحليـل ما حـرم أو غيره أو من أن يغلبـوه ﴿فَلاَ تَخْشَوْهُمْ﴾ أن يقهروكم ﴿وَاخْشَوْنِ﴾ بالإخلاص ﴿الْيَوْمَ أَكمَلْـتُ لَكُمْ دِينكُمْ﴾ بنصركم على عدوكم، أو ببيان الأحكام والفرائض، وأُصول الشرائع.

وعن الصادقين ـ عليهما السّلام: «أنها نزلـت بعد أن نصب النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم علياً علماً للأنام يوم غدير خم، منصرفـة من حجة الوداع، وهو آخر فريضة أنزلها»[٣] ﴿وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ بولايـة علي عليه السّلام، أو اكمـال الديـن، أو فتح مكـة ﴿وَرَضِيتُ﴾ اخترت ﴿لَكُمُ الْإِسلاَمَ دِيناً﴾ من بين الأديـان ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ﴾ الى أكل شي، من هذه المحـرمات. فهذا متّصل بها ومـا بينهما اعتراض يؤكـد التحريم ﴿فِي مَخْمَصَةٍ﴾ مجاعة ﴿غَيْرَ مُتَجَانِفٍ﴾ مائل ﴿لإِثْمٍ﴾ بأن يأكل تلذذاً.

أو يتعدى حدّ الضرورة، أو يبغي على الإمام، أو يقطع الطريق ﴿فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ﴾ للذنوب فلا يعاقب المضطر فيما رخّص له ﴿رَحِيمٌ﴾ بعباده بُرَخصه لهم.

[٤] ـ ﴿يَسئَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ﴾ من المطاعم، كأنّهم لما تلا عليهم المحرّمات سألوه عمـا أُحل لهم، وأوقع السؤال على الجملـة لتضمنه معنى القول. و«مـاذا» مرّ بيانه. ولم يقل «لنـا» على الحكاية، لأن «يسئلونك» للغيبة، والـوجهان صواب ﴿قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ﴾ مالم تستخبثه الطّبـاع السّليمة، أو ما لم يدل دليل علـى حرمته ﴿وَمَا عَلَّمْتُمْ﴾ عطف على «الطيبات» أي: وصيد ما علمتـم، أو شرط جوابه «فكلوا»

---

(١) تفسير البرهان ١: ٤٣٣.

(٢) قاله مجاهد وابن جريج وابن زيد ـ كما في تفسير مجمع البيان ٢: ١٥٨ـ.

(٣) تفسير مجمع البيان ٢: ١٥٩. وينظر تعليقنا على الآية ٣٣ من سورة الأحزاب.

﴿مِنَ الْجَوَارِحِ﴾ كواسب الصيد على أهلها من الكلاب بقرينة ﴿مُكَلِّبِينَ﴾ لاشتقاقة من الكلب أي حال كونكم صاحبي كلاب. وقيل: أُريد مطلق الجوارح من سباع البهائم والطير.[1] واطلاق «مكلبين» لأغلبية تعليم الكلب.

ومنا من قال به[2] وهو خلاف الظاهر والمروي عن أهل الذكر عليهم السّلام. واما ما روي عنهم عليهم السّلام من مساواة الفهد والصّقر والبازي للكلب[3] فللتّقية ﴿تُعَلِّمُونَهُنَّ﴾ حال أُخرى، أو استئناف ﴿مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللهُ﴾ من علم التأديب إلهاماً، أو اكتساباً بالعقل الذي منحكموه، أو مما عرّفكم ان تعلّموه من الإسترسال بإغراء صاحبه والإنزجار بزجره ﴿فَكُلُوْا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ﴾ وإن قتلنه.

واختلف في اشتراط عدم الأكل لاختلاف الأخبار ﴿وَاذْكُرُوْا اسْمَ اللهِ عَلَيْهِ﴾ أي سموه على ما عَلَّمْتم عند إرساله، أو على ما أمسكن إذا أدركتم ذكاته ﴿وَاتَّقُوْا اللهَ﴾ في حدوده ﴿إِنَّ اللهَ سَرِيْعُ الْحِسَابِ﴾ فيؤاخذكم بتعدّيها.

[٥] - ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِيْنَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ﴾ ظاهره يعمّ ذبائحهم وغيرها. وعليه فقهاء الجمهور[4] وجماعة منا، ويعضده أخبار.[5] ثمّ منهم من عمّم في اليهود والنصارى. ومنهم من استثنى نصارى تغلب؛ للحديث.[6]

---

(١) قاله الحسن ومجاهد وحيثمة بن عبدالرحمان ـ كما في تفسير مجمع التبيان ٣: ٤٤٠.

(٢) وهو ابن ابي عقيل رحمه الله، على مانقله الشهيد ـ قدس سره ـ في المسالك ٢: ٢١٧.

(٣) كما ورد في الوسائل ١٦/ ٢٦٦ الباب التاسع من ابواب الصيد، الأحاديث ١٦ و١٧ و١٨. وانظر تفسير البرهان ١: ٤٤٨ الحديثان: ٩ و١٦.

(٤) ينظر تفسير روح المعاني ٦: ٥٨.

(٥) كما في الوسائل ١٦: ٣٤٧ الباب ٢٧ من ابواب الذبائح، الاحاديث ١١ و١٤ و١٥ و١٧.

(٦) ذهب اليه الشافعي ـ كما في الجامع لأحكام القرآن ٦: ٧٨ ـ، وفي تفسير روح المعاني ٦: ٥٨: ان علياً عليه السّلام كان ينهي عن ذبائح بني تغلب ويقول: ليسوا على النصرانية، انهم لم يتمسكوا بشيء من النصرانية الاشرب الخمر.

وأما المجوس فاختلف في إلحاقهم بالكتابيّين لإختلاف الأخبار.[١]

وعن الصادقين عليهما السّلام: تخصيص الطعام بالحبوب وشبهها[٢] وعليه أكثر الأصحاب[٣] ﴿وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ﴾ فيحلّ لكم أن تطعموهم ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ﴾ العفائف والحرائر وتخصيصهن لـلأولوية ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِيْنَ أُوتُوْا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ ظاهره حلّ نكاح كلّ كتابيّة ذميّة أو حربية دائماً أو متعة أو ملكاً، فيخصّص آية: ﴿ولا تنكحوا المشركات﴾[٤] ان شملت الكتابية.

وعن الباقر عليه السّلام: منسوخ بتلك،[٥] ويعارضه شهرة تأخّر «المائدة» نزولاً، وأصحابنا بين مبيح مطلقاً، أو: في المتعة والملك خاصة، ومحرم مطلقاً. والأخبار مختلفة وكذا في المجوسية ﴿إِذَا ءَاتَيْتُموهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ مهورهن ﴿مُحْصِنِينَ﴾ أعفّاء ﴿غَيْرَ مُسَافِحِينَ﴾ غير زانين جهراً ﴿وَلاَ مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ﴾ صدائق يزنون بهن سرّاً.

والخدن يقال للذكر والأُنثى ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيْمَانِ﴾ ينكر شرائع الإسلام ﴿فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينْ﴾ الهالكين.

[٦] ـ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوْا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلوة﴾ أي: إذا أردتم القيام اليها مثل: ﴿فإذا قرأت القرآن فاستعذ﴾[٦] عبرّ بمسبّب الإرادة عنها، أو قصدتموها، إذ القيام الى الشيء قصده. وظاهرها يوجب الوضوء على كل قائم لكن خصه الإجماع والأخبار بالمحدثين بالأصغر.

---

(١) ينظر الوسائل ١٦: ٣٤٩ الباب ٧ من ابواب الصيد والذبائح، الحديث ٣١ و٣٣ و٣٤.

(٢) ينظر تفسير البرهان ١: ٤٤٨ الحديث الثاني وما بعده.

(٣) في «ط»: اصحابنا.

(٤) سورة البقرة: ٢/ ٢٢١.

(٥) تفسير مجمع البيان ٢: ١٦٢.

(٦) سورة النحل: ١٦/ ٩٨.

وعن الصادق عليه السّلام: المراد إذا قمتم من النوم». [1]

وقيل: كان ذلك في الإبتداء فنسخ. [2] وردّ بشهرة عدم المنسوخ في «المائدة» واعتبار الحدث في بدله؛ أي التيمم في الآية. وقيل: الأمر فيه للندب لاستحباب التجديد. [3]

وردّ بأن قرينية «فاطهروا» و«فتيمموا» للوجوب وبثبوت الوجوب في المحدث. وحملُه على الرجحان المطلق ليعم الندب والوجوب بعيد.

ويحتج بالآية لوجوب الوضوء لغيره لإفهامها أنّه للصّلاة، ولأن مفهومها عدم وجوبه إذا لم ترد الصلاة. وفيه جواز كونه لها مع كونه واجباً لنفسه. والمفهوم انّما يعتبر فيما لا فائدة للشرط سواه. والفائدة هنا بيان أن الصلاة غرض للوضوء في الجملة، ويحتج بها لوجوبه لنفسه لتحقق الإرادة قبل الوقت فيجب، وإذا وجب قبله في الجملة وجب قبله دائماً للإجماع المركب.

وفيه منع عموم «إذا»، ومنع ارادة «إذا أردتم» لجواز إذا تهيّأتم لها تهيؤاً متّصلاً بها، وهو انما يتحقق في الوقت ﴿فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ﴾ أمّروا الماء عليها ولا يجب الدّلك ولاتخليل الشّعر؛ إذ الوجه ما يواجه به ﴿وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾ غاية للمغسول فلا تفيد الإبتداء بالأصابع سيّما إذا جعلت بمعنى «مع» فهي مجملة.

واوجب جلّنا الإبتداء بالمرافق مدّعين فهمه من أخبارهم فهي بيان للإجمال.

ومنّا من جوّز النّكس لظاهر الآية، ولا تفيد دخول المرفق لخروج الغاية تارة ودخولها أُخرى. ودعوى دخولها إذا لم تتميز عن المغيّا لم تثبت وكون «الى» بمعنى «مع» مجاز لابدّ له من قرينة، ولكن أطبقت الأُمة إلاّ من شذّ من العامة على دخوله

---

(١) كما في تفسير العياشي ١: ٢٩٧.

(٢) قاله ابن عمر ـ كما في تفسير مجمع البيان ٢: ١٦٤.

(٣) كما ورد في تفسير القرطبي ٦: ٨١ عن طائفة.

وان اختلفوا في مأخذه أهو الآية أم الأحتياط، أم كونه مقدمة الواجب وهو الأظهر ﴿وَامْسَحُوْا بِرُءُوسِكُمْ﴾ أي بعضها لإجماعنا، وللباء بنص[1] الباقر عليه السّلام.[2] ولايعارضه انكار سيبويه مجيئها للتبعيض الموجب لضعف الظّن بصدوره عنه عليه السّلام لأنّه معارَض بإصرار إلاصمعي وجمع من النحاة على خلافه.

وقيل: معناه الصقوا المسح برؤوسكم،[3] فيتحقق بمسح البعض والكل. ومن ثمّ اختلفوا فأوجب «مالك» مسح كل الرأس[4] و«أبو حنيفة» ربعه،[5] و«الشافعي» مسمى المسح،[6] ويختص بالمقدّم بإجماعنا ونص أئمتنا عليهم السّلام.[7] وخيّر العامة في موضعه.[8] وأقل ما يحصل به إصبع في الأظهر ﴿وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ جره «حمزة» و«ابن كثير» و«أبو عمرو» و«أبو بكر»، ونصبه الباقون.[9]

واختلف في مسح الأرجل وغسلها، فأصحابنا كافة أوجبوا المسح، وهو مذهب أئمتنا عليهم السّلام وابن عباس وجمع من التابعين.[10]

وأوجب الفقهاء الأربعة الغسل،[11] وجماعة الجمع،[12] وخيّر

---

(١) في «ط»: عن الباقر عليه السّلام.

(٢) تفسير البرهان ١: ٤٥٢ـ الحديث(١٦).

(٣) قاله الطبرسي في جوامع الجامع ١/ ٣١٥ والزمخشري في تفسير الكشّاف ١: ٥٩٧.

(٤ـ٦) تفسير مجمع البيان ٢: ١٦٤ وتفسير الكشّاف ١: ٥٩٧.

(٧) قاله الشيخ الطوسي في تفسير التبيان ٣: ٤٥١: وعندنا لايجوز المسح الا على مقدم الرأس وورد النص بذلك في تفسير البرهان ١: ٤٥٢، الحديث ٨.

(٨) نقل ذلك القرطبي عن ابراهيم والشعبي في الجامع لأحكام القرآن ٦/ ٨٩.

(٩) حجة القراءات: ٢٢٣.

(١٠) تفسير مجمع البيان ٢: ١٦٤ وانظر الخلاف ١: ١٤ باب الطهارة، المسألة ٣٩.

(١١) ذكره القرطبي عن ابن العربي في الجامع لأحكام القرآن ٦/ ٩١ وينظر كتاب الخلاف ١/ ١٤ باب الطهارة المسألة٣٩.

(١٢) تفسير التبيان ٣: ٤٥٢ و تفسير روح المعاني ٦: ٦٦.

آخـرون،[١] والقـراءتـان معنـا، امـا الجـر فلعطفهـا على الـرؤس، ومقتضـاه وجـوب المسح، وجعلُهـا معطـوفـة عليها لا لتمسـح، بل ليقتصـد في صـب الماء عليهـا، ولايسرف فيـــه فتغسل غسلاً شبيهـاً بالمسح تعسّفٌ وإِلغـــاز وتعمية[٢] لا يجـــوز وقـــوعه في القرآن.

وجعلها معطوفة على الوجوه والجرّ للمجاورة ضعيف؛ للفصل بجملة المسح، وشذوذ جرّ الجوار وقصـره على السماع وكونه فيما لا لبس فيـه، ولا حرف عطف معه كـ«جحر ضبّ خرب» وها هنا لبس وعطف.

واما النصب فلعطفها على محل «رءوسكم»، ومثله فـي القرآن العزيز وغيره غير عزيـز، فتطابق القراءتـان في وجوب المسح، وعطفها علـى الوجوه من أقبح الـوجوه لإخراجه الكـلام عن حلية الإنتظام، وتقـدير فعل أي: واغسلوا كـ«علفتها تبنـاً وماءً» أي: وسقيتهـا مـاء خـلاف الأصل، وانمـا ارتكـب في المثـال لتعـذر الحمـل على المذكور، ولم يتعذر ها هنا لصحة العطف على المحل.

والكعب عندهم: مانتأ[٣] عن يمين القدم وشماله.

وعندنا: العظم الناتي وسط القدم، لأخبار أئمتنا.[٤]

ومنّا مـن جعله مفصل السّـاق والقدم،[٥] ويختص المسـح بظهر القـدم، ولا

---

(١) وهم الحسن بـن ابي الحسن البصـري ومحمّد بن جـرير وابـوعلى الجبائي ـ كما فـي الخلاف ١: ٤٥٢.

(٢) الإلغاز والتعمية: عدم بيان المراد.

(٣) نتأ الشيء: ارتفع وانتفخ.

(٤) انظر الوسائل ١: ٢٧٥ الباب(١٥) من ابواب الوضوء ـ الحديث(٩) والباب(٢٤) من ابواب الوضوء، الحديث(٤).

(٥) وهو العلامة، وقد اختاره في المختلف حيث قال: ويراد بالكعبين ـ هنا ـ: المفصل بين الساق والقدم.

يجب الإستيعاب عرضاً للإجماع والأخبار.[١]

ويكفي الإصبع ـ ولو منكوساً ـ في الأظهر. واختلف في دخول الكعب. والكلام في «إلى» كما مرّ.[٢] وظاهر الآية عدم الترتيب بين الرجلين، وهو المشهور.

ومنّا من أوجبه ولم يتم دليله، وهو الأحول ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا﴾ فاغتسلوا عطف على «فاغسلوا» ويحتج به لوجوب الغسل لغيره أو لنفسه كما مرّ، أو على «إذا قمتم» ويحتج به لوجوبه لنفسه وهو قوي ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ﴾ فسّر في «النساء»[٣] ﴿مِنْهُ﴾ من الصعيد، أو التيمم. و«من» للتبعيض. ويحتج بها لاشتراط علوق التراب، ويلزمه المنع من الحجر، وفيه بحث. وقيل: للإبتداء[٤] ﴿مَا يُرِيدُ اللهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ﴾ مفعول «يريد» محذوف، واللام للعلة، أي ما يريد الأمر بالوضوء والغسل والتّيمم تضييقاً عليكم، أو زائدة والمفعول «أن يجعل».

وتضعيف البيضاوي تقدير «أن» بعد الزائدة هنا ينافي قوله به في ﴿يريد الله ليبين لكم﴾[٥] و﴿يريدون ليطفئوا﴾[٦] وكذا القول في ﴿وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ﴾ من الذنوب بالوضوء وأخويه. ويؤيده حديث: «إن الوضوء يكفّر ما قبله»[٧] أو من الأحداث بالماء أو التراب، أو ينظفكم بالماء ﴿وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ﴾ شرعه ما به تطهيركم ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ نعمته.

---

(١) انظر الوسائل ١: ٢٩٣ الباب(٢٤) من ابواب الوضوء.

(٢) مر آنفاً في «إلى المرافق».

(٣) في تفسيرالآية ٤٣.

(٤) ذكره البيضاوي في تفسيره ٢: ٩٠ ولم يرتضه.

(٥) سورة النساء: ٤/ ٢٦.

(٦) سورة الصف: ٦١/ ٨.

(٧) مستدرك الوسائل ١: ٥٢ الباب ٤٧ من ابواب الوضوء ـ الحديث(١٤).

[٧] ـ ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَـةَ اللهِ عَلَيْكُمْ﴾ بالإسلام ﴿وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ﴾ عاقدكم ﴿بِهِ﴾ من مبايعتكم النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم على السمع والطاعـة في العسر واليسر، أو مـا بيّن لكم في حجّـة الـوداع من الأحكام وفـرض الـولاية، أو بيعـة العقبة وبيعـة الرضوان ﴿إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَـا وَأَطَعْنَا﴾ فيما تأمـر وتنهى. ﴿وَاتَّقُوْا اللهَ﴾ في كفـران نعمه ونقض ميثاقه ﴿إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ بسرائرها فبغيرها أولى.

[٨] ـ ﴿يَا أَيُّهَـا الَّذِينَ ءَامَنُـوْا كُونُوا قَـوَّامِينَ للهِ﴾ بحقوقـه ﴿شُهَدَاءَ بِـالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَئَانُ قَوْمٍ عَلى أَلاَّ تَعْدِلُوْا﴾ عـدي بـ«على» لتضمّنه معنى الحمل، أي لايحملنّكم بغض الكفار على ترك العدل معهـم فتنالوا منهم ما لايحلّ ﴿اعْدِلُوْا هُوَ﴾ أي العدل ﴿أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ صرّح بـأمرهم بـالعدل وبيّن انـه بمكان من التقـوى بعد نهيهم عن تركه وبيان انه مقتضى الهـوى، هذا مع الكفار فكيف المؤمنون ﴿وَاتَّقُوْا اللهَ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ فيجازيكم به.

[٩] ـ ﴿وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ ءَامَنُـوا وَعَمِلُوْا الصَّالِحَاتِ﴾ حذف ثاني مفعـولي «وعد» لبيانه بجلمة: ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْـرٌ عَظِيمٌ﴾ استئناف، أو: هـي المفعول، لأن الـوعد ضرب من القول.

[١٠] ـ ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوْا بِـآيَاتِنا أُوْلَئِكَ أَصْحابُ الْجَحِيْمِ﴾ اتبع حال أحد الفريقين حال الآخر ليقرن الترغيب بالتّرهيب كما هو عادته تعالى.

[١١] ـ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ﴾ للفتك بكم، يقـال: بسط اليـه يده، إذا بطش بـه ﴿فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ﴾ منعها أن تمتد اليكم.

قيل: أتى النبيّ صلّى الله عليه وآلـه وسلّم في جماعة من أصحـابه «النظير» يستقرضهم دية مسلِمَيْـنَ، قتلهما بعض أصحـابه، يحسبهمـا مشركيـن. فقالـوا: «اجلس حتى

نطعمك ونقرضك، وهمّوا بقتله، فأخبره الله تعالى فخرج.[1]

وقيل: نزل الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم منزلاً وتفرّق الناس فعلق سيفه بشجرة، فجاء أعرابي فسله، فقال: من يمنعك مني؟ فقال: الله، فأسقطه جبرائيل منه، فأخذه الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم فقال: «من يمنعك مني؟» فقال: «لا أحد» وأسلم فنزلت[2] ﴿وَاتَّقُوا اللهَ وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ فإنه حسب من توكل عليه.

[١٢] ـ ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرائِيلَ وَبَعَثْنَا﴾ التفات ﴿مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾ رئيساً. أمرهم الله بعد هلاك فرعون وهم بمصر أن يسيروا الى «أريحا» من أرض الشام، وكان يسكنها الجبابرة، فقال: اني كتبتها لكم قراراً فجاهدوا من فيها فإني ناصركم، وأمر موسى أن يأخذ من كل سبط كفيلاً عليهم بالوفاء بما أُمروا به، فأُخذ عليهم الميثاق، واختار النّقباء، فسار بهم، ولما قاربها بعث النقباء يتجسّسون فرأوا أجراماً عظيمة وشوكة فرجعوا، ونهاهم أن يخبروا قومهم، فأخبرهم إلاّ «كالب» من سبط «يهوذا» و«يوشع» من سبط «يوسف» ﴿وَقَالَ اللهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ﴾ للقسم ﴿أَقَمْتُمُ الصَّلوةَ وَءَاتيتُمُ الزَّكَوةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ﴾ نصرتموهم.

وأصله: المنع، ومنه: التعزيز ﴿وَأَقْرَضْتُمُ اللهَ﴾ بالإنفاق في سبيله ﴿قَرْضًا حَسَنًا﴾ مصدر أو مفعول ﴿لَأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ جواب للقسم ناب جواب الشرط ﴿وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ﴾ الميثاق ﴿مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ أخطأ طريق الحق.

[١٣] ـ ﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ﴾ «مَا» زائدة ﴿مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ﴾ أبعدناهم من رحمتنا أو مسخناهم، أو عذبناهم بالجزية ﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾ منعناهم الألطاف حتى

---

(١) قاله مجاهد وقتادة ـ كما في تفسير مجمع البيان ٢: ١٦٩.

(٢) قاله الحسن ـ كما في تفسير مجمع البيان ٢: ١٦٩.

قست. وقرأ «حمزة» و«الكسائي» «قَسِيَّة» مبالغة[١] قاسية أو بمعنى رديّة من قولهم: «درهم قسي» للمغشوش من القسوة أيضاً ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ بيان قسوة قلوبهم، إذ لا قسوة أشدّ من تغيير وحي الله ﴿وَنَسُوْا حَظًّا﴾ تركوا نصيباً جزيلاً ﴿مِمّاَ ذُكِّرُوْا بِهِ﴾ في التوراة من إتّباع محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم إذ حرفوها، أو: زلّت أشياء منها بشؤم تحريفهم عن حفظهم ﴿وَلا تَزَالُ تَطَّلَعُ عَلى خائِنَةٍ مِنْهُمْ﴾ خيانة، أو فرقة خائنة، أي الخيانة عادتهم كأسلافهم ﴿إلاَّ قَلِيلاً مِنهُمْ﴾ لم يخونوا وهم الذين آمنوا ﴿فاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ﴾ ان تابوا، وبذلوا الجزية. وقيل: مطلق، نسخ بآية السيف[٢] ﴿إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ الى الناس.

[١٤] ـ ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى﴾ سمّوا أنفسهم بذلك ادّعاءً لنصرة الله متعلق بقوله: ﴿أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ﴾ كما أخذنا من اليهود ﴿فَنَسُوْا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوْا بِهِ﴾ في الإنجيل ﴿فَأَغْرَيْنَا﴾ ألزمنا من غيري به: لصق به ﴿بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيٰمَةِ﴾ بين فرق النصارى الثلاث أو بينهم وبين اليهود ﴿وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ بالحساب والعقاب.

[١٥] ـ ﴿يَا أَهْلَ الْكِتابِ﴾ جنسه، خطاب لليهود والنصارى ﴿قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ﴾ كالرّجم ونعته صلّى الله عليه وآله وسلّم وبشارة عيسى به ﴿وَيَعْفُوْا عَنْ كَثِيرٍ﴾ مما تخفونه لايبيّنه لعدم باعث ديني عليه، أو عن كثير منكم ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللهِ نُوْرٌ﴾ محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم أو: القرآن ﴿وَكِتَابٌ﴾ القرآن ﴿مُبِينٌ﴾ للحق، أو بيّن الأعجاز.

[١٦] ـ ﴿يَهْدِيْ بِهِ﴾ بالكتاب ﴿اللهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ﴾ من آمن ﴿سُبُلَ السَّلاَمِ﴾ سبل الله أو السلامة من عذابه ﴿وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ﴾ الكفر ﴿إِلَى النُّورِ﴾

(١) حجة القراءات: ٢٢٣.

(٢) وهي الآية الخامسة من سورة التوبة.

الإيمان ﴿بِإِذْنِهِ﴾ بلطفه ﴿وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ طريق الحق، أو: طريق الجنّة.

[١٧] ـ ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ هم «اليعقوبية» القائلون بالإتّحاد: وقيل: لم يصرحوا به ولكن لزمهم لذلك لزعمهم أنه لا هوتي وقولهم بوحدة الإله[1] ﴿قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللهِ﴾ فمن يمنع من أمره ﴿شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ فالمسيح مقهور لا يملك دفع الهلاك عن نفسه كسائر الممكنات فكيف يكون إلهاً؟ ﴿وَللهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ ومنه المسيح ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فيخلق من ذكر وأُنثى ومن أُنثى بلا ذكر كعيسى، ومن ذكر بلا انثى كحواء، ومن غير ذكر وأُنثى كآدم.

[١٨] ـ ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾ أشياع إبنيه «عزير» و«المسيح» كما يقول حشم الملوك: نحن الملوك، أو مقربون عنده قرب الأبناء من أبيهم ﴿قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ﴾ إن صحّ ما زعمتم، والأب لايعذب إبنه ولاالحبيب حبيبه، وقد عذّبكم بالقتل والمسخ وسيعذّبكم أياماً بإقراركم[2] ﴿بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ﴾ من جملة ﴿خَلَقَ﴾ من البشر يعاملكم معاملتهم ﴿يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ وهم من آمن به ﴿وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾ وهم من كفر ﴿وَللهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ فيجازي كلاًّ بعمله.

[١٩] ـ ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ﴾ أي الدين، حذف لظهوره، أو يبذل لكم البيان، وهو حال ﴿عَلَى فَتْرَةٍ﴾ أي جاءكم على حين انقطاع ﴿مِنَ الرُّسُلِ﴾ إذ ليس بينه وبين عيسى رسول، بل أنبياء ثلاثة من بني اسرائيل وواحد

---

(١) نقله البيضاوي في تفسيره ٢: ١٤٢.

(٢) المراد اقرارهم بقولهم: «وقالوا لن تمسنا الا ايّاماً معدودة». (البقرة: ٢/ ٨٠) و(آل عمران: ٣/ ٢٤)ـ.

من العرب «خالد بن سنان العبسي» ومدة ذلك ستمائة أو خمسمائة وتسع وستون سنة. وفيه امتنان عليهم ببعثه اليهم حين درس أثر الوحي أحوج ما يكونون اليه ﴿أَنْ﴾ كراهة أن، أو لأن لا ﴿تَقُولُوا﴾ اعتذاراً ﴿مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ﴾ فلا عذر لكم إذن ﴿وَاللهُ عَلى كُلِّ شَيءٍ﴾ من الإرسال وغيره ﴿قَدِيرٌ﴾.

[٢٠] ـ ﴿وَإِذْ قالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنبِيَاءَ﴾ هداكم وأعزكم بهم ولم يجعل في أُمةٍ ما جعل فيكم من الأنبياء.

وقيل: هم الأنبياء ما بين موسى وعيسى مدة الف وسبعمائة سنة، وهم الف نبي[1] ﴿وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا﴾ لملك فرعون، أو ذوي دور وخدم، أو مالكين لأُموركم بعد أن كنتم مماليك للقبط ﴿وَءَاتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ من فلق البحر وتظليل الغمام، والمنّ والسلوى، وغيرها، أو اريد عالمي زمانهم.

[٢١] ـ ﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ﴾ أرض بيت المقدس المطهرة بالأنبياء، إذ كانت قرارهم: وقيل: الطور وما حوله،[2] وقيل: الشام[3] ﴿الَّتِي كَتَبَ اللهُ﴾ قسّمها أو وهبها ﴿لَكُمْ﴾ أو كتب في اللوح أنها لكم. ولعله بشرط الطاعة إذ حرّمها عليهم حين عصوا ﴿وَلَا تَرْتَدُّوا﴾ ولا ترجعوا ﴿عَلَى أَدْبَارِكُمْ﴾ منهزمين خوفاً.

قيل: لما عرّفهم النقباء حال الجبابرة همّوا بالرجوع إلى مصر.[4]

أو لا ترجعوا عن طاعة الله بعصيانكم ﴿فَتَنْقَلِبُوا﴾ نصب جواباً، أو جزم بالعطف ﴿خَاسِرِيْنَ﴾ الدارين.

[٢٢] ـ ﴿قَالُوا يَامُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِيْنَ﴾ من العمالقة أولي قوّة و جسامة.

(١) قاله الكلبي ـ كما في تفسير الكشّاف ١: ٦٠٢.
(٢) قاله مجاهد ـ كما في تفسير التبيان ٣: ٤٨٢ وتفسير مجمع البيان ٢: ١٧٨ـ.
(٣) قاله قتادة ـ كما في تفسير مجمع البيان ٢: ١٧٨ـ.
(٤) نقل هذا القول الزمخشري في تفسير الكشّاف ١: ٦٠٣.

والجبار الذي يجبر الناس على ما يـريد من «جبره على كذا» بمعنى أجبره ﴿وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوْا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾ إذ لانطيقهم.

[٢٣] ـ ﴿قَالَ رَجُلاَنِ﴾ «كالب» و«يوشع» ﴿مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ﴾ الله. وقيل: كانا من الجبابرة، أسلما وأتيا موسى.[١] فـ«الواو» لبني اسرائيل، وعائد «الذين» محذوف؛ أي من الذين يخافهم بنو اسرائيل ﴿أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمَا﴾ بالتوفيق للإيمان. صفة أُخرى لهما أو اعتـراض ﴿ادْخُلُوا عَلَيْهِـمُ البَابَ﴾ باب قـريتهم ولاتخشـوهم فإنْهم اجسـاد بلاقلوب ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ﴾ عَلِما ذلك من إخبار موسى به، وقوله «كتب الله لكم»[٢] أو ممـا عهـدا من قـهر الله اعـداء موسى ﴿وَعَلَى اللهِ فَتَوَكَّلُوْا إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِيْنَ﴾ به وبوعده.

[٢٤] ـ ﴿قَالُوْا يَا مُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا﴾ نفي لدخولهم مؤبّد مؤكّد ﴿ما دَامُوا فِيهَا﴾ بدل بعض من «أبداً» ﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلاَ إِنَّا هَهُنَا قاعِدُونَ﴾ قالوا ذلك استهانة بالله ورسوله.

[٢٥] ـ ﴿قَالَ﴾ شاكياً بثّه الى ربّه حين عصـوه ولم يبق معـه من يثق بـه سوى هارون ﴿رَبِّ إِنِّي لاَ أَمْلِكُ إِلاّ نَفْسِـي وَأَخِي﴾ يجوز نصبه عطفـاً على «نفسي» أو على اسم «إنّ»، ورفعه عطفاً على فـاعل «املك» أو على محل اسم انّ ﴿فَافْرُقْ﴾ فافصل ﴿بَيْننَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفاسِقِينَ﴾ بحكمك.

[٢٦] ـ ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَـرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ﴾ لا يدخلـونها ﴿أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ عاملـه إمّا «محرمة» فيكون التحـريم موقتاً، فلا ينافي قولـه: «التي كتب الله لكم» فقد حكى أن موسى فتح «اريحا» بمن بقي من بني إسرائيل، وأقام فيها الى أن قبض.

وقيل: قبض في التّبه، وفتحها بعده «يوشع» قـاتلهم حتى غربت الشمس فردها

(١) قاله ابن عباس ـ كما في تفسير التبيان ٣: ٤٨٥ وتفسير مجمع البيان ٢: ١٨٠ـ.

(٢) تقدم آنفاً في الآية ٢١ من هذه السورة.

الله عليه حتى فتح[1] أو ﴿يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ يسيرون متحيّرين، لا يهتـدون طريقاً. فالتحـريم مطلق، وقـد قيل: «لم يدخل الأرض المقـدّسة كلّ مـن قال لن نـدخلها» وماتوا في التيه وانما فتحها ذراريهم.[2]

قيل: لبثوا أربعين سنة في ستة فراسخ، يسيـرون كل يوم، فإذا أمسوا كانوا بحيث ارتحلوا عنـه، والغمام يظلّهم عن الشمس ويضيء لهـم بالليل عمود نـور، وطعامهم المنّ والسّلوى، وماؤهم من الحجر[3] والاشهر أن موسى وهارون كـانا معهم، وكان ذلك لهما رَوْحاً ولهـم عقوبة ﴿فَلَا تَأْسَ﴾ فلا تحزن ﴿عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ بالندم على الدعاء عليهم، فإنّهم أحقاء به لفسقهم.

[٢٧]ـ ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ ءَادَمَ﴾ هابيل وقابيل، وقد أمر الله آدم أن ينكح كلاً منهما توأم الآخر فأبى قابيل، لأن توأمه كانت أجمل، فقال لهما آدم: قرّبا قرباناً فمن أيكما قُبِلَ نكحها، فقُبِلَ قربان هابيل بأن نزلت نار فأكلته فازداد قابيل حسداً وفعل ما قصّ ﴿بِالْحَقِّ﴾ تلاوة متلبّسة بالحق، أو اتله متلبّساً بالصّدق ﴿إِذْ قَرَّبَا﴾ ظرف لـ«نبأ» أو حال منه ﴿قُرْبَاناً﴾ هو ما يتقرب به الى الله، وأصلـه مصدر، فلذا لـم يثنَّ، أو أُريد قرّب كلٌّ قرباناً. وكان هابيل ذا ضـرع فقرّب من خير غنمه، وقابيل ذا زرعٍ فقرّب أرداه ﴿فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَـا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ﴾ إذ سخط حكم الله وقرّب شـرّ ما له ﴿قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ﴾ توعّده بالقتل حسداً له على تقبّل قربانه لأنه ﴿قَالَ﴾ جواباً له ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ أي إنمـا أُصبت مـن قبل نفسـك بتـرك التقـوى لا من قبلـي، فلم تقتلني؟ وظاهـره اشتراط قبول العمل بالتقـوى ويشكل بطاعة الفـاسق إذا وقعت على الوجه الشرعي ويمكن كون الشرط التقوى في ذلك العمل بأن يوقعه على وجهه.

---

(١) قاله الزجاج ـ كما في تفسير مجمع البيان ٢: ١٨٢.

(٢) نقله الطبرسي في جوامع الجامع ١: ٣٢٣.

(٣) قاله الربيع ـ كما في تفسير الطبري ٦: ١٨١.

[٢٨ ـ ٢٩] ـ ﴿لَئِن﴾ للقسم ﴿بَسَطْتَ إِلَيَّ يدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنا بِبَاسِطٍ يَدِي إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ قيل: كان هابيل أقوى منه ولكن تحرّج عن قتله، واستسلم له خوفاً من الله، إذ الدفع لم يبح بعد،[1] وفيه منع الإستسلام، إذ وجوب حفظ النّفس عقلي.

والآية لا تدل عليه بل مفادها نفي بسط اليد بقصد قتله، ولا ريب في قبح قصد القتل وحسن الدفع وان أدّى الى القتل، لأنّه لم يقصد، فكأنه قال: لأن ظلمتني لم أظلمك. ولتأكيد نفي هذا الفعل الشنيع عنه، أجاب: «لئن بسطت... ما أنا بباسط» وفتح ياء «يدي» «نافع» و«أبو عمرو» و«حفص» وياء «اني» «الحرميان» و«أبو عمرو» و«يا» ﴿إِنِّي﴾ «نافع»[2] ﴿أُرِيدُ أَنْ تَبُوأَ﴾ ترجع متلبساً ﴿بِإِثْمِي﴾ بإثم قتلي ﴿وَإِثْمِكَ﴾ الذي كان منك من قبل، أو إن تحمل اثمي لو بسطت اليك يدي، واثمك ببسطك يدك إليّ. ولم يرد بالذات معصية أخيه وشقاوته، ولكن بفرض كونهما لأحدهما البتة، أو أرادهما لأخيه لا له.

أو أُريد بالإثم عقوبته، ولا قبح لإرادة عقاب العاصي ﴿فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾ بظلمك لي ﴿وَذَلِكَ جَزاءُ الظَّالِمِينَ﴾ من قوله أو قول الله.

[٣٠] ـ ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ﴾ فيسّرته له ووسّعته، من «طاع له المرتع» أي اتسع، أو زيّنته له. و«له» لزيادة الربط ﴿فَقَتَلَهُ﴾ وهو ابن عشرين سنة، بالهند أو «عقبة حِرا» أو موضع مسجد البصرة ﴿فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِيْنَ﴾ للدارين، إذ بقي عمره طريداً فزعاً.

[٣١]ـ ﴿فَبَعَثَ اللهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ﴾ قيل: قتله فلم يدر ما يصنع به، إذ كان أول ميّت من الناس، فبعث الله غرابين، فقتل أحدهما صاحبه فحفر له بمنقاره

---

(١) قاله الحسن ومجاهد والجبائي ـ كما في تفسير مجمع البيان ٢: ١٨٤.

(٢) انظر كتاب السبعة في القراءات: ٢٥٠.

ورجليه فواراه في الحفيرة، [١] وهذا يفسد ما قيل: ان ابني آدم كانا من بني اسرائيل [٢] ﴿لِيُرِيَهُ﴾ الله أو الغراب ﴿كَيْفَ﴾ حال من فاعل ﴿يُوَارِي﴾ أي «يستر» والجملة مفعول ثاني لـ«يُرِي» ﴿سَوْءَةَ أَخِيهِ﴾ جيفته؛ إذ هي مما يكره ﴿قَالَ﴾ تحسراً ﴿يَاوَيْلَتَا﴾ يا هلكتا احضري فهذا وقتك. وألفها بدل ياء المتكلّم ﴿أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ﴾ في العلم ﴿فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي﴾ عطف على «أكون» ﴿فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾ على قتله لإسوداد جسده، وتبرء أبيه منه، وحمله له سنة، إذ تحيّر فيه. ولم يندم توبة.

[٣٢] ـ ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ بسبب فعل «قابيل» حكمنا عليهم، وأصله مصدر «أجِلَ شراء» أي جناه، استعمل في تعليل الجناية ثم في كل تعليل توسعاً. و«من» ابتدائية أي ابتدأ من أجل ذلك ﴿أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ بغير قتل نفس يوجب القود ﴿أَوْ﴾ بغير ﴿فَسَادٍ﴾ فعله ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ من كفر أو قطع طريق ونحوه ﴿فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً﴾ لأنّه هتك حرمة الدماء، وسن القتل، وجرّأ الناس عليه، أو لاستواء قتل الواحد والجميع في استجلاب العذاب ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا﴾ انقذها من سبب هلكة ﴿فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً﴾ والمقصود تعظيم قتل النفس واحيائها، ليرهب ذاك ويرغب في هذا ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ﴾ بعد ما كتبنا عليهم وجاءتهم رسلنا بالآيات الواضحة ﴿فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾ مجاوزون الحدّ بالقتل والشرك.

[٣٣] ـ ﴿إِنَّمَا جَزَاؤُا الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ﴾ بمحاربة أوليائهما وهم المسلمون. جعل محاربتهم محاربتهما تعظيماً.

والمحارب: من شهر السلاح لإخفافة المسلم ولو في مصر ﴿وَيَسْعَوْنَ فِي

(١) قاله ابن عباس وابن مسعود ـ كما في تفسير مجمع البيان ٢: ١٨٥هـ.

(٢) قاله الحسن والجبائي وابومسلم ـ كما في تفسير مجمع البيان ٢: ١٨٥هـ.

﴿الْأَرْضِ فَسَادًا﴾ مفسدين، أو للفساد، أو يفسدون فساداً؛ إذ سعيهم فساد ﴿أَنْ يُقَتَّلُوٓا﴾ قصاصاً، أو حدّاً على تقدير العفو بلا صلب، إن أفردوا القتل ﴿أَوْ يُصَلَّبُوٓا﴾ مع القتل إن قتلوا وأخذوا المال ﴿أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ﴾ اليد اليمنى والرجل اليسرى إن أخذوا المال ولم يقتلوا ﴿أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ﴾ من بلد الى بلد بحيث لا يمكّنون من القرار في بلد، إن اخافوا فقط.

والآية لم تفد التفصيل بل ظاهرها التخيير. والمخيّر الإمام بين هذه العقوبات في كل محارب كما نطقت به الأخبار.

وورد بالتفصيل أخبار ضعيفة مضطربة متخالفة[1] ﴿ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ﴾ فضيحة ﴿فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ مع ذلك.

[٣٤] ـ ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ﴾ استثناء بالنسبة إلى حقّ الله فقط، ويؤيده ﴿فَاعْلَمُوٓا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ فيسقط القتل الواجب حدّاً ويبقى الجائز قوداً.

وتقييد التوبة بقبل القدرة يفيد أنها بعدها لا تسقط الحدّ، وان أسقطت العذاب.

[٣٥] ـ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوٓا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ ما تتوسلون به إلى ثوابه من الطاعة من «وسل إليه» أي تقرب، أو درجة في الجنة ﴿وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ﴾ أعداءه لإعزاز دينه ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ تظفرون بنعيم الأبد.

[٣٦] ـ ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ﴾ ثبت ﴿أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ﴾ من المال ﴿جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ﴾ اللام متعلق بـ«ثبت» المقدر بعد «لو» ﴿مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ﴾.

[٣٧] ـ ﴿يُرِيدُونَ﴾ يتمنون ﴿أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ

---

(١) يراجع للتفصيل وسائل الشيعة ١٨: ٥٣٣ الباب الاول من ابواب حدّ المحارب، الاحاديث ٣ و٤ وغيرهما.

﴿عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾ وللمبالغة قيل: «وما هم بخارجين» بدلٍ «وما يخرجون».

[٣٨] ـ ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ﴾ مبتدأ حذف خبره، أي فيما يتلى عليكم السارق والسارقة أي حكمهما، أو الخبر ﴿فَاقْطَعُوا﴾ دخلته الفاء لشبهه بالجزاء؛ إذ المعنى: الذي سرق والتي سرقت فاقطعوا ﴿أَيْدِيَهُمَا﴾ يديهما اليمينين كتفى بتثنية المضاف اليه.

ولا يقطع إلاّ إذا سرق من حرز ربع دينار، أو ما يساويه عندنا، والمخالفون بين موافق ومخالف.

والمقطع عندهم: الرسغ[١] وعند الخوارج: المنكب.

وعندنا: أُصول الأصابع ويترك الإبهام. فإن عاد قطعت رجله اليسرى من أصل الساق ويترك العقب فإن عاد خلّد السّجن ﴿جَزَاءً بِمَا كَسَبَا﴾ مفعول له أو مصدر، وكذا ﴿نَكَالاً مِنَ اللهِ وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ ينتقم بحكمة.

[٣٩] ـ ﴿فَمَنْ تَابَ﴾ عن السرقة ﴿مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ﴾ سرقته ﴿وَأَصْلَحَ﴾ أمره بالبقاء على التوبة أو عمله بعدها ﴿فَإِنَّ اللهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ﴾ يقبل توبته تفضّلاً منه لقوله: ﴿إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ولا ينافي وجوبه للوعد فلا يعذّب في الآخرة.

وأما الحدّ فعند أكثرهم لا يسقط، وعندنا يسقط قبل ثبوته. أما بعده ببيّنة فلا، وبإقرار قيل: يتحتم،[٢] وقيل: يتخير الإمام.[٣]

واما حقوق الناس فلا تسقط بالتوبة.

[٤٠] ـ ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ﴾ خطاب للنبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم أو لكل أحد ﴿أَنَّ اللهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾ من العصاة ﴿وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ منهم بدون توبة إذ معها يلغو التعليق بالمشيئة ﴿وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ومنه التعذيب

---

(١) الرسغ: المفصل مابين الساعد والكف.

(٢) قاله ابن إدريس ـ على ما نقله عنه العلامة في المختلف: ٢١٩ـ.

(٣) قاله الشيخ في ـ النهاية ـ على ما ذكره العلامة في المختلف: ٢١٩ـ.

والمغفرة، وقدم عليها لمقابلة تقدم السرقة على التوبة، أو لتقدم استحقاقه.

[٤١] ـ ﴿يا أَيُّهَا الرَّسُولُ لاَ يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسارِعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾ أي مسارعة المنافقين في إظهاره عند الفرصة ﴿مِنَ الَّذِينَ﴾ للبيان ﴿قَالُوا ءَامَنَّا بِأَفْواهِهِمْ﴾ متعلق بـ«قالوا» ﴿وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ﴾ حال أو عطف على «قالوا» ﴿وَمِنَ الَّذِيْنَ هادُوْا﴾ عطف على «من الذين» ﴿سَمَّاعُونَ﴾ خبر محذوفٍ أي: هم ـ أي الفريقان ـ أو: اليهود.

أو مبتدأ، خبره: «ومن الذين»، أي ومن اليهود قوم سماعون ﴿لِلْكَذِبِ﴾ اللام مزيدة لتضمين السماع معنى القبول، أي قابلون لما تفتريه أحبارهم، أو للعلة والمفعول محذوف أي سماعون قولك ليكذبوا عليك ﴿سَمَّاعُونَ لِقَومٍ ءَاخَرِيْنَ لَمْ يَأْتُوكَ﴾ أي قابلون لقول قوم آخرين من اليهود لم يحضروا عندك تكبّراً وبغضاً لك.

أو سماعون منك لأجلهم ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنَ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ﴾ يميلونه عن مواضعه بعد ان وضعه الله فيها، والجملة صفة أُخرى «لقوم»، أو خبر محذوف، أو استئناف لا محل له وكذا ﴿يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيْتُمْ هذا فَخُذُوهُ﴾ أي إن افتاكم محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم بهذا الحكم المحرّف فاقبلوه ﴿وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوهُ﴾ بل أفتاكم بخلافه ﴿فَاحْذَرُوْا﴾ ان تقبلوه.

قيل: زنى محصنان من «خيبر» فكرهوا رجمهما فبعثوا بهما الى «قريظة» ليسألوا النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم عنه، وقالوا: إن أمركم بالجلد فاقبلوا، وان أمركم بالرجم فلا، فأمرهم بالرجم فأبوا، فحكّم «ابن صوريا» بينه وبينهم، وأنشده الله: هل في كتابكم رجم من أُحصن؟، قال: نعم، فوثبوا عليه، فقال: خفت ان كذبته أن ينزل علينا العذاب، فأسلم فأمر النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم بالزانيين فرجما[1] ﴿وَمَنْ يُرِدِ اللهُ فِتْنَتَهُ﴾ خذلانه بتركه مفتوناً، أو عذابه ﴿فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللهِ﴾ فلن تستطيع له من

---

(١) قاله جماعة من المفسرين لرواية وردت عن ابي جعفر عليه السّلام فيه ـ كما في تفسير التبيان ٣: ٥٣٠هـ.

لطف الله أو من دفع أمره ﴿شَيْئًا أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ﴾ حيث اختاروا تدنيسها بالكفر، لعلمه بأن لطفه لا ينجع فيهم[1] ﴿لَهُمْ فِي الدُّنْيا خِزْيٌ﴾ ذلّ بالجزية والفضيحة ﴿وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ تخليدهم في النار. والضمير للفريقين أو لليهود.

[٤٢] ـ ﴿سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ﴾ كرر تأكيداً ﴿أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ﴾ للحرام كالرشا من «سحته» أي استأصله، لأنه مسحوت البركة. وقرأ «ابن كثير» و«أبو عمرو» و«الكسائي» بضمتين وهما لغتان ﴿فَإِنْ جَاءُوكَ﴾ متحاكمين اليك ﴿فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ خيرّ صلّى الله عليه وآله وسلّم بين الحكم والإعراض، وكذا الأئمة والحكام، وقيل: نسخ بآية ﴿وَأَنِ احكم بِيْنَهُم﴾[2] ﴿وَأَنْ تُعرِضْ عَنهُم فَلَنْ يَضرُّوك شَيْئًا﴾ لن يقدروا لك على ضرر: ﴿وان حَكَمْتَ فاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل ﴿إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ فيثيبهم.

[٤٣] ـ ﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرِيةُ فِيهَا حُكْمُ اللهِ﴾ تعجيب من تحكيمهم من لا يؤمنون به، مع أن الحكم منصوص في كتابهم، أي لم يقصدوا بتحكيمك معرفة الحق إذ لم يثقوا بك، وإنما طلبوا بتحكيمك الأهون عليهم و«فيها حكم الله» حال من «التوراة»، وهي مبتدأ، خبره: «عندهم» أو مرفوعة به، وتأنيثها لكونها نظيرة «موماة»[3] ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ﴾ عطف على «يحكّمونك» أي يعرضون عن حكمك الموافق لكتابهم ﴿مِنْ بَعْدِ ذلِكَ﴾ التحكيم ﴿وَمَا أُوْلَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ بكتابهم، أو بك وبه.

[٤٤] ـ ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَيةَ فِيهَا هُدًى﴾ الى الحق ﴿وَنُورٌ﴾ بيان للأحكام ﴿يَحْكُمُ

---

(١) النجع: التأثير، يقال: نجع فيه الدواء. او الكلام، اي: أثّر فيه.

(٢) قاله الحسن ومجاهد وعكرمة ـ كما في تفسير مجمع البيان ٢: ١٩٦ـ، والآية من هذه السورة/ ٤٩.

(٣) المومـاء والمومـاة: المفازة الواسعة الملساء، وقيل الفلاة التي لاماء بها ولاانيس بها ـ اقرب الموارد«موم».

بِهَا النَّبِيُّونَ﴾ من بني اسرائيل أو موسى ومن بعده فيما يتوافق فيه الشريعتان ﴿الَّذِينَ أَسْلَمُوْا﴾ صفة مادحة للنبيين، منوّهة بشأن المسلمين، معرّضة بأنّ اليهود بُعَداء من دين الأنبياء ﴿لِلَّذِينَ هَادُوْا﴾ متعلق بـ«يحكم» أي يحملونهم على أحكامها أو بـ«أنزل» ﴿وَالرَّبَّانِيُّونَ﴾ الكاملون علماً وعملاً، عطف على «النبيون» ﴿وَالأَحْبَارُ﴾ العلماء ﴿بِمَا اسْتُحْفِظُوا﴾ بسبب الذي كلفهم الله حفظه عن التبديل ﴿مِنْ كِتَابِ اللهِ﴾ بينان لـ«ما» ﴿وَكَانُوْا عَلَيْهِ شُهَداء﴾ أَنَّه حق، أو رقباء لئلا يبدل ﴿فَلاَ تَخْشَوُا النَّاسَ﴾ أيها الحكام في حكوماتكم أو أيها اليهود في إظهار الحق ﴿وَاخْشَوْنِ﴾ في الحكومة أو كتمان الحق ﴿وَلاَ تَشْتَرُوْا بِآيَاتِي﴾ ولا تستعيضوا بأحكامي ﴿ثَمَنًا قَلِيلاً﴾ رشوة أو جاهاً ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ﴾ استهانة به ﴿فَأُوْلئِكَ هُمُ الْكافِرُونَ﴾ لا ستهانتهم به، ووصفوا أيضاً بالظلم لحكمهم بخلافه، والفسق لخروجهم عنه.

والصفات الثلاثة قيل: عامة،[١] وقيل: في اليهود خاصة،[٢] وقيل: هذه في المسلمين، والظالمون في اليهود، والفاسقون في النصارى.[٣]

[٤٥] ـ ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا﴾ فرضنا على اليهود في التوراة ﴿أَنَّ النَّفْسَ﴾ تقتل ﴿بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالعَيْنِ وَالأَنْفَ بِالأَنِفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسّنِّ﴾ رفع «الكسائي» كلها[٤] عطفاً على محل اسم «إنّ» إذ المعنى: كتبنا عليهم النفس بالنفس والعين بالعين، إذ الكتب يقع على الجمل كالقول، أو استئنافاً، أي وكذا العين تفقأ بالعين، والأنف يجدع بالأنف، والأُذن تقطع بالأذن، والسنّ تقلع بالسنّ ﴿وَالْجُرُوحَ﴾ غير ما ذكر، أو الأعم. ورفعه «الكسائي» أيضاً و«ابن كثير» و«أبو عمرو»

---

(١) قاله ابن عباس والحسن وابراهيم ـ كما في تفسير مجمع البيان ٢: ١٩٨.

(٢) قاله الجبائي ـ كما في تفسير مجمع البيان ٢: ١٩٨.

(٣) قاله الشعبي ـ كما في تفسير التبيان ٣: ٥٢٩.

(٤) حجة القراءات: ٢٢٦.

و«ابن عامر»[1] لما مرّ ﴿قِصَاصٌ﴾ ذات قصاص إن امكن، وإلاّ فالأرش والحكم مقرّر في شرعنا أيضاً ﴿فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ﴾ بالقصاص، أي عفى عنه ﴿فَهُوَ﴾ فالتصدق ﴿كَفَّارَةٌ لَهُ﴾ للمتصدّق، يكفر الله به ذنوبه، وقيل: للجاني يسقط مالزمه[2] ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ﴾ من الأحكام ﴿فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾.

[٤٦] ـ ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَى ءَاثَارِهِمْ﴾ اتبعناهم. حذف المفعول لسد الظرف مسده. وهم النبيون ﴿بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ مفعول ثاني بتعدي الباء ﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ قبله ﴿مِنَ التَّوْرَيةِ وَءَاتَيْنَاهُ الإنْجِيْلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ﴾ حال ﴿وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَيةِ﴾ عطف عليه، وكذا ﴿وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ﴾ أو مفعول لهما لـ«آتيناه» مقدراً.

[٤٧] ـ ﴿وَلْيَحْكُمْ﴾ وقلنا ليحكم، ونصبه «حمزة»[3] وكسر لامه عطفاً على «هدًى» إن جعل مفعولاً له، وإلاّ علق بمحذوف، أي وليحكم ﴿أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فِيهِ﴾ آتيناه اياه ﴿ومَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فأُوْلئِكَ هُمُ الْفاسِقُونَ﴾ والآية تفيد إشتمال الإنجيل على الأحكام، واستقلال شرع عيسى عليه السّلام ونسخه اليهودية.

[٤٨] ـ ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ القرآن ﴿بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ﴾ من جنس الكتب السماوية ﴿وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ ورقيباً على سائر الكتب يشهد بصحتها ويحفظها عن التبديل ﴿فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ﴾ اليك ﴿وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ عادلاً ﴿عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ﴾ أو ضمن «لا تتبع» معنى «لا تزغ» فعدي بـ«عن» ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ﴾ أيها الأمم ﴿شِرْعَةً﴾ شريعة وهي طريق الماء. قيل للدين لأنه طريق الى ما به حياة الأبد ﴿وَمِنْهَاجًا﴾ طريقاً واضحاً من نهج أي

---

(١) حجة القراءات: ٢٢٥.

(٢) نقله البيضاوي في تفسيره ٢: ١٥٢.

(٣) حجة القراءات: ٢٢٧.

وضح . ويفيد أنّا غير متعبدين بشرائع من قبلنا ﴿وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ على دين واحد لم ينسخ أبداً ﴿وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِيمَا ءَاتاكُمْ﴾ من الشرائع المختلفة هل تقبلونها معتقدين ان اختلافها لمصالح بحسب الأحوال أو لا؟ ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ فابتدروها ﴿إِلَى اللهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾ استئناف يعلّل «فاستقوا» ﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ بالفصل بين محقكم ومبطلكم وبجزاء كلّ بعمله .

[٤٩] ـ ﴿وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ﴾ عطف على «الكتاب» أو «الحق» أي انزلنا الكتاب وان احكم أو انزلناه بالحق وبأن احكم ﴿وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ﴾ أن يضلّوك ، بدل اشتمال من «هم» أي احذر فتنتهم أو مفعول له أي احذرهم خشية أن يفتنوك ﴿عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللهُ إِلَيْكَ﴾ .

قيل : أرادت الأحبار خدعه صلّى الله عليه وآله وسلّم ، فقالوا : إن اتبعناك اتبعنا اليهود كلّهم وان بيننا وبين قومنا خصومة فاحكم لنا عليهم لنؤمن بك ، فأبى ، فنزلت[1] ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ عن الحكم المنزل وطلبوا غيره ﴿فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ﴾ أي بالتولّي عن حكم الله .

عبرّ عنه بذلك لتعظيمه بالإبهام ، وايذاناً بأن لهم ذنوباً جمة ، هذا العظيم من جملتها . ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ﴾ لمتمردون في الكفر.

[٥٠] ـ ﴿أَفَحُكْمَ الْجاهِلِيَّةِ﴾ الملة التي هي هوى وجهل ﴿يَبْغُونَ﴾ أي اليهود للمداهنة والميل وهم أهل كتاب وعلم ، أو كل من يطلب غير حكم الله ، وقرأ «ابن عامر» بالتاء .[2] أي قل لهم : افحكم الجاهلية تبغون ﴿وَمَنْ﴾ أي لا أحد ﴿أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ أي عندهم . واللام لبيان ، أي هذا الإستفهام

---

(١) رواه ابن اسحاق عن ابن عباس ـ كما في الجامع لأحكام القرآن ٦ : ٢١٣ .

(٢) حجة القراءات : ٢٢٨.

لقوم يوقنون فإنهم الذين يتبيّنون[1] أن لا أحسن حكماً من الله .

[٥١] ـ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ ءَامَنُوْا لاَ تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارى أَوْلِيَاءَ﴾ توادّونهم وتعتمدون عليهم ﴿بَعْضُهُمْ أَولياءُ بَعْضٍ﴾ علّة للنهي أي انما يوالي بعضهم بعضاً لاتحادهم في الكفر واجتماعهم على مضادّتكم ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ من جملتهم، تغليظ في وجوب مجانبتهم ﴿إِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي﴾ أي يخذل ﴿الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ لأنفسهم بموالاة الكفار.

[٥٢] ـ ﴿فَتَرى الَّذِيْنَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ شك، كإبن أُبيّ ﴿يُسَارِعُونَ فِيهِمْ﴾ أي في موالاتهم ﴿يَقُولُونَ﴾ ـ معتذرين عنها ـ: ﴿نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دائِرَةٌ﴾ دولة تدور للكفار فنحتاج اليهم.

قيل: قال عبادة بن الصامت للنبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم: ان لي موالي من اليهود كثيراً عددهم، واني أبرأ الى الله ورسوله من ولايتهم وأُوالي الله ورسوله. فقال ابن ابيّ: لا أبرأ من ولايتهم لأني أخاف الدوائر، فنزلت[2] ﴿فَعَسَى اللهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ﴾ بالنصر لرسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم على أعدائه ﴿أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ﴾ بقتل اليهود وأجلائهم أو بإظهار نفاق المنافقين وقتلهم ﴿فَيُصْبِحُوْا﴾ أي المنافقون ﴿عَلَى مَا أَسَرُّوْا فِي أَنْفُسِهِمْ﴾ من الشك في أمر النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم وموالاتهم اليهود ﴿نَادِمِيْنَ﴾ .

[٥٣] ـ ﴿وَيَقُولُ الَّذِيْنَ ءَامَنُوْا﴾ نصبه «ابن عامر»[3] عطفاً على «أن يأتي» بجعله بدلاً عن اسم «عسى» مغنياً عن الخبر، فكأنّه قيل: عسى أن يأتي الله بالفتح ويقول، ورفعه الباقون استئنافاً بواو ودونه مختلفين[4] ﴿أَهَؤُلاءِ الَّذِيْنَ أَقْسَمُوْا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ

(١) في «الف»: يثبتون.

(٢) قاله عطية بن سعد العوفي والزهري ـ كما في تفسير مجمع البيان ٢: ٢٠٦ـ.

(٣) تفسير مجمع البيان ٢: ٢٠٥.

(٤) حجة القراءات: ٢٢٩.

﴿إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ﴾ يقوله بعضهم لبعض تعجباً من حال المنافقين واغتباطاً بما وفقوا له من الإخلاص.

أو يقولونه لليهود إذ حلف لهم المنافقون بالنصرة، ونصبت «جهد» مصدراً أو حالاً، أي حلفوا يجتهدون جهد أيمانهم، أي أغلظها، فحذف الفعل ونابه المصدر فجاز تعريفها ﴿حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾ من المقول أو قول الله تعالى، أي بطلت أعمالهم التي تكلفوها رياءً ﴿فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ﴾ للدارين.

[٥٤] - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ ءَامَنُوْا مَنْ يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَنْ دِيْنِهِ﴾ أدغمه من عدا «نافع» و«ابن عامر»[١] ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ﴾ بدلهم ﴿يُحِبُّهُمْ﴾ يوفّقهم لرضاه ويحسن ثوابهم ﴿وَيُحِبُّونَهُ﴾ يطيعونه ولا يعصونه ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ عاطفين عليهم بتذلل جمع ذليل، ودخول «على» لتضمين معنى العطف، أو للتنبيه على أنهم مع فضلهم وعلوّهم على المؤمنين، متواضعون لهم ﴿أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِيْنَ﴾ أشداء عليهم من «عَزَّه» أي: غلبه ﴿يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ﴾ صفة لقوم أيضاً أو حال عن فاعل «أعز» ﴿وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾ عطف على «يجاهدون» أي جامعون بين المجاهدة في سبيله والتصلّب في دينه أو حال وفي «لومة» وهي المرة من اللوم مبالغة كتنكير «لائم» ﴿ذلِكَ﴾ المذكور من الأوصاف ﴿فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ﴾ يوفّق له ﴿مَنْ يَشَاءُ﴾ ممن يعلمه أهلاً له ﴿وَاللهُ وَاسِعٌ﴾ كثير الفضل ﴿عَلِيمٌ﴾ بمن يستحقه والموصوف بهذه الصفات قيل: هم أهل اليمن[٢] وقيل: هم الفرس[٣] وقيل: الأنصار.[٤]

والأصح ما روى عن أهل البيت عليهم‌السلام وعمار وحذيفة وابن عباس: أنها في

(١) حجة القراءات: ٢٣٠.

(٢) قاله مجاهد ـ كما في تفسير مجمع البيان ٢: ٢٠٨.

(٣) نقله الطبرسي في تفسير مجمع البيان ٢: ٢٠٨.

(٤) قاله السدي ـ كما في تفسير مجمع البيان ٢: ٢٠٨.

علي عليه السّلام وأصحابه[١] وقتالهم للمرتدين بعد الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم من الناكثين والقاسطين والمارقين إذ اتصافه عليه السّلام بكلّ من هذه الصفات معلوم للمخالف والمؤالف، فالمحبة يشهد له بها ماتواتر من خبر الراية والطائر وغيرهما، ولينه للمؤمنين وشدته على الكافرين وجهاده للمتمردين وتصلّبه في الدين لا ينكره أحد من أعدائه فضلاً عن مواليه.

وعنه عليه السّلام انه قال يوم البصرة: «والله ما قوتل أهل هذه الآية حتى اليوم... وتلا هذه الآية».[٢]

وروى علي بن ابراهيم: أنها في المهدي عليه السّلام واصحابه[٣] ويعضده لفظة «سوف».

[٥٥] ـ ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ﴾[٤] الاولى بكم والمتولي اموركم ﴿اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ وافرد الولي إيذاناً بأنْ الولاية لله أصالة ولرسوله ومن ينوبه تبعاً ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصّلوة وَيُؤْتُونَ الزَّكَوةَ﴾ صفة لـ«الذين» أو بدل عنه أو منصوب على المدح ﴿وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ حال من فاعل «يؤتون»، أي يؤتون الزكاة في حال ركوعهم في الصلاة. وجعلها للفعلين على إرادة وهم متخشّعون في صلاتهم وزكاتهم يأباه إطباق المفسرين على نزول الآية في علي عليه السّلام حين سأل سائل وهو راكع في صلاته فأومأ إليه بخنصره، فأخذ خاتمه منها وهو المروي عن أهل البيت عليهم السّلام فهي نص في امامته عليه السّلام ونفي إمامة من تقدّمه؛ لحصر الولاية في الله ورسوله والمؤمنين الموصوفين بالأوصاف ولم يتصف بها أحد منهم سواه بالإجماع؛

(١) تفسير مجمع البيان ٢: ٢٠٨.

(٢) تفسير القمي ١: ١٧٠.

(٣) ورد في هامش الأصل ـ هنا ـ مايلي: نصّ على امامة علي عليه السّلام.

(٤) تفسير مجمع البيان ٢: ٢١٠ وتفسير البرهان ١: ٤٧٩.

فـانحصرت الإمامة فيه.

وعبّر عنه بالجمع تعظيماً، والحصر اضافي بالنسبة الى من عدا الأئمة من ولده عليه السّلام أو لوقوع مثل هذا الفعل من كل منهم عليهم السّلام فالحصر حقيقي.

وظاهـر الآية ثبوت الـولاية لله ورسولـه وله بالفعـل في الحال لكن امتنـاع اجتماع تصرف النائب والمنوب عادة وعـرفاً صرف عنه في حقه عليه السّلام فحملت على ولايته في المآل أو على كمال استعداده لها في الحال وترتب آثارها عليها في المآل وحصرها بمن لـه الصفـات يأبى حملهـا على النصـرة لعمـومها لكـل المؤمنيـن ﴿والمؤمنـون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض﴾[1] فلا عبرة بمناسبتها لما قبل وبعد.

[٥٦] ـ ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِيْنَ ءَامَنُوا﴾ ومن يتخذهم أولياء ﴿فَإِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْغالِبُونَ﴾ وضع مـوضع فـإنهم ايـذاناً بـأنهم حـزبه أي ابتـاعـه تفخيماً لشـأنهم وتعريضاً باضدادهم بأنهم حزب الشيطان.

[٥٧] ـ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا الَّذِيْنَ اتَّخَذُوْا دِيْنَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِنَ﴾ بيانية ﴿الَّذِيْنَ أُوتُوا الْكِتَـابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ﴾ جره «أبـو عمرو» و«الكسائي» عطفـاً على «الذين اوتـوا» ونصبه الباقون عطفاً على «الـذين اتّخذوا»[2] ﴿أَوْلِيَاءَ﴾ ثاني مفعولى، «تتخذوا» ﴿وَاتَّقُوْا اللهَ﴾ في مناهيه ﴿إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ إذ مقتضى الإيمان حقاً معاداة من يطعن فيه لاموالاته.

[٥٨] ـ ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ﴾ بالأذان ﴿إِلَى الصَّلٰوةِ اتَّخَذُوهَا﴾ أي الصلاة أو المناداة ﴿هُزُواً وَلَعِباً﴾ سخرية وضحكة ويفيد مشروعية الاذان.

قيل: كان نصراني إذا سمع قول المؤذن أشهد أن محمداً رسول الله، قال: أحرق الله الكاذب، فـدخل خادمه بنـار ليلة وهـو نائـم فتطـاير شرر فـي البـيت فاحـرقه

---

(١) سورة التوبة: ٩/ ٧١.

(٢) حجة القراءات: ٢٣٠.

وأهله[١] ﴿ذَلِكَ﴾ الإتخاذ ﴿بِأَنَّهُمْ﴾ بسبب انهم ﴿قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ إذ خالفوا قضية العقل المانعة من الهزء بالحق.

[٥٩] ـ ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقِمُونَ﴾ تنكرون ﴿مِنَّا إِلَّا أَنْ ءَامَنَّا باللهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا﴾ من القرآن ﴿وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ﴾ الى الأنبياء ﴿وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ﴾ عطف على «أن آمنا» أي ما تنكرون منّا إلاّ مخالفتكم إذ دخلنا الإيمان وانتم خارجون منه، فالمستثنى لازم الأمرين وهو المخالفة. أو: بحذف مضاف، أي: واعتقاد ان أكثركم. أو: على المجرور أي ما تنقمون منّا إلاّ ايماننا بالله وبما انزل وبـ«أَنَّ أكثركم فاسقون» خطاب لليهود، قالوا للنبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم بمن تؤمن؟ قال: «بالله وما أنزل الينا» الآية، فقالوا ـ حين ذكر عيسى ـ لانعلم ديناً شرّاً من دينكم.

[٦٠] ـ ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ﴾ المنقول ﴿مَثُوبَةً عِنْدَ اللهِ﴾ ووضعها موضع العقوبة كأنه للتهكم ونصبت تمييزاً ﴿مَنْ لَعَنَهُ اللهُ﴾ أبعده من رحمته و«مَنْ» بدل من «شرّ» بحذف مضاف أي بشرٍّ مِنْ أَهْل ذلك مَنْ لعنه أو: بشرٍّ من ذلك دينُ من لعنه الله، أو خبر محذوف أي هو من لعنه الله ﴿وَغَضِبَ عَلَيْهِ﴾ لكفره ﴿وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ﴾ مسخ أصحاب السبت قردة وكفار مائدة عيسى خنازير.[٢]

وقيل: المسخان في أهل السبت، مسخ شبانهم قردة وشيوخهم خنازير وروعي في «منهم» معنى «مَنْ» وفي ما قبلها لفظها ﴿وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾ الشيطان بطاعته أو العجل، وضم «حمزة» «الباء» وجرّ «التاء»، على انه وصف كحذر بالضم عطفاً على «القردة»، والمعنى: انه خذلهم حتى عبدوها، وفتح الباقون «الباء» ونصبوا «التاء» عطفاً على صلة «من»[٣] ﴿أُولَئِكَ﴾ الملعونون ﴿شَرٌّ مَكَانًا﴾ تمييز. كنّى عن شرارتهم

(١) قاله السدي ـ كما في تفسير مجمع البيان ٢: ٢١٣.
(٢) قاله ابن عباس ـ كما في تفسير مجمع البيان ٢: ٢١٦.
(٣) حجة القراءات: ٢٣١.

بشرارة مكـانهم وهو «سقر» لأنـه ابلغ ﴿وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيْلِ﴾ الطريق المستقيم والمراد بشرّ وأضلّ وصفهم بالشرارة والضلال لا معنى التفضيل.

[٦١] ـ ﴿وَإِذَا جَاءُوكُم﴾ أي منـافقو اليهـود ﴿قَالُوا ءَامَنَّا وَقَدْ دَخَلُوْا﴾ اليك متلبسين ﴿بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا﴾ من عندك متلبسين ﴿بِهِ﴾ ولم يؤثّر فيهم وعظك. والجملتان حالان من فاعل «قالوا» ﴿وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ﴾ من الكفر.

[٦٢] ـ ﴿وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ﴾ من اليهود ﴿يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمْ﴾ الكذب أو الكفر ﴿وَالْعُدْوَانِ﴾ تعدّي حـدود الله ﴿وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ﴾ الحرام، كالرشا ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ لبئس شيء أو: الذي عملوه.

[٦٣] ـ ﴿لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ﴾ تحضيض لعلمائهـم على النّهي ﴿عَنْ قَوْلِهِمُ الإِثْمَ﴾ الكذب ﴿وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ ذمّ علماءهم على ترك نهيهم بأبلغ من ذمّهم من حيث ان العمل انّما يسمّى صنعاً بعد التدرّب فيه فيفيد ان ترك انكار المعصية أقبح من ارتكابها.

[٦٤] ـ ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ﴾ مقبوضة عن الـرزق حين قتـره عليهم بتكذيبهم النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم بعد بسطه لهم والقـائل «فيحاص» وأشرك الآخرون لرضاهم بقوله.

وغل اليـد وبسطها مجـاز عن البخل والجـود ﴿غُلَّتْ أَيْدِيْهِمْ وَلُعِنُوْا بِمَا قَالُوْا﴾ دعاء عليهم بـالبخل أو بغل الأيدي حقيقـة بإغلال الأسر فـي الدنيا وأغـلال النار في الآخرة. والطّباق باللفـظ ورعاية الأصل ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ في تثنية اليـد أبلغ ردٍ لإفادتها اثبات غايـة الجود إذ غاية ما يبذله الجواد من مالـه أن يعطيه بيديه واشارة الى منح الدارين ﴿يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ من توسيع وتضييق على مقتضى حكمته وهو تأكيد لوصفه بالجود ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْـزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ أي يزدادون عنـد نزول القرآن لحسدهم ﴿طُغْيَانًا﴾ تمادياً في الجحود ﴿وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ

﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيٰمَةِ﴾ فكلهم مختلف وقلوبهم شتى ﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوْا نَاراً لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللهُ﴾ كلّما أرادوا حرب النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم ردهم الله و«للحرب» صلة «أوقدوا» أو صفة «ناراً» ﴿وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا﴾ أي للفساد باجتهادهم في المعاصي ﴿وَاللهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ أي يعاقبهم.

[٦٥] ـ ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ ءامَنُوا﴾ بمحمد صلّى الله عليه وآله وسلّم ﴿وَاتَّقَوا﴾ الكفر ﴿لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ غفرناها لهم ﴿وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيْمِ﴾ مع من آمن.

[٦٦] ـ ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوْا التَّوْرَيةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ عملوا بما فيهما ﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ من ساير كتبه أو القرآن ﴿لَأَكَلُوْا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ لوسّع عليهم الرزق بإفاضته من كلّ جهة أو بإنزال بركات السماء والأرض عليهم ﴿مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ﴾ معتدلة، لم يغالوا ولم يقصروا، وهم من آمن بالرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم ﴿وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾ بئس عملهم أو شيء أو الذي عملونه.

[٦٧] ـ ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ جميعه، لا تكتم شيئاً منه خوف أحد ﴿وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ﴾ فإن لم تبلغ جميعه ﴿فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ وجمعها «نافع» و«ابن عامر» و«أبو بكر»(١) أي فكأنك لم تؤد شيئاً منها إذ كتمان بعضها ككتمان كلّها في استحقاق العقاب ﴿وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ يضمن لك العصمة منهم أن يقتلوك فما عذرك؟.

وعن أهل البيت عليهم السّلام و«ابن عباس» و«جابر»: ان الله تعالى أوحى الى نبيه صلّى الله عليه وآله وسلّم أن يستخلف علياً عليه السّلام، فكان يخاف أن يشق ذلك على جماعة من أصحابه، فأنزل الآية تشجيعاً له فأخذ بيده فقال: الست أولى بكم من أنفسكم: قالوا: بلى قال: من كنت مولاه فعلي مولاه(٢) ﴿إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾

---

(١) اي قرأوها: «رسالاته» ينظر حجة القراءات: ٢٣٢.

(٢) تفسير مجمع البيان ٢: ٢٢٣ وجوامع الجامع ١: ٣٤٢.

لايمكنهم منك.

[٦٨] - ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ﴾ يعتد به من الدين ﴿حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَيةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ من الكتب بالعمل بما فيها، ومنه الإيمان بي واتباع ديني ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلاَ تأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِيْنَ﴾ فلا تحزن عليهم لإزديادهم طغياناً وكفراً، لعود ضرره عليهم.

[٦٩] - ﴿إِنَّ الَّذِيْنَ ءَامَنُوا وَالَّذِيْنَ هَادُوْا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى﴾ فسّر في البقرة[١] و«الصابئون» مبتدأ نوي تأخيره وحذف خبره لدلالة خبر «انّ» عليه أي والصابئون كذلك فهو كاعتراض، يفيد أن الصابئين مع وضوح ضلالهم يتاب عليهم ان صح ايمانهم وصلح عملهم فغيرهم أوليد، ولم يعطف على محل اسم «انّ» لعدم مضي خبرها ﴿مَنْ ءَامَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ مبتدأ خبره ﴿فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ والجملة خبر «أن» والرابط محذوف أي من آمن منهم أو خبرها «فلا خوف» و«من آمن» بدل من اسمها وما عطف عليه.

[٧٠] - ﴿لَقَدْ أَخَذْنا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ بالتّوحيد واتّباع الرّسل ﴿وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلاً﴾ لإرشادهم ﴿كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ﴾ منهم ﴿بِمَا لاَ تَهْوَى﴾ لا تحبه ﴿أَنْفُسُهُمْ﴾ من التكاليف ﴿فَرِيقًا كَذَّبُوْا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾ جزاء الشرط أو استيناف، دل عليه، والشرطية صفة «رسلاً» وجيء بالمضارع حكاية للحال الماضية لتستحضر فضاعتها وللفاصلة.[٢]

[٧١] - ﴿وَحَسِبُوا أَلاَّ تَكُونَ﴾ بالنصب ورفعه «أبوعمرو» و«حمزة» و«الكسائي»[٣] على «أن» مخففة [من] الثقيلة، أي وظنوا أن لا تقع ﴿فِتْنَةٌ﴾ عقاب لهم بتكذيب

(١) سورة البقرة٢/ ٦٢.

(٢) في «ط»: وللصلة.

(٣) حجة القراءات: ٢٣٣.

الرّسل وقتلهم، ونابت «ان» وما في حيزها مفعول «حسب» ﴿فَعَمُوْا﴾ عن محجة الحق ﴿وَصَمُّوا﴾ عن استماع حججه إذ عبدوا العجل ﴿ثُمَّ تَابَ اللهُ عَلَيْهِمْ﴾ لما تابوا ﴿ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوْا﴾ أيضاً بطلبهم المحال أي الرؤية أو عن الإسلام، والضمير لخلفهم ﴿كَثِيرٌ مِنْهُمْ﴾ بدل من الواو أو خبر محذوف أي أولئك كثير منهم ﴿وَاللهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ فيؤاخذهم به.

[٧٢] ـ ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِيْنَ قَالُوْا إِنَّ اللهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ هم «اليعقوبية» القائلون بالإتحاد ﴿وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرائيل اعْبُدُوا اللهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾ فانّي لست بإله بل عبد مربوب مثلكم ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ﴾ في عبادته غيره ﴿فَقَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ﴾ منعه منها منع المحرم عليه من المحرم ﴿وَمَأْوَاهُ النَّارُ﴾ لا معدل له عنها ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ أي مالهم من نصار ممّا هم فيه.

وعبرّ بالظاهر ايذاناً بأنهم ظلموا بإشراكهم وهو من قول عيسى أو كلام الله.

[٧٣] ـ ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِيْنَ قَالُوْا إِنَّ اللهَ ثَالِثُ﴾ آلهة ﴿ثَلٰثَةٍ﴾ أي أحدها والآخران عيسى وأمه، وهم «الملكانية» أو «الإسرائيلية» ويشمل قول «النسطورية» بالأقانيم الثلاثة أيضاً ان صح عنهم ﴿وَمَا﴾ في الوجود ﴿مِنْ إِلهٍ إِلاَّ إِلهٌ وَاحِدٌ﴾ لا ثاني له، و«من» زيدت للإستغراق ﴿وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوْا عَمَّا يَقُولُونَ﴾ من التثليث ويوحّدوا ﴿لَيَمَسَّنَّ الَّذِيْنَ كَفَرُوا مِنْهُمْ﴾ «من» للبيان، وعدل عن «ليمسنهم» تكريراً للشهادة بكفرهم، أو للتبعيض أي ليمسن الذين بقوا منهم على الكفر ـ لأن منهم من تاب ـ ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم.

[٧٤] ـ ﴿أَفَلاَ يَتُوبُونَ إِلَى اللهِ﴾ ممّا هم عليه ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَهُ﴾ ويوحّدونه بعد هذا التهديد. وفيه تعجيب من إصرارهم ﴿وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ يغفر لهم، وينعم عليهم إن تابوا.

[٧٥] ـ ﴿مَاالْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ﴾ مضت ﴿مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾

فهو مثلهم، أتى بآيات من الله كما أتوا بها، وليس بإله ﴿وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ﴾ كبعض النساء المصدقات للأنبياء، أو الملازمات للصدق، بيّن غاية كمالهما، وأنه لا يوجب إلهيتهما، لمشاركة كثير لهما فيه، ثم بيّن نقصهما المنافي للألوهية بقوله ﴿كَانَا يَأْكُلاَنِ الطَّعَامَ﴾ ويحتاجان اليه كالحيوانات المركبّة المصنوعة ﴿انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ﴾ الدالة على بطلان قولهم ﴿ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ كيف يصرفون عن تدبرها. و«ثمّ» لتفاوت ما بين العجبين، أي ان بياننا للآيات عجيب وإعراضهم عنها أعجب.

[٧٦] ـ ﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مَالا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلاَ نَفْعًا﴾ هو «عيسى» أي لا يملك مثل ما يضر الله به من المحن، وما ينفع به من المنح، وتقديم الضّر يعطى أن الخوف أدعى الى الطاعة من الرجاء، إذ دفع الضرّ أهم من جلب النفع ﴿وَاللهُ هُوَ السَّمِيْعُ﴾ للأقوال ﴿الْعَلِيْمُ﴾ بالأحوال.

[٧٧] ـ ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُوا﴾ لا تجاوزوا الحدّ ﴿فِي دِيْنِكُمْ﴾ غلوّاً ﴿غَيْرَ الْحَقِّ﴾ فترفعوا «عيسى» وتجعلوه إلهاً، أو تضعوه وتجعلوه لغير رشدة أو خطاب للنصارى فقط ﴿وَلاَ تَتَّبِعُوْا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا﴾ عن الحق وهم أسلافهم ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ قبل بعث محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم ﴿وَأَضَلُّوْا كَثِيرًا﴾ تبعهم في ضلالهم ﴿وَضَلُّوا﴾ حين بعث صلّى الله عليه وآله وسلّم فكذبوه ﴿عَنْ سَوَاءِ السَّبِيْلِ﴾ الطريق المستقيم، أي الإسلام.

[٧٨] ـ ﴿لُعِنَ الَّذِيْنَ كَفَرُوا مِنْ بَنِى إِسْرَائِيلَ عَلى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ لعن داود أهل «أيلة» حين اعتدوا في السبت، فمسخوا قردة، ولعن عيسى أصحاب المائدة حين كفروا، فمسخوا خنازير ﴿ذَلِكَ﴾ اللعن ﴿بِمَا عَصَوْا وَكَانُواْ يَعْتَدُونَ﴾ بسبب عصيانهم واعتدائهم.

[٧٩] ـ ﴿كَانُوا لاَيَتَنَاهَوْنَ﴾ لاينهى بعضهم بعضاً، أو لا ينتهون ﴿عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ﴾ عن معاودته، أو عن مثله ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوْا يَفْعَلُونَ﴾ قسم مؤكد لذم فعلهم.

[٨٠] ـ ﴿تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يوالون المشركين بغضاً لك ﴿لَبِئْسَ مَا﴾ أي شيئاً ﴿قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ﴾ من الزاد لمعادهم ﴿أَنْ سَخِطَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خالِدُونَ﴾ هو المخصوص بالذّم أي: موجب سخط الله وعذابه.

[٨١] ـ ﴿وَلَوْ كَانُوْا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالنَّبِيِّ﴾ محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم أو موسى عليه السّلام ﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ﴾ القرآن أو التوراة ﴿مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ لمنع الإيمان ذلك ﴿وَلَكِنَّ كَثيرًا مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ خارجون عن الإيمان.

[٨٢] ـ ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِيْنَ ءَامَنُوْا الْيَهُودَ وَالَّذِيْنَ أَشْرَكُوْا﴾ لتضاعف كفرهم وفرط بغضهم للحق وحسدهم للنبي صلّى الله عليه وآله وسلّم ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوْا الَّذِيْنَ قَالُوْا إِنَّا نَصَارى﴾ لسهولة ارعوائهم،[1] وميلهم الى الإسلام ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ﴾ بسبب ﴿مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا﴾ علماء وعبّاداً ﴿وَأَنَّهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ عن اتباع الحق أو يتواضعون.

قيل: هم النجاشي وأصحابه، هاجر اليهم جعفر بن أبي طالب وأصحابه، ووصف لهم النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم ودينه وتلا عليهم سورة «مريم» فآمنوا.[2]

[٨٣] ـ ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ﴾ من القرآن ﴿تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ﴾ لرقة قلوبهم ﴿مِمَّا﴾ «من» للإبتداء ﴿عَرَفُوْا مِنَ الْحَقِّ﴾ «من» للبيان أو للتبعيض، ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَامَنَّا﴾ بنبيّك وكتابك ﴿فَاكْتُبْنا مَعَ الشّاهِدِينَ﴾ ممّن شهدوا بنبوّته، أو من أمته الشاهدين على الأُمم يوم القيامة.

[٨٤] ـ ﴿وَمَا لَنَا لاَ نُؤْمِنُ بِاللهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ﴾ انكار لانتفاء الإيمان مع وجود موجبه وهو الطمع في دخولهم مدخل الصالحين، أو جواب قائل: «لِمَ آمَنْتُمْ؟» و«لا نؤمن» حال من الضمير، والعامل

---

(١) ارعوى الرجل عن القبيح أو الجهل ارعواءً: كفي عنه ورجح.

(٢) قاله ابن عباس وسعيد بن جبير والسدي ـ كما في تفسير مجمع البيان ٣: ٥٩٩.

معنى الفعل في اللام، أي أيّ شيء حصل لنا غير مؤمنين. «ونطمع» عطف على «نؤمن» أو حال عن فاعله.

[٨٥] ـ ﴿فَأَثَابَهُمُ اللهُ بِمَا قالُوا﴾ بما وحدوا بإخلاص ﴿جَنَّاتٍ تَجْري مِنْ تَحْتِهَا الْأَنهارُ خَالِدينَ فِيهَا وَذلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾ الموحدين.

[٨٦] ـ ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُوْلئِكَ أَصْحابُ الْجَحِيمِ﴾ في ذكر حال المصدقين بالآيات، وتعقيبه بحال المكذبين بها ترغيب وترهيب.

[٨٧] ـ ﴿يا أَيُّهَا الَّذِيْنَ ءَامَنُوْا لا تُحَرِّمُوْا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللهُ لَكُمْ﴾ مستلذاته.

قيل: وصف النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم القيامة فبالغ، فهمَّ قوم من الصحابه أن يلازموا الصوم والقيام، ويجانبوا الفرش والنساء واللحم، ويسيحوا في الأرض فبلغ ذلك النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم فقال لهم:

«اني لم أؤمر بذلك. إن لأنفسكم عليكم حقاً، فإني أقوم وأنام واصوم وأفطر، وآكل اللحم، وآتي النساء، فمن رغب عن سنّتي فليس مني» فنزلت[1] ﴿وَلاَ تَعْتَدُوْا﴾ حدود الله بتحريم ما أحل، أو حدود ما أحلّ الى ما حرّم، ففيها نهي عن تحليل ما حرّم وتحريم ما أحل ﴿إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ يريد عقابهم.

[٨٨] ـ ﴿وَكُلُوْا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ حَلاَلاً﴾ صفة مصدر محذوف، أو حال من «ما» مبينة لا مقيدة، إذ الرزق كلّه حلال وفائدتها أن الحلال لا معنى لا جتنابه، وكذا ﴿طَيِّبًا﴾ أي طاهراً من كلّ شبهة، أو مستلذاً. وقيّد به لميل النفس اليه ﴿وَاتَّقُوْا اللهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾.

[٨٩] ـ ﴿لاَ يُؤَاخِذُكُمُ اللهُ بِاللَّغْوِ﴾ الكائن أو كائناً ﴿فِي أَيْمَانِكُمْ﴾ هو الحلف بلا قصد: كلا والله، وبلى والله، أو على ماظنّ أنّه كذلك ولم يكن، أي لا يؤخذكم به بعقاب ولا كفارة ﴿وَلكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُّم﴾ وثقتم ﴿الأَيْمَانَ﴾ عليه بالقصد

(١) تفسير مجمع البيان ٢: ٢٣٠. وتفسير البيضاوي ٢: ١٦٥ـ١٦٦.

إذاحنثتم، أو بنكث ما عقدتم، وخففه «حمزة» و«الكسائي». وقرأ «ابن عامر» عاقدتم بمعنى عقدتم[١] ﴿فَكَفَّارَتُهُ﴾ فكفارة نكثه التي تذهب إثمه ولا تجزي قبله ـ وظهوره من الآية ممنوع ـ ﴿إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ﴾ مؤمنين. لكلّ مسكين مدّ، وقيل: مدّان[٢] ولا يجزي دفع طعامهم الى واحد ﴿مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ﴾ منه ﴿أَهْلِيكُمْ﴾ من أقصده في النوع لا أدناه، ويجزي الأعلى. وهو صفة مفعول محذوف تقديره أن تطعموا عشرة مساكين من أوسط.

قيل قرأ الباقر عليه السّلام «أهاليكم» بتسكين الياء،[٣] جمع أهل كـ«أراضي» جمع أرض ﴿أَوْ كِسْوَتُهُمْ﴾ عطف على« إطعام»، وهو مسماها كثوب يواري العورة وقيل: ثوبان[٤] ﴿أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ إعتاقها. وظاهره إجزاء كل رقبة.

ومنّا من اشترط ايمانهم.[٥] و«أو» للتخيير فالواجب إحدى الخصال الثلاث مطلقاً، والتعيين للمكفر ﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ﴾ شيئاً منها ﴿فَصِيَامُ﴾ فكفارته صيام ﴿ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ﴾ متتابعة عندنا، ويؤيده قراءة متتابعات، واختلف العامة [فيه][٦] ﴿ذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ﴾ وحنثتم ﴿وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾ أن تنكثوها مالم تروا خيراً من المحلوف عليه ﴿كَذَٰلِكَ﴾ البيان ﴿يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ﴾ دلائله وأحكامه ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ نعمه التي منها تعليمكم.

[٩٠] ـ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ﴾ الشراب المسكر ﴿وَالْمَيْسِرُ﴾ القمار ﴿وَالْأَنْصَابُ﴾ الأصنام المنصوبة للعبادة ﴿وَالْأَزْلَامُ﴾ قداح الإستقسام ﴿رِجْسٌ﴾ قذر

---

(١) حجة القراءات: ٢٣٤ ـ ٢٣٥.

(٢) نقله الطوسي عن علي عليه السّلام وابراهيم وسعيد بن جبير وغيرهم ينظر تفسير التبيان ٤: ١٣.

(٣) تفسير مجمع البيان ٢: ٢٣٧ وجوامع الجامع ١: ٣٥٠.

(٤) نقله الشيخ الطوسي عن اصحابنا انظر تفسير التبيان ٣: ١٣.

(٥) وهما السيد المرتضى والعلامة الحلي ـ كما ورد في كتاب الكفارات من المختلف.

(٦) زيادة اقتضاها السياق.

خبيث، خبر لـ«الخمر» دال على خبر المعطوفات، أو لمضاف محذوف أي تعاطي الخمر والميسر ﴿مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾ لأنه بتزيينه ﴿فَاجْتَنِبُوهُ﴾ أي: الرجس.

أو: التعاطي ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ باجتنابه.

إكّد تحريم الخمر والميسر بحصرهما في الرجس، وقرنهما بالأصنام والأزلام، وجعلهما من عمل الشيطان والأمر باجتنابهما وجعله من الفلاح وبيان مفاسدهما في الدنيا والدين بقوله:

[٩١] ـ ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾ بتزيينه لكم، تعاطيهما المثير للشر والفتن، وأفراد بالتكرير لانهما المقصود بالذكر، وذكر الانصاب والأزلام، لـلاعلام باستواء الكل في الإثم ﴿وَيَصُدَّكُمْ﴾ بأن يشغلكم بهما ﴿عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَعَنِ الصَّلٰوةِ﴾ خصت بالذكر لفضلها ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ عنهما بعد بيان ما فيهما من الصوارف، وهو أبلغ من «فانتهوا».

[٩٢] ـ ﴿وَأَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا﴾ عصيانهما ﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾ عن الطاعة ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ ولا يضره تولّيكم وإنما يضرّكم.

[٩٣] ـ ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا﴾ من الحلال ﴿إِذَا مَا اتَّقَوْا﴾ المحرّم ﴿وَءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ وثبتوا على الإيمان والعمل الصالح ﴿ثُمَّ اتَّقَوْا وَءَامَنُوا﴾ ثبتوا على التقوى والإيمان ﴿ثُمَّ اتَّقَوْا﴾ ثبتوا على اتقاء المعاصي ﴿وَأَحْسَنُوا﴾ عملهم.

قيل: لما نزل تحريم الخمر قالت الصحابة للنبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم: كيف بإخواننا الذين ماتوا وهم يشربون الخمر ويأكلون الميسر؟ فنزلت.[1]

وقيل: في الذين تعاهدوا على ترك الطيبات[2] ﴿وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾

(١) قاله ابن عباس وابن مالك وغيرهما ـ كما في تفسير التبيان ٤: ٢٠.

(٢) نقله الطبرسي في تفسير مجمع البيان ٢: ٢٤٠.

يثيبهم ويكرمهم .

[٩٤] ـ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ ءَامَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللهُ بِشَيءٍ مِنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ﴾ ابتلاهم به «عام الحديبية» فكان يغشاهم في رحالهم بحيث يتمكنون من صيد صغاره بأيديهم، وكباره برماحهم وهم محرمون ﴿لِيَعْلَمَ اللهُ مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ﴾ ليتميز من يخاف عقابه غائباً في الآخرة فيجتنب الصيد ممن لا يخافه، فيقدم عليه ﴿فَمَنِ اعْتَدَى﴾ فصاد ﴿بَعْدَ ذَلِكَ﴾ الابتلاء ﴿فَلَهُ عَذابٌ أَلِيْمٌ﴾ وفي إبهامه تشديد لحال الصيد .

[٩٥] ـ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ ءَامَنُوْا لاَ تَقْتُلُوا الصَّيْدَ﴾ المحلل، وبعض المحرم كالثعلب والأرنب والضب واليربوع والقنفذ والقمل ﴿وَأَنْتُمْ حُرُمٌ﴾ جمع حرام بمعنى محرم ﴿وَمَنْ قَتَلَهُ مِنكُمْ مُتَعَمِّدًا﴾ ذاكراً للإحرام والحرمة، ومثله الناسي والمخطىء وذكر المتعمد لنزولها فيه، وهو «أبو اليسر» قتل حمار وحش برمحه مُحرِماً ﴿فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ﴾ رفعهما الكوفيون،[١] أي فعليه جزاء يماثل ما قتله ﴿مِنَ النَّعَمِ﴾ صفة جزاء، ولا يتعلق به، واضافه الباقون الى «مثل» ويتعلق به «من النعم» أي فعليه أن يجزي منها مثل ما قتله .

والمماثلة عند «أبي حنيفة» باعتبار القيمة، وعندنا باعتبار الخلقة كالشافعي، والأظهر رجوعها الى النّص، وفيما لا نص فيه قيمته[٢] ﴿يَحْكُمُ بِهِ﴾ بالمثل، صفة له، أو لجزاء ﴿ذَوَا عَدْلٍ مِنكُمْ﴾ مسلمانِ عادلان فقيهان يعرفان المماثل في الخلقة .

وقرأ الصادقان عليهما السلام: «ذو عدل» وفسراه بالإمام[٣] ﴿هَدْيًا﴾ حال من الهاء في «به» أو من «جزاء» ﴿بَالِغَ الْكَعْبَةِ﴾ صفة «هدياً» إذ إضافته لفظية .

---

(١) تفسير مجمع البيان ٢ : ٢٤٢.

(٢) في «ط» : يرجع الى قيمته .

(٣) جوامع الجامع ١ : ٣٥٣.

قيل: بلوغه الكعبة ذبحه في الحرم،[١] والتصدق به.

وعندنا ذبحه بفناء الكعبة في الحزورة،[٢] والتصدق به فيها للمعتمر، وبـ«منى» كذلك للحاج ﴿أَوْ كَفَّارَةٌ﴾ عطف على جزاء ﴿طَعَامُ مَسَاكِينَ﴾ عطف بيان، أو خبر محذوف. وأضاف «نافع» و«ابن عامر» «كفارة» إضافة بيان[٣] كـ«باب ساج» والمعنى أو ان يكفر بإطعام مساكين طعاماً[٤] يساوي قيمة الهدي، لكل مسكين مدّ أو مدّان، على الخلاف.[٥] وله ما زاد على الستين ولا يكمل الناقص ﴿أَوْ عَدْلُ﴾ أو مساوي ﴿ذَلِكَ﴾ الطعام ﴿صِيَامًا﴾ تمييز «عدل» فيصوم عن طعام كل مسكين يوماً.

واكثرنا رتب الأقسام للأخبار.[٦]

ومنّا من خيّر[٧] لظاهر «أو» وللنصّ الصحيح أن «أو» في كلّ القرآن للتخيير ﴿لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ﴾ يتعلق بمحذوف أي فعليه كذا ليذوق ثقل جزاء فعله ﴿عَفَا اللهُ عَمَّا سَلَفَ﴾ من قتل الصيد محرماً أول مرة مع الجزاء، أو قبل التحريم، أو في الجاهلية ﴿وَمَنْ عَادَ﴾ الى ذلك ﴿فَيَنْتَقِمُ﴾ أي فهو ممن ينتقم ﴿اللهُ مِنْهُ﴾ قيل: هذا يقابل الكفارة فلا تلزم العائد،[٨] وقيل: لاتنافيه،[٩] واختلف الفتوى[١٠]

---

(١) قاله ابن عباس ـ كما في تفسير مجمع البيان ٢: ٢٤٥.

(٢) الحزورة بالفتح ثم السكون وفتح الواو وراء وهاء وهو في اللغة الرابية الصغيرة... وكانت الحلزورة، سوق مكة دخلت في المسجد لما زيد فيه يجمع البلدن.

(٣) حجة القراءات: ٢٣٧.

(٤) في«الف»: طعاماً مّا.

(٥) الذي ذكر في تفسير الآية ٨٩ من هذه السورة.

(٦) انظر وسائل الشيعة ٩: ١٨٢ الباب الثاني من ابواب كفارات الصيد.

(٧) وهو الشيخ حيث ذهب اليه في كتاب الحج من كتاب الخلاف المسألة: ٢٦٨.

(٨) قاله ابن عباس والحسن ـ كما في تفسير مجمع البيان ٢: ٢٤٥.

(٩) قاله عطاء وسعيد بن جبير وابراهيم ـ كما في تفسير مجمع البيان ٢: ٢٤٥.

(١٠) انظر باب كفارات الاحرام من كتاب الحج في مختلف الشيعة.

كالأخبار[١] ﴿وَاللهُ عَزِيزٌ﴾ غالب ﴿ذُو انْتِقامٍ﴾ ممن عصاه .

[٩٦] ـ ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ﴾ ما صيد منه مما يفرخ فيه ، ولا يحل منه عندنا إلاّ ما له فلس من السمك لاكلّ صيد كالشافعي ولا كلّ سمك كأبي حنيفة ﴿وَطَعَامُهُ﴾ طاعم البحر أي القديد وصيده الطري ، أو طعام الصيد أي أكله ﴿مَتَاعًا﴾ مفعول له ، أي تمتيعاً ﴿لَكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ﴾ مسافريكم تتزودونه ﴿وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ﴾ ما صيد فيه مما يفرخ فيه ﴿مَا دُمْتُمْ حُرُمًا﴾ محرمين وإن صاده محلّ عندنا ، واختلف فيها العامة ﴿وَاتَّقُوْا اللهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ للجزاء .

[٩٧] ـ ﴿جَعَلَ اللهُ الْكَعْبَةَ﴾ سميت كعبة لنبوّها[٢] ﴿الْبَيْتَ الْحَرَامَ﴾ عطف بيان للمدح ﴿قِيَامًا لِلنَّاسِ﴾ مفعول ثانٍ ، أي ما يقوم به أمر دينهم بحجه ، ودنياهم بأمن داخله ، وربح التجار عنده . وقرأ «ابن عامر» : «قيماً»[٣] مصدر «قام» ﴿وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ﴾ لامه للجنس ، أي الأشهر الحرام الأربعة ﴿وَالْهَدْيَ وَالْقَلائِدَ﴾ فسرا في أوّلها[٤] ﴿ذَلِكَ﴾ الجعل ﴿لِتَعْلَمُوْا أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَواتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللهِ بِكُلِّ شَيءٍ عَلِيمٌ﴾ إذ جعله ذلك لدفع المضار، وجلب المنافع قبل كونها دليل كمال علمه .

[٩٨] ـ ﴿إِعْلَمُوْا أَنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ لمن عصاه ﴿وَأَنَّ اللهَ غَفُورٌ﴾ لمن تاب ﴿رَحِيمٌ﴾ به .

[٩٩] ـ ﴿مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاغُ﴾ وقد فعل ، وقامت عليكم الحجة فلا عذر لكم في التفريط ﴿وَاللهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾ من الأعمال فاحذروه .

---

(١) وسائل الشيعة ٩ : ٢٤٤ الباب ٤٧ـ ٤٨ من ابواب كفارات الصيد .

(٢) في بعض كتب اللغة : الكعبة البيت الحرام بمكة قيل سميت به لنتوئها وقيل لتربيعها .

(٣) حجة القراءات : ٢٣٧ .

(٤) عند تفسير الآية (٢) من هذه السورة .

[١٠٠] ـ ﴿قُلْ لاَ يَسْتَوِي﴾ عند الله ﴿الْخَبِيْثُ وَالطَّيِّبُ﴾ حرام المال وحلاله، وطالح العمل وصالحه ﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ﴾ أيها السامع ﴿كَثْرَةُ الْخَبِيْثِ﴾ فإنَّ قليل الطيب خير من كثير الخبيث ﴿فَاتَّقُوْا اللهَ﴾ وآثروا ما هو خير ﴿يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ لتفوزوا بالثواب.

[١٠١] ـ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ ءَامَنُوا لاَ تَسْئَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ﴾ اسم جمع، أصله شيئا، فعلاء قدّمت لامه فصار لفعاء، أي لا تسألوا الرسول عن أشياء مسكوت عنها ﴿إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾ إن بينها لكم تغمكم، والشرطية صفة أشياء وكذا ﴿وَإِنْ تَسْئَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْءَانُ﴾ أي في زمن الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم ﴿تُبْدَ لَكُمْ﴾ يظهرها لكم وإذا ظهرت غمتكم فلا تسألوا عنها ﴿عَفَا اللهُ عَنْهَا﴾ عن مسألتكم التي سلفت فلا تعودوا. وهو استئناف، أو صفة أشياء، أي عن أشياء لم يكلف الله بها ﴿وَاللهُ غَفُورٌ﴾ للذنوب ﴿حَلِيْمٌ﴾ لا يعجل العقوبة.

[١٠٢] ـ ﴿قَدْ سَأَلَهَا﴾ أي الأشياء، بحذف «عن» أو المسألة بقرينة «تسألوا» ﴿قَوْمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ فأجيبوا ببيانها ﴿ثُمَّ أَصْبَحُوْا بِهَا كَافِرِينَ﴾ أي بسببها إذ لم يقبلوها.

[١٠٣] ـ ﴿مَا جَعَلَ اللهُ﴾ رد لبدع الجاهلية، أي ما شرع ﴿مِنْ بَحِيرَةٍ﴾ «من» مزيدة ﴿وَلاَ سَائِبَةٍ وَلاَ وَصِيلَةٍ وَلاَ حَامٍ﴾ كانوا إذا انتجت الناقة خمسة أبطن، آخرها ذكر، بحروا أذنها، أي شقوها، وحرّموا ركوبها وحلبها. وكان الرجل يقول: إن قدمت فناقتي سائبة ويحرم منافعها كالبحيرة وإذا ولدت الشاة انثى كانت لهم، وان ولدت ذكراً كان لآلهتهم، وان ولدتهما لم يذبحوا الذكر لها، إذ وصلته اخته، وإذا انتج من الفحل عشرة أبطن حرموا ظهره، وقالوا: «حمى ظهره» ولم يمنع ماء ولا مرعى ﴿وَلكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوْا يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ﴾ بنسبة ذلك اليه ﴿وَأَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ﴾ أنّ ذلك افتراء لأنهم قلدوا فيه كبارهم.

[١٠٤] ـ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلى ما أَنْزَلَ اللهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوْا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا

﴿عَلَيْهِ ءَاباءَنَا﴾ من الـدين، وتمسكهم بالتقليـد دليل نقص عقـولهم ﴿أَ﴾ همزة إِنكار دخلت على واو الحـال، أي أحسبهم ذلك ﴿وَلَوْ كانَ ءَاباءُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ شَيْئًا﴾ من الحق ﴿وَلاَ يَهْتَدُونَ﴾ اليه.

[١٠٥] ـ ﴿يـا أَيُّهَا الَّـذِيـنَ ءَامَنُوا عَلَيْكُـمْ أَنْفَسَكُمْ﴾ إلزمـوا صلاحهـا ونصب «انفسكم» بـ«عليكم» لأنه اسم لإلـزموا ﴿لاَ يَضُرُّكُـمْ مَنْ ضَلَّ﴾ أي الضـلال ﴿إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ ولم يرد ترك الحسبة،[1] إذ تاركها مع المكنة ليـس بمهتد و«لا يضركم» رفع إستئنافـاً، أو جزم جـواباً أو نهيـاً واتبع الراء للضـاد ضماً ﴿إِلَى اللهِ مَرْجِعُكُـمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ فيجازي كلاً بعمله.

[١٠٦] ـ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِيـنَ ءَامَنُوْا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ﴾ أي الاشهـاد الذي شـرع بينكم، وأضيفت الى الظرف اتسـاعاً ﴿إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾ أي أسبابه ظـرف للشهادة ﴿حِينَ الْوَصِيَّةِ﴾ بدل منـه ﴿اثْنَانِ﴾ خبر «شهـادة» بحذف مضـاف، أو فاعلهـا أي عليكم أن يشهد اثنان ﴿ذَوَا عَدْلٍ مِنكُمْ﴾ من المسلمين وهما صفتـان لـ«إثنان» ﴿أَوْ ءَاخَرَانِ﴾ عطف على «اثنان» وظـاهره اعتبار عدالتهمـا في دينهما ﴿مِنْ غَيْرِكُمْ﴾ من أهل الذمة ولا تسمع شهادتهم إلاّ في هذه القضيّة عندنا ونسخه ممنوع؛

وارادة الأقارب والأجـانب بـ«منكم» و«غيـركم» لا تطابق سبـب النزول ﴿إِن أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ﴾ سافـرتم ﴿فِي الْأَرْضِ فَـأَصَابَتْكُـمْ مُصِيبَةُ الْمَـوْتِ﴾ أي قـاربتكم والجـزاء محذوف دل عليه «أو آخران» ﴿تَحْبِسُونَهُمَا﴾ تقفونهما صفة «آخران» والشرط اعتراض يفيـد أنه لا يعـدل عن المسلمين إلاّ إذا تعـذرا مطلقـاً، أو في السفـر فقط ﴿مِنْ بَعْدِ الصَّلوةِ﴾ صـلاة العصـر لاجتماع النـاس حينئـذ، أو أي صـلاة ﴿فَيُقْسِمَانِ بِـاللهِ إِنِ ارْتَبْتُمْ﴾ إن ارتاب الوارث. وهو اعتراض يخصص القسم بحال الريبة ﴿لاَنَشْتَرِي بِهِ﴾ لا نستبدل بالقسم أو بالله ﴿ثَمَنًا﴾ عوضاً من الدنيا، بـأن نحلف به كذباً لأجله ﴿وَلَوْ

---

(١) الحسبة: نظارة ضبط الموازين والاسعار ونحو ذلك من طرف الوالي.

كَانَ﴾ المقسم له ﴿ذَا قُرْبَى﴾ قريباً منّا ﴿وَلاَ نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللهِ﴾ التي أمرنا بأدائها ﴿إِنَّا إِذاً لَمِنَ الآثِمِيْنَ﴾ أي إن كتمناها .

[١٠٧] ـ ﴿فَإِنْ عُثِرَ﴾ اطُّلع ﴿عَلَى أَنَّهُمَا اسْتَحَقا إِثْمًا﴾ بخيانة وتحريف ﴿فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُما﴾ في الحلف ﴿مِنَ الَّذِيْنَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ﴾ جني عليهم، وهم الورثة ﴿الأَوْلَيَانِ﴾ الأحقّان بالشهادة خبر محذوف، أي «هما الأُوليان»[١] أو بدل من فاعل «يقومان» أو من «آخران» وعلى قراءة «حفص» «استَحقَّ»[٢] مبنياً للفاعل وهو فاعله. وقرأ «حمزة» و«أبو بكر» «الأوّلينَ»[٣] جمع «أول» صفة «الذين» أو بدل منه ﴿فَيُقْسِمَانِ بِاللهِ لَشَهَادَتُنا أَحَقُّ﴾ أصدق ﴿مِنْ شَهَادَتِهِمَا وَمَا اعْتَدَيْنَا﴾ وما تجاوزنا الحق فيها ﴿إِنَّا إِذاً﴾ إن اعتدينا ﴿لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ أنفسهم، أو بجعل الباطل حقاً .

والمعنى ليشهد المحتضر عدلين من أهل دينه فإن فُقِدا لسفر ونحوه فآخران من غيرهم، فإن ارتاب الورثة فيهما حلفا على صدقهما بتغليظ في الوقت. وجاز تحليف الشاهد هنا للنص، فإن اطلع على ما يكذبهما حلف آخران من الورثة على خيانتهما المعثور عليها :

قيل: خرج مسلم مع نصرانيين تجاراً فمرض وكتب وصية ودسها في متاعه وقال: «ابلغاه أهلي» ومات، ففتشاه وأخذا منه إناء فضة نقش بذهب، فوجد أهله الوصية وطالبوهما به، فجحدا فترافعوا الى النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم فنزلت الأولى، فأحلفهما بعد العصر، ثم وجد الإناء عندهما، فقالا: ابتعناه منه ولا بينة لنا فلم نقربه، فرفعوهما الى النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم فنزلت الثانية فحلف رجلان من أوليائه .[٤]

[١٠٨] ـ ﴿ذَلِكَ﴾ الحكم المذكور ﴿أَدْنَى﴾ أقرب الى ﴿أَنْ يَأْتُوْا﴾ أي الشهود

---

(١) في الاصل: هما الوليان، وفي«ب» و«ج»: هما اوليان .

(٢ـ٣) حجة القراءات: ٢٣٨.

(٤) قاله اسامة بن زيد عن ابيه كما في تفسير التبيان ٤: ٤٢ و٤٧.

عموماً ﴿بِالشَّهَادَةِ عَلَى وَجْهِهَا﴾ الذي تحملوها عليه بلا تحريف لخوف الحلف ﴿أَوْ﴾ أدنى إلى أن ﴿يَخَافُوْا أَنْ تُرَدَّ أَيْمَانٌ بَعْدَ أَيْمانِهِمْ﴾ على الورثة المدعين فيحلفوا على كذبهم فيفتضحوا ﴿وَاتَّقُوْا اللهَ﴾ أن تكذبوا وتخونوا ﴿وَاسْمَعُوْا﴾ وصيته سماع قبول ﴿وَاللهُ لاَيَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ الخارجين عن طاعته الى حجة أو الجنة.

[١٠٩] ـ ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللهُ الرُّسُلَ﴾ ظرف «لا يهدى» أو نصب بـ«اذكر» مضمراً ﴿فَيَقُولُ﴾ ـ لهم توبيخاً لقومهم ـ: ﴿مَاذَا﴾ ﴿مَاذَا﴾ في موضع المصدر، أي أيّ إجابة ﴿أُجِبْتُمْ قَالُوا﴾ ﴿أُجِبْتُمْ قَالُوا﴾ تشكياً ورداً للأمر الى علمه بما كابدوا منهم ﴿لاَ عِلْمَ لَنَا﴾ بما أنت تعلمه أي لا حاجة الى شهادتنا ﴿إِنَّكَ أَنْتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ﴾ فتعلم ما أجابونا وما أسرّوا في أنفسهم، أو معناه لا علم لنا مع علمك لأنك علام الغيوب فكيف الظواهر. وكسر «حمزة» و«أبو بكر» «غين» الغيوب حيث وقع.[(((١)]

[١١٠] ـ ﴿إِذْ قَالَ اللهُ يَا عِيْسى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلى وَالِدَتِكَ﴾ أي اذكر «إذ يقول» أو بدل من «يوم يجمع» أي يوبّخ الكفرة[٢] يومئذ بسؤال الرسل عن إجابتهم، وذكر ما منحهم من آياته فكذبهم قوم ودعوهم سحرة، وغلا قوم ودعوهم آلهة ﴿إِذْ أَيَّدْتُكَ﴾ قويتك ظرف «نعمتي» ﴿بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ جبرئيل عليه السّلام، أو روحك المطهرة من الأدناس ﴿تُكَلِّمُ النَّاسَ﴾ حال من كاف «أيدتك» ﴿فِي الْمَهْدِ﴾ طفلاً ﴿وَكَهْلاً﴾ بلا تفاوت في كمال العقل. ويفيد نزوله قبل الساعة لأنه رفع ولما يكتهل ﴿وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَيةَ وَالإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتى بِإِذْنِي﴾ فسّر في «آل عمران»[٣] وقرأ «نافع» «طائرا»[٤] ﴿وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِى

---

(١) تفسير البيضاوي ٢: ١٧٤.

(٢) كذا ظاهر الأصل، وفي «ب»: نوبخ الكفرة وفي «ج» توبيخاً لكفرة وفي «ط» توبيخ الكفرة.

(٣) عند تفسير الآية: ٤٩ من سورة آل عمران.

(٤) حجة القراءات: ١٦٤.

إِسْرَائِيلَ﴾ اليهود ﴿عَنْكَ﴾ عن قتلك ﴿إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ المعجزات ﴿فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ﴾ ما ﴿هَذَا﴾ الذي جئت به ﴿إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ وقرأ «حمزة» و«الكسائي»: «ساحر»[1] أي عيسى.

[١١١] ـ ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ﴾ أمرتهم على السنة رسلي ﴿أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي﴾ «أن» مصدرية أو مفسرة ﴿قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾ مخلصون.

[١١٢] ـ ﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ﴾ معمول «اذكر» أو ظرف لـ«قالوا» فيؤذن بشكهم حين ادعوا الإخلاص إذ العارف لا يقول ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ﴾ وقيل: هل يطيع أي يجيبك و«استطاع» بمعنى «أطاع» وقرأ «الكسائي»: «تستطيع ربك»[2] أي سؤال ربك.

والمائدة: خوان عليه طعام من «ماد» أي: تحرك أو «مادة» أي أعطاه ﴿قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ أن تقترحوا عليه ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ كما ادعيتم.

[١١٣] ـ ﴿قَالُوا نُرِيدُ﴾ سؤالها من أجل ﴿أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا﴾ تسكن بزيادة اليقين ﴿وَنَعْلَمَ أَنْ﴾ مخففة [من] الثقيلة[3] ﴿قَدْ صَدَقْتَنَا﴾ في ادّعاء الرسالة ﴿وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ لله بالواحدانية ولك بالرسالة عاكفين عليها.

[١١٤] ـ ﴿قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا﴾ نداء ثان ﴿أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ﴾ أي يكون يوم نزولها. قيل: هو يوم الأحد[4] ولهذا اتخذه النصارى عيداً ﴿لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا﴾ أهل زماننا بدل من «لنا» بإعادة الجار ﴿وَآخِرِنَا﴾ من يأتي بعدنا ﴿وَآيَةً﴾ كائنة ﴿مِنْكَ﴾ على قدرتك وبنوتي ﴿وَارْزُقْنَا﴾ إياها أو شكرها ﴿وَأَنْتَ

---

(١) حجة القراءات: ٢٣٩.

(٢) حجة القراءات: ٢٤٠.

(٣) في «ط»: مخففة من الثقيلة.

(٤) قاله كعب ـ كما في تفسير مجمع البيان ٢: ٢٦٦.

﴿خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾.

[١١٥] ـ ﴿قَالَ اللهُ﴾ ـ مجيباً لـه ـ: ﴿إِنِّي مُنْزِلُها﴾ وشدده «نافع» و«ابـن عامر» و«عاصم»[١] ﴿عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّي﴾ وفتح «نافع» الياء[٢] ﴿أُعَذِّبُهُ عَذَابًا﴾ تعذيباً ﴿لاَ أُعَذِّبُهُ﴾ الهاء للمصدر ﴿أَحَداً مِنَ العَالَمِينَ﴾ فنزلت الملائكة بها عليها سبعة أرغفة وسبعة أحوات، فأكلوا منها.

وروى أنها كـانت تنزل فيأكلـون منها، ثم ترفـع، فمنع مترفوهـم سفلتهم منها، فرفعت ببغيهم ومسخوا قردة وخنازير.[٣]

وقيـل: نـزلت خبـزاً ولحمـاً، وامـروا أن لايخـونـوا ولايخبئـوا، فخـانـوا وخبـأؤا فمسخوا.[٤] وفيها انقال أُخر.[٥]

[١١٦] ـ ﴿وَإِذْ قالَ اللهُ﴾ يقول لعيسى توبيخـاً لقومه ﴿يَا عَيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّـاسِ اتَّخِـذُونـي وَأُمِّي﴾ وفتح يـاءهـا «نـافـع» و«ابن عـامـر» و«أبـو عمـرو» و«حفص»[٦] ﴿إِلٰهَيْنِ مِنْ دُونِ اللهِ﴾ الظرف صلـة «اتخذوني» أو صفـة «إلٰهين» ﴿قَالَ سُبْحَانَكَ﴾ تنزيهـاً لك من أن يكون لك شـريك ﴿ما يَكُونُ﴾ ما ينبغي ﴿لِي﴾ وفتح «الياء» «الحرميان» و«أبوعمرو»[٧] ﴿أَنْ أَقُولَ مَا﴾ أي قولاً ﴿لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾ لا يحق لي

---

(١) حجة القراءات: ٢٤٢ وفي المصحف الشريف بقراءة حفص عن عاصم«منـزّلها» بالتشديد. كما ذكره المؤلّف ـ قدس سرّه ـ.

(٢) انظر كتاب السبعة في القراءات: ٢٥٠.

(٣) تفسير مجمع البيان ٢: ٢٦٧.

(٤) رواه عمار بن ياسر عن النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ كما في تفسير مجمع البيان ٢: ٢٦٦.

(٥) المتداول اليوم أن يقال في جمع«نقل» نقول غير أنّ أنقال أيضاً جمع له آخر صحيح وان لـم يكن متداولاً.

(٦) كتاب السبعة فيالقراءات: ٢٥٠.

(٧) انظر كتاب السبعة في القراءات: ٢٥٠.

أن أقول ﴿إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا﴾ أسرّه ﴿فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ أي معلوماتك. وذكر «في نفسك» للمشاكلة ﴿إِنَّكَ أَنْتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ﴾ يقرر الجملتين منطوقاً ومفهوماً.

[١١٧] ـ ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ﴾ فيه اقرار بأنه عبد مأمور ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾ خبر مضمر، أو مفعوله، أي هو، أو أغني أو عطف بيان للهاء في «به» ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيْدًا﴾ رقيباً، أمنعهم أن يقولوا ذلك ﴿مَادُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾ بالرّفع اليك.

والتوفي أخذ الشيء، وافياً فيعم الموت وغيره ﴿كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾ تمنعهم من القول به بما أقمت لهم من الحجج أو تحفظ أعمالهم ﴿وَأَنْتَ عَلى كُلِّ شيءٍ شَهِيدٌ﴾ مطلع، عالم به.

[١١٨] ـ ﴿إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾ الأحقاء بالعذاب، إذ عبدوا غيرك ﴿وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّك أَنْتَ الْعَزِيْزُ الْحَكِيمُ﴾ المنيع القادر على الثواب والعقاب الذي انما يثيب ويعاقب للحكمة. وامتناع غفران الشرك للوعيد لا لذاته، فلا يمنع تعليقه بأن.

[١١٩] ـ ﴿قَالَ اللهُ هـذَا يَوْمُ﴾ ونصبه «نافع»[1] ظرفاً لـ«قال» أو مستقراً خبراً لـ«هذا» أي هذا الكلام خبر من عيسى واقع يوم ﴿يَنْفَعُ الصَّادِقِيْنَ صِدْقُهُمْ﴾ حال التكليف لأنه النافع في القيامة ﴿لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ﴾ بعملهم ﴿وَرَضُوا عَنْهُ﴾ بثوابه ﴿ذَلِكَ﴾ أي ما عدد من النفع هو ﴿الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ إذ فيه سعادة الأبد.

[١٢٠] ـ ﴿للهِ مُلْكُ السَمٰوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ﴾ من الأجناس ومنها عيسى وأمّه، فكذب من زعمهما إلهين. وغلب غير العقلاء لفرط بعدهم[2] عن رتبة الألوهية ﴿وَهُوَ عَلى كُلِّ شيءٍ﴾ من المقدورات ﴿قَدِيرٌ﴾.

---

(١) حجة القراءات: ٢٤٢.

(٢) في «د»: لفرط جهلهم وبعدهم.

سورة الأنعام

[٦]

مائة وخمس وستون آية مكية

وقيل: إلاّ «وما قدروا» الآيات الثلاث و«قل تعالوا» الثلاث.[١]

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ـ ﴿الْحَمْدُ للهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ اخترعهما بما اشتملا عليه من عجائب الصنع، وبدائع الحكم وأنواع النّعم، فهو المستحق للحمد. وقدم السماوات لشرفها ﴿وَجَعَلَ﴾ احدث. والجعل المتعدي الى واحد فيه معنى التضمين كإحداث شيء من شيء أو تصييره شيئاً، والخلق فيه معنى التقدير فافترقا ﴿الظُّلُمَاتِ وَالنورَ﴾ جمعت دونه لكثرة أسبابها إذ لكلّ جرم ظلّ، وقدّمت لتقدم العدم على الملكة ﴿ثُمَّ الَّذِيـنَ كَفَرُوْا بِرَبِّهِمْ يَعْـدِلُونَ﴾ عطف على «الحمد لله» أي هو حقيق بالحمد على ما خلق للعباد، ثم الذين كفروا به يعدلون عنه. فالباء يتعلق بـ«كفروا» أو على «خلق» أي أنه خلق ما يعجز عنه غيره ثم هم يعدلون به ما لا يقدر على شيء منه. فتتعلق بـ«يعدلون» ومعناه يسوون به الأصنام. و«ثم» لاستبعاد عدولهم مع قيام هذه الحجة.

---

(١) قاله ابن عباس ـ كما في تفسير مجمع البيان ٢: ٢٧١.

[٢] ـ ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾ ابتدأ خلقكم ﴿مِنْ طِينٍ﴾ إذ خلق منه أصلكم آدم عليه السّلام ﴿ثُمَّ قَضَى أَجَلاً﴾ أجل الموت، أو ما بين الخلق والموت ﴿وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ﴾ أجل القيامة أو ما بين الموت والبعث. و«أجلِ» مبتدأ خصّ بمسمّى أي معيّن وخبره «عنده» أي لا يعلمه ولا يقدر عليه غيره تعالى ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ﴾ تشكّون. استبعاد لشكّهم في البعث بعد ثبوت أنه ابتدأ خلقهم، فإنّ من قدر على الإبتداء فهو على الإعادة أقدر.

[٣] ـ ﴿وَهُوَ﴾ أي: الله، وخبره ﴿اللهُ﴾ ويتعلّق بمعناه ﴿فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ﴾ أي: المعبود فيهما، أو: بـ«يعلم» والجملة خبر ثان، أو: ظرف «مستقر» خبر ثان، بمعنى: أنه لعلمه بما فيهما كأنه فيهما ﴿يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ﴾ تقرير له ﴿وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾ من خير وشرّ، فيجازيكم به.

[٤] ـ ﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ ءَايَةٍ مِنْ ءَايَاتِ رَبِّهِمْ﴾ ما تظهر لهم حجّة من حججه المعجزات كآيات القرآن وغيرها. و«من» الاولى مزيدة والثانية للتبعيض ﴿إِلاَّ كَانُوا عَنْهَا﴾ أي عن النظر فيها ﴿مُعْرِضِينَ﴾ لم يلتفتوا اليه.

[٥] ـ ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ﴾ بالقرآن ﴿لَمَّا جَاءَهُمْ﴾ كأنه قيل: إن أعرضوا عن الآيات فقد كذبوا بما هو أعظمها ﴿فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا﴾ أخبار الشيء الذي ﴿كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ أي سيعلمون بأي شيء استهزءوا عند حلول العذاب بهم في الدنيا والآخرة.

[٦] ـ ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ﴾ خبرية ﴿أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ﴾ من أهل عصر. والقرن كل طبقة مقترنين في وقت ﴿مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ أعطيناهم مكاناً فيها بالسّعة والقوة وطول المقام ﴿مَا لَمْ نُمَكِّنْ﴾ نعط ﴿لَكُمْ﴾ يا أهل مكة. التفات عن الغيبة ﴿وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ﴾ المظلة، إذ الماء منها، أو السحاب، أو المطر ﴿عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا﴾ مغزاراً ﴿وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ﴾ تحت مساكنهم ﴿فَأَهْلَكْنَاهُمْ

﴿بِذُنُوبِهِمْ﴾ ولم يغن ذلك عنهم شيئاً ﴿وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْناً ءَاخَرِينَ﴾ مكانهم فالقادر على فعل ذلك بهم قادر أن يفعله بكم.

[٧] ـ ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَاباً فِي قِرْطَاسٍ﴾ مكتوباً في ورق كما اقترحوه ﴿فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ﴾ أبلغ في نفي الرّيب من «عاينوه». وذكر الأيدي للتأكيد ﴿لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ تعنّتاً وعناداً ﴿إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُبِينٌ﴾.

[٨] ـ ﴿وَقَالُوا لَوْلاَ﴾ هلاّ ﴿أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ﴾ نعاينه فيصدّقه ﴿وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا﴾ كما اقترحوا فلم يؤمنوا ﴿لَقُضِيَ الأَمْرُ﴾ لحقّ إهلاكهم بمقتضى الحكمة ﴿ثُمَّ لاَ يُنْظَرُونَ﴾ لا يمهلون لحظة.

[٩] ـ ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ﴾ أي الذي طلبوه جواب ثان أو الرسول فهو جواب اقتراح آخر كقولهم: لو شاء ربنا لأنزل ملائكة ﴿مَلَكًا﴾ يعاينوه ﴿لَجَعَلْنَاهُ﴾ لمثّلنا الملك ﴿رَجُلاً﴾ كما مثل جبرائيل في صورة «دحية» غالباً إذ لم يقووا أن يروا الملك بصورته. وقد يراه النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم بها لقوّة نفسه ﴿وَلَلَبَسْنَا﴾ أي ولو جعلناه رجلاً لخلطنا ﴿عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ﴾ ما يخلطون على ضعفتهم فيقولون «ما هذا إلاّ بشر مثلكم».[١]

[١٠] ـ ﴿وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ﴾ تسلية له صلّى الله عليه وآله وسلّم ﴿فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ فأحاط بهم الذي استهزءوا به من الحق فأهلكوا، أو فحلّ بهم وبال استهزائهم.

[١١] ـ ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ كيف أُهلكوا لتعتبروا بالنظر في آثارهم.

[١٢] ـ ﴿قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ ملكًا وخلقاً ـ تبكيتاً ـ ﴿قُلْ للهِ﴾ إذ لا جواب غيره بالإتفاق ﴿كَتَبَ﴾ أوجب ﴿عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ التي منها اللطف بكم بنصب الأدلة على التوحيد في الدنيا، وإثابة مطيعكم في الآخرة ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ﴾ قسم

---

(١) سورة المؤمنون: ٢٣/ ٢٤ و٣٣.

للوعيد على اشراكهم وترك النظر ﴿إِلى يَوْمِ الْقِيٰمَةِ﴾ أي فيه، أو مبعوثين اليه فيجازيكم بعملكم ﴿لَارَيْبَ فِيهِ﴾ في اليوم ﴿الَّذِيْنَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ أهلكوها بتعريضها للعقاب لاختيارهم الكفر. نصب ذماً أو رفع خبراً، أي أنتم الذين، أو مبتدأ خبره ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ رتب على خسرانهم، لأن اختيارهم الكفر أدّاهم إلى الإصرار على ترك الإيمان.

[١٣] ـ ﴿وَلَهُ﴾ عطف على لله ﴿مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ من السكنى أي ما حلّ فيهما، أو من السكون أي ما سكن وتحرك فيهما، واكتفى بأحدهما عن الآخر ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾ لكلّ صوت ﴿الْعَلِيمُ﴾ بكل شيء.

[١٤] ـ ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا﴾ معبوداً. قدّم «غير» وأوّلي «الهمزة» لأن الإنكار لاتخاذ غير الله ولياً، لا لاتخاذ الولي ﴿فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ مبدعهما صفة لله ﴿وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾ يرزق ولا يُرزق. وخص الطّعام لشدة الحاجة اليه ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ﴾ لله من أهل عصري. وفتح «نافع» الياء[1] ﴿وَلَا تَكُونَنَّ﴾ وقيل لي لاتكونن ﴿مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

[١٥] ـ ﴿قُلْ إِنِّي﴾ وفتح «الياء» «الحرميان» و«أبو عمرو»[2] ﴿أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي﴾ كما عصيتموه بعبادة غيره ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ مفعول «أخاف» والشرط اعتراض، والجملة تنوب جزاءه.

[١٦] ـ ﴿مَنْ يُصْرَفْ عَنْهُ﴾ العذاب ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ وبناه «حمزة» و«الكسائي» و«أبوبكر» للفاعل[3] والضمير لله، والمفعول محذوف، أو يومئذ، أي هو له ﴿فَقَدْ رَحِمَهُ﴾ نجاه وأثابه ﴿وَذٰلِكَ﴾ الرحم ﴿الْفَوْزُ الْمُبِيْنُ﴾.

---

(١) كتاب السبعة في القراءات: ٢٥٠.

(٢) حجة القراءات: ٢٤٣.

(٣) في المصحف الشريف«تكن».

[١٧] ـ ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللهُ بِضُرٍّ﴾ ببلاء كفقر ومرض ﴿فَلا كاشِفَ لَهُ﴾ فلا مالك لكشفه ﴿إِلاَّ هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ﴾ كغنى وصحة ﴿فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ومنه ادامته، فلا يقدر أحد على رفعه.

[١٨] ـ ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ﴾ القادر الغالب مستعلياً ﴿فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ﴾ في تدبيرهم ﴿الْخَبِيرُ﴾ بهم.

[١٩] ـ ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً﴾ تمييز، نزلت حين قالوا له صلّى الله عليه وآله وسلّم: إن أهل الكتاب انكروك فارنا من يشهد برسالتك ﴿قُلِ اللهُ﴾ أي الله اكبر شهادة ﴿شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ خبر محذوف، أو الله، ويلزمه أنه أكبر شهادة ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْءَانُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ﴾ يا أهل مكة ﴿وَمَنْ بَلَغَ﴾ أي وأنذر به من بلغه من الثقلين الى يوم القيامة. ويفيد تكليف من سيوجد بأحكامه ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللهِ ءَالِهَةً أُخْرَى﴾ إنكار ﴿قُلْ لاَ أَشْهَدُ﴾ بذلك ﴿قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلهٌ وَاحِدٌ﴾ لا إله معه ﴿وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾ به من الأصنام.

[٢٠] ـ ﴿الَّذِيْنَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفونَهُ﴾ أي محمّداً صلّى الله عليه وآله وسلّم بنعته في كتابهم ﴿كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ﴾ بلا شك ﴿الَّذِيْنَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ منهم ومن المشركين ﴿فَهُمْ لاَيُؤْمِنُونَ﴾ أدّاهم كفرهم إلى الإصرار على ترك الإيمان.

[٢١] ـ ﴿وَمَنْ﴾ أي لا أحد ﴿أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا﴾ بنسبة الباطل اليه، كالشريك وغيره ﴿أَوْ كَذَّبَ بآياتِهِ﴾ بالقرآن ومعجزات محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم ﴿إِنَّهُ﴾ أي الشأن ﴿لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ بالكذب والتكذيب.

[٢٢] ـ ﴿وَيَوْمَ﴾ واذكر يوم ﴿نَحْشُرُهُمْ جَمِيْعًا﴾ وقرأه «يعقوب» بالياء، وكذا «نقول»[1] في قوله: ﴿ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِيْنَ أَشْرَكُوْا﴾ توبيخاً ﴿أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ﴾ آلهتكم التي جعلتموها شركاء لله ﴿الَّذِيْنَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ تزعمونهم شركاء.

(١) تفسير مجمع البيان ٢: ٢٨٣.

[٢٣] ـ ﴿ثُمَّ لَمْ يَكُنْ[١] فِتْنَتُهُمْ﴾ معذرتهم أو شركهم أي عـاقبته. وقرأ «ابن كثير» و«ابن عامر» و«حفص» «تكـن» بالتاء ورفع «فتنتهـم»، و«نافع» و«أبو عمـر» و«أبو بكر» بالتاء ونصبها خبراً[٢] والتأنيث له، والإسم المصدر في ﴿إِلاَّ أَنْ قَالُوْا﴾ والباقون بالياء ونصبها ﴿وَاللهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ يحلفون على كذب لا ينفع دهشاً وحيرة، ونصب «حمزة» و«الكسائي»: «ربّنا» نداءً.[٣]

[٢٤] ـ ﴿انْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوْا عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾ بنفي اشراكهم ﴿وَضَلَّ﴾ غاب ﴿عَنْهُمْ مَا كَانُوْا يَفْتَرُونَ﴾ من الشركاء.

[٢٥] ـ ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾ حين تقرأ القـرآن. استمع له صلّى الله عليه وآله وسلّم نفر من قـريش منهم «النضر» فقالوا لـه: ما يقول محمّد؟ فقال: أسـاطير الأولين ﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾ أغطية، جمع «كنـان» وهو الغطاء ﴿أَنْ يَفْقَهُوهُ﴾ كراهة أن يفهمـوه ﴿وَفِي ءَاذَانِهِمْ وَقْراً﴾ صممـاً، فـلا يسمعون. مثـل في نبـو[٤] قلوبهم ومسامعهم عن قبوله، وأُسند اليه تعالى دلالة على تمكنه منهم كالجبلة ﴿وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ ءَايَةٍ لَأيُؤْمِنُوْا بِهَا﴾ لعنادهم ﴿حَتَّى﴾ هي الـدّاخلة على الجمـل بلا عمل، والجملـة ﴿إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ﴾ حال ﴿يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوْا﴾ جواب «إذا» أو «حتـى» الجارة أي: حتى وقت مجيئهم. و«يجادلونك» حال، و«يقول» بيان له ﴿إِنْ هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ أكاذيبهم، جمع اسطورة أو أسطار جمع سطر. والمعنى أن تكذيبهم الآيات بلغ إلى أنهم يجادلونك، فيجعلون أصدق الحديث خرافات الأولين.

[٢٦] ـ ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ عن القـرآن أو الرسول و إتّبـاعه ﴿وَيَنْئَوْنَ﴾ يتباعدون

(١) في المصحف الشريف«تَكُنْ».

(٢) حجة القراءات: ٢٤٣.

(٣) حجة القراءات: ٢٤٤.

(٤) النبو: العلو والترفّع.

﴿عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ﴾ بالنهي والنأي ﴿إِلاَّ أَنْفُسَهُمْ﴾ لا يتعداهم ضرره الى غيرهم ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ بذلك.

وجعلها في «أبي طالب» أي ينهى عن أذاه ولا يؤمن به، يبطله أن الضمير للكفرة المجادلين المكذبين، أبوطالب ما كذّبه قطّ بالإتفاق؛ بل كان مصدقاً له مؤمناً به، بشهادة أشعاره، وخطبه، ووصاياه لأهله.

وقد أجمع أهل البيت عليهم السّلام على إيمانه، فنسبة الكفر اليه محض عناد، يدعو اليه فرط النصب لابنه أمير المؤمنين عليه السّلام.

[٢٧] ـ ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُواْ عَلَى النَّارِ﴾ اروها، او أطلعوا عليها، أو أدخلوها فعرفوا عذابها. وجوابه محذوف أي لرأيت أمراً هائلاً ﴿فَقَالُوْا﴾ تمنياً ﴿يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ﴾ الى الدنيا ﴿وَلاَ نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ استئناف كـ«دعني ولا أعود» أي وأنا لاأعود، تركتني أو لا، أو عطف على «نردّ» أو حال من فاعله فيدخل في المتمنى والتكذيب الآتي لما تضمن من الوعد. ونصبهما «حمزة» و«حفص» جواباً للتمنّي، ورفع «ابن عامر» «نكذب»، ونصب «نكون».[1]

[٢٨] ـ ﴿بَلْ﴾ للإضراب عن ارادة الإيمان المتمنى ﴿بَدَا﴾ ظهر ﴿لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ﴾ من الكفر أو القبائح بشهادة جوارحهم، فتمنوا ذلك ﴿وَلَوْ رُدُّوا﴾ إلى الدنيا بعد ذلك ﴿لَعَادُوا لِمَا نُهُوْا عَنْهُ﴾ من الكفر ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ في وعدهم بالإيمان.

[٢٩] ـ ﴿وَقَالُوا﴾ استئناف أو عطف على «لعادوا» ﴿إِنْ هِيَ﴾ أي الحياة ﴿إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِيْنَ﴾.

[٣٠] ـ ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوْا عَلَى رَبِّهِمْ﴾ على جزائه أو عرفوه حق التعريف، أو مجاز عن حبسهم للسؤال. وجوابه كما مرّ ﴿قَالَ﴾ توبيخاً لهم ﴿أَلَيْسَ هَذا﴾ البعث

(١) حجة القراءات: ٢٤٥.

والجزاء ﴿بِالْحَقِّ قَالُوا بَلى وَرَبِّنَا﴾ اكّدوا اقرارهم بالقسم لوضوح الأمر ﴿قَالَ فَذُوقُوْا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ بكفركم.

[٣١] - ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِيْنَ كَذَّبُواْ بِلِقَاءِ اللهِ﴾ بالبعث وما يتبعه ﴿حَتَّى﴾ غاية لـ«كذّبوا» ﴿إِذَا جَائَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً﴾ فجأةً، حال، أو مصدر ﴿قَالُوْا يَا حَسْرَتَنَا﴾ احضري فهذا وقتك ﴿عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِيها﴾ قصرنا في الدنيا. أُضمرت للعلم بها، أو في الساعة أي في شأنها ﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ﴾ إذ اعتيد حمل الإثقال على الظهور ﴿أَلاَ سَاءَ ما يَزِرُونَ﴾ بئس شيئاً يحملونه حملهم.

[٣٢] - ﴿وَمَا الْحَيٰوةُ الدُّنْيَا﴾ أي أعمالها ﴿إِلاَّ لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ اشتغال بما لا يعقب نفعاً، كما تعقبه أعمال الآخرة ﴿وَلَلدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِيْنَ يَتَّقُونَ﴾ المعاصي لدوامها. وقرأ «ابن عامر»: «ولدار الآخرة»[١] ﴿أَفَلاَ يَعْقِلُونَ﴾[٢] ذلك، فيؤمنون. وقرأ «نافع» و«ابن عامر» و«حفص» بالتاء[٣] تغليباً للحاضرين.

[٣٣] - ﴿قَدْ﴾ للتحقيق ﴿نَعْلمُ إِنَّهُ﴾ أي الشأن ﴿لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ﴾ كقولهم: «ساحر كذّاب» ﴿فَإِنَّهُمْ لاَ يُكَذِّبُونَكَ﴾ بقلوبهم، أو في الحقيقة. وقرأ «نافع» و«الكسائي»: «لا يُكذِبونَك»[٤] من أكذبه أي وجده كاذباً، أو نسبه الى الكذب. وقرأه عليّ والصادق عليهما السلام[٥] ﴿وَلكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللهِ يَجْحَدُونَ﴾ وضع موضع «ولكنهم» إيذاناً بأنهم ظلموا بجحدهم القرآن. والباء لتضمن الجحود معنى التكذيب.

---

(١) حجة القراءات: ٢٤٦.

(٢) في المصحف الشريف بقراءة حفص. تعقلون ـ كما سيشير اليه المؤلف.

(٣) حجة القراءات: ٢٤٦.

(٤) حجة القراءات: ٢٤٧.

(٥) تفسير التبيان ٤: ١٩: وتفسير مجمع البيان ٢: ٢٩٣.

قيل: قال أبو جهل: ما نكذّبك، وإنما نكذّب ما جئت به، فنزلت.[1]

[٣٤]ـ ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ﴾ تسلية له صلّى الله عليه وآله وسلّم ﴿فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا﴾ «ما» مصدرية ﴿حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا﴾ فتأسّ واصبر حتى يأتيك نصرنا ﴿وَلاَ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللهِ﴾ لمواعيده بنصر رسله ﴿وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَإِيْ الْمُرْسَلِيْنَ﴾ من بعض قصصهم.

[٣٥]ـ ﴿وَإِنْ كَانَ كَبُرَ﴾ عظم ﴿عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ﴾ عن دينك ﴿فَإِنَ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا﴾ سرباً ﴿فِي الْأَرْضِ أَوْسُلَّمًا﴾ مصعداً ﴿فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ﴾ فافعل، أي انك لا تستطيع ذلك ولو استطعت لفعلت حرصاً على إسلامهم ﴿وَلَوْ شَاءَ اللهُ﴾ جبرهم ﴿لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهَدى﴾ بالإلجاء، ولكن لم يفعل لمنافاته الحكمة ﴿فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِيْنَ﴾ بذلك.

[٣٦]ـ ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ﴾ يجب الى الإيمان ﴿الَّذِيْنَ يَسْمَعُونَ﴾ وهؤلاء كالموتى، لا يسمعون ﴿وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللهُ﴾ من قبورهم ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ للجزاء وحينئذ يسمعون ولا ينفعهم ذلك.

[٣٧]ـ ﴿وَقَالُوْا لَوْلاَ﴾ هلا ﴿نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ غير ما انزل من الآيات عناداً ﴿قُلْ إِنَّ اللهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنَزِّلَ﴾ وخفّفه «ابن كثير»[2] ﴿ءَايَةً﴾ تلجئهم الى الإيمان أو يهلكون بجحودها ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾ ان انزالها بلاء عليهم وان فيما انزل غنىً.

[٣٨]ـ ﴿وَمَا مِنْ﴾ «من» مزيدة ﴿دَابَّةٍ﴾ تدبّ ﴿فِي الْأَرْضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ

(١) رواه سفيان الثوري عن علي عليه السّلام كما في تفسير المراغي.

(٢) تفسير التبيان ٤: ١٢٦.

بِجَنَاحَيْهِ﴾ في الجوّ، صفة لدفع مجاز السرعة[1] ﴿إِلاَّ أُمَمٌ﴾ جمعت حملاً على المعنى ﴿أَمْثَالُكُمْ﴾ في كتب ارزاقها وآجالها وأحوالها. والقادر المدبر لذلك قادر على انزال الآية ﴿مَا فَرَّطْنَا﴾ تركنا ﴿فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ أي اللوح، ففيه ما يجري في العالم من جليل ودقيق.

أو القرآن، ففيه ما يحتاج اليه من أمر الدين مجملاً أو مفصّلاً. و«من» مزيدة ﴿ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ فيقتص لبعض من بعض فيأخذ للجمّاء من القرناء.

[٣٩] ـ ﴿وَالَّذِيْنَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ القرآن ﴿صُمٌّ﴾ عن سماعها بتدبير شهادتها بربوبيّته ﴿وَبُكْمٌ﴾ عن النطق بالحق ﴿فِي الظُّلُماتِ﴾ أي الكفر أو الجهل ﴿مَنْ يَشَأْ اللهُ يُضْلِلْهُ﴾ يخذ له بسوء اختياره ﴿وَمَنْ يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ يلطف به لأنّه أهل اللطف.

[٤٠] ـ ﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ﴾ «الكاف» حرف خطاب لحقه ما يبين الضمير لا مفعول، وإلاّ لقيل: أرأيتموكم ومتعلق الإستخبار محذوف أي أخبروني ﴿إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللهِ﴾ في الدنيا ﴿أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ﴾ وهولها من تدعون ﴿أَغَيْرَ اللهِ تَدْعُونَ﴾ تبكيت ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ان الأصنام آلهة فادعوها.

[٤١] ـ ﴿بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ﴾ لا غير ﴿فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ﴾ الذي تدعونه الى كشفه ﴿إِنْ شَاءَ﴾ كشفه ﴿وَتَنْسَوْنَ﴾ وتتركون ﴿مَا تُشْرِكُونَ﴾ به من آلهتكم فلا تدعونها إذ لا نفع لغيره.

[٤٢] ـ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا﴾ رسلاً ﴿إِلى أُمَمٍ مِنْ﴾ «من» مزيدة ﴿قَبْلِكَ﴾ فكذبوهم ﴿فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ والضَّرَّاءِ﴾ بالفقر والمرض ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾ يتذللون لنا، فيؤمنون.

---

(١) حيث يستعمل الطيران مجازاً للسرعة في المشي والحركة فلدفع هذا قال تعالى: «يطير بجناحيه»، وانظر تفسير التبيان ٤: ١٢٨.

[٤٣]ـ ﴿فَلَوْ لَآ﴾ فهلا ﴿إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا﴾ عذابنا ﴿تَضَرَّعُوْا﴾ أي لم يتضرعوا مع وجود الداعي ﴿وَلكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوْا يَعْمَلُونَ﴾ فذلك الذي منعهم عن التضرع.

[٤٤]ـ ﴿فَلَمَّا نَسُوْا مَا ذُكِّرُوا﴾ وعظوا ﴿بِهِ﴾ من البأساء والضراء فلم يتعظوا ﴿فَتَحْنا﴾ وشدده «ابن عامر» حيث وقع[1] ﴿عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ من صنوف النعم، امتحاناً لهم بالشدة والرخاء لتلزمهم الحجة أو استدراجاً لهم ﴿حَتّى إِذَا فَرِحُوا﴾ أعجبوا ﴿بِمَا أُوتُوا﴾ من النعم وبطروا ولم يشكروا ﴿أَخَذْنَاهُمْ﴾ بالعذاب ﴿بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ آيسون متحسرون.

[٤٥]ـ ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ﴾ آخر ﴿الْقَوْمِ الَّذِيْنَ ظَلَمُوا﴾ أي استؤصلوا ﴿وَالْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ على إهلاكهم ويفيد أن إهلاك الظلمة نعمة يجب الحمد عليها.

[٤٦]ـ ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾ اخبروني ﴿إِنْ أَخَذَ اللهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ﴾ أصمّكم وأعماكم ﴿وَخَتَمَ عَلى قُلُوبِكُمْ﴾ اذهب عقلها بالتغطية عليها ﴿مَنْ إِلهٌ غَيْرُ اللهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ﴾ أي بما أخذ وختم عليه ﴿انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ﴾ نبيّنها أو نوجهها حججاً عقلية وترغيباً وترهيباً وتذكيراً بمن مضى ﴿ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ﴾ يعرضون عنها بعد ظهورها.

[٤٧]ـ ﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللهِ بَغْتَةً﴾ بلا أمارة قبله ﴿أَوْ جَهْرَةً﴾ تسبقه أمارته، أو ليلاً ونهاراً ﴿هَلْ يُهْلَكُ﴾ أي ما يهلك به هلاك سخط ﴿إِلاَّ الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ﴾ الكافرون.

[٤٨]ـ ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ مُبَشِّرِيْنَ﴾ من آمن بالجنة ﴿وَمُنْذِرِيْنَ﴾ من كفر بالنار ﴿فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ﴾ عمله ﴿فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ من النار ﴿وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ بفوت الجنة.

---

(١) حجة القراءات: ٢٥٠.

[٤٩] ـ ﴿وَالَّذِيْنَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ بخروجهم عن الطاعة.

[٥٠] ـ ﴿قُلْ لاَ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللهِ﴾ مقدوراته أو ارزاقه ﴿وَلاَ﴾ أنّي ﴿أَعْلَمُ الْغَيْبَ﴾ ما لم يوح إليّ ﴿وَلاَ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ﴾ من الملائكة، أقدر على مقدورهم ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ ما يُوحَى إِلَيَّ﴾ أي لم أدَّع ما يستبعد من الهية أو ملكية، بل أدّعي النبوّة وهي من كمالات البشر ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ﴾ الجاهل والعالم، أو: الكافر والمؤمن ﴿أَفَلاَ تَتَفَكَّرُونَ﴾ فتعلموا الحق، أو فتؤمنوا.

[٥١] ـ ﴿وَأَنْذِرْ بِهِ﴾ لـ«ما يوحى» ﴿الَّذِيْنَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلى رَبِّهِمْ﴾ هم عصاة المؤمنين، أو كلّ مقرّ بالبعث من مسلم وكتابي، أو مجوزٌ له ولو متردداً ﴿لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلاَ شَفِيعٌ﴾ حال من «يحشروا» ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ كي يخافوا فيتوبوا.

[٥٢] ـ ﴿وَلاَ تَطْرُدِ الَّذِيْنَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾ يعبدونه ﴿بِالغَدْوةِ وَالْعَشِيِّ﴾ بالعدوام أو في صلاة الصبح والعصر. وقرأ «ابن عامر»: بالغدوة[1] ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ حال أي يدعونه مخلصين فيه. وهم فقراء المسلمين، وكان المشركون طعنوا فيهم وطلبوا أن يطردهم ليجلسوا اليه فأبى. قالوا: فنحهم عنا إذا جئنا قال: نعم، فنزلت ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيءٍ﴾ أي ليس لك إلاّ اعتبار ظاهرهم وان كان باطنهم غير مرضي كما زعمه المشركون فحسابهم لا يتعدّاهم اليك ﴿وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شيءٍ﴾ وقيل: الضمير للمشركين أي لا تؤاخذ بحسابهم ولا هم بحسابك[2] ﴿فَتَطْرُدَهُمْ﴾ جواب النفي ﴿فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ جواب النهي.

[٥٣] ـ ﴿وَكَذلِكَ﴾ الفتن ﴿فَتَنَّا﴾ ابتلينا ﴿بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ﴾ الغني والشريف بالفقير والوضيع بأن وفقناه للسبق بالإيمان ﴿لِيَقُولُوْا﴾ أي الأغنياء إنكاراً. واللام

---

(١) اي بالواو وضم الغين ـ كما في حجة القراءات: ٢٥١ـ.

(٢) رواه ابن عباس ـ كما في تفسير مجمع البيان ٢: ٣٠٦ـ.

للعاقبة، أو للعلة بتضمين «فتنا» معنى «خذلنا» ﴿أَهَؤُلَاءِ﴾ الفقراء ﴿مَنَّ اللهُ﴾ انعم ﴿عَلَيْهِمْ﴾ بالتوفيق للخير ﴿مِنْ بَيْنِنَا﴾ دوننا، ونحن الرؤساء وهم الضعفاء ومثله: ﴿لو كان خيراً ما سبقونا اليه[1]﴾ ﴿أَلَيْسَ اللهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِيْنَ﴾ فيوفقهم.

[٥٤] ـ ﴿وَإِذَا جاءَكَ الَّذِيْنَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا﴾ هم الذين يدعون ربهم. وصفوا بعبادته، ثم بالإيمان بحججه إيذاناً بأنهم أهل للتقريب والإكرام، ولا الطرد والإهانة.

وقيل: قال قوم للنبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم: اصبنا ذنوباً، فسكت عنهم فنزلت[2] ﴿فَقُلْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ﴾ ابدأهم بالتسليم وأبلغهم سلام الله ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ﴾ أوجب ﴿عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ تفضلاً ﴿أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا﴾ استئناف لبيان الرّحمة وفتحها «نافع» و«عاصم» و«ابن عامر» بدلاً منها[3] ﴿بِجَهَالَةٍ﴾ متلبساً بفعل الجهلة، إذ ارتكاب ما يعقب الضرر جهل وسفه ﴿ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ﴾ بعد عمله ﴿وَأَصْلَحَ﴾ العمل ﴿فَأَنَّهُ﴾ أي الله ﴿غَفُورٌ﴾ له ﴿رَحِيمٌ﴾ به، وفتحها من فتح الاولى سوى «نافع».[4] مبتدأ أو خبر، أي فله أو فأمره غفرانه.

[٥٥] ـ ﴿وَكَذَلِكَ﴾ التفصيل ﴿نُفَصِّلُ الْآيَاتِ﴾ نبيّن آيات القرآن ليظهر الحق ﴿وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ﴾ قرأ «نافع» بالتاء، ونصب «سبيل» مفعولاً خطاباً للنبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم.

و«ابن كثير» و«ابن عامر» و«أبو عمرو»[5] و«حفص» برفعه فاعلاً، والباقون بالياء ورفعه على تذكيره.[6]

---

(١) سورة الاحقاف: ٤٦/ ١١.

(٢) قاله انس بن مالك ـ كما في تفسير مجمع البيان ٢: ٣٠٧ـ.

(٣ـ٤) حجة القراءات: ٢٥٢.

(٥) في«ط»: ابوبكر.

(٦) السبعة في القراءات: ٢٥٨.

[٥٦] ـ ﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ ﴾ عن ﴿أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ﴾ تعبدونهم أو تسمونهم آلهة ﴿مِنْ دُوْنِ اللهِ قُلْ لاَ أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ﴾ استجهال لهم وبيان لعلة الإمتناع من متابعتهم، ولسبب ضلالهم من اتباع الهوى لا الحجة ﴿قَدْ ظَلَلْتُ إِذًا﴾ ان اتبعت أهواءكم ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِيْنَ﴾ تعريض بهم.

[٥٧] ـ ﴿قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ﴾ حجة واضحة ﴿مِنْ رَبِّي﴾ من معرفته، أو كائنة منه ﴿وَكَذَّبْتُمْ بِهِ﴾ بربي حيث أشركتم به، أو بالبينة على المعنى أي القرآن ﴿مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ﴾ من العذاب ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ للهِ﴾ في العذاب وغيره ﴿يَقْضِى﴾[1] القضاء ﴿الْحَقَّ﴾ أو يصنع الحق، وقرأ «ابن كثير» و«نافع» و«عاصم» يقصّ أي يقول[2] ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾ القاضين.

[٥٨] ـ ﴿قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِي﴾ في قدرتي ﴿مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَقُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ بأن أهلككم فاستريح، ولكنه عند الله ﴿وَاللهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ﴾ وبما توجبه الحكمة من أخذهم وامهالهم.

[٥٩] ـ ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ﴾ ما يتوصل به اليه، مستعار من المفاتح جمع مِفتح بكسر الميم، وهو المفتاح أي هو المتوصل اليه وحده، أو خزائنه جمع مفتح بالفتح وهو المخزن ﴿لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ﴾ فيعلم ما توجبه الحكمة من تعجيلها وتأخيرها فيفعله ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِى الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ من حيوان وغيره ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا﴾ حال سقوطها وقبله وبعده ﴿وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ﴾ عطف على «ورقة» ﴿إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ هو علمه تعالى، أو اللوح. والإستثناء بدل كل من الإستثناء قبله، أو بدل اشتمال منه.

[٦٠] ـ ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ﴾ يقبضكم بالنوم فيه ﴿وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ﴾

---

(١) في المصحف الشريف«يقصّ».

(٢) حجة القراءات: ٢٥٤.

كسبتم ﴿بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ﴾ يوقظكم في النهار ﴿لِيُقْضَى أَجَلٌ مُسَمًّى﴾ ليستوفي المتيقّظ [1] أجله المضروب لـه في الدنيا ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ﴾ بالموت أو البعث ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ بمجازاتكم به .

[٦١] ـ ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾ ملائكة تحصي أعمالكم ، وفيه لطف للعباد لأنهم إذا علموا أن أعمالهم تكتب وتعرض في القيامة ، كان أزجر عن الذنب ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾ ملك الموت وأعوانه . وقرأ «حمزة» : «توفاه» [2] بألف ممالة ﴿وَهُمْ لاَ يُفَرِّطُونَ﴾ لا يقصرون بالتواني عما حدّ لهم .

[٦٢] ـ ﴿ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللهِ﴾ الى حكمه ﴿مَوْلاَهُمُ﴾ المتولي أمرهم ﴿الْحَقِّ﴾ الثابت العدل في حكمه ﴿أَلاَ لَهُ الْحُكْمُ﴾ يومئذٍ لا لغيره ﴿وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾ يحاسبهم في قدر حلب شاة ، لا يشغله حساب عن حساب .

[٦٣] ـ ﴿قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ﴾ وخففه «يعقوب» [3] ﴿مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ شدائدهما يقال لليوم الشديد يوم مظلم ، وذو كواكب ﴿تَدْعُونَهُ﴾ حال ﴿تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ علانية وسراً ، حالان أو مصدران وكسر الخاء «أبوبكر» [4] قائلين ﴿لَئِنْ﴾ قسم ﴿أَنْجَيْتَنَا﴾ [5] وقرأ «الكوفيون» : «انجانا» [6] ﴿مِنْ هَذِهِ﴾ الظلمات ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ .

---

(١) في «ط» المستقضي .

(٢) حجة القراءات : ٢٥٤ .

(٣) تفسير مجمع البيان ٢ : ٣١٣ .

(٤) حجة القراءات : ٢٥٥ .

(٥) وفي المصحف الشريف بقراءة حفص ، «انجينا» .

(٦) حجة القراءات : ٢٥٥ .

[٦٤] ـ ﴿قُلِ اللهُ يُنْجيكُمْ﴾ وشدده الكوفيون[١] ﴿مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ﴾ سواها ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ﴾ به ولم تفوا بوعد الشكر.

[٦٥] ـ ﴿قُلْ هُوَ الْقادِرُ عَلى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ﴾ كالطوفان والريح والحجارة والصيحة ﴿أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ كالغرق والخسف ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا﴾ يخلطكم فرقاً مختلفي الأهواء ﴿وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ﴾ يقتل بعضكم بعضاً ﴿أنْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ﴾ نبين الدلائل ﴿لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾ فيميزون الحق من الباطل.

[٦٦] ـ ﴿وَكَذَّبَ بِهِ﴾ القرآن أو العذاب ﴿قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ﴾ الصدق أو الثابت الوقوع ﴿قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾ فاحفظكم من التكذيب أو اجازيكم ﴿انما أنا منذر﴾.[٢]

[٦٧] ـ ﴿لِكُلِّ نَبَإٍ﴾ خبر ومنه عذابكم ﴿مُسْتَقَرٌّ﴾ وقت استقرار وحصول ﴿وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ ما يحلّ بكم، تهديد لهم.

[٦٨] ـ ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي ءَايَاتِنَا﴾ القرآن بالطعن والإستهزاء بها ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ فلا تجالسهم ﴿حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾ غير الخوض فيها ﴿وَإِمَّا﴾ هي «ان» الشرطية أدغمت في «ما» الزائدة ﴿يُنسِيَنكَ﴾ وشدده «ابن عامر»[٣] ﴿الشّيْطانُ﴾ بوسوسته فجالستهم.

وفرض الإنساء لا يستلزم وقوعه، أو خوطب صلّى الله عليه وآله وسلّم والمراد غيره ﴿فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرى﴾ ذكرك النهي ﴿مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ وضع موضع معهم إيذاناً بظلمهم بوضع الإستهزاء موضع التعظيم.

---

(١) حجة القراءات: ٢٥٥.

(٢) سورة ص: ٣٨/ ٦٥.

(٣) حجة القراءات: ٢٥٦.

[٦٩] ـ ﴿وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ ما يلزمهم بمجالسة الخائضين ﴿مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شيءٍ﴾ شَيء من ذنوبهم ﴿وَلكِنْ ذِكْرَى﴾ يذكرونهم تذكيراً بالاعراض والوعظ، أو عليهم ذكرى ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ الخوض، فيتركونه أو لعل المتقين يثبتون على التقوى، ويزدادونها بالذكرى.

وقيل: قال المسلمون: «ان قمنا كلما استهزءوا لم نستطع جلوساً ولا طوفاً فنزلت.»[1]

[٧٠] ـ ﴿وَذَرِ الَّذِيْنَ اتَّخَذُوْا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا﴾ تشهياً بما لا يعقب نفعاً كعبادة الأصنام، أو اتخذوا دينهم الذي كلفوه ضحكة وسخرية، أي أعرض عنهم ولا تبال بهم. وقيل: كفّ عنهم. ونسخ بآية السيف[2] ﴿وَغَرَّتْهُمُ الْحَيٰوةُ الدُّنْيَا﴾ وزهرتها ﴿وَذَكِّرْ بِهِ﴾ بالقرآن ﴿أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ﴾ مخافة أن تسلم للهلكة ﴿بِمَا كَسَبَتْ﴾ بسوء عملها ﴿لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللهِ وَلِيٌّ﴾ ناصر ﴿وَلاَ شَفِيعٌ﴾ ينجيها من العذاب ﴿وَإِنْ تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ﴾ تفد كلّ فداء ونصب «كل» مصدراً ﴿لاَ يُؤْخَذْ مِنْهَا﴾ المسند اليه «منها» لا ضمير المصدر بخلاف ﴿ولا يؤخذ منها عدل﴾[3] أي فدية ﴿أُولئِكَ الَّذِيْنَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا﴾ أسلموا للهلكة بسوء عملهم ﴿لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ﴾ ماء مغلي حارّ ﴿وَعَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ هو النار ﴿بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ بكفرهم.

[٧١] ـ ﴿قُلْ أَنَدْعُوْا﴾ أنعبد ﴿مِنْ دُونِ اللهِ مَالاَ يَنْفَعُنَا﴾ ان عبدناه. ﴿وَلاَ يَضُرُّنَا﴾ ان لم نعبده ﴿وَنُرَدُّ عَلى أَعْقَابِنَا﴾ ونرجع إلى الشرك ﴿بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللهُ﴾ بتوفيقه للإسلام ﴿كَالَّذِي﴾ مشبهين الذي، أو ردّاً كردّ الذي ﴿اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ﴾ ذهبت به

(١) نقل الطوسي معناه عن ابي جعفر عليه السّلام في تفسير التبيان ٤: ١٦٧.

(٢) قاله قتادة ـ كما في تفسير مجمع البيان ٢: ٣١٨ـ.

(٣) سورة البقرة: ٢/ ٤٨.

المردة. من «هوى» أي ذهب. وقرأ «حمـزة» بألف ممالة[1] ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ المهمه[2] ﴿حَيْرَانَ﴾ متحيراً لا يـدري ما يصنع ﴿لَهُ أَصْحَابٌ﴾ رفقة ﴿يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى﴾ الى ان يهدوه طريـق الحق، أو الى طريق الحق يقـولون له ﴿ائْتِنَا﴾ فيعرض عنهم فيهلك ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى اللهِ﴾ وهو الإسلام ﴿هُوَ الْهُدَى﴾ وما وراءه ضلال ﴿وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ وقل: امرنا بذلك لنسلم، أو امرنا بأن نسلم.

فاللام لتعليل الأمر، أو بمعنى الباء.

[٧٢]ـ ﴿وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَاتَّقُوهُ﴾ عطـف على «لنسلـم» أي ولإقـامتهـا أو بإقامتها ﴿وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ بعد الموت للجزاء.

[٧٣]ـ ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ قائماً ﴿بِالْحَقِّ﴾ والحكمة ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ خبر لقوله ﴿قَوْلُهُ الْحَقُّ﴾ أي تكوينـه الحق والحكمة حيـن يكوّن الأشياء. وقيل: نصب «يـوم» عطفاً على «السموات»، أو الهـاء في «اتقوه»[3] و«قوله الـحق» مبتـدأ وخبر، أو فـاعل «يكـون» أي وحيـن يقول لـقوله الحق أي لقضائه «كن فيكون».

والمراد بالتكـوين إحداث الأشياء، أو حشر الأموات فـي القيامة ﴿وَلَهُ الْمُلْكُ﴾ يختص به ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾ ينفخ اسرافيل في القرن النفخة الثانية ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ ما غاب وما شوهد ﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ﴾ في أفعاله ﴿الْخَبِيرُ﴾ بكلّ شيء.

[٧٤]ـ ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ﴾ عطف بيان «لأبيه».

قيل: هو لقب ذمّ له،[4] لأن اسمه «تارخ» بالإتفـاق وقيل: هما علمان له،[5]

---

(١) حجة القراءات: ٢٥٦.

(٢) المهمه والمهمهة: المفازة البعيدة.

(٣) نقله الطبرسي في تفسير مجمع البيان ٢: ٣٢٠.

(٤) نقله الطوسي في تفسير التبيان ٤: ١٧٥.

(٥) قاله سعيد بن عبدالعزيز كما في تفسير الطبري ٥: ٢٤٣.

وقيل: اسم صنم، لقب به للزومه عبادته.[1]

وعندنا أنه عمه والعم يدعى أبًا، أو جده لأمه، لإجماعنا على تنزيه آباء النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم عن الكفر الى آدم، وتعضده الأخبار.[2] ومنع صرفه للعلمية والعجمة وضمه «يعقوب»[3] منادى ﴿أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً﴾ توبيخ له ﴿إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلالٍ﴾ عن الحق ﴿مُبِيْنٍ﴾ ظاهر.

[٧٥] ـ ﴿وَكَذَلِكَ﴾ التبصير ﴿نُرِي إِبْراهِيمَ﴾ نبصره ﴿مَلَكُوتَ السَّمَواتِ وَالأَرْضِ﴾ ملكهما. والتاء للمبالغ ليستدل به على وحدانية مبدعه ﴿وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾ أو التقدير واريناه ليكون.

[٧٦] ـ ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ﴾ ستره بظلامه. تفصيل للإراءة أو عطف على «قال» و«كذلك» اعتراض ﴿رَءَا كَوْكَبًا﴾ الزهرة أو المشتري ﴿قَالَ﴾ منبهاً لقومه على خطأهم في عبادة الأصنام والكواكب، ومرشداً لهم الى طريق النظر المؤدي الى الحق ﴿هَذَا رَبِّي﴾ في زعمكم، أو قاله في نفسه مستدلاً حين خرج من السرب[4] الذي ولدته فيه أمّه خوفاً أن يقتله «نمرود» أو حين راجع النظر ﴿فَلَمَّا أَفَلَ﴾ غاب ﴿قَالَ لاَ أُحِبُّ الآفِلِينَ﴾ ان اتخذهم آلهة، لاقتضاء الإنتقال الحدوث المنافي للالهيّة.

[٧٧] ـ ﴿فَلَمَّا رَءَا الْقَمَرَ بَازِغًا﴾ طالعاً ﴿قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي﴾ بلطفه وتوفيقه ﴿لأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِيْنَ﴾ تعريض بضلال قومه بعبادة المصنوع.

[٧٨] ـ ﴿فَلَمَّا رَءَا الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هذا رَبِّي﴾ ذكر المبتدأ لتذكير الخبر ﴿هَذَا

---

(١) قاله سعيد بن المسيب ومجاهد كما في تفسير مجمع البيان ٢: ٣٢١.

(٢) انظر الكافي ١: ٤٤١ الحديث رقم(٩) وتفسير التبيان ٤: ١٧٥ وتفسير مجمع البيان ٢: ٣٢٢.

(٣) تفسير مجمع البيان ٢: ٣٢١.

(٤) السرب: الحفير تحت الارض.

أَكْبَرُ﴾ من الأولين ﴿فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾ بالخالق من الأجرام المخلوقة المحتاجة الى محدث يحدثها.

[٧٩] ـ ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ﴾ نفسي وعباداتي. وفتح «نافع» و«ابن عامر» و«حفص» «ياء» «وجهى»[1] ﴿لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ خلقهما وهو الله ﴿حَنِيفًا﴾ مائلاً الى توحيده ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ به.

[٨٠] ـ ﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ﴾ جادلوه في التوحيد ﴿قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللهِ﴾ في وحدانيته. وخفف النون «نافع» و«ابن عامر»[2] ﴿وَقَدْ هَدَانِ﴾ الى توحيده ﴿وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ﴾ من آلهتكم ان تضرني إذ لا تضر ولا تنفع ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا﴾ من سوء يصيبني به من جهتها كأن يرجمني بكوكب إن استوجبته بذنب ﴿وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ تمييز، أي: وسع علمه كل شيء ﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ فتميزون الحق من الباطل.

[٨١] ـ ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ﴾ ولا يضرّ ولا ينفع ﴿وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ﴾ أي: اشراككم ﴿بِاللهِ﴾ الخالق القادر أن يضرّ وينفع ﴿مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ﴾ بإشراكه ﴿عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا﴾ حجّة، وهو آلهتكم المخلوقة العاجزة ﴿فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ﴾ من الموحّدين والمشركين ﴿أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ الأحق به منهما، ثم استؤنف الجواب عن السؤال بقوله:

[٨٢] ـ ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا﴾ يخلطوا ﴿إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ بشرك. روى: أنها لما نزلت شقّ على النّاس، وقالوا: أيّنا لم يظلم نفسه؟ فقال صلّى الله عليه وآله وسلّم: «ليس ما تعنون »إنما هو ما قال «لقمان»: ﴿إن الشرك لظلم عظيم﴾[3] وليس الإيمان

---

(١) النشر في القراءات العشر: ٢٦٧.

(٢) حجة القراءات: ٢٥٧.

(٣) رواه عبدالله بن مسعود ـ كما في تفسير مجمع البيان ٢: ٢٣٧ والآية من سورة لقمان: ٣١/ ١٣.

به أن يصدق بالله ويشرك به غيره ﴿أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ﴾ من العقاب ﴿وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ لطريق النجاة.

[٨٣] ـ ﴿وَتِلْكَ﴾ اشارة إلى ما احتج به ابراهيم من أفول الكوكب وما بعده ﴿حُجَّتُنَا﴾ خبر «تلك» أو بدله والخبر ﴿ءَاتَيْنَاهَا﴾ الهمناها ﴿إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ﴾ متعلق بـ«حجّتنا» على الأوّل، وبمحذوف على الثاني، أي: آتيناها ابراهيم حجة على قومه ﴿نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ﴾ في العلم والفهم. ونوّنه الكوفيون[١] ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ﴾ في فعله ﴿عَلِيمٌ﴾ بأحوال خلقه.

[٨٤] ـ ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحٰقَ وَيَعْقُوبَ كُلاًّ﴾ منهما أو منهم ﴿هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ﴾ قبل ابراهيم ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ﴾ الهاء لـ«نوح» لقربه ولأن «يونس» و«لوطاً» ليسا من ذرية ابراهيم. وقيل: لابراهيم[٢] ومن ذكر في الآية الثالثة عطف على «نوحاً» ﴿دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ﴾ بن «آموص» من أسباط «عيص بن اسحاق» ﴿وَيُوسُفَ وَمُوسى وَهٰرُونَ وَكَذَلِكَ﴾ أي كما جزيناهم ﴿نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾.

[٨٥] ـ ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى﴾ ويفيد شمول الذرّية لأولاد البنت كالحسنين عليهما السّلام ﴿وَإِلْيَاسَ﴾ قيل: هو «ادريس» جدّ نوح،[٣] فيختص البيان بمن في الآية الاولى. وقيل: من أسباط هارون أخي موسى[٤] ﴿كُلٌّ﴾ منهم ﴿مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ عملاً.

[٨٦] ـ ﴿وَإِسْمَاعِيلَ﴾ بن ابراهيم ﴿وَالْيَسَعَ﴾ بن اخطوب، وشدد «حمزة» و«الكسائي» «اللام» وسكنا «الياء»،[٥] وعلى القرائتين علم اعجمي دخلته اللام

---

(١) حجة القراءات: ٢٥٨.

(٢) قاله الزجاج ـ كما في تفسير التبيان ٤: ١٩٤وتفسير مجمع البيان ٢: ٣٣٠.

(٣) قاله ابن مسعود ـ كما في تفسير مجمع البيان ٢: ٣٣٠ـ.

(٤) قاله ابن اسحاق ـ كما في تفسير مجمع البيان ٢: ٣٣٠ـ.

(٥) حجة القراءات: ٢٥٩.

﴿وَيُونُسَ﴾ بن متى ﴿وَلُوطًا﴾ بن هاران[1] أخي ابراهيم، وقيل: ابن خالته وأخو سارة ﴿وَكُلاًّ﴾ منهم ﴿فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ عالمي زمانهم بالنبوة.

[٨٧] ـ ﴿وَمِنْ ءَابَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ﴾ عطف على «كلاًّ» و«من» للتبعيض، لأن بعضهم ليس نبيّاً، أو على «نوحاً» ولا يلزم أن يكون في والديهم من ليس بمهدي لجواز أن يراد ببعض آبائهم من عدى العمومة لأن العمّ أب ﴿وَاجْتَبَيْنَاهُمْ﴾ اصطفيناهم ﴿وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ كرّر لبيان ما هدوا اليه من الدين الحق.

[٨٨] ـ ﴿ذَلِكَ﴾ الهدى الذي منحوه ﴿هُدَى اللهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ ممن يعلمه أهلاً له ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا﴾ أي هؤلاء الأنبياء مع فضلهم ﴿لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ كما يحبط عمل غيرهم لو أشرك.

[٨٩] ـ ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾ جنس الكتب ﴿وَالْحُكْمَ﴾ الحكمة أو الفصل الحق ﴿وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا﴾ بهذه الثلاثة ﴿هَؤُلَاءِ﴾ أي أهل مكّة ﴿فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا﴾ بمراعاتها ﴿قَوْمًا لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ﴾ وهم الأنبياء المذكورون، أو الملائكة، أو من آمن بالنبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم.

[٩٠] ـ ﴿أُولَئِكَ﴾ الأنبياء ﴿الَّذِينَ هَدَى اللهُ فَبِهُدَاهُمُ﴾ فبطريقتهم مما توافقوا فيه من التوحيد والصبر والتبليغ ﴿اقْتَدِهْ﴾ الهاء للوقف. وحذفها «حمزة» و«الكسائي» وصلاً، وأثبتهما الباقون مطلقاً، واشبعها «ابن عامر» كسراً.[2] ولايفيد تعبده صلّى الله عليه وآله وسلّم بشرع من قبله ﴿قُلْ لَا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ على التبليغ أو القرآن ﴿أَجْرًا﴾ كما لم يسئل الأنبياء قبلي، وهذا مما يقتدى بهم فيه ﴿إِنْ هُوَ﴾ ما التبليغ والقرآن ﴿إِلاَّ ذِكْرَى﴾ عظة ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾ الثقلين.

---

(١) في «ط»: هارون وفي بعض كتب التفسير: جاران.

(٢) حجة القراءات: ٢٦٠.

[٩١] ـ ﴿وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ ما عرفه اليهود حق معرفته في الرحمة لعباده أو السخط على الكفرة ﴿إِذْ قَالُوا مَا أَنْـزَلَ اللهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ﴾ حين أنكروا الرسل والوحي وذلك من رحمته، أو حين جسروا على هـذا الإنكار الموجب لسخطه. قالوه انكاراً للقرآن.

وقيل: قاله بعضهم حين غضب من قول النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم: أنشدك بالذي أنزل التوراة على موسى، هـل تجد فيها أن الله يبغض الحبر السمين[1] ـ وكان سميناً ـ ﴿قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا﴾ وقرأ «أبو عمرو» و«ابن كثيـر» الثلاثة بالياء،[2] وهو إلـزام لهم وذمّ على تفريقهم التوراة في ورقات، وابداء ما يشتهون منها، واخفاء كثير كنعت محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم ﴿وَعُلِّمْتُمْ﴾ أيّها اليهود بالقرآن ﴿مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلاَ ءَابَاؤُكُمْ﴾ من بيان ما ألبس عليكم، واختلفتم فيه ﴿قُلِ اللهُ﴾ أي أنزلـه الله إذ لاجواب غيـره ﴿ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ﴾ باطلهم ﴿يَلْعَبُونَ﴾ حال من «هم» الأول أو الثاني.

[٩٢] ـ ﴿وَهَذَا﴾ القرآن ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ﴾ كثير النفع ﴿مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ قبله من الكتب ﴿وَلِتُنْذِرَ﴾ عطف على معنى ما قبله أي أنزلناه للبركة والتصديق ولتـنذر، وقـرأ «أبوبكر» بالـياء[3] ﴿أُمَّ الْقُرَى﴾ أهـل مـكة.

وسميت أُمّاً لأنها قبلة أهل القرى ومحجهم.

أو لأن فيهـا أول بيت وضع، أو لـدحـو الأرض من تحتهـا ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ سائر الناس ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ يُؤْمِنُـونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ فإن خوف العاقبة يبعث على الإيمان بالرسول والقرآن.

---

(١) قاله سعيد بن جبير ـ كما في تفسير مجمع البيان ٢: ٣٣٣ـ.

(٢) حجة القراءات: ٢٦٠.

(٣) حجة القراءات: ٢٦١.

والهاء لأحدهما أو على المحافظة على عماد الدين.

[٩٣] ـ ﴿وَمَنْ﴾ لا أحد ﴿أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا﴾ بإعادء النبوة، أو الأعمّ منه ﴿أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ﴾. نزلت في «مسيلمة» وقيل: في «ابن ابي سرح» كان يكتب للنبي صلّى الله عليه وآله وسلّم فلما نزل، ﴿ولقد خلقنا الإنسان﴾ الى قوله ﴿خلقاً آخر﴾[١] قال متعجباً «تبارك الله أحسن الخالقين».

فقال صلّى الله عليه وآله وسلّم: اكتبها، فكذلك نزلت فشكّ وقال: إن صدق محمد فقد أوحي إليّ كما أوحي اليه، وإن كذب فقد قلت كما قال[٢] ﴿وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللهُ﴾ وهم الذين قالوا لو نشاء لقلنا مثل هذا وقيل: «ابن ابي سرح»[٣] ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ﴾ شدائده من غمره الماء: غطّاه ﴿وَالْمَلاَئِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيْهِمْ﴾ لقبض ارواحهم أو بالعذاب يقولون تغليظاً عليهم ﴿أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ﴾ لنقبضها، أو خلصوها من العذاب ﴿الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُوْنِ﴾ واضافته اليه لتمكنه منه ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللهِ غَيْرَ الْحَقّ﴾ كالإشراك، ودعوي الإيحاء كذباً ﴿وَكُنْتُمْ عَنْ ءَايَاتِهِ﴾ عن الإيمان بها ﴿تَسْتَكْبِرُونَ﴾ وجواب «لو» لرأيت أمراً عظيماً.

[٩٤] ـ ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا﴾ للجزاء ﴿فُرَادَى﴾ منفردين عن الأهل والمال، جمع فرد ﴿كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ بدل منه، أو حال مرادفة، أو مداخلة أي مُشبّهين ابتداء خلقكم حفاةً عراة عزلاً[٤] ﴿وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ﴾ ما أعطيناكم من الأموال والولد ﴿وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ﴾ لم تحتملوا منه شيئًا ولا قدمتموه ﴿وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ﴾ الأصنام

---

(١) سورة المؤمنون: ٢٣/ ١٢ـ١٤.

(٢) قاله ابن عباس وشرحبيل ـ كما في تفسير القرطبي ٧: ٤٠.

(٣) رواه القرطبي في تفسيره ٧: ٤٠، عن ابن عباس وشرحبيل.

(٤) والعزل: هم القلف، الذين لم يختتنوا بعد.

﴿الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ﴾ في استعبادكم ﴿شُرَكَٰؤُا﴾ لله ﴿لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ وصلكم؛ وهو للوصل وضده، أو الإسناد الى الظرف اتساعاً، ونصبه «نافع» و«الكسائي» و«حفص»، [1] والفاعل المصدر، أو مضمر أي وقع التقطّع، أو تقطّع الوصل بينكم ﴿وَضَلَّ﴾ ضاع ﴿عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ من شفاعتها. أو أن لا بعث.

[٩٥] ـ ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ﴾ شاق ﴿الْحَبِّ﴾ بالنبات ﴿وَالنَّوَىٰ﴾ بالنخل والشجر ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾ الحيوان والنامي من النطف، والبيض، والحبّ والنوى ﴿وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ﴾ هذه الأشياء ﴿مِنَ الْحَيِّ﴾ الحيوان والنامي، محمول على «فالق»، ويخرج الحي كالبيان له ﴿ذَٰلِكُمُ﴾ الفالق والمخرج ﴿اللَّهُ﴾ المستحق للعبادة ﴿فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ تصرفون عنه مع وضوح الدليل.

[٩٦] ـ ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ﴾ مصدر سمّي به الصبح أي شاق عمود الصبح عن ظلمة الليل، أو شاقّ ظلمة الإصباح وهي الغبش [2] قبله ﴿وَجَاعِلُ اللَّيْلِ سَكَنًا﴾ يسكن اليه التعب للإستراحة من «سكن اليه» أي اطمأنّ، أو يسكن الخلق فيه. ونصب بفعل دلّ عليه «جاعل» ان كان للماضي، أو به إن كان للإستمرار وقرأ الكوفيون «وجعل» [3] عطفاً على معنى «فالق»، أي فلق وجعل ﴿وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾ نصبا بإضمار «جعل» أو بالعطف على محل الليل ﴿حُسْبَانًا﴾ حساباً للأوقات أو بحذف الباء، حال عن مقدر أي يجريان بحساب معلوم ﴿ذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ﴾ في سلطانه ﴿الْعَلِيمِ﴾ بتدبير خلقه.

[٩٧] ـ ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ﴾ خلق لنفعكم ﴿النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ

---

(١) حجة القراءات: ٢٦١.

(٢) الغبش ـ محركة ـ: بقيّة الليل او ظلمة آخره.

(٣) حجة القراءات: ٢٦٢.

﴿الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ في ظلمات الليل فيهما وأضيفت اليهما للملابسة وهو تخصيص لبعض منافعها بعد الإجمال.

وعن علي بن ابراهيم: النجوم آل محمد عليهم السّلام[1] ﴿قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ﴾ بينا الحجج ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ لأنهم المنتفعون به.

[٩٨] - ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ﴾ خلقكم ﴿مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ هو آدم عليه السّلام ﴿فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ﴾ فلكم استقرار في الأرحام أو فوق الأرض واستيداع في الأصلاب أو القبور، أو مكان استقرار واستيداع. وكسر «القاف» «أبو عمرو» و«ابن كثير»[2] اسم فاعل.

والمستودع اسم مفعول أي فمنكم قار ومنكم مستودع ﴿قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾ مواقعها. وذكر في السابقة «يعلمون» وهنا «يفقهون» لأن انشاء الأنس من آدم وتصريف أحوالهم أدقّ، فيحتاج إلى دقّة نظر.

[٩٩] - ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ﴾ من جهتها أو السحاب ﴿مَاءً فَأَخْرَجْنَا﴾ التفات عن الغيبة ﴿بِهِ﴾ بالماء ﴿نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ رزقه، أو نبات كل صنف ينبت ﴿فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ﴾ من النبات أو الماء ﴿خَضِرًا﴾ شيئاً أخضر ﴿نُخْرِجُ مِنْهُ﴾ من الخضر ﴿حَبًّا مُتَرَاكِبًا﴾ يركب بعضه بعضاً كالسنبل ونحوه ﴿وَمِنَ النَّخْلِ﴾ خبر ﴿مِنْ طَلْعِهَا﴾ بدل منه ﴿قِنْوَانٌ﴾ مبتدأ أي وحاصلة من طلع النخل قنوان، جمع قنو وهو العذق ﴿دَانِيَةٌ﴾ قريبة من التناول، أو قريب بعضها من بعض، واقتصر عليها عن البعيدة لفهمها منها وفضلها ﴿وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ﴾ عطف على «نبات».

قيل: رفعها علي عليه السّلام مبتدأ أي ولكم[3] ﴿وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ﴾ عطف على

() تفسير القمي ١: ٢١١.

() حجة القراءات: ٢٦٢.

() تفسير مجمع البيان ٢: ٣٤٠.

«نبات» أو نصبا على الإختصاص لفضلهما ﴿مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ﴾ حال من الجميع، أي بعضه متشابه طعماً ولوناً وحجماً، وبعضه غير متشابه ﴿انْظُرُوا﴾ معتبرين ﴿إِلى ثَمَرِهِ﴾ وضم «حمزة» و«الكسائي» أوّليه،[1] وهو جمع ثمرة كشجرة وشجر، وخشبة وخشب ﴿إِذَا أَثْمَرَ﴾ أول اخراجه كيف هو ﴿وَيَنْعِهِ﴾ والى نضجه إذا أدرك كيف يعود كبيراً ذا نفع ولذة ﴿إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لآيَاتٍ﴾ دلالات على وجوده تعالى وتوحيده وحكمته وقدرته على البعث وغيره ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ فإنّهم المنتفعون بها.

[١٠٠] ـ ﴿وَجَعَلُوا للهِ﴾ مفعول ثاني ﴿شُرَكَاءَ﴾ مفعول أول ﴿الْجِنَّ﴾ بدل منه، أو المفعولان «شركاء الجنّ» و«لله» متعلق بشركاء. والجنّ: الملائكة إذ عبدوهم وقالوا: هم بنات الله وسموا جنّاً لاجتنانهم، أو الشياطين إذ أطاعوهم في عبادة الأوثان ﴿وَخَلَقَهُمْ﴾ حال أي وقد خلق الله الجاعلين دون الجن أو خلق الجنّ ﴿وَخَرَقُوا﴾ وشدده «نافع»[2] اختلقوا ﴿لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ﴾ كقول أهل الكتابين في عزير والمسيح، والعرب في الملائكة ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ بحقيقة ما قالوا. حال من الواو ﴿سُبْحَانَهُ﴾ تنزيهاً له ﴿وَتَعَالى عَمَّا يَصِفُونَ﴾ من أن له شريكاً، أو ولداً.

[١٠١] ـ ﴿بَدِيعُ السَّمَواتِ وَالأَرْضِ﴾ صفة مضافة الى فاعلها، أو الى الظرف بمعنى انه لا نظير له فيهما، أو مبدعهما لا عن شيء وهو خبر محذوف، أو مبتدأ خبره ﴿أَنَّى﴾ من أين ﴿يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ﴾ زوجة ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيءٍ عَلِيمٌ﴾ والخالق لكل مخلوق، العالم بكل معلوم غني عن الولد وغيره.

[١٠٢] ـ ﴿ذَلِكُمُ﴾ الموصوف بما سبق. مبتدأ اخباره ﴿اللهُ رَبُّكُمْ لاَ إِلَـهَ إِلاّ هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيءٍ﴾ أو بعضها خبر، وبعضها صفة أو بدل ﴿فَاعْبُدُوهُ﴾ فإنه المستحق للعبادة وحده ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ وَكِيلٌ﴾ حفيظ يدبّره.

[١٠٣] ـ ﴿لاَ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ﴾ حواس النظر. ويفيد امتناع رؤيته إذ الجمع

(١ـ٢) حجة القراءات: ٢٦٤.

المحلي باللام يعمّ الافراد، أي لا يراه بصر مـن الأبصار في وقت من الاوقات لأصالة عدم التقييد. وجعله سلباً جزئياً خلاف المدلول وهو عموم السلب لا سلب العموم.

والنفي المتمدّح بـه كمال، وضده نقص ممتنع عليـه تعالى وجعله رؤية إحـاطة ينفيه صحة «ادركت الشمس ولـم أحط بها» واثبات رؤية بلا آلة ولا جهـة غير معقول ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ فيـراها ولا تـراه ﴿وَهُوَ اللَّطِيفُ﴾ يلطف أن تـدركه الأبصـار ﴿الْخَبِيرُ﴾ فيدرك الأبصار وغيرها وفيه لفّ.

[١٠٤] ـ ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ﴾ حجج ﴿مِنْ رَبِّكُمْ﴾ تبصركم الحق ﴿فَمَنْ أَبْصَرَ﴾ الحق وآمن ﴿فَلِنَفْسِهِ﴾ ابصر، وايـاها نفع ﴿وَمَنْ عَمِيَ﴾ عنه ﴿فَعَلَيْهَا﴾ وبال عماه ﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾ احفظ أعمالكم ﴿إنما أنا منذر﴾.[١]

والكلام على لسانه صلّى الله عليه وآله وسلّم.

[١٠٥] ـ ﴿وَكَذَلِكَ﴾ التصريف ﴿نُصَرِّفُ الْآيَاتِ﴾ نبينهـا ﴿وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ﴾ تصرفهـا. واللـام للعاقبـة أو بمعنى لئلا، يقولـوا درست: أي قرأت وتعلمـت. وقرأ «ابـن كثيـر» و«أبـو عمـرو» «دارسـت»[٢] أي ذاكـرت أهل الكتـاب، و«ابـن عـامـر» «دَرَسَتْ»[٣] أي قدمت هذه الآيات وعفت ﴿وَلِنُبَيِّنَهُ﴾ لامه على أصله، والهاء للآيات لأن معناها القرآن، أو له لمعلوميته ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾.

[١٠٦] ـ ﴿اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ من الدين ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ اعتراض يؤكد ايجاب الاتباع ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ لا تخالطهم وان فسر بـ«كفّ عنهم» كان منسوخاً بآية السيف.[٤]

---

(١) سورة ص: ٣٨/ ٦٥.

(٢) حجة القراءات: ٢٦٤.

(٣) اي بفتح السين وتسكين التاء ـ كما في حجة القراءات: ٢٦٤.

(٤) في «ب»: بالكف عنهم.

[١٠٧] ـ ﴿وَلَوْ شَاءَ اللهُ﴾ جبرهم على ترك الإشراك ﴿مَا أَشْرَكُوا﴾ لكنه لم يشأه لمنفاته الحكمة ﴿وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ رقيباً ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾ فتجبرهم على التوحيد.

[١٠٨] ـ ﴿وَلاَ تَسُبُّواْ الَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ يعبدونهم ﴿مِنْ دُونِ اللهِ فَيَسُبُّوا اللهَ عَدْوًا﴾ تعدّياً للحق، وشدده «يعقوب» وضمّ أوليه[1] ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ جاهلين بالله.

قيل: كان صلّى الله عليه وآله وسلّم يطعن في آلهتهم فقالوا: «لتنتهينّ أو لنهجونّ ربك» فنزلت.[2]

وقيل: كان المسلمون يسبونها فنهوا لئلا يسبوا الله[3] ويفيد صيرورة الطاعة معصية، إذا أدت اليها ﴿كَذَلِكَ﴾ التزيين ﴿زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ﴾ من الكفرة ﴿عَمَلَهُمْ﴾ أي لم نكفهم حتى حسن عندهم سوء عملهم، أو أمهلنا الشيطان حتى زينه لهم. وان عم كل امة فالتزيين توفيق وخذلان ﴿ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ بالمجازاة عليه.

[١٠٩] ـ ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ مجتهدين فيها ﴿لَئِنْ جَاءَتْهُمْ ءَايَةٌ﴾ مما اقترحوا ﴿لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الآيَاتُ عِنْدَ اللهِ﴾ هو القادر عليها ينزلها كما يشاء لا عندي ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ﴾ يدريكم ﴿أَنَّهَا﴾ أي الآية المقترحة ﴿إِذَا جَاءَتْ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾ أي لا تدرون ذلك. خطاب للمؤمنين إذ طمعوا في ايمانهم فتمنوا مجيء الآية وقيل: «لا» زائدة[4] وقيل: «أن» بمعنى «لعل»[5] وكسرها «ابن كثير»، و«أبوعمرو» و«أبوبكر»[6]

---

(١) تفسير مجمع البيان ٢: ٣٤٧.

(٢) قاله ابن عباس ـ كما في تفسير مجمع البيان ٢: ٣٤٧ ـ.

(٣) قاله قتادة ـ كما في تفسير مجمع البيان ٢: ٣٤٧ ـ.

(٤) قاله الكسائي ـ كما في تفسير القرطبي ٧: ٦٥ ـ.

(٥) قاله الخليل ـ كما في تفسير التبيان ٤/ ٢٣٤ ـ.

(٦) حجة القراءات: ٢٦٧.

على معنى وما يشعركم ما يكون منهم. ثم أخبرهم بعلمه فيهم وقرأ «ابن عامر» و«حمزة»: لا تؤمنون بالتاء[١] خطاباً للكفرة.

[١١٠] ـ ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ﴾ نطبع عليهما[٢] فلا يفقهون الحق ولايبصرونه فلا يؤمنون بها ﴿كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ﴾ بما انزل من الآيات ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ أي لا نكفهم عن ضلالهم حتى يترددوا متحيرين.

[١١١] ـ ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى﴾ كما اقترحوا: ﴿لو لا انزل علينا الملائكة﴾[٣] و﴿فأتوا بآبائنا﴾،[٤] ﴿وَحَشَرْنَا﴾ جمعنا ﴿عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلاً﴾ بضم أوليه جمع قبيل (الذي هو) جمع قبيلة أي جماعات، أو بمعنى كفيل أي كفلاء، أو مصدر بمعنى مقابلة كقراءة «نافع» و«ابن عامر» بكسر القاف وفتح الباء[٥] ﴿مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا﴾ عند هذه الآيات ﴿إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللهُ﴾ جبرهم على الإيمان ﴿وَلكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾ انهم لا يؤمنون عند الآيات، فيقسمون على ما لا يشعرون، أو أكثر المسلمين يجهلون انهم لا يؤمنون فيتمنون الآية طمعاً في ايمانهم.

[١١٢] ـ ﴿وَكَذلِكَ﴾ كما جعلنا لك عدواً ﴿جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍ عَدُوًّا﴾ واسناد الجعل اليه تعالى لأنه بمعنى التخلية، أي لم نمنعهم من العداوة ﴿شَيَاطِينَ الإِنْسِ وَالْجِنِّ﴾ مردتهما، بدل من «عدواً» أو مفعول أول، وعدواً ثانٍ ﴿يُوْحِى﴾ يوسوس ﴿بَعْضُهُمْ إِلى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ﴾ باطله المموّه ﴿غُرُوراً﴾ مفعول له ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾ أي الايحاء والزخرف ﴿فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ من الكفر، تهديد لهم أو

---

(١) حجة القراءات: ٢٦٧.

(٢) في النسخ: عليهم.

(٣) سورة الفرقان: ٢٥/ ٢١.

(٤) سورة الدخان: ٤٤/ ٣٣. ووردت الكلمة في النسخ: فأت.

(٥) حجة القراءات: ٢٦٧ ومابين القوسين اخذناه من تفسير البيضاوي.

منسوخ بآية السيف .[١]

[١١٣] ـ ﴿وَلِتَصْغَى﴾ عطف على «غروراً» أي تميل ﴿إِلَيْهِ﴾ أي الايحاء أو الزخرف ﴿أَفْئِدَةُ﴾ قلوب ﴿الَّذِيْنَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوْا﴾ يكتسبوا ﴿مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ﴾ من الآثام .

[١١٤] ـ ﴿أَفَغَيْرَ اللهِ أَبْتَغِي حَكَمًا﴾ أي قل لهم أفغير الله أطلب من يحكم بيني وبينكم ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ﴾ القرآن ﴿مُفَصَّلاً﴾ مبيناً ، فيه الحق من الباطل وهو بإعجازه مغنٍ عن كل آية ﴿وَالَّذِيْنَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾ أهل الكتابين أو مؤمنوهم كـ«ابن سلام» وأضرابه ﴿يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ﴾ وشدده «ابن عامر» و«حفص»[٢] ﴿مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ﴾ وعلمهم بذلك يعضد[٣] دلالة اعجازه أنه حق ﴿فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِيْنَ﴾ في انه منزل منه ، من باب التهييج ، أو في علمهم بذلك أو الخطاب لكل أحد .

[١١٥] ـ ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَاتُ[٤] رَبِّكَ﴾ اخباره واحكامه ووحدها «الكوفيون»[٥] أي ما تكلم به أو القرآن ﴿صِدْقًا﴾ في الأخبار، حال أو تمييز وكذا ﴿وَعَدْلاً﴾ في الأحكام ﴿لاَمُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾ بخلف أو نقض ، أو لا أحد يبدلها بما هو أصدق وأعدل ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾ لأقوالهم ﴿الْعَلِيمُ﴾ بأعمالهم .

[١١٦] ـ ﴿وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الأَرْضِ﴾ أي الكفار ﴿يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ﴾ دينه . ويفيد انه لا عبرة بالكثرة في الحق بل بالحجة ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ﴾ وهو

---

(١) وهي الآية ٥ من سورة التوبة .

(٢) حجة القراءات : ٢٦٨.

(٣) في «الف» : يؤكد .

(٤) في المصحف الشريف بقراءة حفص : «كلمة» .

(٥) حجة القراءات : ٢٦٨.

ظنهم أن آباءهم على حق أو آراءهم الفاسدة ﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ يكذبون في أن الله أحلّ كذا وحرّم كذا.

[١١٧]ـ ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ «من» موصولة منصوبة بفعل دلَّ عليه «اعلم» لا به، لأنه لاينصب أي هو أعلم، يعلم من يضل، أو استفهامية مرفوعة بالإبتداء والخبر «يضلّ» والجملة معلق عنها الفعل المقدر، والتفضيل بالعلم بإحاطته بالوجوه التي يتعلق العلم بها ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ والمعنى أنه أعلم بالفريقين.

[١١٨]ـ ﴿فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ﴾ على ذبحه لا مما ذكر عليه اسم غيره، أو الميتة، مسبب عن انكار اتباع الكفرة المحلين للحرام والمحرمين للحلال ﴿إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ﴾ إذ مقتضى ذلك استباحة ما أحلّ دون ما حرّم.

[١١٩] ـ ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ﴾ وأيّ غرض لكم في التحرج عن أكله ﴿وَقَدْ فُصِّلَ﴾ بيّن، وبناه «الكوفيون» و«نافع» للفاعل[١] ﴿لَكُمْ مَا حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ في آية ﴿حرمت عليكم الميتة﴾[٢] وبناه «نافع» و«حفص» للفاعل[٣] ﴿إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾ مما حرّم عليكم: فهو حلال لكم للضرورة ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا لَيَضِلُّونَ﴾ وضم «الكوفيون»: الياء[٤] ﴿بِأَهْوَائِهِمْ﴾ بما يشتهونه من تحليل الحرام وتحريم الحلال ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ حجة تفيد علماً ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ﴾ المتجاوزين الحلال الى الحرام.

[١٢٠]ـ ﴿وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ﴾ ما أعلن وما أسرّ أو ما بالجوارح وما بالقلب.

---

(١) حجة القراءات: ٢٦٨ـ٢٦٩.

(٢) سورة المائدة: ٥/ ٣.

(٣ـ٤) حجة القراءات: ٢٦٩.

والإثم قيل: الزنا [1] وقيل: كل معصية [2] ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ﴾ يكتسبون.

[١٢١] ـ ﴿وَلاَ تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ﴾ فيحرم متروك التسمية إلاّ نسياناً عندنا لأخبارنا [3] وهم بين موافق ومحرّم مطلقاً، ومبيح مطلقاً [4] ﴿وَإِنَّهُ﴾ أي الأكل منه ﴿لَفِسْقٌ﴾ خروج عن طاعة الله ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ﴾ يوسوسون ﴿إِلى أَوْلِيَائِهِمْ﴾ الكفار ﴿لِيُجَادِلُوكُمْ﴾ في تحليل الميتة بقولهم: «ما قتل الله أحقّ أن تأكلوه مما قتلتم» ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ﴾ في ذلك ﴿إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ بترك دين الله الى دينهم.

[١٢٢] ـ ﴿أَوَ مَنْ كَانَ مَيْتًا﴾ كافراً وشدده «نافع» [5] ﴿فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ بالهدي الى الإيمان ﴿وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾ علماً بالحجج، الفاصلة بين الحق والباطل ﴿كَمَنْ مَثَلُهُ﴾ صفته ﴿فِي الظُّلُمَاتِ﴾ ظلمات الكفر ﴿لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا﴾ حال من فاعل الظرف ﴿كَذَلِكَ﴾ كما زين للمؤمن ايمانه ﴿زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ زينه الشيطان أو الله بتخليتهم وشأنهم.

والآية نزلت في حمزة أو عمّار وأبي جهل.

[١٢٣] ـ ﴿وَكَذَلِكَ﴾ كما جعلنا فساق مكة أكابرها ﴿جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ﴾ مفعول ثاني ﴿مُجْرِمِيهَا﴾ أول أي خليناهم ﴿لِيَمْكُرُوا فِيهَا﴾ وخصَّ الأكابر لأن الناس أطوع لهم ﴿وَمَا يَمْكُرُونَ إِلاَّ بِأَنْفُسِهِمْ﴾ لعود وباله عليهم ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ بذلك.

[١٢٤] ـ ﴿وَإِذا جَاءَتْهُمْ﴾ أي كفار مكة ﴿ءَايَةٌ﴾ على صدق النبيّ صلّى الله عليه وآله

---

(١) قاله السدي والضحاك ـ كما في تفسير مجمع البيان ٢: ٣٠٨.

(٢) قاله قتادة ومجاهد والربيع ـ كما في تفسير مجمع البيان ٢: ٣٠٨ـ.

(٣) وسائل الشيعة ١٦: ٣٢٥ الباب ١٥ من أبواب الذبائح.

(٤) تفسير مجمع البيان ٢: ٣٠٨، وتفسير القرطبي ٧: ٧٥.

(٥) حجة القراءات: ٢٧٠.

وسلّم ﴿قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللهِ﴾ قيل: قال أبوجهل: «زاحمنا بنو عبد مناف حتى إذا صرنا كفرسي رهان» قالوا منا نبي يوحى اليه والله لا نرضى به إلاّ أن يأتينا وحي كما يأتيه، فنزلت،[١] وردّ عليهم بقوله: ﴿اللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَاتِهِ﴾[٢] وأفردها «ابن كثير» و«حفص».[٣]

و«حيث» مفعول به لفعل دلّ عليه «أعلم» أي يعلم المكان الصالح لها فيضعها فيه وليست بالنسب والمال ﴿سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ﴾ ذلّ بعد كبرهم ﴿عِنْدَ اللهِ﴾ في القيامة ﴿وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ﴾ بمكرهم.

[١٢٥] ـ ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يَهْدِيَهُ﴾ أن يلطف به ﴿يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلَامِ﴾ يلطف به حتى يرغب فيه ويطمئن اليه ﴿وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ﴾ أن لا يلطف به فيخليه، وشأنه ﴿يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا﴾ يمنعه الطافه حتى ينبو عن قول الحق فلا يدخله الإيمان، وخففه «ابن كثير»[٤] ﴿حَرَجًا﴾ كسره «نافع» و«أبو بكر» أي شديد الضيق، وفتحه الباقون[٥] وصفاً بالمصدر ﴿كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ﴾ يتصعد وخففه «ابن كثير».

وقرأ «أبوبكر»: يصاعد[٦] أي يتصاعد ﴿فِي السَّمَاءِ﴾ إذا كلف الإيمان لشدته عليه، أو كأنّما يتصاعد اليها نبوّاً عن الحق ﴿كَذَلِكَ﴾ الجعل ﴿يَجْعَلُ اللهُ الرِّجْسَ﴾ الخذلان ومنع اللطف أو العذاب ﴿عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ وضع موضع عليهم تعليلاً.

[١٢٦] ـ ﴿وَهَذَا﴾ البيان أو الإسلام أو التوفيق والخذلان ﴿صِرَاطُ رَبِّكَ﴾ طريقه الذي ارتضاه، أو الذي اقتضته حكمته ﴿مُسْتَقِيمًا﴾ لا عوج له، أو عادلاً، حال مؤكّدة

---

(١) قاله مقاتل ـ كما في تفسير مجمع البيان ٢: ٣٦١، وفيه: لانؤمن ـ.
(٢) في المصحف الشريف بقراءة حفص: «رسالته» كما سيشير اليه المؤلف.
(٣) حجة القراءات: ٢٧٠.
(٤ـ٦) حجة القراءات: ٢٧١.

عاملها معنى الإشارة ﴿قَدْ فَصَّلْنَا﴾ بيّنا ﴿الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾ يتذكرون أي يتعظون فإنهم المنتفعون بها.

[١٢٧] ـ ﴿لَهُمْ﴾ للمتذكرين ﴿دَارُ السَّلَامِ﴾ دار السلامة أو دار الله وهي الجنة ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ في ضمانه ﴿وَهُوَ وَلِيُّهُمْ﴾ متولي أمرهم أو ناصرهم ﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ بسبب أعمالهم أو متوليهم بجزائها.

[١٢٨] ـ ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾ وقرأ «حفص» بالياء[١] أي يجمع الله الخلق ونصبه بإضمار «اذكر» أو نقول ﴿يَا مَعْشَرَ﴾ والضمير لمن يحشر ﴿الْجِنِّ﴾ أي الشياطين ﴿قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ﴾ من اغوائهم أو منهم بالاغواء ﴿وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ﴾ الذين اطاعوهم ﴿رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ﴾ أي أنتفع الإنس بالجن بأن زينوا لهم الشهوات والجن بالإنس بطاعتهم لهم.

وقيل: استمتاع الإنس أن يعوذوا بهم إذا خافوا في واد واستمتاعهم بالإنس إقرارهم بقدرتهم على نفعهم[٢] ﴿وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا﴾ أي البعث وهو تحسر منهم ﴿قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ﴾ مقامكم أو ذات اقامتكم[٣] ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ حال عاملها «مثواكم» ان كان مصدراً أو معنى الإضافة ان كان مكاناً ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ من الأوقات التي يعذبون فيها بغير النار كالزمهرير.

أو إلاّ ما شاء قبل دخولها ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ﴾ في أفعاله ﴿عَلِيمٌ﴾ بخلقه.

[١٢٩] ـ ﴿وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا﴾ نخلّيهم حتى يتولى بعضهم بعضاً أو نكل بعضهم الى بعض في القيامة أو نقرنه به في النّار ﴿بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾

---

(١) تفسير مجمع البيان ٢: ٣٦٥.

(٢) قاله الحسن وابن جريج والزجاج وغيرهم ـ كما في تفسير مجمع البيان ٢: ٣٦٥.

(٣) في «الف»: داراقامتكم. وفي روح المعاني ٨: ٢٣: النار مثواكم اي منزلكم ومحل اقامتكم او ذات ثوائكم على أن المثوى اسم لمكان او مصدر.

من الشرّ.

[١٣٠] ـ ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ﴾ من مجموعكم وهم من الإنس خاصة كـ﴿يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان﴾[١] وقيل من كل من الثقلين[٢] وقيل: رسل الجن رسل للرسل اليهم[٣] ﴿يَقُصُّونَ﴾ يتلون ﴿عَلَيْكُمْ ءَايَاتِي﴾ حججي ﴿وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذا قَالُوا﴾ ـ مجيبين ـ: ﴿شَهِدْنَا عَلى أَنْفُسِنَا﴾ بالكفر واعترفنا باستحقاق العذاب ﴿وَغَرَّتْهُمُ الْحَيٰوةُ الدُّنْيَا﴾ فكفروا ﴿وَشَهِدُوْا عَلى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهِمْ كَانُوا كَافِرِيْنَ﴾ تخطئة لرأيهم إذ اغتروا بالحياة الفانية حتى كان عاقبة أمرهم ان اعترفوا بالكفر واستسلموا للعذاب.

[١٣١] ـ ﴿ذَلِكَ﴾ أي ارسال الرسل، خبر محذوف أي الأمر ذلك ﴿أَنْ﴾ مخففة أو مصدرية بتقدير لام أي لأنه ﴿لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ﴾ أو لانتفاء كونه ﴿مُهْلِكَ الْقُرى﴾ أو بدل من «ذلك» ﴿بِظُلْمٍ﴾ بسبب ظلم منها أو ظالماً ﴿وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ﴾ لم ينبهوا برسول.

[١٣٢] ـ ﴿وَلِكُلٍّ﴾ من المكلفين ﴿دَرَجَاتٌ﴾ مراتب ﴿مِمَّا عَمِلُوْا﴾ من جزاء أعمالهم ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ﴾ بساه ﴿عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ فيخفى عليه قدر جزائه وقرأ «ابن عامر» بالتاء.[٤]

[١٣٣] ـ ﴿وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ﴾ عن خلقه وطاعتهم ﴿ذُوالرَّحْمَةِ﴾ يترحم عليهم بالتكليف ليعرضهم للنفع العام الدائم ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾ يهلككم أيها العصاة ﴿وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ﴾ من الخلق ﴿كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِيْنَ﴾

---

(١) سورة الرحمن: ٥٥/ ٢٢.

(٢) قاله الضحاك والطبري والبلخي ـ كما في تفسير التبيان ٤/ ٢٧٧.

(٣) قاله ابن عباس ـ كما في تفسير مجمع البيان ٢: ٣٦٧.

(٤) حجة القراءات: ٢٧٢.

اذهبهم لكنه ابقاكم رحمة لكم.

[١٣٤] - ﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ﴾ من البعث والجزاء ﴿لآتٍ﴾ لا محالة ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ مريدكم به.

[١٣٥] - ﴿قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوْا عَلى مَكَانَتِكُمْ﴾ تمكنكم أو طريقتكم أو حالتكم وجمعه «أبو بكر» حيث وقع[1] وهو تهديد أي أثبتوا على كفركم وتسجيل بأن المهدد لايتأتي منه إلاّ الشرك المأمور بـه الذي ليس له التفصي عنه ﴿إِنّي عَامِلٌ﴾ على ما أنا عليـه من الإسلام ومصابرتكم ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ﴾ موصولة مفعول العلم أو استفهامية معلق عنها، أي أيّنا ﴿تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ﴾ أي العاقبة الحسنى في الدار الآخرة وهو انذار مع انصاف في القول وتضمن وثوق المنذر بأنـه محق، وقرأ «حمزة» و«الكسائي» «يكون»[2] بالياء ﴿إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ وضع موضع الكافرين لعمومه.

[١٣٦] - ﴿وَجَعَلُوْا﴾ أي المشركون ﴿للهِ مِمَّا ذَرَأَ﴾ خلق ﴿مِنَ الْحَرْثِ﴾ الزرع ﴿وَالْأَنْعَامِ نَصِيباً﴾ حظاً يطعمونه الضيفان والمساكين ولآلهتهم منه نصيباً يصرفونه الى سدنته[3]ا ﴿فَقَالُوا هذا للهِ بِزَعْمِهِمْ﴾ وضمه والآتي «الكسائي»[4] ﴿وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلاَ يَصِلُ إِلى اللهِ﴾ الى جهته ﴿وَمَا كَانَ للهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ﴾ كانوا إذا رأوا نصيب الله أزكى بدّلوه بنصيب آلِهتهم، وإن رأوا نصيب آلهتهم أزكى تركوه لها.

وقيل: إن سقط في نصيبه شيء من نصيبها التقطوه، وإن انعكس تركوه لها[5] ﴿سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ حكمهم هذا.

(١و٢) حجة القراءات: ٢٧٢.

(٣) السدنة: جمع سادن، بمعنى الحاجب والخادم.

(٤) حجة القراءات: ٢٧٣.

(٥) قاله ابن عباس وقتادة ـ كما في تفسير مجمع البيان ٢: ٣٧٠.

[١٣٧] ـ ﴿وَكَذَلِكَ﴾ كما زين لهم فعلهم ﴿زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ﴾ بالوأد، ونحرهم للأصنام ﴿شُرَكَاؤُهُمْ﴾ من الشياطين أو السدنة. وهو فاعل «زيّن» وبناه «ابن عامر» للمفعول وهو «قتل» ونصب «أولادهم»، وجرَّ «شركائهم» بإضافة «قتل» اليه، مفصولاً بينهما بمفعوله.[1] وهو قبيح في ضرورة الشعر فكيف في القرآن المعجز ﴿لِيُرْدُوهُمْ﴾ ليهلكوهم ﴿وَلِيَلْبِسُوا﴾ يخلطوا ﴿عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ﴾ أي ما كانوا عليه من دين اسماعيل. واللام للعلة ان كان المزين الشيطان، وللعاقبة ان كان السدنة[2] ﴿وَلَوْ شَاءَ اللهُ﴾ قسرهم ﴿مَا فَعَلُوهُ﴾ ما فعل المشركون والشركاء ذلك ﴿فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ وافتراءهم، أو ما يفترونه.

[١٣٨] ـ ﴿وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ﴾ حرام فعل بمعنى مفعول كالذبح، يستوي فيه الواحد والكثير والذكر وغيره ﴿لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ﴾ من خدم الأصنام والرجال دون النساء ﴿بِزَعْمِهِمْ﴾ بلا حجة ﴿وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا﴾ كالبحائر والسوائب والحوامي ﴿وَأَنْعَامٌ لَا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللهِ عَلَيْهَا﴾ في ذبحها بل يهلون عليها بأصنامهم ﴿افْتِرَاءً عَلَيْهِ﴾ حال، أو مفعول له، أو مصدر، لأن «قالوا» بمعنى افتروا على الله بنسبة ذلك اليه ﴿سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ بسببه أو مقابله.

[١٣٩] ـ ﴿وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ﴾ أجنّة البحائر والسوائب ﴿خَالِصَةٌ لِذُكُورِنَا﴾ حلال لهم خاصة، وتأنيثها لمعنى «ما» أي الأجنة، أو ناؤها للمبالغة كراوية الشعر ﴿وَمُحَرَّمٌ﴾ ذكرّ للفظ «ما» ﴿عَلَى أَزْوَاجِنَا﴾ أي الاناث إن ولد حياً ﴿وَإِنْ يَكُنْ مَيْتَةً فَهُمْ﴾ فالذكور والاناث ﴿فِيهِ شُرَكَاءُ﴾ سواء، وقرأ «ابن عامر» «تكن» بالتاء ورفع «ميتة» و«أبو بكر» بالتاء والنصب، و«ابن كثير» بالياء والرفع، و«الباقون» بالياء

---

(١) حجة القراءات: ٢٧٣ وفي تفسير البيضاوي ٢: ٢٠٩: الذي هو القتل وفي«ب» و«ج»: ورفع «قتل».

(٢) في«الف»: ان كان التزيين من الشيطان وللعاقبة ان كان من السدنة.

والنصب[١] ﴿سَيَجْزِيْهِمْ وَصْفَهُمْ﴾ جزاء وصفهم أي تحليلهم وتحريمهم ﴿إِنَّهُ حَكِيمٌ﴾ في فعله ﴿عَلِيمٌ﴾ بخلقه.

[١٤٠] ـ ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِيْنَ قَتَلُوْا﴾ وشدده «ابن كثير» و«ابـن عامر»[٢] ﴿أَوْلَادَهُمْ﴾ بناتهم، خشيـة الفقر أو العار ﴿سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ لخفة عقلهم وجهلهم ﴿وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللهُ﴾ مـما ذكر ﴿افْتِرَاءً عَلَى اللهِ﴾ سبق مثـله ﴿قَدْ ضَلّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ الى الحق.

[١٤١] ـ ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ﴾ بساتين ﴿مَعْرُوشَاتٍ﴾ مرفوعات بالدعائم، أو ما غرسه النـاس فعرشوه ﴿وَغَيْرَ مَعْروشَاتٍ﴾ ملقيـات على الأرض، أو ما نبـت في البراري ﴿وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ﴾ ثمـره هيئةً وكيفـاً. والهـاء لكل مـن النخل والزَّرع، و«مختلفاً» حال مقدرة ﴿وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا﴾ أي بعض افرادهما طعماً ولوناً ﴿وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ﴾ أي بعضها ﴿كُلُوْا مِنْ ثَمَرِهِ﴾ ثمر كل من ذلك ﴿إِذَا أَثْمَرَ﴾ وإن لـم يدرك ﴿وَءَاتُوْا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ وكسر الحاء اكثرهم[٣] والمراد به التصدق بشيء منه غير الزكاة لفرضها بالمدينة والآية مكية.

وقيل: الزكاة، والآية مدنية[٤] ﴿وَلَا تُسْرِفُوْا﴾ في الصدقة فلا يبقى لعيالكم شيء ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِيْنَ﴾ لا يرضى فعلهم.

[١٤٢] ـ ﴿وَمِنَ الْأَنْعَامِ﴾ وأنشأ منهـا ﴿حَمُولَةً﴾ مـا يحمل الأثقال أو الكبـار الصالحة للحمل ﴿وَفَرْشًا﴾ ما يفرش للذبح، أو يفرش مـا نسج من صوفه ونحوه، أو الصغار الدانية مـن الأرض كالفرش لها ﴿كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ﴾ فإنه مبـاح لكم ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ طرقـه في التحـليل والـتحريم ﴿إِنَّهُ لَكُـمْ عَدُوٌّمُبِـيْنٌ﴾

---

(١) حجة القراءات: ٢٧٤ ـ ٢٧٥.

(٢-٣) حجة القراءات: ٢٧٥.

(٤) نقله الفيض في تفسير الصافي ٢: ١٦٢.

بيّن العداوة.

[١٤٣] ـ ﴿ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾ بدل من «حمولة وفرشاً». والزوج ما معه آخر من جنسه. وهو المراد ويقال لمجموعهما ﴿مِنَ الضَّأْنِ﴾ اسم جنس كالإبل، أو جمع ضائن، زوجين ﴿اثْنَيْنِ﴾ الكبش والنعجة وهو بدل من «ثمانية أزواج» ﴿وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ﴾ جمع «ماعز» وفتحه «ابن كثير» و«أبو عمر» و«ابن عامر»[١] ﴿قُلْ﴾ انكاراً على من حرَّم ما أحلَّ الله ﴿ءَالذَّكَرَيْنِ﴾ من الضأن والمعز ﴿حَرَّمَ﴾ الله ﴿أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ﴾ منهما ﴿أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ﴾ أم ما حملت الانات منهما ذكراً كان أو انثى ﴿نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ﴾ بحجة، تدل على أن حرَّم شيئاً من ذلك ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ فيه. الزموا بأن التحريم إن كان للذكورة فكلّ ذكر حرام، أو للانوثة، فكل انثى حرام أو لاشتمال الرحم فالصنفان، فمن أين التخصيص ببعض دون بعضٍ.

[١٤٤] ـ ﴿وَمِنَ الإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ ءَالذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ﴾ كما مرّ ﴿أَمْ﴾ بل أ﴿كُنْتُمْ شُهَدَاءَ﴾ حضوراً ﴿إِذْ وَصَّيكُمُ اللهُ بِهَذَا﴾ التحريم إذ لم تؤمنوا بنبيّ فلا طريق لكم الى معرفته إلاّ المشاهدة ﴿فَمَنْ﴾ أي أحد ﴿أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا﴾ بنسبة تحريم ذلك اليه ﴿لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ إلى ثوابه، أو لا يلطف به.

[١٤٥] ـ ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِيمَا أُوحِيَ إِلَيَّ﴾ مطلقاً أو في القرآن طعاماً ﴿مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ﴾ ويفيد أن لاتحريم إلاّ بالوحي ﴿إِلَّا أَنْ يَكُونَ﴾ الطعام ﴿مَيْتَةً﴾ وقرأ «حمزة» و«ابن كثير» «تكون» بالتاء لتأنيث الخبر، و«ابن عامر» «بالتاء»، ورفع «ميتة» على تمامية «كان»[٢] ﴿أَوْدَمًا﴾ عطف على «ميتة»، وان رفعتها فعلى المستثنى ﴿مَسْفُوحًا﴾ مصبوباً. ولا عبرة بمفهومه، فلا ينافي ما دلّ على تحريمه مطلقاً إلاّ ما

---

(١) حجة القراءات: ٢٧٥.

(٢) حجة القراءات: ٢٧٦.

استثنى بدليل ﴿أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ﴾ فإنَّ الخنزير أو لحمه خبيث قذر ﴿أَوْ فِسْقًا﴾ عطف على «لحم خنزير» ﴿أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ﴾ ذبح على اسم الصنم، وسمي فسقاً لتوغله فيه ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ﴾ إلى تناول شيء من ذلك ﴿غَيْرَ بَاغٍ﴾ اللذّة ﴿وَلاَ عَادٍ﴾ حد الضرورة ﴿فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ﴾ له ﴿رَحِيمٌ﴾ به، والآية محكمة، إذ مفادها عدم وجدان محرَّم الى تلك الغاية غير هذه، فلا ينافيه تحريم شيء آخر بعدها، ولا في ذلك الوقت، لجواز كون الحصر إضافياً، أو تخصيص عموم الإباحة بدليل.

[١٤٦] ـ ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ﴾ كل ما له إصبع كالإبل والطيور والسباع أو كل ذي مخلب وحافر ﴿وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا﴾ الثروب وشحم الكلى ﴿إِلاَّ مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا﴾ اشتمل عليها ﴿أَوِ الْحَوَايَا﴾ أو ما اشتمل على الامعاء جمع «حاوية» أو حاوياء ﴿أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ﴾ هو شحم الالية لاختلاطه بالعصص[1] ﴿ذَلِكَ﴾ الجزاء ﴿جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ﴾ بسبب ظلمهم ﴿وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ فيما نقول.

[١٤٧] ـ ﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ﴾ حيث أمهلكم، أولأهل طاعته ﴿وَلاَ يُرَدُّ بَأْسُهُ﴾ عذابه ﴿عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ إذا نزل.

[١٤٨] ـ ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلاَ ءَابَاؤُنَا وَلاَ حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ﴾ أي لو شاء خلاف ذلك ما فعلناه نحن ولا آباؤنا ولكن فعلناه بمشيّته لا باختيارنا. تعللوا بقول المجبرة ﴿كَذَلِكَ﴾ كما كذبوا شهادة الحجج العقليّة والسمعية بغناه تعالى وبراءته من مشيّته القبائح بالذات ﴿كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ الحجج ﴿حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا﴾ عذابنا ﴿قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ﴾ حجة توجب علماً فيما زعمتم ﴿فَتُخْرِجُوهُ﴾ فتبدوه ﴿لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ﴾ في ذلك ﴿إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلاَّ تَخْرُصُونَ﴾ تكذبون فيه.

(١) العصص: عظم الذنب.

[١٤٩] ـ ﴿قُلْ فَلِلهِ الحُجَةُ البَالِغَةُ﴾ البيّنة التي بلغت قطع غدر المحجوج من «حج» أي قصد ﴿فَلَوْشَاءَ لَهَداكُم أجمَعِينَ﴾ بإلجائكم اي الأيمان لكنّه لم يشأ لمنافاته المحكمة.

[١٥٠] ـ ﴿قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمُ﴾ احضروهم. اسم فعل لا ينصرف عند الأكثر، وقد يجعل فعلاً فيؤنث ويثنى ويجمع، وهو متعدّ ولازم ﴿الَّذِيْنَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللهَ حَرَّمَ هَذَا﴾ وهم قدوتهم فيه. استحضروا لتلزمهم الحجة بانقطاعهم كمقلديهم، ولذلك أضيف الشهداء إليه وجعلوا معهودين بالوصف ﴿فَإِنْ شَهِدُوا فَلاَ تَشْهَدْ مَعَهُم﴾ فلاتصدقهم إذ تصديقهم كالشهادة معهم بالباطل، ﴿وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ الَّذِيْنَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا﴾ وضع موضع ﴿ولا تتبع أهواءهم﴾[1] ليدلّ على أنّ مكذب الآيات متبع هواه لاغير ﴿وَالَّذِينَ لاَيُؤمِنُونَ بَالآخِرَةِ﴾ كعبدة الأصنام ﴿وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ يجعلون له عديلاً. وتفيد الآية منع التقليد، ووجوب اتباع الحجة دون الهوى.

[١٥١] ـ ﴿قُلْ تَعَالَوْا﴾ أصله أمر من «علا مكانه» لمن سفل ثم عمّم اتّساعاً ﴿أَتْلُ﴾ أقرأ ﴿مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ﴾ منصوب بـ«أتْل» و«ما» موصولة أو مصدرية أو استفهامية منصوبة بـ«حرّم» والجملة مفعول «أتل» لأنه بمعنى «أقول» أي شيء حرّم ربكم ﴿عَلَيْكُمْ﴾ متعلق بـ«أتل» أو «حرّم» ﴿أَلاَّ تُشْرِكُوْا بِهِ﴾ «أن» مفسرة وتعليق المفسر وهو «أتل» بـ«ما حرّم» لا يمنع عطف الأوامر عليه، لرجوع التحريم فيها إلى اضدادها، وإن جعل «أن» ناصبة فهي منصوبة بـ«عليكم» على الاغراء، أو بالبدل من «ما» على زيادة «لا» أو مجرور بلام مقدرة ﴿شَيْئًا﴾ مفعول أو مصدر ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ﴾ وأحسنوا بهما ﴿إِحْسَانًا وَلاَ تَقْتُلُوْا أَوْلاَدكُمْ مِنْ إِمْلاَقٍ﴾ من خشية فقر ﴿نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ فانتفى ما زعمتموه علّة لقتلهم ﴿وَلاَ تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ﴾ الكبائر أو الزنا ﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ كقوله: ﴿ظاهر الإثم وباطنه﴾[1] ﴿وَلاَ تَقْتُلُوا

(١) سورة المائدة: ٥/ ٤٨.

﴿النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ﴾ كالقود، وحدّ المحصن والمرتد ﴿ذَلِكُمْ﴾ المذكور ﴿وَصّيكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ ما وصّاكم به ولا تضيّعونه.

[١٥٢] ـ ﴿وَلاَ تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي﴾ بالخصلة التي ﴿هِيَ أَحْسَنُ﴾ ما يفعل بماله كحفظه وتثميره ﴿حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾ يصير بالغاً رشيداً، وهو جمع شدَّ أو «شدة» أو مفرد ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيْزَانَ بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل ﴿لاَ نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا﴾ إلاّ ما يسعها وتطيقه في ذلك إذ يعسر مراعاة حدّ العدل في إيفاء الحق فلا يجب إلاّ ما في الوسع ويعفى عما وراءه ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ﴾ في حكم ونحوه ﴿فَاعْدِلُواْ﴾ فيه ﴿وَلَوْ كَانَ﴾ المقول له أو عليه ﴿ذَا قُرْبَى﴾ قرابة ﴿وَبِعَهْدِ اللهِ﴾ ما عهد اليكم مما أوجبه عليكم ﴿أَوْفُوْا ذَلِكُمْ وَصَّيْكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ تتعظون وخففه «حمزة»، و«الكسائي» و«حفص» حيث وقع.[٢]

[١٥٣] ــ ﴿وَأَنَّ هَذا﴾ المذكور في السورة من بيان الدين، وكسرها «حمزة» و«الكسائي» استئنافاً،[٣] وفتحه خفيفة «ابن عامر»[٤] والباقون مشددَة بتقدير اللام علة لـ«اتبعوه» أي ولأنَّ هذا ﴿صِرَاطِي﴾ وفتح «ابن عامر» الياء[٥] ﴿مُسْتَقِيمًا﴾ حال ﴿فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ﴾ الطرق المختلفة المخالفة له ﴿فَتَفَرَّقَ﴾ فتفرّق أي تميل ﴿بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ دينه ﴿ذلِكُمْ﴾ الاتباع ﴿وَصّيْكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ الضلال عن الحق.

[١٥٤] ـ ﴿ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ عطف على «وصّيكم» و«ثم» لترتيب الاخبار ﴿تَمَامًا﴾ للنعمة، مفعول له ﴿عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ﴾ بالقيام به أو بتبليغه وهو موسى

(١) سورة الانعام: ٦/ ١٢٠.
(٢) تفسير مجمع البيان ٢: ٣٨٣.
(٣-٤) حجة القراءات: ٢٧٧.
(٥) النشر في القراءات العشر ٢: ٢٦٧.

﴿وَتَفْصِيلاً﴾ بياناً ﴿لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ يحتاج إليه في الدين ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ﴾ أي أمة موسى ﴿بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾ أي بالبعث.

[١٥٥] ـ ﴿وَهَذَا﴾ القرآن ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ﴾ كثير الخير ﴿فَاتَّبِعُوهُ﴾ اعملوا بما فيه ﴿وَاتَّقُوْا﴾ مخالفته ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ باتباعه.

[١٥٦] ـ ﴿أَنْ تَقُولُوْا﴾ أي أنزلناه كراهة أن تقولوا ﴿إِنَّمَا أُنْزِلَ الْكِتَابُ عَلى طَائِفَتَيْنَ مِنْ قَبْلِنَا﴾ اليهود والنصارى ﴿وَإِنْ﴾ مخففة ﴿كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ﴾ تلاوتهم ﴿لَغَافِلِيْنَ﴾ أي لا نعرف مثلها، واللام فارقة.

[١٥٧] ـ ﴿أَوْ تَقُولُوْا لَوْ أَنَّا أُنْـزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ﴾ لذكائنا أو حدة أذهاننا ﴿فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ﴾ حجة واضحة بلسانكم ﴿مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ﴾ لمن اتبعها ﴿فَمَنْ﴾ أي: لا أحد ﴿أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَّبَ بِآيَاتِ اللهِ وَصَدَفَ عَنْهَا﴾ صدّ، وأعرض عنها ﴿سَنَجْزِي الَّذِيْنَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ﴾ شدته ﴿بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ﴾ بصدفهم.

[١٥٨] ـ ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ﴾ ما ينتظر كفرة مكة ﴿إِلاَّ أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَئِكَةُ﴾ لتوفيهم، أو بالعذاب. وقرأ «حمزة» و«الكسائي» بالياء[1] ﴿أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ﴾ أي أمره بالعذاب أو إهلاكه إياهم عاجلاً أو آجلاً ﴿أَوْ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَاتِ رَبِّكَ﴾ أي أشراط الساعة كطلوع الشمس من مغربها وغيره ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَاتِ رَبِّكَ﴾ الملجئة إلى المعرفة ﴿لاَ يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا﴾ حينئذ لزوال التكليف ﴿لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ﴾ صفة «نفساً» ﴿أَوْ﴾ لم تكن ﴿كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا﴾ طاعة والمعنى لا ينفع نفساً خلت من الأمرين إيمانها وينفعها إن حصل أحدهما ﴿قُلِ انْتَظِرُوا﴾ إتيان أحد الثلاثة ﴿إِنَّا مُنْتَظِرُونَ﴾ ذلك.

[١٥٩] ـ ﴿إِنَّ الَّذِيْنَ فَرَّقُوْا دِينَهُمْ﴾ اختلفوا فيه فآمنوا ببعض، وكفروا ببعض.

---

(١) حجة القراءات: ٢٧٧.

قال صلّى الله عليه وآله وسلّم: افترقت اليهود إحدى وسبعين فرقة، كلها في النار إلاّ واحدة، والنصارى اثنين وسبعين فرقة كلها في النار إلاّ واحدة وتفترق أُمتي ثلاثاً وسبعين فرقة، كلها في النار إلاّ واحدة،[1] وقرأ «حمزة» و«الكسائي»: «فارقوا»[2] أي تركوا ﴿وَكَانُوا شِيَعًا﴾ فرقاً، كل فرقة تشيع إماماً ﴿لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ أي من السؤال عن تفرّقهم أو من عقابهم أو نهى عن قتالهم ونسخ بآية السيف ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللهِ﴾ في مجازاتهم ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ بالمجازاة.

[١٦٠] ـ ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ أي جزاء عشر حسنات أمثالها فضلاً منه تعالى، ونوّن «يعقوب» «عشر» ورفع «أمثالها» صفة لـ«عشر»[3] ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلا يُجْزَى إِلاَّ مِثْلَهَا﴾ أي جزاؤه عدلاً منه تعالى ﴿وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾ بنقص ثواب وزيادة عقاب.

[١٦١] ـ ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي﴾ وفتح «نافع» و«أبو عمرو» ياء «ربي»[4] ﴿إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا﴾ بدل من محل «صراط» إذ معناه هداني صراطاً ﴿قِيَمًا﴾ فيعلاً من قام كـ«سيد» من «ساد» وهو إبلغ من قائم. وقرأ «الكوفيون» و«ابن عامر» «قِيما» بكسر القاف وفتح الياء مخففة[5] مصدراً كالقيام وصف به ﴿مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾ عطف بيان لـ«دينا» ﴿حَنِيفًا﴾ حال من «ابراهيم» ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ عطف عليه.

[١٦٢] ـ ﴿قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي﴾ عبادتي أو قرباني ﴿وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي﴾ حياتي وموتي، أو ما آتيه في حياتي وأموت عليه من الإيمان، وسكن «نافع» ياء «محياى»

---

(١) جوامع الجامع ١: ٤٢٢، وسنن الترمذي ٥: ٢٦ الحديث رقم ٢٦٤١.

(٢) حجة القراءات: ٢٧٨.

(٣) تفسير مجمع البيان ٢: ٣٨٩.

(٤) النشر في القراءات العشر ٢: ٢٦٧.

(٥) حجة القراءات: ٢٧٨.

وهو شاذ وفتح ياء «مماتي»[١] ﴿لِلهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

[١٦٣] ـ ﴿لاَ شَرِيْكَ لَهُ﴾ خالصة له وحده ﴿وَبِذَلِكَ﴾ الإخلاص ﴿أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ من هذه الأمّة.

[١٦٤] ـ ﴿قُلْ﴾ إنكاراً لما دعوك اليه من عبادة آلهتم: ﴿أَغَيْرَ اللهِ أَبْغِي رَبًّا﴾ أي أطلب غيره إلهاً ﴿وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾ فكلّ ما سواه مربوب لا يصلح للربوبية ﴿وَلاَ تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلاَّ عَلَيْهَا﴾ فلا ينفعني إن أشركت به إشراككم ﴿وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ﴾ ولا تحمل نفس آثمة ﴿وِزْرَ﴾ نفس ﴿أُخْرَى ثُمَّ إِلى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ بتمييزه الحق من الباطل.

[١٦٥] ـ ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلائِفَ الْأَرْضِ﴾ يخلف بعضكم بعضاً أو خلفاء الأمم السابقة ﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾ بالشرف والمال ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾ ليختبركم ﴿فِيمَا ءَاتَاكُمْ﴾ من ذلك، كيف يشكر الرفيع ويصبر الوضيع ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيْعُ الْعِقَابِ﴾ إذا أراده فاحذروه، أو لأنّ ما هو آت قريب ﴿وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ﴾ للمؤمنين ﴿رَحِيمٌ﴾ بهم.

(١) حجة القراءات: ٢٧٩.

سورة الأعراف

[٧]

مائتان وست آيات مكية إلاّ ثمان من: «وَسئَلْهُم»[(١)]

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ـ ﴿الٓمٓصٓ﴾ فسّر مثله.[(٢)]

[٢] ـ ﴿كِتابٌ﴾ خبر محذوف أو «المص» ﴿أُنْزِلَ إلَيْكَ﴾ صفته ﴿فلاَ يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ﴾ ضيق من تبليغه خوفاً أن تكذب، أو شك. والفاء للعطف، أو جواب مقدر أي إذا أنزل اليك ﴿لِتُنْذِرَ بِهِ﴾ فلا يحرج صدرك، ونهي الحرج مبالغة. «لتنذر به» متعلق بـ«أنزل» ﴿وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ عطف على «كتاب» أو محل «لتنذر» أو مصدر أي ولتذكر ذكرى أي تذكيراً.

[٣] ـ ﴿اتَّبِعُواْ مَا أُنْزِلَ إلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ من القرآن والسنة ﴿وَلاَ تَتَّبِعُواْ مِنْ دُونِهِ﴾ ولا تتخذوا غير الله ﴿أَوْلِيَاءَ﴾ تطيعونهم في معصيته تعالى ﴿قَلِيْلاً مَا تَذَكَّرُونَ﴾ أي

(١) وهي الآية ١٦٣ من هذه السورة.

(٢) وذلك عند تفسير قوله تعالى: «الم» في اول سورة البقرة.

تذكـراً قليلاً تتذكرون. و«مـا» زيدت لتوكيد القلّـة، وخففه الكوفيون غيـر «أبي بكر»[١] وزاد «ابن عامر» ياءً[٢] والخطاب له صلّى الله عليه وآله وسلّم.

[٤] ـ ﴿وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ﴾ أي أهلها. و«كم» خبرية ﴿أَهْلَكْنَاهَا﴾ أردنا إهلاكها، أو خذلناها، خبر «كم» أو ناصبها ﴿فَجاءَها بَأْسُنا﴾ عذابنا ﴿بَيَاتًا﴾ مصدر وقع حالاً أي بائتين ﴿أَوْهُمْ قائِلُونَ﴾ عطف عليه. وحذفت واو الحال استثقالاً.

والقيلولة استـراحة نصف النهار، وخص الوقتان مبـالغة في غفلتهم ولان مجيء العذاب فيهما أفظع.

[٥] ـ ﴿فَما كانَ دَعْوَاهُمْ﴾ أي دعـاؤهم ﴿إِذْ جاءَهُـمْ بَأْسُنا إِلاّ أَنْ قـالُواْ إِنّـا كُنّا ظالِمينَ﴾ إلاّ اقرارهم بظلمهم.

[٦] ـ ﴿فَلَنَسْئَلَنَّ﴾ الـلام للقسـم ﴿الَّذِيْـنَ أُرْسِلَ إِلَيهِمْ﴾ عن اجـابتهم الـرسل ﴿وَلَنَسْئَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾ عما اجيبوا.[٣]

والسؤالان توبيـخ للكفرة. والمنفي في: ﴿ولا يسئل عن ذنوبهـم المجرمون﴾[٤] سؤال الإستعلام، أو هذا في موقف وذاك في آخر، إذ القيامة مواقف.

[٧] ـ ﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِمْ﴾ على الرسل والمرسل اليهم أحوالهم ﴿بِعِلْمٍ﴾ عالمين بها أو بمعلومنا منها ﴿وَمَا كُنَّا غَائبينَ﴾ عنها فتخفى علينا.

[٨] ـ ﴿وَالْوَزْنُ﴾ القضاء، أو وزن الأعمال بعد تجسيمها أو صحـائفها بميزان له لسان وكفتان يراه الخلق إظهاراً للعدل وقطعاً للعذر.

وقيل توزن الأشخاص[٥] ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ خبر «الوزن» أي يـوم السؤال ﴿الْحَقُّ﴾ العدل

---

(١) تفسير مجمع البيان ٢: ٣٩٤.

(٢) حجة القراءات: ٢٨٠.

(٣) في «ط»: اجيبوا به.

(٤) سورة القصص: ٢٨/ ٧٨.

(٥) نقله البيضاوي في تفسيره ٢: ٢١٩.

صفة «الوزن» ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِيْنُهُ﴾ حسناته أو ميزانها جمع موزون، أو ميزان، وجمع باعتبار تعدد الحسنات ﴿فَأُوْلئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ الفائزون بالثواب.

[٩] ـ ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلئِكَ الَّذينَ خَسِرُواْ أَنْفُسَهُمْ﴾ بتعريضها للعذاب ﴿بِما كانُوا بِآياتِنا يَظْلِمُونَ﴾ يكذبون.

[١٠] ـ ﴿وَلَقَدْ مَكنَّاكُمْ فِي الأَرْضِ﴾ في التصرف فيها ﴿وَجَعَلْنا لَكُمْ فِيها مَعايِشَ﴾ أسباباً تعيشون بها جمع «معيشة» وعن «نافع» همزة،[1] ﴿قَلِيْلاً ما تَشْكُرُونَ﴾ على ذلك.

[١١] ـ ﴿وَلَقَدْ خَلَقْناكُمْ ثُمَّ صَوَّرْناكُمْ﴾ أي خلقنا أباكم «آدم» عن مصوّر ثم صورناه ﴿ثُمَّ قُلْنا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدوا لادَمَ﴾ السجود لله تكرمة لآدم ﴿فَسَجَدُواْ إِلاّ إِبْلِيْسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِديْنَ﴾.

[١٢] ـ ﴿قالَ ما مَنَعَكَ اَلاّ تَسْجُدَ﴾ «لا» زائدة أو أريد ما حملك على أن لا تسجد إذ الممنوع عن شيء محمول على خلافه ﴿إِذْ أَمَرْتُكَ﴾ يفيد أن الأمر للوجوب ﴿قالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ﴾ ويقبح أمر الأفضل بالتخضع للمفضول فهو جواب من حيث المعنى كأنه قال المانع ذلك. وهو أول مَن تكبر، وعَلّل فضله عليه بقوله ﴿خَلَقْتَنِي مِنْ نارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِيْنٍ﴾ ظاناً ان النار خير من الطين، وأن الفضل باعتبار العنصر، وقد غلط في كليهما لأنَّ الفضل لمن فضّله الله وقد فضل الطين على النار من جهات متعددة، وفضل آدم على المخلوق من النور كالملائكة، حيث أمرهم بالسجود له فضلاً عن المخلوق من النار.

قال ابن عباس: «أول من قاس ابليس فأخطأ، فمن قاس الدين برأيه قرنه الله

(١) في تفسير مجمع البيان ٢: ٣٩٩: وروى بعضهم عن نافع: «معائش» ممدوداً مهموزاً.

معه»[1] ونحوه عن ائمتنا عليهم السّلام .[2]

[١٣] ـ ﴿قالَ فَاهْبِطْ مِنْها﴾ من الجنة أو السماء ﴿فما يَكُونُ﴾ يصح ﴿لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيها﴾ فإنها لا يسكنها متكبر ﴿فَاخْرُجْ﴾ منها ﴿إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِيْنَ﴾ الأذلاء، فإن من تواضع لله رفعه ومن تكبر وضعه.

[١٤] ـ ﴿قالَ أَنْظِرْنِي﴾ أمهلني فلا تمتني، أو أخّر جزائي ﴿إِلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ أي الخلق.

[١٥] ـ ﴿قالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ﴾ محمول على ما قيّد بقوله ﴿الى يوم الوقت المعلوم﴾[3] وهو النفخة الأولى.

[١٦] ـ ﴿قالَ فَبِما أَغْوَيْتَنِي﴾ خيّبتني أو كلّفتني بما غويت لأجله، أو أهلكتني أي بسبب اغوائك لي أقسم ﴿لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ﴾ لبني آدم ﴿صِراطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ طريق الحق. نصب ظرفاً أو بتقدير «على».

[١٧] ـ ﴿ثُمَّ لآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمائِلِهِمْ﴾ أي من جهاتهم الأربع فأُضلهم عن سلوكه ولم يقل «من فوقهم» لنزول الرحمة منه. ولا«من تحتهم» لإيحاش الإتيان منه.

وقيل[4] «من بين ايديهم» من قبل الآخرة و«من خلفهم» من قبل الدنيا، والآخران من جهة حسناتهم وسيئاتهم ومجيء «من» في الأوّلين لتوجهه منهما إليهم، و«عن» في الآخرين لانحراف الآتي منهما اليهم ﴿ولاَ تَجدُ أَكْثَرَهُمْ شاكِرينَ﴾ مؤمنين. قاله ظناً ﴿ولقد صدّق عليهم إبليس ظنّه﴾،[5] أو من جهة الملائكة.

---

(١) يقرب منه ما في تفسير مجمع البيان ٢: ٤٠٢.

(٢) تفسير البرهان ٢: ٤ـ ٥ وتفسير نور الثقلين ٢: ٧.

(٣) سورة الحجر: ١٥/ ٣٨.

(٤) قاله ابن عباس ـ كما في تفسير البيضاوي ٢: ٢٢١.

(٥) كما ورد في الآية ٢٠ من سورة سبأ: ٣٤.

[١٨] ـ ﴿قالَ اخْرُجْ مِنْهـا مَذْءُومًا﴾ معيباً أو مذمـوماً ﴿مَدْحُورًا﴾ مطروداً ﴿لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ﴾ لام الإبتداء موطّئة للام القسم في ﴿لَأَمْلَئَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ منك ومن ذريتك ومنهم، غلّب الحاضر والجملة نابت جزاء الشرط.

[١٩] ـ ﴿وَيا ءَادَمُ﴾ وقال: يا آدم ﴿اسْكُنْ أَنتَ﴾ تأكيد لفاعل «اسكن» ليعطف عليه ﴿وَزَوْجُكَ﴾ حواء بالمدّ ﴿الْجَنَّةَ فَكُلا مِنْ حَيْثُ شِئْتُما وَلا تَقْـرَبا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ بالأكل ﴿فَتَكُونا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ الباخسين أنفسهم الثواب. و«تكونا» نصب جواباً، أو جزم بالعطف.

[٢٠] ـ ﴿فَوَسْوَسَ لَهُما﴾ لأجلهما أو اليهمـا. وأصل الوسوسـة الصوت الخفي ﴿الشَّيْطانُ﴾ ابليس ﴿لِيُبْدِيَ لَهُما﴾ ليظهر لهمـا. واللام للعـاقبة أو للغـرض بأن أراد بوسـوسته إساءتهمـا ببدو[1] عـوراتهمـا ﴿مَاوُرِيَ﴾ ستـر ﴿عَنْهُمـا مِنْ سَوْءَاتِهِمـا﴾ عوراتهما، وكانا لا يريانها من أنفسهما ولا احدهما من الآخر.

ويفيد قبح كشفهـا في الخلوة، وعنـد الزوج لا لحاجـة طبعاً. ﴿وَقالَ مانَهاكُما رَبُّكُما عَنْ هـذِهِ الشَّجَرَةِ إِلاّ﴾ كراهة ﴿أَنْ تَكُونـا مَلَكَيْنَ أَوْ تَكُونا مِنَ الْخـالِدِيْنَ﴾ في الجنة أو الذين لا يمـوتون. ولا يفيد فضل الملائكة على الأنبياء لأنهمـا انّما رغبا في حصـول خواص المـلائكة لهمـا كإلكمـال الفطري والإستغنـاء عن الغذاء، وهـذا لا يوجب فضلهم مطلقاً، أو المعنى أن النهي عنها للملائكة والخالدين دونكما.

[٢١] ـ ﴿وَقَاسَمَهُما إِنِّي لَكُما لِمَنَ النَّاصِحينَ﴾ أي أقسم لهما بالله على ذلك من «فاعل»[2] مبالغة وقيل اقسما له بالقبول.

[٢٢] ـ ﴿فَدَلّاهُما﴾ أي حطهما عن درجتهما العالية الى رتبة سالفة ﴿بِغُرُورٍ﴾ بأن غرّهمـا بقسمه لظنهمـا بأن أحداً لا يقسـم بالله كـذباً ﴿فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ﴾ أي ابتـدا

(١) في «الف» و«ب»: يبدى.

(٢) تفسير البيضاوي ٢: ٢٢٢.

بالأكل منها ﴿بَدَتْ لَهُما سَوْءَاتُهُما﴾ أي ظهر لكل منهما قبله وقبل الآخر ودبره.

وسميت العورة سوأة لأن انكشافها يسوء صاحبها ﴿وَطَفِقا يَخْصِفانِ﴾ أي أخذا يرقّعان ورقة على ورقة ﴿عَلَيْهِما مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ﴾ وهو ورق التين ليستترا به ﴿وَناداهُما رَبُّهُما أَلَمْ أَنْهَكُما عَنْ تِلكُما الشَّجَرةِ وَأَقُلْ لَكُما إِنَّ الشَّيْطانَ لَكُما عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ عتاب على مخالفة النهي وان كان نهي تنزيه، وقبول قول العدّو والإستفهام للتقرير.

[٢٣] - ﴿قالاَ رَبَّنا ظَلَمْنا أَنْفُسَنا﴾ بخسناها الثواب بفعل ما تركه أولى ﴿وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنا﴾ تستر علينا ﴿وَتَرْحَمْنا﴾ وتتفضل بنعمك (التي يتمّ بها)[١] ما فوّتناه نفوسنا[٢] من الثواب ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخاسِرِينَ﴾ بتضييع حظنا.

[٢٤] - ﴿قالَ اهْبِطُواْ﴾ خطاب لهما ولذريتهما، أو لهما ولإبليس ﴿بعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ أي متعادين ﴿وَلَكُمْ في الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ﴾ مصدر، أو اسم مكان ﴿وَمَتاعٌ إِلى حِيْنٍ﴾ وتمتع الى تقضّي آجالكم.

[٢٥] - ﴿قالَ فِيْها تَحْيَوْنَ وَفِيْها تَمُوتُونَ وَمِنْها تُخْرَجُونَ﴾ بالبعث وبناه «حمزة» و«الكسائي» و«ابن ذكوان» للفاعل.[٣]

[٢٦] - ﴿يا بَنِي ءَادَمَ قَدْ أَنْزَلْنا عَلَيْكُمْ لِباسًا﴾ خلقناه لكم بأسباب سماوية، ومثله ﴿وانزلنا الحديد﴾[٤] ﴿يُوارِي﴾ يستر ﴿سَوْءاتِكُمْ وَرِيْشًا﴾ جمالاً أي ما تتجملون به أو مالاً، يقال: تريَّش، أي: تموّل ﴿وَلِباسُ التَّقْوَى﴾ خشية الله والإيمان، أو العمل الصالح، أو لباس الحرب، نصبه «نافع» و«ابن عامر» و«الكسائي»[٥] عطفاً على

---

(١) الزيادة من تفسير مجمع البيان ٢: ٤٠٧.

(٢) في النسخ«مافوتناه نفوسنا» وقريب منه ما في تفسير مجمع البيان ٢: ٤٠٧، والظاهر ان الصحيح«مافوتته نفوسنا»، او: «ما فوتناه بنفوسنا».

(٣) تفسير مجمع البيان ٢: ٤٠٦.

(٤) سورة الحديد: ٥٧/ ٢٥.

(٥) حجة القراءات: ٢٨٠.

«لباساً» ورفعه الباقون[1] مبتدأ وخبره ﴿ذلِكَ خَيْرٌ﴾ أو خبراً و«ذلك» صفته ﴿ذلِكَ﴾ الإنزال ﴿مِنْ ءَاياتَ اللهِ﴾ دلائل قدرته ورحمته ﴿لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ فيؤمنون ويشكرون.

[٢٧] ـ ﴿يا بَنِي ءَادَمَ لاَ يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطانُ﴾ لا يمتحننكم فيضلكم، أي لا تتبعوه فتفتتنوا ﴿كَما أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ﴾ بفتنته ﴿يَنْزِعُ﴾ حال من الفاعل أو المفعول ﴿عَنْهُما لِباسَهُما لِيُرِيَهُما سَوْءاتِهِما إِنَّهُ يَراكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ﴾ جنوده ﴿مِنْ حَيْثُ لاَ تَرَوْنَهُمْ﴾ للطافة أجسامهم أو شفافيّتها. وهذا لا يمنع تمثّلهم لنا أحياناً ﴿إِنّا جَعَلْنا الشَّياطِنَ أَوْلِياءَ لِلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾ أي مكنّاهم من خذلانهم باختيارهم ترك الإيمان أو حكمنا بذلك لتناصرهم على الباطل.

[٢٨] ـ ﴿وَإِذا فَعَلُواْ فاحِشَةً﴾ ما تناهى قبحاً كالشرك وطوافهم عراة، فنهوا عنها ﴿قالُواْ﴾ معتذرين ﴿وَجَدْنا عَلَيْها ءَاباءَنَا﴾ فقلّدناهم ﴿وَاللهُ أَمَرَنا بِها﴾ أيضاً قيل قالوا: لو كره الله ما نحن عليه لنقلنا عنه[2] كالمجبرة ﴿قُلْ إِنَّ اللهَ لاَ يَأْمُرُ بِالْفَحْشاءِ﴾ يفيد ثبوت القبيح العقلي، فافهم. ﴿أَتَقُولُونَ عَلَى اللهِ ما لاَ تَعْلَمُونَ﴾ إنكار لافترائهم على الله.

[٢٩] ـ ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل في كل الأمور فيعم كلّ خير ﴿وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمْ﴾ نحو القبلة أو استقيموا متوجهين الى عبادته ﴿عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ وقت سجود أو مكانه أي في كل صلاة، أو في أي مسجد أدركتم صلاته ولا تأخروها لمسجدكم ﴿وَادْعُوهُ﴾ اعبدوه ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّيْنَ﴾ العبادة فإنكم ملاقوه ﴿كَما بَدَأَكُمْ﴾ خلقكم ابتداء ﴿تَعُودُونَ﴾ أي يعيدكم أحياءً للجزاء أو كما بدأكم من التراب تعودون إليه.

[٣٠] ـ ﴿فَرِيْقًا هَدَى﴾ لطف بهم، فآمنوا ﴿وَفَرِيقًا﴾ نصب بـ«خذل» الدال عليه

---

(١) تفسير مجمع البيان ٢: ٤٠٨.

(٢) قاله الحسن ـ كما في تفسير مجمع البيان ٢: ٤١٠.

الكلام ﴿حَقَّ﴾ وجب ﴿عَلَيْهِمُ الضَّلالَةُ﴾ الخذلان بمنع اللطف بسوء اختيارهم كما قال ﴿إِنَّهُمُ اتَّخَذُواْ الشَّياطِينَ أَوْلِيَاءَ﴾ يطيعونهم ﴿مِنْ دُونِ اللهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ﴾.

[٣١] ـ ﴿يا بَني ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ﴾ لباسكم لستر عورتكم أو للتجمل ﴿عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ لصلاة أو طواف. ويفيد وجوب ستر العورة فيها ﴿وَكُلُواْ واشْرَبُواْ﴾ ما طاب وأحل لكم ﴿وَلاَ تُسْرِفُواْ﴾ تَتعدّوا بتحريم حلال، أو بالعكس في المأكل والمشرب والملبس أو بالشره[1] في الطعام.

قيل جمع الله الطبّ في نصف آية «وكلوا واشربوا ولا تسرفوا»[2] ﴿إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ يبغضهم.

[٣٢] ـ ﴿قُلْ﴾ انكاراً عليهم ﴿مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ﴾ من لباس التجمل ﴿الَّتي أَخْرَجَ لِعبادِهِ﴾ من النبات كالقطن والكتان ومن الحيوان كالصوف ﴿وَالطَّيِّباتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ المتلذات من المآكل والمشرب. ويفيد أن الأصل في الأشياء الإباحة فيطابق دليل العقل ﴿قُلْ هِيَ لِلَّذِيْنَ ءَامَنُواْ فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيا﴾ بالإستحقاق وان شاركهم الكفرة فيها ﴿خالِصَةً يَوْمَ الْقِيٰمَةِ﴾ مختصة بهم. حال، ورفعها «نافع» خبراً[3] ﴿كَذٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ نبيّن الأحكام كذلك البيان.

[٣٣] ـ ﴿قُلْ إِنَّما حَرَّمَ رَبيَ الْفَواحِشَ﴾ الكبائر، أو الزنا وسكن «حمزة» الياء[4] ﴿ما ظَهَرَ مِنْهَا وَما بَطَنَ﴾ جهرها وسرها ﴿وَالإِثْمَ﴾ الذنب أو الخمر ﴿وَالْبَغْيَ﴾ الظلم

---

(١) يقال شره على الطعام واليه يشره شرهاً: اشتد حرصه عليه فهو شره، والشره عند المولدين الأكل فوق الحاجة.

(٢) تفسير مجمع البيان ٢: ٤١٣.

(٣) حجة القراءات: ٢٨١.

(٤) النشر في القراءات العشر ٢: ٢٧٥.

والكبر ﴿بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ تأكيداً للبغي ﴿وَأَنْ تُشْرِكُواْ بِاللهِ ما لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ﴾ باشراكه ﴿سُلْطانًا﴾ حجة. ويفيد تحريم ما لا حجة عليه ﴿وَأَنْ تَقُولُواْ عَلى اللهِ مالاَ تَعْلَمُونَ﴾ بالإفتراء عليه ومنه الفتوى بغير علم.

[٣٤] - ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾ مدة أو وقت لاستئصالهم ﴿فَإِذا جَاءَ أَجَلُهُمْ﴾ تقضّت مدتهم أو حان وقتهم ﴿لاَ يَسْتَأْخِرُونَ ساعَةً ولاَ يَسْتَقْدِمُونَ﴾ لا يتأخرون ولا يتقدمون، أو لا يطلبون التأخر والتقدم لدهشتهم.

[٣٥] - ﴿يا بني ءَادَمَ إِمَّا﴾ «إن» الشرطية أُدغمت في «ما» الزائدة ﴿يأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَاياتِي فَمَنِ اتَّقَى﴾ التكذيب ﴿وَأَصْلَحَ﴾ عمله ﴿فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ في الآخرة.

[٣٦] - ﴿وَالَّذيْنَ كَذَّبُواْ بِآياتِنا وَاسْتَكْبَرُواْ عَنْها﴾ تكبروا عن قبولها ﴿أُوْلئِكَ أَصْحابُ النَّارِ هُمْ فِيْها خالِدُونَ﴾.

[٣٧] - ﴿فَمَنْ﴾ أي لا أحد ﴿أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلى اللهِ كَذِبًا﴾ بنسبة ما لم يقله إليه ﴿أَوْ كَذَّبَ بِآياتِه﴾ بالقرآن ﴿أُولئِكَ يَنالُهمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتابِ﴾ مما كتب لهم من الرزق والأجل ﴿حَتَّى إِذا جاءَتْهُمْ رُسُلُنا﴾ الملائكة ﴿يَتَوفَّوْنَهُمْ﴾ يقبضون أرواحهم حال من «رسلنا» ﴿قَالُوْا﴾ تقريعاً لهم ﴿أَيْنَ ما كُنْتُمْ تَدْعُونَ﴾ تعبدون ﴿مِنْ دُونِ اللهِ﴾ من الآلهة ﴿قَالُواْ ضَلُّواْ﴾ غابوا ﴿عَنَّا وَشَهِدُواْ عَلى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كانُواْ كافِرِينَ﴾ اعترفوا عند الموت بكفرهم.

[٣٨] - ﴿قَالَ﴾ - الله لهم يوم القيامة -: ﴿ادْخُلُواْ فِي أُمَمٍ﴾ في جملتهم ﴿قَدْ خَلَتْ﴾ مضت على الكفر ﴿مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ والإِنْسِ فِي النَّارِ﴾ متعلق «بادخلوا» ﴿كُلَّما دَخَلَتْ أُمَّةٌ﴾ في النار ﴿لَعَنَتْ أُخْتَها﴾ التي ضلت بإتباعها ﴿حَتَّى إِذَا ادَّارَكُواْ﴾ تداركوا وتلاحقوا ﴿فِيْها جَمِيعًا قالَتْ أُخْرَيْهُمْ﴾ دخولاً، وهم الاتباع ﴿لِأُوْلاهُمْ﴾

---

(١) اي لاجل اولاهم - كما في تفسير البيضاوي ٢: ٢٢٥.

لاجلهم[١] وهم القادة ﴿رَبَّنا هَؤُلآءِ أَضَلُّونا﴾ دعونا الى الضلال فأجبناهم ﴿فآتِهِمْ عَذابًا ضِعْفًا﴾ مضاعفاً ﴿مِنَ النَّارِ﴾ إذ ضلوا وأضلوا ﴿قالَ لِكُلٍّ﴾ من الفريقين ﴿ضِعْفٌ﴾ عذاب مضاعف لاجتماع الكل على الكفر ﴿وَلكِنْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾ ما لكل فريق، وقرأ «عاصم» بالياء.[١]

[٣٩] ـ ﴿وَقالَتْ أُولاهُمْ لِأُخْرَيهُمْ فَما كانَ لَكُمْ عَلَيْنا مِنْ فَضْلٍ﴾ مرتب على جوابه تعالى لأخراهم، أي فقد ثبت مساواتكم لنا في الكفر والعذاب ﴿فَذُوقُواْ الْعَذابَ بِما كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ من قولهم أو قول الله.

[٤٠] ـ ﴿إِنَّ الَّذِيْنَ كَذَّبُواْ بِـآياتِنا وَاسْتَكْبَرُواْ عَنْها﴾ فلم يؤمنوا بها ﴿لاَ تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوابُ السَّماءِ﴾ لأرواحهم أو لأعمالهم كما تفتّح لأرواح المؤمنين وأعمالهم، وخففه «أبو عمرو» وكذا «حمزة» و«الكسائي» ولكن بالياء[٢] ﴿وَلاَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ يدخل البعير في ثقب الإبرة وهو مما لا يكون، فكذا دخولهم ﴿وَكَذلِكَ﴾ الجزاء ﴿نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ﴾.

[٤١] ـ ﴿لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمِ مِهادٌ﴾ فراش ﴿وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَواشٍ﴾ أغطية منها. وتنوينه عوض عن الياء المحذوفة وقيل للصرف[٣] ﴿وَكَذلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾.

[٤٢] ـ ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحاتِ﴾ وعد بعد الوعيد ﴿لاَ نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَها﴾ ما دون طاقتها من العمل، اعتراض بين المبتدأ وخبره وهو ﴿اولئِكَ أَصْحابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيْها خالِدُونَ﴾.

[٤٣] ـ ﴿وَنَزَعْنا ما فِـي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ﴾ وأخرجنا من قلوبهم الحقد والغش حتى لا يكون بينهم إلاّ التواد. وعبر بالماضي لتحققه ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ﴾ تحت

---

(١) تفسير البيضاوي ٢: ٢٢٥.

(٢) حجة القراءات: ٢٨٢.

(٣) في تفسير البيضاوي ٢: ٢٢٦ والتنوين فيه للبدل عن الاعلال عند سيبويه وللصرف عند غيره.

أبنيتهم ﴿الْأَنْهارُ وَقالُوا الْحَمْدُ للهِ الَّذي هَدَيْنا لِهَذَا﴾ المنزل أو لما هـذا ثوابه ﴿وَما كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْ لا أنْ هَدينا اللهُ﴾ حذف جواب «لـو لا» لدلالة ما قبله عليـه، وحذف «ابن عامر» الواو[١] ﴿لَقَدْ جاءَتْ رُسُلُ رَبِّنا بِالْحَقِّ﴾ فاهتدينا بهم ﴿وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ﴾ إذا رأوها أو دخلـوها. و«أن» مفسـرة أو مخففة وكذا الأربـع الآتية[٢] ﴿أُورِثْتُمُوها بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أعطيتمـوها بعملـكم. حـال من «الجـنة».

أو خبر «تلـكم» و«الجنة» صفته.

[٤٤] ـ ﴿وَنَادَى أَصْحـابُ الْجَنَّةِ أَصْحـابَ النَّارِ﴾ تقريعـاً وتقريـراً لهم ﴿أَنْ قَدْ وَجَدْنـا ما وَعَدَنـا رَبُّنا حَقًّا فَهَلْ وَجَـدْتُّمْ ما وَعَـدَ رَبُّكُمْ حَقًّا﴾ أريد بـ«ما وعد» كلمـا ساءهم من المـوعود لهم ولغيرهم كعـذابهم، ونعيم اضدادهم، وكذلـك لم يقل «ما وعدكم» كمقابلة ﴿قَالُوا نَعَمْ﴾ وكسر «الكسـائي» عينه حيـث وقع[٣] ﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ﴾ فنادى مناد ﴿بَيْنَهُمْ﴾ بين الفـريقين ﴿أَنْ لَعْنَةُ اللهِ عَلى الظَّـالِمينَ﴾ وقرأ «ابن عـامر» و«حمزة» و«الكسائي» بالتشديد والنصب.[٤]

[٤٥] ـ ﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ﴾ النـاس ﴿عَنْ سَبيـلِ اللهِ﴾ دينـه ﴿وَيَبْغُونَها عِوَجًا﴾ يطلبـون السبيل معـوجـةً أو يبغـون لها العـوج وهـو بـالكسر ـ فـي المعانـي ومـا لم ينتصب،[٥] وبالفتح فيما انتصب كالحائط ﴿وَهُمْ بِالآخِرَةِ كافِرُونَ﴾.

[٤٦] ـ ﴿وَبَيْنَهُما حِجابٌ﴾ بين الفـريقين أو أهـل الجنة والنـار، سـور حاجـز

---

(١) تفسير البيضاوي ٢ : ٢٢٦.

(٢) وهي الآيات : «أن قد وجدنا» : ٤٤، «ان لعنة الله على الظالمين» : ٤٥ و«ان سلام عليكم» : ٤٦ و«ان افيضوا» : ٥٠.

(٣) حجة القراءات : ٢٨٢.

(٤) تفسير البيضاوي ٢ : ٢٢٦.

(٥) في تفسيـر البيضاوي ٢ : ٢٢٦ مايلـي : والعوج ـ بالكسر ـ في المعانـي والأعيان : مـا لم تكن منتصبة.

﴿وَعَلَى الأَعْرافِ﴾ هو الحجاب أو اعـرافه، أي شرفه جمع «عرف» وهـو ما ارتفع من الشيء ﴿رِجالٌ﴾ قوم استـوت حسناتهـم وسيئاتهم فيحبسـون بين الجنة والنـار حتّى يقضي الله فيهم ما يشاء، أو الأنبياء والشهداء، أو العلماء الأتقياء.

وعن الباقر عليه السّلام: هم آل محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم، لايدخل الجنة إلاّ من عرفهم وعرفوه ولا يدخل النار إلاّ من أنكرهم وأنكروه.[1]

وسأل ابن الكّـوا علياً عليه السّلام عن هـذه الآية فقال: نحن نقـف يوم القيامـة بين الجنة والنـار، فمن نصرنـا عرفنـاه بسيماه فأدخلنـاه الجنة ومن أبغضنـا عرفنـاه بسيماه فأدخلناه النار.[2]

ويؤيده استفاضة حديث أنه عليه السّلام قسيم الجنة والنار[3] ﴿يَعْرِفُونَ كُلاًّ﴾ من أهل الجنة والنار ﴿بِسِيماهُمْ﴾ بعلاماتهـم كنظرة الوجوه وغيرتهـا. «فعلى» من «سام ابله» أرسلهـا للرعـي معلّمة، أو من «وسـم» على القلب ﴿وَنادَوْا أَصْحـابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ﴾ أي إذا رأوهم سلّمـوا عليهـم ﴿لَمْ يَدْخُلُوهـا وهُمْ يَطْمَعُونَ﴾ حال من «الواو» على أوّل الوجوه،[4] ومن «أصحاب» على سائرها.[5]

[٤٧]ـ ﴿وإذا صُرِفَتْ أَبْصارُهُمْ تِلْقاءَ أَصْحابِ النّارِ قالُواْ رَبَّنا لاَ تَجْعَلْنا مَعَ الْقَوْمِ الظّالِمِينَ﴾ في النار.

[٤٨] ـ ﴿وَنادَى أَصْحـابُ الأَعْرافِ رِجـالاً﴾ مـن أصحـاب النـار ﴿يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيماهُمْ قالُواْ ما أَغْنى عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ﴾ المال أو كثرتكم ﴿وَما كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ عن

(١ـ٢) تفسير مجمع البيان ٢: ٤٢٣.

(٣) ذكر بعض طرقه عن عمر بن شيبة وغيره الطبرسي في تفسير مجمع البيان ٢: ٤٢٣.

(٤) الوجه الاول هو اول الوجـوه التي ذكرت في تفسير رجال يعنى اذا كان المراد بـالرجال قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم.

(٥) وهم الانبياء والشهداء والعلماء الأتقياء، او: آل محمّد عليهم السّلام. المذكورة قبل سطور.

الحق أو على الناس.

[٤٩] ـ ﴿أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنالُهُمُ اللهُ بِرَحْمَةٍ﴾ ولا يدخلهم الجنة احتقاراً لهم لضعفهم فيقولون لهؤلاء أو فيقال لأصحاب الأعراف ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾.

[٥٠] ـ ﴿وَنادَى أَصْحابُ النَّارِ أَصْحابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا﴾ صبّوا ﴿عَلَيْنا مِنَ الْماءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ﴾ من الطعام كعلفتها تبناً وماءًا (بارداً)[1] ﴿قالُوا إِنَّ اللهَ حَرَّمَهُما عَلَى الْكافِرِينَ﴾ منعهما عنهم.

[٥١] ـ ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا﴾ فحرموا وأحلوا ما شاؤا بشهواتهم ﴿وَغَرَّتْهُمُ الْحَيٰوةُ الدُّنْيا فَالْيَوْمَ نَنْساهُمْ﴾ نتركهم في النار فعل الناسي ﴿كَما نَسُوا لِقاءَ يَوْمِهِمْ هَذا﴾ فلم يعملوا ولم يتأهبوا له ﴿وَما كانُوا بِآياتِنا يَجْحَدُونَ﴾ وكما جحدوها.

[٥٢] ـ ﴿وَلَقَدْ جِئْناهُمْ بِكِتابٍ﴾ هو القرآن ﴿فَصَّلْناهُ﴾ بيناه عقائد و أحكاماً ومواعظ ﴿عَلَى عِلْمٍ﴾ حال من الفاعل أي عالمين بتفصيله، ولا يدل على أنه تعالى عالم بعلم مغاير لذاته، أو من المفعول أي مشتملاً على علم ﴿هُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ حال من الهاء.

[٥٣] ـ ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ﴾ ما ينتظرون ﴿إِلَّا تَأْوِيلَهُ﴾ ما يؤل اليه أمره من ظهور صدق وعده ووعيده ﴿يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ﴾ وهو يوم القيامة ﴿يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوه مِنْ قَبْلُ﴾ تركوه كالمنسي ﴿قَدْ جاءَتْ رُسُلُ رَبِّنا بِالْحَقِّ﴾ اعترفوا بحقية ما جاؤا به ﴿فَهَلْ لَنا مِنْ شُفَعاءَ فَيَشْفَعُوا لَنا أَوْ نُرَدُّ﴾ أو هل نرد الى الدنيا ﴿فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ جواب «أو نرد» ﴿قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ أهلكوها بالعذاب ﴿وَضَلَّ﴾ ذهب ﴿عَنْهُمْ ما كانُوا يَفْتَرُونَ﴾ كدعوى الشركاء وشفاعتهم.

[٥٤] ـ ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذي خَلَقَ السَّمواتِ وَالْأَرْضَ في سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ في قدرها، إذ

(١) مابين القوسين اخذناه من تفسير البيضاوي.

لا شمس حينئذ.

والخلقُ التدريجي مع القدرة على الدفعي دليل الإختيار وتعليم للتثبت ﴿ثُمَّ اسْتَوَى﴾ من كل شيء فليس شيء أقرب اليه، أو استقام أمره أو استولى ﴿عَلَى الْعَرْشِ﴾ هو الجسم الحاوي لسائر الأجسام. سمّي به تشبيهاً بسرير الملك.

وقيل: الملك[1] ﴿يَغْشِي اللَّيْلَ وَ النَّهَارَ﴾ يغطيه بظلامه وحذف عكسه للعلم به وشدده «حمزة» و«الكسائي» و«أبو بكر»[2] ﴿يَطْلُبُهُ﴾ يعقبه كالطالب له ﴿حَثِيثًا﴾ سريعاً، صفة مصدر مقدّر، أو حال من الفاعل أو المفعول ﴿والشَّمْسَ والْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسخَّراتٍ بِأَمْرِهِ﴾ مذلّلات بتصرفه. ونصبت عطفاً على «السماوات» و«مسخرات» حال ورفع «ابن عامر» كلها على الإبتداء[3] والخبر ﴿أَلاَلَهُ﴾ وحده ﴿الْخَلْقُ والأَمْرُ﴾ الايجاد والتصرف ﴿تَبارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِيْنَ﴾ تعالى وتعظّم بتفرده في الألوهية والربوبية.

[٥٥] ـ ﴿ادْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ تذلّلاً وسرّاً، حال، وكسر «أبو بكر» الخاء[4] ﴿إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِيْنَ﴾ للحدّ في الدعاء، كطلب منزلة النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم أو الصياح أو في كل أمر.

[٥٦] ـ ﴿وَلا تُفْسِدُواْ فِي الأرْضِ﴾ بالمعاصي ﴿بَعْدَ إِصْلاحِها﴾ بالرسل والكتب ﴿وَادْعُوهُ خَوْفًا﴾ خائفين من رده أو عقابه أو عدله ﴿وَطَمَعًا﴾ في إجابته أو عفوه أو فضله، ﴿إِنّ رَحْمَةَ اللهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحسِنِينَ﴾ تقوية للطمع وتذكير قريب لإضافة الرحمة الى الله أو لأنها بمعنى الرحم.

---

(١) قاله الحسن ـ كما في تفسير مجمع البيان ٢: ٤٢٨.

(٢-٣) حجة القراءات: ٢٨٤.

(٤) تفسير مجمع البيان ٢: ٤٢٨.

[٥٧] ـ ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ﴾ وأفرده «ابـن كثير» و«حمـزة» و«الكسائي»[١] ﴿نُشُراً﴾ منتشرة جمع «نَشـور» كـ«رسول» و«سكنه» «ابن عامـر» حيث وقع[٢] و«حمزة» و«الكسائي» مع فتح النـون حيث وقع[٣] على انـه مصدر وقع حـالاً أو مفعولاً مطلقـاً لقرب «يرسل» من «ينشر» وقرأ «عاصم» بالباء[٤] جمع بشير ﴿بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ قدّام المطر ﴿حَتَّى إذا أَقَلَّتْ﴾ حملت من القلة،[٥] كأنّ الحامـل للشيء يستقله ﴿سَحابًا ثِقالاً﴾ بالماء جمع للمعنى أي سحائب ﴿سُقْنَاهُ﴾ افرد ضميره للفظ وفيه التفات عن الغيبة ﴿لِبَلَدٍ مَيِّتٍ﴾ لا نبات فيـه، أي لإحيائه ﴿فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ﴾ بالبلد أو بالسحاب والباء للظرفيـة أو السببية وكذا ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِ﴾ ويجوز عـوده فيه إلـى الماء ﴿مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ﴾ الإخراج ﴿نُخْرِجُ الْمَوْتَى﴾ من قبورهم بـالإحياء ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ فتؤمنون بالصانع والبعث.

[٥٨] ـ ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ﴾ العذب التراب ﴿يَخْرُجُ نَبَاتُهُ﴾ زاكياً ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِ﴾ بأمره وتيسيره ﴿وَالَّذِي خَبُثَ﴾ ترابه كالسبخة ﴿لا يَخْرُجُ﴾ نباته ﴿إلاّ نَكِدًا﴾ قليلاً بلا نفع ﴿كَذلِكَ﴾ البيـــان المـذكور ﴿نُصَرِّفُ الآياتِ﴾ نبيـنها ﴿لِقَومٍ يَشْكُرُونَ﴾ نعـم الله فيـؤمـنون به.

والآية مثل لمن اتعظ بالآيات ومن أعرض عنها.

[٥٩] ـ ﴿لَقَدْ﴾ جواب قسم محذوف ﴿أَرْسَلْنا نُوحًا﴾ ابن لمك بن متوشلخ[٦] بن

---

(١) تفسير البيضاوي ٢: ٢٢٩.

(٢) تفسير مجمع البيان ٢: ٤٣٠.

(٣) تفسير البيضاوي ٢: ٢٢٩.

(٤) تفسير مجمع البيان ٢: ٤٣٠.

(٥) يقال: قلّ الشيء قلاً، اي: حمله ورفعه.

(٦) كذا في النسخ ولكنه في تفسير البيضاوي ٢: ٢٣٠ متوشلح، وفي تفسير مجمع البيان ٢: ٤٣٣: وهو نوح بن ملك بن متوشلخ بن اخنوخ النبي وهو ادريس.

إدريس ﴿إِلى قَوْمِهِ﴾ وهو ابن أربعين وقيل أكثر[١] ﴿فَقالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ﴾ أي وحده ﴿ما لَكُمْ مِنْ إِلـهٍ غَيْرُهُ﴾ رفع بـدلاً من محل «إله»، وجـرّه «الكسائي» صفة لـه حيث وقع[٢] ﴿إِنّي أَخافُ عَلَيْكُم﴾ ان عبدتـم غيره وفتح «الحرميـان» و«أبو عمـرو» الياء[٣] ﴿عَذابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ هو يوم القيامة.

[٦٠] ـ ﴿قالَ المَلأُ مِنْ قَوْمِهِ﴾ الاشراف الذين يملأون الصدر هيبة ﴿إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾ ذهاب عن الحق بيّن.

[٦١] ـ ﴿قالَ يا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلالَةٌ﴾ مبالغة في النفـي وتعريض بهم ﴿ولكِنِيّ رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِيْنَ﴾.

[٦٢] ـ ﴿أُبَلِّغُكُمْ﴾ استئناف لبيان كـونه رسولاً وخففه «أبـو عمرو»[٤] ﴿رِسَالاتِ رَبِّي﴾ وجمعت لتعـدد مضمونهـا كالعقـائد والأحكام والمـواعظ ﴿وَأَنْصَحُ﴾ أخلص بإرادة الخير ﴿لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللهِ﴾ من قدرتـه وبطشه، أو من جهته بـالوحي ﴿ما لاَ تَعْلَمُونَ﴾ أشياءَ تجهلونها.

[٦٣] ـ ﴿اَوَعَجِبْتُمْ﴾ إنكار، عطـف على محذوف أي أكذّبتـم وعجبتم من ﴿أَنْ جاءَكُمْ ذِكْرٌ﴾ رسالة ﴿مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ﴾ على لسان رجل ﴿مِنْكُمْ﴾ من جنسكم ﴿لِيُنْذِرَكُمْ﴾ وبال الكفر ﴿وَلِتَتَّقُواْ﴾ الله ﴿وَلَعَلْكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ بالتقوى.

[٦٤] ـ ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْناهُ والَّذِينَ مَعَهُ﴾ ممن آمن به وهـم أربعـون رجلاً وأربعون امرأة. وقيـل عشرة، منهم بنـوه «سام» و«حام» و«يـافث»[٥] ﴿فِي الْفُلْكِ﴾ السفينة،

---

(١) في تفسير مجمع البيان ٢: ٤٣٣ وهو ابن خمسين سنة.

(٢) حجة القراءات: ٢٨٦.

(٣) النشر في القراءات العشر ٢: ٢٧٥.

(٤) حجة القراءات: ٢٨٦ـ٢٨٧.

(٥) في تفسير البيضاوي ٢: ٢٣٠ـ مايلي: وقيل تسعة: بنوه سام و حام ويافث وستة ممن آمن به ـ.

متعلق بـ«معه» أو «أنجينا» ﴿وَأَغْرَقْنا الَّذِيْنَ كَذَّبُواْ بِآياتِنا﴾ بالطوفان ﴿إِنَّهُمْ كانُواْ قَوْمًا عَمِيْنَ﴾ عمي القلوب عن الحق.

[٦٥] ـ ﴿وَإِلَى عادٍ﴾ وأرسلنا الى عاد الأولى، قبيلة أبوهم عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح ﴿أَخاهُمْ﴾ أي من هو منهم ﴿هُوْدًا﴾ عطف بيان وجعل منهم لأنهم اليه أسكن،[١] وعنه أفهم ﴿قالَ يا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللهَ ما لَكُمْ مِنْ إِلهٍ غَيْرُهُ﴾ استئناف جواب قائل: فما قال لهم؟، وكذا جوابهم ﴿افَلاَ تَتَّقُونَ﴾ نقمته.

[٦٦] ـ ﴿قالَ الْمَلأُ الَّذِيْنَ كَفَرواْ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَراكَ فِي سَفاهَةٍ﴾ منغمساً في خفّة عقل ﴿وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكاذِبينَ﴾.

[٦٧] ـ ﴿قالَ يا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفاهَةٌ وَلكِنّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعالَمِيْنَ﴾.

[٦٨] ـ ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسالاتِ رَبِّي وَأَنا لَكُمْ ناصِحٌ أَمِيْنٌ﴾ كما عرفتموني بذلك.

[٦٩] ـ ﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَاذْكُرواْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ﴾ أي في الأرض ما بين «عمان» الى «حضر موت» ذكّرهم نعمة الله بعد تخويفهم نقمه ﴿وَزادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً﴾[٢] قوة وطولاً من ستين الى مائة ﴿فَاذْكُرُواْ ءَالآءَ اللهِ﴾ نعمه مما ذكر وغيره ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ إذا ذكرتموها وشكرتم.

[٧٠] ـ ﴿قالُواْ أَجِئْتَنا﴾ من السماء تهكماً أو قصدتنا ﴿لِنَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَما كانَ يَعْبُدُ ءَاباؤنا﴾ من الأصنام ﴿فَأْتِنا بِما تَعِدُنا﴾ من العذاب ﴿إِن كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِيْنَ﴾ فيه.

[٧١] ـ ﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ﴾ وجب أو حقَّ فهو كالواقع ﴿عَلَيْكمْ مِن رَبِّكُمْ رِجْسٌ﴾ عذاب ﴿وَغَضَبٌ﴾ ارادة انتقام ﴿أَتُجادِلُونَني فِي أَسْماءٍ﴾ أي أصنام ﴿سَمَّيْتُمُوها أَنْتُمْ

---

(١) هذا (أفعل) من السكن وهو. من يسكنون اليه ويستأنسون به.

(٢) برسم المصحف بقراءة حفص: «بصطة».

وَءَاباؤُكُمْ﴾ آلهة وما فيها الاهية ﴿ما نَزَّلَ اللهُ بِها﴾ أي بإلهيتها ﴿مِنْ سُلْطانٍ﴾ حجة ﴿فانْتَظِرُواْ﴾ حلول العذاب ﴿إِنّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِيْنَ﴾ لحلوله بكم.

[٧٢] ـ ﴿فَأَنْجَيْناهُ وَالَّذِيْنَ مَعَهُ﴾ في الدين ﴿بِرَحْمَةٍ مِنّا﴾ عليهم ﴿وَقَطَعْنا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآياتِنا﴾ أي استأصلناهم ﴿وَما كانُواْ مُؤْمِنِيْنَ﴾ عطف على «كذبوا».

قيل لمّا كذبوه ابتلوا بالقحط وكان الناس حينئذ إذا ابتلوا توجهوا الى البيت الحرام وطلبوا من الله الفرج فجهزوا إليه وفداً وكان بمكة إذ ذاك العمالقة أولاد عمليق بن لاوذ بن سام، وسيدهم معاوية بن بكر، فقدموا عليه وكانوا أخواله، فأكرمهم وبقوا عنده شهراً لاهين بالشرب والغناء فأهمّه ذلك واستحيا أن يكلّمهم فيه، لأنهم ضيفه فعلم قينتيه شعراً يتضمن ذلك، فغنتاهم به فأزعجهم فذهبوا يستسقون فقال رأسهم: اللهم اسقِ عاداً فأنشأ الله سحابات ثلاث بيضاء وحمراء وسوداء، فنودي من السماء: اختر لقومك، فاختار السوداء، فخرجت على عاد فاستبشروا وقالوا هذا عارض ممطرنا فجاءتهم منها ريح عقيم فاهلكتهم ونجا «هود» ومن آمن به وأتوا مكة وسكنوها. (١)

[٧٣] ـ ﴿وَإِلى ثَمُودَ﴾ قبيلة من العرب، أبوهم «ثمود بن عامر بن إرم بن سام» ترك صرفه بتأويل القبيلة ويصرف بتأويل الحي. ومنازلهم الحجر بين الحجاز والشام ﴿أَخاهُمْ صالِحًا﴾ من ولد ثمود ﴿قالَ يا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللهَ ما لَكُمْ مِنْ إِلٰهٍ غَيْرُهُ قَدْ جاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ معجزة على صدقي ﴿هٰذِهِ ناقَةُ اللهِ لَكُمْ ءَايَةً﴾ استئناف لبيانها. و«آية» حال عاملها الإشارة، و«لكم» بيان لمن الآية له، أو «ناقة الله» بدل، . و«لكم» خبر عامل في «آية»، واضافتها الى «الله» لتعظيمها ﴿فَذَرُوها تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللهِ﴾ الكلأ ﴿وَلا تَمَسُّوها بِسُوءٍ﴾ بعقر أو أذى ﴿فَيَأْخُذَكُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ﴾.

[٧٤] ـ ﴿وَاذْكُرُواْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفاءَ مِنْ بَعْدِ عادٍ وَبَوَّأَكُمْ﴾ أسكنكم ﴿فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا﴾ تبنون في سهولها ﴿قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبالَ بُيُوتًا﴾ حال مقدرة،

---

(١) انظر تفصيل قصة هود في تفسير مجمع البيان ٢: ٤٣٨ـ٤٣٩.

أو مفعول بتقدير «من الجبال» ﴿فَاذْكُرُواْ ءَالاَءَ اللهِ وَلا تَعْثَوْاْ فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾.

[٧٥] ـ ﴿قالَ الْمَلأُ الَّذينَ اسْتَكْبَـرُواْ مِنْ قَوْمِهِ﴾ عن الإيمان بـه وقرأ «ابن عـامر» «وَقالَ»[1] ﴿لِلَّذِيْنَ اسْتُضْعِفُواْ﴾ أي استذلوهـم ﴿لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ﴾ من قومه، بدل كلٍ من «الذين استضعفوا» أو بعض إن كان الضمير لهـم ﴿أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صالِحاً مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قالُواْ اِنَّا بِما أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾ هو أبلغ من الجواب بـ«نعم» لإفادته أن إرساله مما لا يشك فيه عاقل، وانما الشأن فيمن آمن به ومن كفر.

[٧٦] ـ ﴿قال الَّذِيْنَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي ءَامَنْتُمْ بِهِ كافِرُونَ﴾ لعلهم لم يقولوا: «بما أرسل به» حذراً أن يفوهوا برسالته.

[٧٧] ـ ﴿فَعَقَرُواْ النَّاقَةَ﴾ أي نحروهـا. اسند فعل البعض الـى الكل لرضاهـم به ﴿وَعَتَواْ عَنْ أَمْـرِ رَبِّهِمْ﴾ استكبروا عن امتثـاله ﴿وَقَالُواْ يـاصالِحُ ائْتِنا بِمـا تَعِدُنا﴾ من العذاب ﴿إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾.

[٧٨] ـ ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾ صيحة من السماء وزلـزلة، فهلكوا ﴿فَأَصْبَحُواْ فِي دارِهِمْ جاثِمِيْنَ﴾ صرعى على وجوههم.

قيل:[2] انهم خلفـوا عـاداً وكثروا ونحتـوا الجبـال لطـول اعمارهـم فعتوا وعبـدوا الأصنام فبعث الله لهم صالحاً فأنذرهم فسألـوه آية، وأشار سيدهم الى صخرة منفردة وقـال له: «اخـرج منها نـاقة جـوفـاء وبراء عشـراء فإن فعلت آمنـا بك» فـدعا ربّـه، فتمخضت الصخرة وانصدعت عـن ناقة كما وصف ثم نتجت ولدهـا، فأمن به رهط ولم يؤمن أكابرهم.

وكان المـــاء يـوماً لهم ويومـــاً للنـاقـة تشربـه كلـه وتسقـيهم مـا شـاؤا مـن الـلبن وكانت مواشيهم تهرب منها فشق ذلـك عليهم فعقروها واقتسموا لحمها، فرقى

(١) حجة القراءات: ٢٨٧.

(٢) ذكر الطبرسي قصة صالح في تفسير مجمع البيان ٢: ٤٤١ـ٤٤٢ والبيضاوي في تفسيره ٢: ٢٣٣.

سقبها[1] جبلاً، فقال لهم صالح: ادركوه عسى أن يرفع عنكم العذاب فطلبوه فلم يدركوه، فقال لهم تصفر وجوهكم غداً وتحمر بعده وتسودّ في الثالث ثم يصبحكم العذاب» فرأوا العلامات وطلبوا قتله فأنجاه الله وتحنطوا وتكفنوا في الرابع ثم أخذتهم[2] الرجفة فهلكوا.

[٧٩] ـ ﴿فَتَوَلَّى﴾ اعرض صالح ﴿عَنْهُمْ وَقالَ يا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلكِنْ لاتُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ﴾ خاطبهم كما خاطب رسول الله أهل قليب بدر.

[٨٠] ـ ﴿وَلوُطًا إِذْ قالَ لِقَوْمِهِ﴾ نصب بتقدير «أرسلنا» و«إذ» ظرف له أو بـ«أذكر» و«إذ» بدل منه. وهو ابن هاران أخي ابراهيم وقيل ابن خالته وأخو سارا ﴿أَتأتُونَ الْفاحِشَةَ﴾ السيئة العظيمة القبح أي اتيان الذكران ﴿ما سَبَقَكُمْ بِها مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعالَمِينَ﴾ ما فعلها قبلكم أحد قطّ، استئناف مقرر للإنكار والباء للتعدية.

[٨١] ـ ﴿أَئنَّكم﴾[3] وقرأ «نافع» و«حفص» «إِنكم»[4] اخباراً مستأنفاً ﴿لَتَأْتُونَ الرِّجالَ﴾ في أدبارهم، بيان لتلك الفاحشة ﴿شَهْوَةً﴾ مفعول له أو حال ﴿مِنْ دُونِ النِّساءِ﴾ المخلوقة لكم ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ﴾ أضرب عن الإنكار إلى الاخبار بأنهم مجاوزون الحلال الى الحرام والذم على جميع معائبهم.

[٨٢] ـ ﴿وَما كانَ جَوابَ قَوْمِهِ إلاّ أَنْ قالُوا﴾ أي لم يجيبوا نصحه إلاّ بالمقابلة بالسفه بقولهم: ﴿أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ﴾ أي لوطاً ومن اتّبعه ﴿إِنَّهُمْ أُناسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ يتنزّهون عن أدبار الرجال.

---

(١) السقب: ولد الناقة.

(٢) في «ط»: ثم أخذتهم.

(٣) وفي المصحف الشريف بقراءة حفص: «إنكم» ـ كما سيشير اليه المؤلّف.

(٤) حجة القراءات: ٢٨٧.

[٨٣] ـ ﴿فَأَنْجَيْناهُ وَأَهْلَهُ﴾ أي من اتبعه ﴿إلاّ امْرَأَتَهُ﴾ فإنها منافقة ﴿كانَتْ مِنَ الْغابِرِيْنَ﴾ الباقين في العذاب.

[٨٤] ـ ﴿وَأَمْطَرْنا عَلَيْهِمْ مَطَراً﴾ نوعاً من المطر فظيعاً. وبُيِّنَ في ﴿وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل﴾[١] ثم قلب جبرئيل قريتهم عليهم.

وقيل القلب على حاضريهم والحجارة على مسافريهم[٢] ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾.

[٨٥] ـ ﴿وَإلى مَدْيَنَ﴾ أي وأرسلنا اليهم وهم أولاد مدين بن ابراهيم ﴿أَخاهُمْ شُعَيْبًا﴾ ابن توبة بن مدين. وأمه بنت لوط وكان يقال له خطيب الأنبياء لحسن مراجعته[٣] قومه ﴿قالَ يا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللهَ ما لَكُمْ مِنْ إله غَيْرُهُ قَدْ جاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ معجزة على صدقي ولم تبين في القرآن ما هي، ﴿فَأَوفُواْ الْكَيْلَ﴾ أي المكيال لقوله: ﴿وَالْمِيزانَ﴾ كما في «هود»[٤] أو الميزان مصدر كالميعاد ﴿وَلا تَبْخَسُواْ النَّاسَ أَشْياءَهُمْ﴾ ولا تنقصوهم حقوقهم وكانوا أهل كفر وبخس ﴿وَلا تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ﴾ بالكفر والمعاصي ﴿بَعْدَ إِصْلاحِها﴾ بالرسل والشرائع ﴿ذَلِكُمْ﴾ المذكور ﴿خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ مريدين الإيمان، فاعملوا به.

[٨٦] ـ ﴿وَلا تَقْعُدُواْ بِكُلِّ صِراطٍ﴾ طريق من طرق الدين أي شعبة من أصوله وفروعه، أو من طرق القاصدين شعيباً ﴿تُوعِدُونَ﴾ تخوفونهم بالقتل وتمنعونهم عن الإيمان به وهو حال ﴿وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ﴾ دينه ﴿مَنْ ءَامَنَ بِهِ﴾ بالله بتوعّدكم إياه و «من» مفعول «تصدون» إعمالاً للأقرب، ولو أعمل «توعدون» لقيل «تصدونهم»

---

(١) سورة الحجر: ١٥/ ٧٤.

(٢) معناه في تفسير مجمع البيان ٢: ٤٤٦ وتفسير البيضاوي ٢: ٢٣٤.

(٣) يقال: راجعه الكلام وغيره مراجعة، أي: عاوده.

(٤) سورة هود: ١١/ ٨٥.

﴿وَتَبْغُونَها عِوَجاً﴾ وتطلبون السبيل معوجة بإلقاء الشّبه كقولكم: هذا كذّاب ونحوه ﴿وَاذْكُرُواْ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلاً﴾ عدداً أو عدةً ﴿فَكَثَّرَكُمْ﴾ بالنسل أو المال ﴿وانْظُرُواْ كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الْمُفْسِدينَ﴾ قبلكم واعتبروا بهم.

[٨٧] ــ ﴿وَإِنْ كانَ طائِفَةٌ مِنكُمْ ءَامَنُواْ بِالَّذي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطائِفَةٌ لَّم يُؤْمِنُواْ فَاصْبِرُواْ﴾ فانتظروا ﴿حَتَّى يَحْكُمَ اللهُ بَيْنَنا﴾ أي بين الفريقين بإنجاء المحق واهلاك المبطل ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْحاكِمينَ﴾ إذ لا جور في حكمه.

[٨٨] ـ ﴿قالَ الْمَلأُ الَّذينَ اسْتَكْبَرُواْ مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنا﴾ غلّبوا الجمع على الواحد في الخطاب اذ لم يكن شعيب في ملتهم قطّ، وعلى ذلك أجاب ﴿قالَ﴾ انكاراً ﴿أَوَلَو﴾ أي أنعود ولو ﴿كُنَّا كَارِهينَ﴾ لها.

[٨٩] ـ ﴿قَدِ افْتَرَيْنَ﴾ اختلقنا ﴿عَلى اللهِ كَـذِبًا إِنْ عُدْنـا فِي ملَّتِكُمْ﴾ بأن نشرك بالله. وناب «قد افترينا» جواب «ان» ﴿بَعْدَ إِذْ نَجَّانا اللهُ مِنْها﴾ بتوفيقه والحجج الموضحة للحق ﴿وَما يَكُونُ﴾ يصح ﴿لَنا أَنْ نَعُودَ فِيها إِلاّ أَنْ يَشاءَ اللهُ رَبُّنا﴾ حسم لطمعهم في العود بتعليقه على الممتنع وهو مشيئته تعالى للكفر ﴿وَسِعَ رَبُنا كُلَّ شَىءٍ عِلْمًا﴾ أي أحاط علمه بكل شيء، فيعلم حالنا وحالكم ﴿عَلى اللهِ تَوَكَّلْنا﴾ في كل أمورنا ﴿رَبَّنا افْتَحْ﴾ احكم أو اكشف الأمر ﴿بَيْنَنا وَبَيْنَ قَوْمِنا بِالْحَقِّ﴾ ليتميز المحقّ والمبطل ﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الْفاتِحِينَ﴾ بالوجهين.

[٩٠] ـ ﴿وَقالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ قَوْمِهِ﴾ أي قال بعضهم لبعض: ﴿لَئِنِ﴾ قسم ﴿اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذاً لَخَاسِرُونَ﴾ بترك دينكم الى دينه وهو مغنٍ عن جواب القسم والشرط.

[٩١] ــ ﴿فأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾ الزلزلة وفي «هود» ﴿الصَيْحَةُ﴾[1] ولا منافاة

(١) سورة هود: ١١/ ٩٤.

﴿فَأَصْبَحُواْ فِي دَارِهِمْ﴾ قريتهم ﴿جَاثِمِينَ﴾ صرعى على وجوههم.

[٩٢] ـ ﴿الَّذِيْنَ كَذَّبُواْ شُعَيْبًا﴾ مبتدأ خبره ﴿كَأَنْ﴾ مخففة حذف اسمها أي كأنهم ﴿لَمْ يَغْنَوْاْ فِيْها﴾ لم يقيموا في دارهم ﴿الَّذِيْنَ كَذَّبُواْ شُعَيْبًا كانُواْ هُمُ الْخاسِرِينَ﴾ للدارين. رد عليهم في قولهم السابق مؤكد بإعادة الموصول والفصل، واسمية الجملتين.

[٩٣] ـ ﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقالَ ياقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسالاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ﴾ فلم تصدقوني ﴿فَكَيْفَ ءَاسَىٰ﴾ أحزن ﴿عَلى قَوْمٍ كافِرِيْنَ﴾ وضع موضع «عليكم» للتعليل والإستفهام بمعنى النفي.

[٩٤] ـ ﴿وَما أَرْسَلْنا في قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ﴾ فلم يؤمنوا به ﴿إِلاّ أَخَذْنا أَهْلَها بالْبَأْساءِ وَالضَّرَّاءِ﴾ بالفقر والمرض ﴿لَعَلَّهُم يَضَّرَّعُونَ﴾ كي يتذللوا.

[٩٥] ـ ﴿ثُمَّ بَدَّلْنا﴾ أعطيناهم ﴿مَكانَ السَّيِّئَةِ﴾ البلاء ﴿الْحَسَنَةَ﴾ النعمة ﴿حَتَّى عَفَواْ﴾ كثروا عدداً وعُدةً وأصله الترك أي تركوا حتى كثروا، ومنه إعفاء اللحى ﴿وَقَالُواْ﴾ كفراً للنعم ﴿قَدْ مَسَّ ءَابَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ﴾ كما مسّنا، وهذه عادة الدهر بنا وبهم، فلم يَدَعوا دينهم فنحن مثلهم ﴿فَأَخذْناهُمْ بَغْتَةً﴾ فجأة ﴿وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ﴾ بنزوله.

[٩٦] ـ ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى﴾ التي أهلكناها أو مكة وما حولها ﴿ءَامَنُواْ﴾ بالله ورسله ﴿وَاتَّقَواْ﴾ المعاصي ﴿لَفَتَحْنا﴾ وسّعنا. وشدده «ابن عامر»[1] ﴿عَلَيْهِمْ بَرَكاتٍ مِنَ السَّماءِ والأَرْضِ﴾ خيرات مِن كل جانب، أو المطر والنبات ﴿وَلكِنْ كَذَّبُواْ﴾ الرسل ﴿فَأَخَذناهُمْ﴾ بالقحط والشّدة ﴿بما كانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ من الكفر والمعاصي.

[٩٧] ـ ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى﴾ المكذبون. والهمزة للتوبيخ، والفاء للعطف وكذا في الثلاثة الآتية بالواو والفاء ﴿أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنا﴾ عذابنا ﴿بَيَاتًا﴾ ليلاً ﴿وَهُمْ نائِمُونَ﴾ في فرشهم.

---

(١) حجة القراءات: ٢٨٨.

[٩٨] ــ ﴿أَوَ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرى﴾ وقرأ «ابن كثير» و«نافع» و«ابن عامر» بـ«أو» العاطفة[1] ﴿أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنا ضُحًى﴾ نهاراً عند ارتفاع الشمس ﴿وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ يلهون فيما لا ينفعهم.

[٩٩] ـ ﴿أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ اللهِ﴾ استدراجه إياهم بالنعم وأخذهم بغتةً ﴿فَلا يأْمَنُ مَكْرَ اللهِ إِلاّ الْقَوْمُ الْخاسِرُونَ﴾ بالكفر وترك النظر.

[١٠٠] ـ ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ﴾ يبيّن ﴿لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِها﴾ أي يخلفونهم في ديارهم بعد هلاكهم ﴿أَنْ لَوْ نَشاءُ أَصَبْناهُم﴾ فاعل «يهد» وإن قريء بالنون كـ«يعقوب»[2] فمفعوله و«أن» مخففة ﴿بِذُنُوبِهِمْ﴾ أي بجزائها كما أصبنا من قبلهم ﴿وَنَطْبَعُ﴾ ونحن نختم ﴿عَلى قُلُوبِهِمْ﴾ واسناده إليه تعالى كناية عن تمكن الكفر في قلوبهم، أو اسناد الى السبب، أو مجاز عن ترك قسرهم على الإيمان ﴿فَهُمْ لاَ يَسْمَعُونَ﴾ الوعظ سماع قبول.

[١٠١] ـ ﴿تِلْكَ الْقُرَى﴾ المذكورة. مبتدأ وخبر ﴿نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبائِها﴾ أخبار أهلها. حال أو خبر و«القرى» صفة أو هما خبران ﴿وَلَقَدْ جاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّناتِ﴾ بالمعجزات ﴿فَما كانُواْ لِيُؤمِنُواْ﴾ عند مجيئهم ﴿بِما كَذَّبُواْ مِنْ قَبْلُ﴾ بما كفروا به قبل مجيئهم، بل استمروا على كفرهم ﴿كَذلِكَ﴾ الطبع ﴿يَطْبَعُ اللهُ عَلى قُلُوبِ الْكافِرِيْنَ﴾ يخلّيهم وشأنهم من رسوخ الكفر[3] في قلوبهم.

[١٠٢] ــ ﴿وَما وَجَدْنا لِأَكْثَرِهِمْ﴾ لأكثر الناس. والآية اعتراض، أو لأكثر المهلكين ﴿مِنْ عَهْدٍ﴾ من وفاء بما عهده الله اليهم في الإيمان بنصب الحجج، أو عهدوه إليه حين يقعون في بلية أن يؤمنوا ﴿وَإِن﴾ مخففة ﴿وَجَدْنا أَكْثَرَهُمْ لَفاسِقِينَ﴾

---

(١) حجة القراءات: ٢٨٨.

(٢) في تفسير مجمع البيان ٢: ٤٥٤: وقرأ يعقوب برواية زيد: «اولم نهد» بالنون.

(٣) في«الف»: يخلّيهم وما فيهم من رسوخ الشر.

اللام فارقة وقيل بمعنى «إلاّ» و«إن» نافية. [١]

[١٠٣] ـ ﴿ثُمَّ بَعَثْنا مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ بعد الرسل أو الأمم ﴿مُوسى بِآياتِنا﴾ المعجزات ﴿إِلى فِرْعَوْنَ وَمَلإِيهِ﴾ أشراف قومه ﴿فَظَلَمُوا بِها﴾ بوضعها غير موضعها، فابدلوا الإيمان بها بالكفر ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ بالكفر من اهلاكهم.

[١٠٤] ـ ﴿وَقالَ مُوسَى يا فِرعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعالَمِينَ﴾ اليك.

[١٠٥] ـ ﴿حَقِيقٌ عَلى أَنْ لا أَقُولَ عَلَى اللهِ إِلاَّ الْحَقَّ﴾ أصله «حقيق عليّ» كقراءة نافع، [٢] فقلب، معناه: واجب على القول الحق أن أكون أنا قائله ولا يرضى إلاّ بمثلي ناطقاً به، أو اريد بـ«على» معنى الباء وهو جواب لتكذيبه اياه المستفاد من «فظلموا بها» و«حقيق» خبر محذوف أو مبتدأ خبره «أن» ومدخولها ﴿قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِي بَنِي إِسْرءِيلَ﴾ فخلّهم حتى يرجعوا معي الى الأرض المقدسة وكان استعبدهم، وفتح الياء «حفص». [٣]

[١٠٦] ـ ﴿قالَ﴾ فرعون ﴿إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ﴾ تصدّق دعواك ﴿فأْتِ بِها إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقينَ﴾ فيها.

[١٠٧] ـ ﴿فَأَلْقَى عَصاهُ فَإِذا هِيَ ثُعْبانٌ مُبِينٌ﴾ حيّة عظيمة بينة لا يشك فيها. قيل: لمّا ألقاها صارت ثعباناً، فاغراً فاه بين فكيه، ثمانون ذراعاً، ووضع فكه الأسفل في الأرض والأعلى على سور القصر وقصد فرعون فهرب وأحدث، وهرب الناس ومات منهم بالزحام خمسة وعشرون ألفاً وصاح فرعون يا موسى خذه فأنا أومن بك، فأخذه وعاد عصاً. [٤]

---

(١) قاله الكوفيون ـ كما في تفسير البيضاوي ٢: ٢٣٧ـ.

(٢) حجة القراءات: ٢٨٩.

(٣) النشر في القراءات العشر ٢: ٢٧٥.

(٤) رواه البيضاوي في تفسيره ٢: ٢٣٧.

[١٠٨] ـ ﴿وَنَزَعَ يَدَهُ﴾ أخرجها من جيبه ﴿فَإذا هِيَ بَيْضاءُ﴾ ذات شعاع يغلب نور الشمس ﴿لِلنَّاظِرِيْنَ﴾ خلاف لونها من الادمة.

[١٠٩] ـ ﴿قالَ الْمَلأُ مِنْ قَومِ فِرْعَونَ إنَّ هذا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ﴾ حاذق بالسحر. وفي «الشعراء» حكايته عن فرعون[١] فلعلهم قالوه معه على جهة التشاور.

[١١٠] ـ ﴿يُرِيْدُ أَنْ يُخرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُم فَماذا تَأْمُرُونَ﴾ تشيرون في أمره.

[١١١] ـ ﴿قَالُواْ أَرْجِهْ وَأَخاهُ﴾ أخّر أمرهما، وقرأ «ابن كثير» و«هشام»: «أرجئهُ» بالهمزة واشباع ضمة الهاء،[٢] وكذا «أبو عمرو» بلا اشباع،[٣] و«ابن ذكوان» بالهمز وكسر الهاء[٤] وخُدِش بأن الهاء لا تكسر إلاّ إذا كان قبلها كسرة أو ياء ساكنة، والباقون بلا همزة، فـ«قالون» يختلس الكسر،[٥] و«ورش» و«الكسائي» يشبعانه،[٦] و«عاصم» و«حمزة» يسكنان الهاء[٧] ﴿وَأَرْسِلْ فِي الْمَدائِنِ حَاشِرِينَ﴾ جامعين.

[١١٢] ـ ﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ ساحِرٍ عَلِيمٍ﴾ يفوق موسى بالسحر وقرأ «حمزة» و«الكسائي» «سحّار»[٨] فحشروا.

[١١٣] ـ ﴿وَجاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ﴾ وهم سبعون. وقيل: أكثر[٩] ﴿قالُواْ إنَّ لَنا لأَجْراً إنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ﴾ استئناف كجواب ما لو قيل: ما قالوا؟[١٠] وقرأ «ابن كثير»

(١) سورة الشعراء: ٣٤/٢٦.

(٢) حجة القراءات: ٢٨٩.

(٣) حجة القراءات: ٢٩٠.

(٤) تفسير البيضاوي ٢: ٢٣٨.

(٥) اتحاف فضلاء البشر ٢: ٥٦.

(٦ـ٧) نفس المصدر/ ٥٦ و٥٧.

(٨) نفس المصدر/ ٥٧.

(٩) في تفسير مجمع البيان ٢: ٤٦١: وقيل ثمانين الفاً.

(١٠) كذا ظاهر النسخ ويؤيده ما في تفسير البيضاوي ٢: ٢٣٨ استأنف به كأنه جواب سائل قال: ماقالوا اذ جاؤا...؟

و«نافع» و«حفص» «إنَّ» على الاخبار.[1]

[١١٤] ـ ﴿قالَ نَعَمْ وإنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ أنعم لهم بالأجر وزاد عليه لتحريضهم وكسر «الكسائي» العين.[2]

[١١٥] ـ ﴿قالُواْ يا مُوسَى إمَّا أنْ تُلْقِيَ﴾ ما معك ﴿وَإمَّا أنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِيْنَ﴾ ما مَعنا، خيروه تجلّداً وتـأدباً ولكن لحرصهم على الإلقاء قبله غيـرّوا الأسلوب الى الأبلغ بتعريف الخبر وتوسيط الفصل.

[١١٦] ـ ﴿قالَ أَلْقُواْ﴾ كرماً ووثوقاً بأمره ﴿فَلَمَّا أَلْقَواْ﴾ حبالاً طوالاً وخشباً غلاظاً ﴿سَحَرُواْ أَعْيُنَ النَّاسِ﴾ صرفوها بالتمويه عن إدراك الحقيقة ﴿واسْتَرْهَبُوهُمْ﴾ أرهبوهم بالتخييل اليهم أنها حيات ملأت الوادي ﴿وَجاءُو[3] بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾ عند الناس.

[١١٧] ـ ﴿وَأَوْحَيْنا إلى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصاكَ﴾ فألقاها فصارت حية ﴿فَإذا هِيَ تَلَقَّفُ﴾ تتلقف: تبتلع وخففه «حفص»[4] ﴿مَايَأْفِكُونَ﴾ ما يقلبونه عن وجهه بالتمويه.

قيل ابتلعتها كلها وأقبلت على الناس فهربوا وهلك كثير بالزحام ثم أخذها موسى فعادت عصا، فقالت السحرة: لو كان هذا سحراً لتقيأت ما ابتلعت.[5]

[١١٨] ـ ﴿فَوَقَعَ الْحَقُّ﴾ ظهر وثبت ﴿وَبَطَلَ ما كانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ من السحر.

[١١٩] ـ ﴿فَغُلِبُواْ﴾ أي فرعون وقومه ﴿هُنالِكَ وانْقَلَبُواْ صاغِرِينَ﴾ صاروا أذلّاء مبهوتين.

---

(١) حجة القراءات: ٢٩٢.

(٢) حجة القراءات: ٢٨٢ وكتاب السبعة في القراءات: ٢٨١.

(٣) ينظر تعليقنا على الآية ٦١ من سورة البقرة.

(٤) حجة القراءات: ٢٩٢.

(٥) تفسير البيضاوي ٢: ٢٣٨.

[١٢٠] ـ ﴿وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ ساجِدِينَ﴾ ألقاهم ما بهرهم من الحق حتى لم يتمالكوا أنفسهم، أو الله بإلهامهم ذلك لينكسر فرعون بمن أراد بهم كسر موسى.

[١٢١] ـ ﴿قَالُواْ ءَامَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمينَ﴾ ولئلا يتوهم ارادة فرعون به[١] أبدل منه.

[١٢٢] ـ ﴿رَبِّ مُوسَى وَهْرُونَ﴾.

[١٢٣] ـ ﴿قالَ فِرْعَونُ﴾ انكاراً عليهم ﴿ءَامَنْتُمْ بِهِ﴾ بموسى أو بربّه وحقق الهمزتين «حمزة» و«الكسائي» و«أبوبكر»[٢] وقرأ «حفص»: «آمنتم» إخباراً[٣] ﴿قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ﴾ أنا ﴿لَكُمْ إِنَّ هذا﴾ الصنيع ﴿لَمَكْرٌ مَكَرْتُمُوهُ﴾ شيء صنعتموه أنتم وموسي ﴿فِي الْمَدِينَةِ﴾ في مصر قبل خروجكم ﴿لِتُخْرِجُواْ مِنْها أَهْلَها فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ عاقبة أمركم، وعيد، بيانه:

[١٢٤] ـ ﴿لأُقَطِّعَنَّ أَيْـدِيَكُمْ وأَرْجُلَكُـمْ مِن خِـلافٍ﴾ من كل شق طرفاً ﴿ثُمَّ لأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ لتفتضحوا ويعتبربكم غيركم.

[١٢٥] ـ ﴿قَالُواْ إِنَّا إِلى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ﴾ الى ثوابه، راجعون بعد الموت بأيّ وجه كان، أو مصيرنا ومصيرك إليه، فيحكم بيننا. قابلوا وعيده بأشدَّ منه.

[١٢٦] ـ ﴿وَمَا تَنْقِمُ﴾ تنكر ﴿مِنَّا إِلاّ أَنْ ءَامَنَّا بِآياتِ رَبِّنَا لَمَّا جاءَتْنا﴾ وهي الحق الذي يجب الإيمان به ﴿رَبَّنا اَفْرِغْ﴾ صبّ ﴿عَلَيْنا صَبْراً﴾ عند فعل ما توعّدنا به لئلا نرتد كفاراً ﴿وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ ثابتين على الإسلام. قيل فصلبهم من يومه.[٤]

وقيل عصمهم الله منه.[٥]

[١٢٧] ـ ﴿وَقالَ الْمَـلأُ مِنْ قَوْمِ فِـرْعَونَ﴾ له ﴿أَتَذَرُ مُـوْسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِـدُواْ فِي

---

(١) في «ط»: منه.

(٢) حجة القراءات: ٢٩٣.

(٣) تفسير مجمع البيان ٢: ٤٦٣.

(٤و٥) تفسير مجمع البيان ٢: ٤٦٤.

﴿الْأَرْضِ﴾ بدعاء الناس الى مخالفتك ﴿وَيَذَرَكَ﴾ عطف على «يفسدوا» أو جواب «أتذر» بالواو ﴿وَءَالِهَتَكَ﴾ قيل اتخذ لقومه أصناماً وأمرهم بعبادتها تقرباً اليه ولذلك قال ﴿أنا ربكم الأعلى﴾[1] وقيل كان يعبد البقر ويأمرهم بعبادتها.[2]

وعن علي عليه السّلام «وإلهَتَكَ» أي عبادتك[3] ﴿قالَ سَنُقَتِّلُ﴾ وخففه «ابن كثير» و«نافع»[4] ﴿أَبْناءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِساءَهُمْ﴾ كفعلنا قبل، لئلا يظن بنا وهنٌ، وأنه المولود المحكوم بزوال ملكنا على يده ﴿وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قاهِرُونَ﴾ متسلّطون ففعل بهم ذلك فشكوه.

[١٢٨] ـ ﴿قالَ مُوسى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُواْ بِاللهِ وَاصْبِرُواْ﴾ على أذاه ﴿إِنَّ الْأَرْضَ للهِ يُورِثُها مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ﴾ ينقلها إليه نقل الميراث. تقرير لما قبله ﴿وَالْعاقِبَةُ﴾ المحمودة ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ وعد لهم بالنصر.

[١٢٩] ـ ﴿قالُواْ﴾ أي بنو إسرائيل ﴿أُوذِينا﴾ بقتل الأبناء ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنا﴾ بالرسالة ﴿وَمِنْ بَعْدِ ما جِئْتَنا﴾ قالوه استبطاءاً لوعده إيّاهم بالنصر، فجدده لهم ﴿قالَ عَسى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ أخيراً أم شرّاً، ليجازيكم به.

[١٣٠] ـ ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنا ءَالَ فِرْعَونَ بِالسِّنِينَ﴾ بالقحوط. غلّبت السنة في عام القحط لكثرة ذكره[5] ﴿وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمراتِ﴾ بالآفات ﴿لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ لكي يتفكروا في أن ذلك بكفرهم فيتعظوا.

---

(١) تفسير البيضاوي ٢: ٢٣٩ والآية في سورة النازعات: ٧٩/ ٢٤.

(٢) قاله السدي ـ كما في تفسير مجمع البيان ٢: ٤٦٤.

(٣) تفسير مجمع البيان ٢: ٤٦٤.

(٤) حجة القراءات: ٢٩٤.

(٥) في تفسير البيضاوي ٢: ٢٤٠: والسنة غلبت على عام القحط لكثرة مايذكر عنه ويؤرّخ به ثم اشتق منها فقيل: اسنت القوم: اذا قحطوا.

[١٣١] ـ ﴿فَإِذا جاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ﴾ الخصب والرخاء ﴿قالُواْ لَنا هذِهِ﴾ استحقاقاً ﴿وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ جدب وبلاء ﴿يَطَّيَّرُواْ بِمُوسى وَمَنْ مَعَهُ﴾ يتشاءموا بهم ويقولون: ما أصابتنا إلاّ بشؤمهم.

وفيه تنبيه على فرط قساوتهم وغباوتهم إذ لم يتأثروا بالآيات والشدائد المرققة للقلوب.

وذكرت الحسنة معرفة مع «إذا» لكثرة وقوعها، والسيئة منكرةً مع «إن» لندروها ﴿أَلاَ إِنَّما طَائِرُهُمْ﴾ أي سبب شؤمهم أو سبب نفعهم وضرهم وهو أعمالهم مكتوب ﴿عِنْدَ اللهِ ولكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعلَمُونَ﴾ ذلك.

[١٣٢] ـ ﴿وَقَالُواْ مَهْمَا﴾ «ما» الشرطية لحقتها «ما» الزائدة، وقلبت ألفها هاءً استثقالاً وقيل «مه» بمعنى «كف» مع «ما» الشرطية، أي: أيّ شيء ﴿تَأْتِنا بِهِ مِنْ ءَايَةٍ﴾ بزعمك، بيان لـ«مهما» ﴿لِتَسْحَرَنا﴾ لتموّه علينا ﴿بِها﴾ الهاء لمعنى «ما» أو آية ﴿فَما نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ خبر «مهما» بحذف العائد أي فما نصدّقك بها.

[١٣٣] ـ ﴿فَأَرْسَلْنا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ﴾ المطر الذي طاف بهم، أو الطاعون أو الجدري ﴿وَالجَرادَ والْقُمَّلَ﴾ السوس أو الدبا أو نوع من القراد ﴿وَالضَّفادِعَ وَالدَّمَ﴾ قيل: [1] امطروا حتى دخل الماء بيوتهم ولم يدخل بيوت بني إسرائيل قطرة، ووقف بأرضهم فمنعهم من الحرث، ودام عليهم أُسبوعاً، فقالوا لموسى: ادع ربك يكشف عنّا ونؤمن بك.

فدعا فكشف عنهم ولم يؤمنوا، فسلّط عليهم الجراد فأكلت زرعهم وثمارهم وأمتعتهم وأبوابهم، ففزعوا اليه.

فأشار بعصاه نحو المشرق والمغرب فرجعت من حيث جاءت، فلم يؤمنوا، فسلّط عليهم القمل فأكل ما بقى وغشي أطعمتهم، ودخل تحت ثيابهم يعضّهم،

---

(١) ذكر قصة بني اسرائيل الطبرسي في تفسير مجمع البيان ٢: ٤٦٨ والبيضاوي في تفسيره ٢: ٢٤١.

ففزعوا إليه فرفع، فلم يؤمنوا، فسلّط عليهم الضفادع فملأت مضاجعهم وأطعمتهم وكانت تثب في قدورهم وهي تغلي، وأفواههم إذا تكلموا، ففزعوا إليه وعاهدوه فرفع، فنكثوا، فابتلوا بالدم فصارت مياههم دماً حتّى كان القبطي يمص الماء من فم الإسرائيلي فيصير في فيه دماً.

وقيل: ابتلوا بالرعاف[1] ﴿ءَايَاتٍ﴾ حال ﴿مُفَصَّلاتٍ﴾ مبينات أو فصل بعضها عن بعض ﴿فَاسْتَكْبَرُواْ﴾ عن الإيمان ﴿وَكانُواْ قَوماً مُجرِمِينَ﴾.

[١٣٤] ـ ﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ﴾ العذاب المفصّل أو الطاعون بعده ﴿قالُواْ يَا مُوسى ادْعُ لَنا رَبَّكَ بِما عَهِدَ عِنْدَكَ﴾ بما عهده اليك أن تدعوه به فيجيبك، أو بعهده عندك وهو النبوّة وهو صلة «ادع» أو حال من فاعله، أي متوسلاً بما عهد، أو متعلق بما دلّ عليه طلبهم كـ«أسعفنا» بحق ماعهد ﴿لَئِنْ﴾ قسم ﴿كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِى إِسْرائيلَ﴾.

[١٣٥] ـ ﴿فَلَمَّا كَشَفْنا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلى أَجَلٍ﴾ حدّ من الزمان ﴿هُمْ بَالِغُوهُ﴾ فمهلكون فيه وهو وقت الغرق ﴿إِذا هُمْ يَنكُثُونَ﴾ جواب «لما» أي فاجئوا الى نقض العهد من دون توّقف.

[١٣٦] ـ ﴿فَانْتَقَمْنا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْناهُمْ فِي الْيَمِّ﴾ البحر ﴿بِأَنَّهُمْ﴾ بسبب أنهم ﴿كَذَّبُوا بِآياتِنا وَكانُواْ عَنها غافِلِينَ﴾ معرضين حتى صاروا كالغافلين عنها، أو عن النقمة بقرينة «فانتقمنا».

[١٣٧] ـ ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كانُوا يُسْتَضْعَفونَ﴾ بالاستعباد وهم بنو إسرائيل ﴿مَشارِقَ الْأَرْضِ وَمَغارِبَها﴾ أرض مصر والشام، تمكنوا في نواحيها بعد إهلاك العتاة ﴿الَّتي بارَكْنا فِيها﴾ بالخصب والسعة ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحُسْنى عَلى بَنِي إِسرائيلَ﴾ صحّت بإنجاز عدته إيّاهم بالنصر والتمكين وهي قوله ﴿ونريد ان

---

(١) قاله زيد بن أسلم ـ كما في تفسير مجمع البيان ٢: ٤٩٦.

نمنّ﴾[١] الى آخره ﴿بِما صَبَرُواْ﴾ على الأذى ﴿وَدَمَّرْنا﴾ أهلكنا ﴿ما كانَ يَصْنَعُ فِرْعَونُ وَقَوْمُهُ﴾ من العمارات ﴿وَما كانُواْ يَعْرِشُونَ﴾ من الشجر أو يرفعون من البنيان. وضمه «أبو بكر» و«ابن عامر».[٢]

ثم قصّ تعالى أحوال بني اسرائيل وما أحدثوه بعد ترادف نعمه عليهم فقال:

[١٣٨] ـ ﴿وَجاوَزْنا﴾ عبرنا ﴿بِبَنِي إِسْرائيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْاْ﴾ فمرّوا ﴿عَلى قَومٍ﴾ من العمالقة أو لخم ﴿يَعْكُفُونَ﴾ وكسره «حمزة» و«الكسائي»[٣] ﴿عَلى أَصْنامٍ لَهُمْ﴾ يقيمون على عبادتها وكانت تماثيل بقر وهي مبدأ أمر العجل ﴿قالُواْ يا مُوسى اجْعَل لَنا إِلٰهًا﴾ صنماً نعبده ﴿كَما لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ ما كافة للكاف ﴿قالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ لبعد ما طلبتم ـ وقد شاهدتم الآيات ـ عن العقل.

[١٣٩] ـ ﴿إِنَّ هَؤُلاءِ﴾ القوم ﴿مُتَبَّرٌ﴾ مهلك ﴿ما هُمْ فِيهِ﴾ من الدين ﴿وَباطِلٌ﴾ مضمحل ﴿ما كانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ من عبادة الأصنام.

[١٤٠] ـ ﴿قالَ أَغَيْرَ اللهِ أَبْغِيكُمْ إِلٰهًا﴾ أطلب لكم معبوداً ﴿وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلى الْعَالَمِيْنَ﴾ في زمانكم بنعمه الجسام، فقابلتموها بأن قصدتم أن تشركوا به مخلوقه.

[١٤١] ـ ﴿وَإِذْ﴾ واذكروا إذ ﴿أَنْجَيْناكُمْ﴾ وقرأ «ابن عامر» «انجاكم»[٤] ﴿مِنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ﴾ يولونكم ويذيقونكم، حال من المفعول أو آل أو إستئناف لبيان المنجّى منه ﴿سُوءَ الْعَذابِ﴾ أشده وهو أنهم ﴿يُقَتِّلُونَ﴾ وخففه «نافع»[٥] ﴿أَبْناءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِساءَكُمْ﴾ يستبقونهن للخدمة ﴿وَفِي ذَلِكُمْ﴾ الإنجاء والعذاب ﴿بَلاءٌ﴾

---

(١) الآية(٥) من سورة القصص(٢٨) قوله تعالى:

«ونريد أن نمنَّ على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين».

(٢) اي الراء ـ كما في حجة القراءات: ٢٩٤.

(٣) اي الكاف ـ كما في حجة القراءات: ٢٩٤.

(٤) حجة القراءات: ٢٩٤.

(٥) حجة القراءات: ٢٩٥.

نعمة ومحنة ﴿مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾.

[١٤٢] ـ ﴿وَوَاعَدْنا﴾ وقرأ «أبو عمرو»: «ووعدنا»[١] ﴿مُوسَى ثَلاثِينَ لَيْلَةً﴾ ذا القعدة ﴿وَأَتْمَمْناها بِعَشْرٍ﴾ من ذي الحجة ﴿فَتَمَّ مِيقاتُ رَبِّهِ﴾ وقت وعده ﴿أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ حال.

قيل[٢] وعد قومه أن يأتيهم بكتاب من الله فأُمر بصوم ثلاثين فصامها، فاستاك لخلوق فيه، فأمر بعشر أخرى لإفساد السواك ريحه.

وقيل امر بصوم الثلاثين ثم كلمه، وأنزل عليه التوراة في العشر[٣] ﴿وَقالَ مُوسى لِأَخِيهِ هرُونَ﴾ عند خروجه الى الجبل للمناجاة ﴿اخْلُفْني﴾ كن خليفتي ﴿فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ﴾ أمورهم ﴿وَلا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِيْنَ﴾ ولا تسلك طريقهم في المعاصي.

[١٤٣] ـ ﴿وَلَمَّا جاءَ مُوسَى لِمِيْقاتِنا﴾ للوقت الذي وقّتناه لتكليمنا له ﴿وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ بلا وسيط.

قيل: سمع كلامه من كل جهة[٤] وقيل من الغمام[٥] كما سمعه من الشجرة في موضع آخر[٦] ﴿قالَ رَبِّ أَرِنِي﴾ نفسك ﴿أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾.

واحتج به على جواز رؤيته تعالى لاستحالة طلب المحال من الأنبياء سيّما ما يوجب جهلاً بالله.

ورد بأن السؤال لتبكيت قومه إذ قالوا ﴿أرنا الله جهرة﴾[٧] فسأل ليمنع فيعلموا

---

(١) اتحاف فضلاء البشر ٢: ٦١.

(٢) نقله البيضاوي في تفسيره ٢: ٢٤٢.

(٣) تفسير البيضاوي ٢: ٢٤٢.

(٤) تفسير مجمع البيان ٢: ٤٧٤.

(٥) ورد ذلك في سورة القصص: ٢٨/ ٣٠.

(٦) سورة النساء: ٤/ ١٥٣.

(٧) سورة البقرة. ٢/ ٥٥.

امتناعها إذ لم يرتدعوا بما عرّفهم من امتناعها حتى ألحوا عليه وقالوا: ﴿لَنْ نُؤمِنَ لَكَ حَتّى نَرَى الله جَهْرَة﴾ فاحتاج إلى ما هو أبلغ في ردعهم.

وهو طريق السؤال والجواب من الله، ولذلك سألها لنفسه دونهم ليعلموا أنه إذا مُنعها مع علوّ قدره، فهم أولى بالمنع، ولئلا يقولوا لو سألها لنفسه لـرآه ورأينا. كما سمعنا كلامه حين كلمه ﴿قالَ لَنْ تَرانِي﴾ لن لتأبيد النفي وتأكيده وإذا لم يره أبداً، لم يره غيره إجماعاً ﴿وَلكِنِ انْظُرْ إِلى الجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكانَهُ فَسَوْفَ تَرانِي﴾ استدراك من النظر إليـه الى النظر الـى الجبل وما يغشاه بسبب سؤالهم العظيم الممتنـع، ليعلموا امتناع رؤيته بذلك وبتعليقها على المحال، وهو: استقراره عقيب النظر حالة تحركه، وامكان الإستقرار حينئذ ممنوع ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلجَبَلِ﴾ ظهر له أمره واقتداره أو نوره أو عظمته ﴿جَعَلَهُ دكّاً﴾ مدكوكـاً أي مدقوقاً ومده «حمزة» و«الكسـائي» بلا تنوين، [١] أي مستوياً بالأرض ﴿وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا﴾ مغشياً عليه، لهول ما رأى ﴿فَلَمَّا أَفَاقَ قالَ سُبْحانَكَ﴾ تنزيهـاً لك عما لا يليق بك مـن الرؤية وغيـرها ﴿تُبْتُ إِلَيْكَ﴾ من طلب الرؤية أو السؤال بلا إذن ﴿وَأَنا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ بأنك لا ترى أبداً.

[١٤٤] ــ ﴿قـالَ يا مُـوسَـى إِنّي﴾ وفتـح «ابن كثيـر» و«أبـو عمـرو» «اليـاء»[٢] ﴿اصْطَفَيْتُكَ﴾ اخترتك ﴿عَلى النَّاسِ﴾ أهل زمانك ﴿بِرِسَالاتِي﴾ ووحدها «ابن كثير» و«نافع» [٣] ﴿وَبِكَلامِي﴾ وبتكليمي إياك ﴿فَخُذْما ءاتَيْتُكَ﴾ من النبوّة والـدّين ﴿وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِيْنَ﴾ لنعمي.

[١٤٥] ـ ﴿وَكَتَبْنا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ﴾ ألواح التوراة وكانت سبعة أو عشرة من خشب أو ياقوت أو زمرّد ﴿مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ يحتاج إليه في الدين ﴿مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً﴾ تبييناً بدل

(١) حجة القراءات: ٢٩٥.

(٢) النشر في القراءات العشر ٢: ٢٧٥.

(٣) حجة القراءات: ٢٩٥.

من الجار والمجرور قبله ﴿لِكُلِّ شَىْءٍ فَخُذْها﴾ أي فقلنا خذ الألواح أو الأشياء الدال عليها «لكل شيء» ﴿بِقُوَّةٍ﴾ بجدّ وعزيمة ﴿وَأمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُواْ بِأَحْسَنِها﴾ أي بأحسن ما فيها من الفرائض والنوافل، إذ هي أحسن من المباحات أو بحسنها وكلها حسن ﴿سأُوْرِيْكُمْ دارَ الْفاسِقِيْنَ﴾ فرعون وقومه وهي مصر أو منازل عاد وثمود وأمثالهم لتعتبروا بهم، أو دارهم في الآخرة وهي جهنم.

[١٤٦] ـ ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَاياتِىَ﴾ عن إبطال دلائلي، وسكن «ابن عامر» و«حمزة» الياء[١] ﴿الَّذِيْنَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ بإعلائها أو إهلاكهم أو منعهم اللطف، لأنهم ليسوا أهله فلا يتفكرون فيها ﴿بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ متلبسين بالباطل وهو دينهم ﴿وَإِنْ يَرَواْ كُلَّ ءَايَةٍ﴾ دلالة ﴿لاَ يُؤْمِنُواْ بِها﴾ لعنادهم. ويؤذن بعلة صرفهم فيؤيد الوجه الثالث ﴿وَإِنْ يَرَواْ سَبِيلَ الرُّشْدِ﴾ الهدى، وقرأ «حمزة» و«الكسائي» بفتحتين[٢] ﴿لا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً وإنْ يَرَواْ سَبيْلَ الْغَيِّ﴾ الضلال ﴿يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً ذَلِك﴾ الصرف ﴿بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِآياتِنا وَكانُواْ عَنْها غافِلِيْنَ﴾ بسبب تكذيبهم بها واعراضهم عنها.

[١٤٧] ـ ﴿وَالَّذِيْنَ كَذَّبُواْ بِآياتِنا وَلِقاءِ الآخِرَةِ﴾ البعث وما يتبعه ﴿حَبِطَتْ أَعْمالُهُمْ﴾ بطلت، إذ لم تقع على الوجه المأمور به ﴿هَلْ﴾ ما ﴿يُجْزَوْنَ إِلاّ ما كانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ إلاّ جزاء عملهم.

[١٤٨] ـ ﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسى مِنْ بَعْدِهِ﴾ بعد ذاهبه للمناجاة ﴿مِنْ حُلِيِّهِمْ﴾ الذي استعاروه من القبط بعلّة عيدٍ لهم، فبقى عندهم، جمع حَلْيٍ كـ«ثَدْي وثُدِّي» وكسر الحاء «حمزة» و«الكسائي»[٣] وأفرده «يعقوب»[٤] ﴿عِجْلاً جَسَدًا﴾ بدل لحماً ودماً،

---

(١) النشر في القراءات العشر ٢: ٢٧٥.

(٢) حجة القراءات: ٢٩٥.

(٣) حجة القراءات: ٢٩٦.

(٤) تفسير البيضاوي ٢: ٢٤٤.

أو من ذهب لا روح فيه ﴿لَهُ خُوارٌ﴾ صوت.

قيل لما صاغه السامري ألقى في فيه من تراب أثر فرس جبرائيل فصار حيّاً.(١)

وقيل احتال لدخول الريح جوفه فصوّت.(٢) وثاني مفعولي «اتخذ» مقدّر أي إلهاً ﴿أَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّهُ لا يُكَلِّمُهُمْ وَلا يَهْدِيهِمْ سَبِيلاً﴾ فكيف يتخذونه إلهاً مع عجزه عن مقدورهم من كلام، ودلالة طريق ﴿اتَّخَذُوهُ﴾ إلهاً ﴿وَكانُواْ ظَالِمِيْنَ﴾ باتخاذه واضعين للعبادة في غير موضعها.

[١٤٩] ـ ﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ﴾ أي ندموا، إذ النادم يعض يده فتصير مسقوطاً فيها ﴿وَرَأَوْاْ﴾ علموا ﴿أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّواْ﴾ بعبادة العجل ﴿قالُواْ لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنا رَبُّنا﴾ بقبول التوبة ﴿وَيَغْفِرْ لَنا﴾ ذنبنا، وقرأهما «حمزة» و«الكسائي» بالتاء، و«ربنا» منادى(٣) ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخاسِرِيْنَ﴾.

[١٥٠] ـ ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسى إِلى قَوْمِهِ غَضْبانَ أَسِفًا﴾ حزيناً أو شديد الغضب ﴿قالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِى﴾ بئس خلافة خلفتمونيها بعد خروجي خلافتكم، حيث أشركتم، وفتح «الحرميان»، و«أبو عمرو»: ياء «بعدي»(٤) ﴿أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ﴾ وعده الذي وعدنيه من الأربعين فلم تصبروا وقدّرتم موتي وأشركتم ﴿وَأَلْقَى الأَلْواحَ﴾ الواح التوراة غضباً لله فتكسرت ﴿وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيْهِ﴾ بذؤابته ولحيته ﴿يَجُرُّهُ إِلَيْهِ﴾ غضباً على قومه كما يفعل الغضبان بنفسه وكان هارون أكبر منه بثلاث سنين وأحب إلى بني إسرائيل للينه ﴿قالَ ابْنَ أُمَّ﴾ كسره «ابن عامر» و«حمزة» و«الكسائي» و«أبو بكر» اكتفاءاً بالكسر عن الياء تخفيفاً،(٥) وفتحه الباقون زيادة في التخفيف، أو تشبيهاً

---

(١) قاله الحسن ـ كما في تفسير مجمع البيان ٢: ٤٨٠.

(٢) قاله الزجاج والجبائي والبلخي ـ كما في تفسير مجمع البيان ٢: ٤٨٠.

(٣) حجة القراءات: ٢٩٦.

(٤ـ٥) اتحاف فضلاء البشر ٢: ٦٣.

بـ«خمسة عشر» وذكر الأُمّ للترقيق وكانا لأب وأُم ﴿إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُوني وكَادُوا يَقْتُلُونَنِي﴾ أي قهروني وقاربوا قتلي لشدة انكاري عليهم ﴿فَلا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ﴾ لا تسرهم بأن تفعل بي ما ظاهره الإهانة ﴿وَلاَ تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِيْنَ﴾ بعبادة العجل أي من جملتهم في إظهار الغضب عليّ.

[١٥١] ـ ﴿قالَ رَبِّ اغفِرْ لِي وَلأَخِي﴾ قاله انقطاعاً إليه تعالى لا لذنب فعلاه لامتناعه منهما، ودفعاً للشماتة بأخيه ﴿وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ﴾ بالإنعام علينا ﴿وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ أرحم منا بنا بأنفسنا.

[١٥٢] ـ ﴿إِنَّ الَّذِيْنَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ﴾ إلٰهاً ﴿سَيَنالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ عذاب الآخرة، أو أمرهم بقتل أنفسهم ﴿وَذِلَّةٌ فِي الْحَيوةِ الدُّنْيا﴾ قتل أنفسهم، أو الجلاء، أو الجزية ﴿وَكَذَلِكَ﴾ الجزاء ﴿نَجْزِى الْمُفْتَرِيْنَ﴾ على الله بالإشراك وغيره.

[١٥٣] ـ ﴿وَالَّذِيْنَ عَمِلُواْ السَّيِّئَاتِ﴾ من اشراك وغيره ﴿ثُمَّ تَابُواْ﴾ عنها ﴿مِنْ بَعْدِها وَءَامَنُواْ﴾ واستقاموا على الإيمان ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِها﴾ بعد التوبة ﴿لَغَفُورٌ﴾ لهم ﴿رَحِيْمٌ﴾ بهم.

[١٥٤] ـ ﴿وَلَمَّا سَكَتَ﴾ سكن ﴿عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ﴾ فيه مبالغة بجعل الغضب الحامل له على ما فعل كالآمر، فعبر عن سكونه بالسكوت ﴿أَخَذَ الْأَلْوَاحَ﴾ التي القاها ﴿وَفِي نُسْخَتِها﴾ وفيما نسخ أي كتب ﴿هُدًى﴾ بيان للحق ﴿وَرَحْمَةٌ﴾ دعاء الى الخير ﴿لِلَّذِيْنَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ يخشون. دخلت اللام على المفعول لضعف الفعل بتأخيره.

[١٥٥] ـ ﴿وَاخْتارَ مُوسَى قَوْمَهُ﴾ أي من قومه، حذف «من» فنصبه الفعل ﴿سَبْعِيْنَ رَجُلاً لِمِيْقاتِنا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾ قيل[1] أمرهم تعالى أن يختارهم ليكلمه

(١) قاله ابوعلي الجبائي وأبومسلم وجماعة من المفسرين ورواه علي بن ابراهيم في تفسيره ـ كما في تفسير مجمع البيان ٢: ٤٨٤ـ.

بحضرتهم ويشهدوا له عند بني إسرائيل، فلما سمعوا كلامه قالوا ﴿لن نؤمن لك حتّى نرى الله جهرة﴾ [١] فـ﴿أخذتهم الرجفة﴾ أي الصاعقة أو الزلزلة، فصعقوا ﴿قالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ﴾ قبل خروجي ﴿وَإِيَّايَ﴾ لئلا يتهمني بنو اسرائيل ﴿أَتُهْلِكُنَا بِما فَعَلَ السُّفَهاءُ مِنا﴾ استفهام استعطاف، أي لا تأخذنا بذنب غيرنا من طلب الممتنع وهو الرؤية فيكون الطالب بعضهم وقيل: عبادة العجل [٢] ﴿إِنْ هِيَ إِلاّ فِتْنَتُكَ﴾ ما الرجفة إلاّ ابتلاؤك ليتميّز الصابر من غيره، أو عذابك ﴿تُضِلُّ بِها مَنْ تَشاءُ﴾ تتركه وشأنه فلا يوفق للصبر عليها ﴿وَتَهْدِي مَنْ تَشاءُ﴾ بلطفك فيصبر ويثبت على الإيمان ﴿أَنْتَ وَلِيُّنا﴾ متولي أمرنا ﴿فَاغْفِر لَنا وارْحَمْنا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغافِرِيْنَ﴾ تغفر الذنب وتولي النعم.

[١٥٦] ـ ﴿وَاكْتُبْ لَنا فِي هَذِهِ الدُّنيا حَسَنَةً﴾ نعمة وتوفيق طاعة ﴿وَفِي الآخِرَةِ﴾ الجنة ﴿إِنَّا هُدْنَا﴾ تبنا ﴿إِلَيْكَ﴾ من هاده: أماله ﴿قالَ عَذابِي أُصِيْبُ بِهِ مَنْ أَشاءُ﴾ من العصاة وفتح «الياء» «نافع» [٣] ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ في الدنيا البرّ والفاجر وغير المكلف ﴿فَسَأَكْتُبُها﴾ أثبتها في الآخرة ﴿لِلَّذِيْنَ يَتَّقُونَ﴾ الشرك والمعاصي ﴿وَيُؤْتُونَ الزَّكوة﴾ خصت بالذكر لفضلها أو لأنها أشقّ ﴿وَالَّذِيْنَ هُمْ بِآياتِنا يُؤْمِنُونَ﴾.

[١٥٧] ـ ﴿الَّذِيْنَ﴾ مبتدأ خبره «يأمرهم» أو خبر محذوف أي هم الذين ﴿يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ﴾ محمداً صلّى الله عليه وآله وسلّم ﴿الأُمِّي﴾ الذي لا يكتب ولا يقرأ ﴿الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرِيةِ وَالإِنجِيْلِ﴾ باسمه ونعته ﴿يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْروفِ وَيَنْهاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّباتِ﴾ مما حرّم في شرعهم ﴿وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبائِثَ﴾ كالميتة ونحوها ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصرَهُمْ﴾ يخفف عنهم التكليف الشاق

---

(١) سورة البقرة: ٢/ ٥٥.

(٢) تفسير مجمع البيان ٢: ٤٨٥ وتفسير البيضاوي ٢: ٢٤٥.

(٣) اتحاف فضلاء البشر ٢: ٦٤.

كقتل أنفسهم بالتوبة وقرض موضع النجاسة وتعين القصاص في العمد والخطاء.

وأصل الإصر: الثقل الذي يأصر صاحبه أي يحبسه مكانه وقرأ «ابن عامر»: «اصارهم»[1] ﴿وَالْأَغلالَ﴾ العهود ﴿التَّي كانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ بالعمل بما في التوراة ﴿فَالَّذِيْنَ ءَامَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ﴾ وقروه ﴿وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ﴾ أي مع رسالته وهو أميرالمؤمنين عليه السّلام، أو هو القرآن ﴿أُولئكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ الظافرون بالمراد.

[١٥٨] ـ ﴿قُلْ يا أَيُّها النَّاسُ إِنّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَميعًا﴾ حال من «اليكم» بعث صلّى الله عليه وآله وسلّم الى الثقلين وسائر الرسل الى قومهم ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوات وَالْأَرْضِ﴾ صفة الله أو مبتدأ خبره ﴿لاَ إِلهَ إلاّ هُوَ﴾ وهو على الاول بيان لما قبله، إذ من ملك العالم اختص بالألوهية ﴿يُحْيي وَيُمِيْتُ﴾ تقرير لاختصاصه بها ﴿فَآمِنُواْ بِاللهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمّيِّ الذِي يُؤْمِنُ بِاللهِ وَكَلِماتِهِ﴾ القرآن والوحي والكتب المتقدمة ﴿وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ الى الثواب والجنة.

[١٥٩] ـ ﴿وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ﴾ جماعة ﴿يَهْدُونَ﴾ الناس ﴿بِالْحَقِّ﴾ بكلمة الحق ﴿وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ في الحكم وهم الثابتون على الإيمان من أهل زمانه.

أو قوم وراء الصين رآهم النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم ليلة معراجه فآمنوا به، أو مؤمنو أهل الكتاب.

[١٦٠] ـ ﴿وَقَطَّعْناهُمُ﴾ فرّقنا بني إسرائيل ﴿اثْنَتَىْ عَشْرَةَ﴾ حال وتأنيثه للحمل على الفرقة أو الأمة ﴿أَسْباطًا﴾ بدل منه أي قبائل ﴿أُمَمًا﴾ صفة «اسباطاً» ﴿وَأَوْحَيْنا إِلى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقاهُ قَوْمُهُ﴾ في التيه ﴿أَنِ اضْرِبْ بِعَصاكَ الْحَجَرَ﴾ فضربه ﴿فَانْبَجَسَتْ﴾ انفجرت ﴿مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُناسٍ﴾ كل سبط ﴿مَشْرَبَهُمْ وظَلَلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمامَ﴾ يقيهم الشّمس ﴿وَأَنْزَلْنا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى﴾ وقلنا لهم:

---

(١) حجة القراءات: ٢٩٨.

﴿كُلُواْ مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُواْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ فسرّ في البقرة.[1]

[١٦١] ـ ﴿وَإِذْ﴾ واذكر إذ ﴿قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُواْ هَذِهِ الْقَرْيَةَ﴾ بيت المقدس ﴿وَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُواْ حِطَّةٌ وَادْخُلُواْ الْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ﴾ وقرأ «نافع» و«ابن عامر» «تغفر» بالتاء بصيغة المجهول،[2] و«نافع» خطيئاتكم بالهمز والرفع جمعاً،[3] و«ابن عامر» خطيئتكم كذلك مفرداً،[4] و«أبو عمرو» خطاياكم كقضاياكم[5] ﴿سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ ثواباً بالإمتثال كما جعلناه توبة للمسيء.

[١٦٢] ـ ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ قَوْلاً غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزاً مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُواْ يَظْلِمُونَ﴾ فسرّ ثمة.[6]

[١٦٣] ـ ﴿وَسْئَلْهُمْ﴾ توبيخاً ﴿عَنِ الْقَرْيَةِ﴾ عن أهلها وما وقع بهم ﴿الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ﴾ بقربه وهي «ايلة» بين مدين والطور، وقيل: مدين[7] ﴿إِذْ يَعْدُونَ﴾ يتجاوزون الحدّ بصيد السمك ﴿فِي السَّبْتِ﴾ و«إذ» ظرف لـ«كانت» أو «حاضرة» ﴿إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ﴾ ظرف لـ«يعدون» ﴿يَوْمَ سَبْتِهِمْ﴾ مصدر سبتت اليهود، أي عظّمت سبتها، أو اسم اليوم واضافته لا ختصاصهم فيه بأحكام ﴿شُرَّعًا﴾ ظاهرة على الماء ﴿وَيَوْمَ لاَ يَسْبِتُونَ﴾ لايعظّمون للسبت، أي سائر الأيام ﴿لاَ تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ﴾ البلاء ﴿نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ بفسقهم.

---

(١) في سورة البقرة: ٢/ ٥٧.

(٢-٣) اتحاف فضلاء البشر ٢: ٦٥.

(٤) تفسير مجمع البيان ٢: ٤٩٠ واتحاف فضلاء البشر ٢: ٦٥.

(٥) تفسير مجمع البيان ٢: ٤٩٠ واتحاف فضلاء البشر ٢: ٦٦.

(٦) في سورة البقرة: ٢/ ٥٩.

(٧) تفسير مجمع البيان ٢: ٤٩١.

[١٦٤] ـ ﴿وَإِذْ قالَتْ﴾ عطف على «إذ» قبله[١] ﴿أُمَّةٌ مِنْهُمْ﴾ جماعة من أهل القرية وكانوا ثلاث فرق، فرقة صادوا وفرقة نهوهم، وفرقة أمسكوا عن الصيد والنهي، فقالت الماسكة للناهية: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللهُ مُهْلِكُهُمْ﴾ في الدنيا ﴿أَو مُعَذِّبُهُمْ عَذابًا شَدِيْدًا﴾ في الآخرة ﴿قالُواْ﴾ جواباً لسؤالهم ﴿مَعْذِرَةٌ﴾[٢] أي موعظتنا معذرة. ونصبها «حفص» مصدراً[٣] أي نعتذر معذرة ﴿إِلى رَبِّكُمْ﴾ لئلا ننسب الى ترك النهي عن المنكر ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ الله فلا يعصونه.

[١٦٥] ـ ﴿فَلَمّا نَسُواْ﴾ تركوا ﴿ما ذُكِّرُواْ بِهِ﴾ من الوعظ فلم ينتهوا ﴿أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنا الَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ بتعدي الحد ﴿بِعَذابٍ بَئِيسٍ﴾ شديد، فعيل من بؤس يبؤس بأساً:[٤] اشتد. وكسر «ابن عامر» الباء وسكن الهمزة على انه كـ«حِذْر»[٥] فخفف عينه بنقل حركتها الى الفاء، وقلب «نافع» الهمزة ياءً كـ«ذيب في ذئب»[٦] و«أبو بكر» على فيعل كـ«ضيغم»[٧] ﴿بِما كانُواْ يَفْسُقُونَ﴾ بفسقهم.

[١٦٦] ـ ﴿فَلَمَّا عَتَوا عَمَّا نُهُوا عَنْهُ﴾ تكبّروا عن تركه ﴿قُلْنا لَهُمْ كوُنُوا قِرَدَةً خاسِئِينَ﴾ مطرودين. وَأريد بـ«كونوا» سرعة التكوين لا الأمر وظاهره تأخّر المسخ عن العذاب وقيل: هذا تفصيل لما قبله.[٨]

قيل لما عتوا اعتزلهم الناهون فأصبحوا يوماً فلم يخرج من العاصين أحد،

---

(١) اي «اذ يعدون».

(٢) في المصحف الشريف بقراءة حفص: «معذرةً» ـ كما سيشير اليه المؤلّف.

(٣) تفسير مجمع البيان ٢: ٤٩١ وحجة القراءات: ٣٠٠.

(٤) كذا في النسخ والصحيح بؤساً ـ كما في تفسير البيضاوي ٢: ٢٤٨ـ.

(٥) تفسير مجمع البيان ٢: ٤٩٢ وحجة القراءات: ٣٠٠.

(٦) حجة القراءات: ٣٠٠.

(٧) تفسير مجمع البيان ٢: ٤٩٢ وحجة القراءات: ٣٠٠.

(٨) قاله البيضاوي في تفسيره ٢: ٢٤٨.

فدخلوا عليهم فإذا هم قردة تعرفهم وهم لايعـرفونها فجعلت تأتيهم تبكي وتشمّ ثيابهم فماتوا بعد ثلاث.[١]

[١٦٧] ـ ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ﴾ بمعنى آذن، أي: أعلم، أجـري مجرى القسـم كـ«علم الله» فأُجيب بجـوابه وهو ﴿لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ﴾ ليسلّطن على اليهـود ﴿إِلى يَوْمِ الْقِيٰمَةِ مَنْ يَسُومُهُـمْ سُوءَ الْعَذابِ﴾ يوليهم شـدته بالـذل وأخذ الجزيـة فبعث عليهم سليمان، ثم بخت نصّـر، فقتلهم وسباهم وضرب عليهم الجـزية فكانوا يـؤدونها الى المجوس حتى بعـث محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم فَأذلّهم وضرب عليهم الجـزية، فهم كذلك الى يوم القيامة ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيْعُ الْعِقابِ﴾ لمن عصاه ﴿وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ﴾ لمن آمن ﴿رَحِيْمٌ﴾ به.

[١٦٨] ـ ﴿وَقَطَّعْناهُمْ﴾ فرّقناهم ﴿فِي الْأَرْضِ أُمَمًا﴾ فرقاً، مفعول ثاني أو حال، فلا شوكة لهم ولا يتناصرون ﴿مِنْهُمُ الصَّالِحُونَ﴾ صفة «أمماً» وهـم من آمنوا ﴿وَمِنْهُمْ دُونَ ذٰلِكَ﴾ أي نـاس منحطّـون عن الصـلاح وهم كفـرتهم وفسقتهـم ﴿وَبَلَوْناهُمْ بِالْحَسَناتِ والسَّيِّئاتِ﴾ بالمنح والمحن ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ عمّاهم عليه.

[١٦٩] ـ ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ﴾ مصدر نُعِت به، فيأتـي للواحد والجمع، وقيل: جمع،[٢] وشاع في الشر، وبـالفتح في الخير، واريد به معـاصرو النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم ﴿وَرِثُواْ الْكِتابَ﴾ التـوراة عن أسلافهـم يتلونهـا ﴿يَأْخُذُونَ عَـرَضَ هَذَا الْأَدْنى﴾ حطام هذا الشيء الدني أي الدنيا من الحـرام كالرشى وغيرها. والجملة حال من الواو ﴿وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا﴾ لا يـؤاخذنـا الله بذلك. والفعـل مسند الى «لنـا» أو مصدر «يأخذون» ﴿وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ﴾ حال من المستكـن في «لنا» أي يرجون المغفرة، مصرّين على ذنبهم، عائدين إليه ﴿أَلَمْ يُؤْخَذْ﴾ تقرير ﴿عَلَيْهِمْ مِيْثاقُ الْكِتابِ﴾ أي في الكتاب ﴿أَنْ لاَ يَقُولُواْ عَلى اللهِ إلاّ الْحَقَّ﴾ متعلق بالميثاق أي بـ«أن

(١ و٢) تفسير البيضاوي ٢: ٢٤٨.

لا يقولوا» أو عطف بيان له ﴿وَدَرَسُواْ﴾ عطف على «يؤخذ» أو على «ورثوا» وهو اعتراض، قرأوا ﴿ما فِيهِ﴾ أو تركوه حتى صار دارساً وليس فيه وعد بالمغفرة مع الإصرار فَلِمَ خالفوا الميثاق بالكذب على الله بنسبة المغفرة إليه تعالى مع الإصرار ﴿وَالدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ﴾ من عرض الدنيا ﴿لِلَّذِيْنَ يَتَّقُونَ﴾ الحرام ﴿أَفَلا يَعْقِلُونَ﴾[1] ذلك، فيؤثرون النعيم الباقي على الدني الفاني المؤدي الى العقاب. وقرأ «نافع» و«ابن عامر» بالتاء.[2]

[١٧٠] ـ ﴿وَالَّذِيْنَ يُمَسِّكُونَ بِالكِتابِ وَأَقامُواْ الصَّلٰوةَ﴾ عطف على «الذين يتقون» و«أفلا يعقلون» اعتراض، أو مبتدأ خبره ﴿إِنَّا لاَ نُضِيْعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾ بتقدير منهم. وضع الظاهر موضع المضمر وخفف «أبو بكر» «يمسكون».[3]

[١٧١] ـ ﴿وَإِذْ نَتَقْنا الْجَبَلَ﴾ رفعناه ﴿فَوْقَهُم كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ﴾ هي ما أظلك من غمامة أو سقيفة[4] ﴿وَظَنُّواْ﴾ أيقنوا، أو قوي في نفوسهم ﴿أَنَّهُ واقِعٌ بِهِمْ﴾ ساقط عليهم إذ وعدهم الله بوقوعه إن لم يقبلوا أحكام التوراة، وكانوا أبوها لثقلها فقبلوها ﴿خُذُواْ﴾ أي وقلنا لهم: خذوا ﴿ما ءَاتَيْناكُمْ﴾ من التوراة ﴿بِقُوَّةٍ﴾ بجدّ وعزم، حال من الواو ﴿واذْكُرُواْ ما فِيْهِ﴾ بالعمل به ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ المعاصي.

[١٧٢] ـ ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي ءَادَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ﴾ بدل اشتمال مما قبله بتكرار من ﴿ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ وجمعه «نافع» و«أبو عمرو» و«ابن عامر»،[5] أي أخرج من أصلابهم على نحو توالدهم نسلاً بعد نسل ﴿وَأَشْهَدَ هُمْ عَلى أَنْفُسِهِمْ﴾ أي وركّب

---

(١) في المصحف الشريف بقراءة حفص: «تعقلون».

(٢) حجة القراءات: ٣٠١.

(٣) تفسير مجمع البيان ٢: ٤٩٥ ـ وحجة القراءات: ٣٠١.

(٤) في «ط»: من الغمام او السقيفة.

(٥) حجة القراءات: ٣٠١.

فيهم عقلاً ونصب[1] لهم دلائل تدعوهم الى الإقرار بربوبيته حتى صاروا بمنزلة من استشهدوا وأقروا فكأنه قيل لهم: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قالُواْ بَلى شَهِدْنا﴾ أنت ربّنا ﴿أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيٰمَةِ﴾ كراهة أن تقولوا ﴿إِنَّا كُنا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ لم ننبه له بحجة.

[١٧٣] ـ ﴿أَوْ تَقُولُوا﴾ وقرأ «أبو عمرو» بالياء ـ فيهما ـ[2] ﴿إِنَّما أَشْرَكَ ءَاباؤُنا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ فاقتدينا بهم إذ لا يسع التقليد مع التمكن من العلم بالحجة ﴿أَفَتُهْلِكُنا بِما فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾ من آبائنا بتأسيس الشرك.

وقيل: أخرج الله ذرية آدم من ظهره وجعلهم أحياء عقلاء ناطقين، وألهمهم ذلك.[3]

وردّ بأنه يأباه الظاهر، لكن في أخبار أئمتنا عليهم‌السلام ما يعضده.[4]

[١٧٤] ـ ﴿وَكَذٰلِكَ﴾ التفصيل والبيان للميثاق العام والخاص باليهود ﴿نُفَصِّلُ الآياتِ﴾ نبيّنها ليستدلوا بها ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَرجِعُونَ﴾ عن الباطل الى الحق.

[١٧٥] ـ ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ﴾ أي اليهود ﴿نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنا﴾ «بلعم بن باعورا» من الكنعانيين، كان عنده اسم الله الأعظم، فسئل أن يدعو على موسى فدعا فانقلب عليه.

وقيل: أمية بن أبي الصلت كان قد قرأ الكتب وعلم ان الله مرسل رسولاً في ذلك الوقت ورجا أن يكون هو، فلمّا بعث محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم حسده وكفر به[5] ﴿فَانْسَلَخَ﴾ خرج ﴿مِنْها﴾ بكفره بها كالشيء ينسلخ من جلده ﴿فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطانُ﴾

---

(١) في «ط»: وجعل.

(٢) تفسير مجمع البيان ٢: ٤٩٦ وحجة القراءات: ٣٠٢.

(٣) رواه البيضاوي في تفسيره ٢: ٢٥٠.

(٤) تفسير مجمع البيان ٢: ٤٩٧ وتفسير البرهان ٢: ٤٦ ـ ٥١ وتفسير نور الثقلين ٢: ٩٣ـ١٠١.

(٥) قاله أبوحمزة ـ كما في تفسير مجمع البيان ٢: ٤٦٩ ـ ونقله البيضاوي في تفسيره ٢: ٢٥١.

فلحقه ﴿فكانَ مِنَ الْغَاوِيْنَ﴾ فصار من الهالكين .

[١٧٦] ـ ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْناهُ﴾ الى منازل العلماء ﴿بِها﴾ بسبب الآيات قبل كفره لكن بقيناه[1] اختباراً له[2] فكفر ﴿وَلكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلى الْأَرْضِ﴾ ركن الى الدنيا ﴿وَاتَّبَعَ هَواهُ﴾ في ايثارها فوضعناه ﴿فَمَثَلُهُ﴾ فصفته ﴿كَمَثَلِ الْكَلْبِ﴾ كصفته ﴿إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ﴾ بالطرد والزجر ﴿يَلْهَثْ﴾ يدلع لسانه ﴿أَوْ تَتْرُكْهُ﴾ وشأنه ﴿يَلْهَثْ﴾ والشرطية حال أي لاهثاً في الحالين بخلاف سائر الحيوانات والمراد التشبيه في الوضع والخسّة .

وقيل لمّا دعا على مُوسى اندلع لسانه على صدره[3] ﴿ذلِكَ﴾ المثل ﴿مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِيْنَ كَذَّبُواْ بِآياتِنا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ﴾ على اليهود ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ يتدبرونها فيعتبرون .

[١٧٧] ـ ﴿ساءَ مَثَلاً الْقَوْمُ﴾ أي مثل القوم ﴿الَّذِيْنَ كَذَّبُواْ بِآياتِنا﴾ بعد علمهم بها ﴿وَأَنْفُسَهُمْ﴾ لا غيرها ﴿كانُواْ يَظْلِمُونَ﴾ بالتكذيب إذ وباله لا يتعداهم .

[١٧٨] ـ ﴿مَنْ يَهْدِ اللهُ﴾ الى الإيمان بلطفه، لعلمه أنه أهل للطف، أو الى الجنة بسبب إيمانه ﴿فَهُوَ الْمُهْتَدِي﴾ الفائز بالنعيم الباقي ﴿وَمَنْ يُضْلِلْ﴾ بالتخلية بينه وبين ما اختاره من الضلال، أو عن الجنة بسبب كفره ﴿فَأُولئِكَ هُمُ الْخاسِرُونَ﴾ .

ورعاية اللفظ بالإفراد في الأول، والمعنى بالجمع بالثاني تشعر بأن المهتدين كواحد لاتحاد طريقهم بخلاف الضالين .

[١٧٩] ـ ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنا﴾ خلقنا ﴿لِجَهَنَّمَ كَثِيْرًا مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ﴾ ممن علم الله أن عاقبتهم النار لاختيارهم الكفر فكأنه خلقهم لها، فاللام للعاقبة لا للعلة بدليل ﴿وما

---

(١) في «ط» لكن ابقيناه .

(٢) في «الف» و«ب» : اختياراً له .

(٣) تفسير البيضاوي ٢ : ٢٥١ .

خلقت الجنّ والإنس إلاّ ليعبدون﴾[1] ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِها﴾ الحق لتركهم تدبر دلائله ﴿وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لا يُبْصِرُونَ بِها﴾ آيات قدرة الله تعالى بصر اعتبار ﴿وَلَهُمْ ءَاذانٌ لا يَسْمَعُونَ بِها﴾ مواعظ القرآن سماع اتّعاظ ﴿أُولئكَ كَالأَنْعَامِ﴾ في عدم الفقه والإبصار والإستماع ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ لأنها لا تدع ما فيه صلاحها من جلب منفعة ودفع مضرة، وهؤلاء يقدمون على النار عناداً ﴿أُولئكَ هُمُ الْغافِلُونَ﴾ إذ لم ينتبهوا[2] بالحجج.

[١٨٠] ـ ﴿وَللهِ الأَسْماءُ الْحُسْنَى﴾ مؤنثة أحسن، لدلالتها على أحسن المعاني ﴿فَادْعُوهُ﴾ سمّوه ﴿بِها وَذَرُواْ﴾ واتركوا ﴿الَّذِينَ يُلْحِدُونَ﴾ يميلون. وفتحه «حمزة».[3] يقال: لحد لحداً أي مال عن القصد ﴿في أَسْمائِهِ﴾ فيطلقونها على الأصنام ويشتقون اسماءها منها كاللات من الله والعزى من العزيز، ومناة من المنّان.

أو يسمونه بما لا يليق به، أي ذروهم والحادهم فيها، أو ذروا تسميتهم. ويفيد أن أسماؤه تعالى توقيفيّة ﴿سَيُجْزَوْنَ﴾ في الآخرة ﴿ما كانُواْ يَعْمَلُونَ﴾.

[١٨١] ـ ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ في الحكم.

قال البيضاوي: استدل به على حجية الإجماع، لان المراد منه أن في كل قرن طائفة بهذه الصفة لقوله عليه السّلام: «لا تزال من أمتي طائفة على الحق حتى يأتي أمر الله».[4]

ولايخفى أن مفاد ذلك أن حجيته انما هي باعتبار دخول قول تلك الطائفة وهو انما يناسب طريقنا في حجيته من اشتراط دخول المعصوم.

وعن الصادقين عليهم السّلام: «نحن هم».[5]

---

(١) سورة الذاريات: ٥١/ ٥٦.

(٢) في «ج» و«ط»: ينتهوا.

(٣) تفسير مجمع البيان ٢: ٥٠١ ـ وحجة القراءات: ٣٠٣.

(٤) تفسير البيضاوي ٢: ٢٥٢.

(٥) تفسير مجمع البيان ٢: ٥٠٣.

[١٨٢] ـ ﴿وَالَّذِيْنَ كَذَّبُواْ بِآياتِنا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ﴾ سنقربهم الى الهلالك درجة درجة ﴿مِنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ﴾ ذلك بأن نواتر عليهم النعم وهم يزدادون غياً حتى يحل بهم العذاب.

[١٨٣] ـ ﴿وَأُمْلِي لَهُمْ﴾ وأمهلهم ﴿إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ بطشي شديد، سماه كيداً لمجيئه من حيث لا يشعرون.

[١٨٤] ـ ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُواْ﴾ فيعلموا ﴿ما بِصاحِبِهِمْ﴾ محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم ﴿مِنْ جِنَّةٍ﴾ قيل: صعد صلّى الله عليه وآله وسلّم الصفا فحذرهم بأس الله، فقال بعضهم «ان صاحبكم جنَّ حتى بات يصوّت الى الصباح» فنزلت[١] ﴿إِنْ هُوَ إِلاّ نَذِيْرٌ مُبِينٌ﴾ موضح للإنذار.

[١٨٥] ـ ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُواْ﴾ نظر[٢] اعتبار ﴿في مَلَكُوتِ﴾ ملك ﴿السَّمَواتِ وَالأَرْضِ وَما خَلَقَ اللهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ بيان لـ«ما» فيستدلوا به على قدرة صانعه ووحدانيته ﴿وَأَن عَسَى أَنْ يَكُونَ قَد اِقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ﴾ عطف على «ملكوت» و«أن» مصدرية أو مخففة واسمها ضمير الشأن كـ«يكون» أي أو لم ينظروا في اقتراب موتهم فيبادروا [الى][٣] الإيمان لئلا يموتوا كفاراً فيصيروا الى النار ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ﴾ أي القرآن ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ مع وضوح دلالته.

[١٨٦] ـ ﴿مَنْ يُضْلِلِ اللهُ﴾ بتركه وسوء اختياره ﴿فلا هادِيَ لَهُ﴾ يقسره على الإيمان ﴿وَنَذَرُهُمْ[٤] فِي طُغْيانِهِمْ﴾ بالرفع على الإستئناف وقرأ «أبو عمرو» و«عاصم» بالياء»[٥]

---

(١) ذكره البيضاوي في تفسيره ٢: ٢٥٢ ـ وفيه: يهوّت، وذكر معناه الطبرسي في تفسير مجمع البيان ٢: ٥٠٥.

(٢) في «ط»: نظرة.

(٣) الزيادة اقتضاها السياق.

(٤) في المصحف الشريف بقراءة حفص: «يذرهم».

(٥) حجة القراءات: ٣٠٣.

و«حمزة» و«الكسائي» بها وبالجزم عطفاً على محل الجزاء[1] ﴿يَعْمَهُونَ﴾ متحيرين.

[١٨٧] ـ ﴿يَسْئَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ﴾ يوم القيامة أو وقت موت الخلق ﴿أَيَّانَ مُرسَاهَا﴾ متى إرساؤها، اثباتها.

ورسا الشيء: ثبت واستقر. وأصل «أيان» أيّ، إذ معناها أي وقت ﴿قُلْ إِنَّما عِلْمُها عِنْدَ رَبِي﴾ لم يُطلِع عليه أحداً ﴿لا يُجَلِّيْها لِوَقْتِها﴾ لا يظهرها في وقتها ﴿إِلاَّ هُوَ﴾ فلا يعلمها غيره حتى يجلّيها ﴿ثَقُلَتْ فِي السَّمواتِ وَالْأَرْضِ﴾ عظمت على أهلها لهولها ﴿لاَ تَأْتِيكُمْ إِلاّ بَغْتَةً﴾ فجأة، فتكون أعظم وأهول ﴿يَسْئَلونَك كَأَنَّكَ حَفِيٌّ﴾ مستقص في السؤال ﴿عَنْها﴾ حتى علمتها ﴿قُلْ إِنَّما عِلْمُها عِنْدَ اللهِ﴾ كرر تأكيداً ﴿وَلكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ ان علمها عند الله استأثر به.

[١٨٨] ـ ﴿قُلْ لاَ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا﴾ بجلب ﴿وَلا ضَرّاً﴾ بدفع ﴿إِلاّ ما شاءَ اللهُ﴾ أن يملكنيه من ذلك بإلهامه ﴿وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاَ سْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ﴾ من المنافع ﴿وَما مَسَّنِيَ السُّوءُ﴾ من فقر وغيره لاحترازي من أسبابه ﴿إِن أَنا إِلاّ نَذِيْرٌ وَبَشِيْرٌ﴾ لا أعدو، ذلك الى علم الغيب ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ فإنهم المنتفعون بالإنذار والبشارة أو يتعلق بـ«بشير» ومتعلق «نذير» مقدر.

[١٨٩] ـ ﴿هُوَ﴾ أي اللهَ ﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ﴾ آدم ﴿وَجَعَلَ مِنْها﴾ من ضلعها أو فضل طينتها أو جنسها ﴿زَوْجَهَا﴾ حواء ﴿لِيَسْكُنَ إِلَيْها﴾ ليأنس بها. ذُكِّر نظراً الى المعنى ﴿فَلَمَّا تَغَشَّاها﴾ جامعها ﴿حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفًا﴾ هو النطفة ﴿فَمَرَّتْ بِهِ﴾ فاستمرت به تجيء وتذهب لخفته ﴿فَلَمَّا أَثْقَلَتْ﴾ صارت ذات ثقل بكبر الحمل في بطنها ﴿دَعَوا اللهَ رَبَّهُما لَئِنْ ءَاتَيْتَنا صالِحًا﴾ ولداً سوياً ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ الشّاكِرِيْنَ﴾ لك على ذلك.

[١٩٠] ـ ﴿فَلَمَّا ءَاتاهُما صَالِحًا جَعَلا لَهُ شُرَكاءَ فِيمَا ءَاتاهُما﴾ أي جعل أولادهما

---

(١) حجة القراءات: ٣٠٣.

له شركاء فيما أتى أولادهما فسمّوه «عبد اللات» و«عبد العزى» على حذف مضاف وإقامة المضاف إليه مقامه بقرينة ﴿فَتَعَالَى اللهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

وقيل: ضمير «جعلا» للنسل الصالح السوي.[١] وثُنّيَ لأن حواء كانت تلد توأماً.

وقيل المعنى: خلق كل واحد منكم من نفس واحدة وجعل زوجها من جنسها. وضمير «جعلا» للنفس، وزوجها من ولد آدم،[٢] وضمير «يشركون» للجميع. وقرأ «نافع» و«أبو بكر» شركاً[٣] أي ذوي شرك أي شركاء.

[١٩١] - ﴿أَيُشْرِكُونَ﴾ توبيخ ﴿مَا لاَ يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ أي الأصنام التي سموها آلهة. وأفرد للفظ «ما» وجمع لمعناها.

[١٩٢] - ﴿وَلا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ﴾ أي لعبدتهم ﴿نَصْرًا وَلا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ﴾ بدفع ما يعتريها.

[١٩٣] - ﴿وَإِنْ تَدْعُوهُم﴾ أي المشركين ﴿إِلَى الْهُدَى﴾ الإيمان ﴿لا يَتَّبِعُوكُمْ﴾ وخففه «نافع»،[٤] أو الخطاب للمشركين والضمير للأصنام، أي إن تدعوهم الى أن يهدوكم لا يجيبوكم ﴿سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُم أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ﴾ لم يقل صمتّم مبالغة في عدم إفادة الدعاء من حيث تسويته بالثبات على الصمت.

[١٩٤] - ﴿إِنَّ الَّذِيْنَ تَدعُونَ﴾ تعبدونهم ﴿مِنْ دُونِ اللهِ عِبادٌ﴾ مملوكة مذللّة[٥] ﴿أَمْثالُكُمْ فَادْعُوهُمْ﴾ في مهامّكم ﴿فَلْيَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ﴾ انهم آلهة.

[١٩٥] - ﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِها أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِها﴾ وضمّ «الطاء»

---

(١) تفسير مجمع البيان ٢: ٥٠٩.

(٢) قاله الحسن وقتادة ـ كما في تفسير مجمع البيان ٢: ٥٠٩ـ.

(٣) حجة القراءات: ٣٠٤.

(٤) تفسير مجمع البيان ٢: ٥٠٨ وحجة القراءات: ٣٠٥.

(٥) في «ط»: مملوكون مذللون.

«أبوجعفر»[1] ﴿أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبصِرُونَ بِها أَمْ لَهُمْ ءَاذانٌ يَسْمَعُونَ بِها﴾ الهمزة للإنكار، و«أم» منقطعة أي ليس لهم شيء من ذلك مما هو لكم، فأنتم أفضل وأتمّ منهم، ولم يستحق بعضكم عبادة بعض فكيف يستحقون عبادتكم وهم انقص منكم ﴿قُلِ ادْعُواْ شُرَكاءَكُمْ﴾ وتظاهروا بهم عليّ ﴿ثُمَّ كِيْدُونِ﴾ فاجتهدوا انتم وهم في هلاكي ﴿فَلا تُنْظِرُونِ﴾ فلا تمهلوني فإني لا أبالي بكم.

[١٩٦] ـ ﴿إِنَّ وَلِيِّيَ﴾ متولي أموري وناصري ﴿اللهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتابَ﴾ القرآن، حجة لي عليكم ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِيْنَ﴾ ينصرهم بالدفع عنهم والحجة.

[١٩٧] ـ ﴿وَالَّذيْنَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ﴾ فكيف أبالي.

[١٩٨] ـ ﴿وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلى الْهُدى لا يَسْمَعُوا﴾ أي الأصنام ﴿وَتَراهُمْ يَنْظُرُونَ﴾ كالناظرين ﴿إِلَيْكَ﴾ إذا قابلت صورهم ﴿وَهُمْ لا يُبْصِرُونَ﴾.

[١٩٩] ـ ﴿خُذِ الْعَفْوَ﴾ ما عفا وتسهل من أخلاق الناس أو من أموالهم. ونسخ بآية الزكاة، أو اعف عن المذنب ﴿وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ﴾ ما حسن عقلاً وشرعاً ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْجاهِلِيْنَ﴾ فقابل سفههم بالحلم.

[٢٠٠] ـ ﴿وَإِمَّا﴾ «ان» الشرطية ادغمت في «ما» الزائدة ﴿يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطانِ نَزْغٌ﴾ ينخسنك منه نخس، أي وسوسة تزعجك ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللهِ﴾ يكفكه ﴿إِنَّهُ سَمِيْعٌ﴾ لدعائك ﴿عَلِيْمٌ﴾ بما يصلحك فيفعله.

[٢٠١] ـ ﴿إِنَّ الَّذِيْنَ اتَّقَواْ إِذا مَسَّهُمْ طَائِفٌ﴾ خاطر ولممٌ،[2] اسم فاعل من طاف يطوف، أو طاف يطيف طيفاً وقرأ «ابن كثير» و«أبو عمرو» و«الكسائي» «طيفٌ»

---

(١) تفسير مجمع البيان ٢: ٥١١.

(٢) اللّمم هي صغار الذنوب، ويقال مقاربة الذنب من غير مواقعة.

مصدر.[١] ﴿مِنَ الشَّيْطانِ﴾ أي جنسه بقرينة جمع ضميره ﴿تَذَكَّرُواْ﴾ عقاب الله وثوابه ﴿فَإِذا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ للرشد فيرجعون إليه بسبب التذكّر.

[٢٠٢] ـ ﴿وَإِخْوانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ﴾ أي إخوان الشياطين من الكفار يمدّهم الشياطين، أو إخوان الكفار من الشياطين يمدون الكفار ﴿فِي الْغَيِّ﴾ بتزيينه لهم. وقرأ «نافع»: «يمُدونهم» من أمد[٢] ﴿ثُمَّ لا يُقْصِرُونَ﴾ لايكفون عن اغوائهم، أو لايكف الاخوان عن الغي كما يكف المتقون.

[٢٠٣] ـ ﴿وَإِذا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ﴾ مما اقترحوا، أو من القرآن ﴿قالُواْ لَوْ لاَ اجْتَبَيْتَها﴾ هلا تقوّلتها من نفسك كسائر ما تقوّلته، أو هلاّ طلبتها من ربك ﴿قُلْ إِنَّما أَتَّبِعُ ما يُوْحَى إِلَيَّ مِنْ رَبِّي﴾ لست بمتقول ولا مقترح للآيات ﴿هَذَا﴾ القرآن ﴿بَصائِرُ﴾ دلائل تبصر القلوب بها الحق ﴿مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُومِنُونَ﴾ فسر.[٣]

[٢٠٤] ـ ﴿وَإِذا قُرِىءَ الْقُرْءَانُ فَاسْتَمِعُواْ لَهُ وَأَنْصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ قيل: نزلت في الصلاة كانوا يتكلمون فيها، فامروا بالإستماع والإنصات لقراءة الإمام،[٤] وروى ذلك عن الباقر عليه السلام[٥] وقيل فيها وفي الخطبة[٦] وظاهرها وجوبهما لقراءة القرآن مطلقاً وبه اخبار.[٧]

وتحمل على تأكد الاستحباب إن ثبت الإجماع على عدم الوجوب في غير

(١) اتحاف فضلاء البشر ٢/ ٧٣.

(٢) حجة القراءات: ٣٠٦.

(٣) قد مرّ مثله في الآية ٥٢ من هذه السورة.

(٤) تفسير البيضاوي ٢: ٢٥٦.

(٥) تفسير البرهان ٢: ٥٦ ونقله الطبرسي في تفسير مجمع البيان ٢: ٥١٥.

(٦) قاله الحسن ـ كما في تفسير مجمع البيان ٢: ٥١٥ـ.

(٧) تفسير البرهان ٢: ٥٧ وتفسير مجمع البيان ٢: ٥١٥.

الصلاة كما ادعي.[1]

[٢٠٥] ـ ﴿وَاذْكُرْ رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ﴾ يعمّ كل ذِكر. وعن «زرارة» عن أحدهما عليهما السّلام، معناه: «إذا كنت خلف امام تأتم به فانصت وسبّح في نفسك»[2] يعني فيما لا يجهر الإمام فيه بالقراءة ﴿تَضَرُّعًا وَخِيفَةً﴾ متضرعاً وخائفاً ﴿وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ ولا فظاً دون الجهر وفوق السّر ﴿بِالْغُدُوِّ وَالآصالِ﴾ بالبكرِ والعشيات ﴿وَلا تَكُنْ مِنَ الْغافِلِينَ﴾ عن ذكر ربك.

[٢٠٦] ـ ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ ربِّكَ﴾ أي الملائكة ﴿لا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ﴾ ينزهونه ﴿وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾ يخصونه بالخضوع والتذلل. تعريض بمن ليس كذلك.

وسجود التلاوة هنا مستحب عندنا، وعند الشافعي، وأوجبه أبو حنيفة.[3]

---

(١) نقل الطبرسي في تفسير مجمع البيان ٢: ٥١٥، قول الشيخ الطوسي قدّس سرّه: واقوى الأقول، الاول: لانه لاحال يجب فيها الانصات لقراءة القرآن الاحالة قراءة الإمام في الصلاة فإن على المأموم الانصات والاستماع، فاما خارج الصلاة فلا خلاف ان الانصات والاستماع غير واجب.

(٢) تفسير مجمع البيان ٢: ٥١٥.

(٣) تفسير مجمع البيان ٢: ٥١٦.

سورة الأنفال

[٨]

ستّ وسبعون آية مدنية وقيل: إلاّ من «واذ يمكر» الى آخر سبع[١]

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

[١] ـ ﴿يَسْئَلُونَكَ عَنِ الأنفَالِ﴾ عن الغنائم لمن هي. نزلت حين اختلف المسلمون في غنائم بدر فقال الشبّان: هي لنا لبماشرتنا القتال، وقال الشيوخ كنا تحت الرايات ردءاً لكم تنحازون الينا.

أو عن الأشياء المختصة به صلّى الله عليه وآله وسلّم كما روى عن أهل البيت عليهم السّلام انها ما أخذ من دار الحرب بلا قتال، والآجام والموات وغيرهما، فإنّها لله ولرسوله، وبعده لمن قام مقامه يصرفه حيث شاء من مصالحه[٢] وان غنائم بدر كانت للنبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم خاصة فقسمها بينهم تفضلاً منه، فالمراد بالسؤال عنها طلبهم إياها منه صلّى الله عليه وآله وسلّم.

(١) قاله ابن عباس وقتادة ـ كما في تفسير الصافي ٢: ٢٦٦ـ.

(٢) راجع الأحاديث الواردة في ذلك في تفسير البرهان ٢/ ٥٩ وتفسير الصافي ٢: ٢٦٦.

ويعضده قراءة أهل البيت عليهم السّلام «يسألونك الأنفال»[١] ﴿قُلِ الْأَنْفالُ للهِ وَالرَّسُولِ﴾ أي أمرها مختص بهما يجعلها الرسول حيث أمره الله ﴿فَاتَّقُواْ اللهَ﴾ في الإختلاف والخلاف ﴿وَأَصْلِحُواْ ذاتَ بَيْنِكُمْ﴾ الحال بينكم، أو حقيقة وصلكم، بالمواصلة وترك الشقاق ﴿وَأَطِيْعُواْ اللهَ وَرَسُولَهُ﴾ في أوامرهما ونواهيهما ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ كاملى الإيمان، فإن كماله بتقوى الله والإنقياد له ولرسوله واصلاح ذات البين.

[٢] ـ ﴿إِنَّما الْمُؤمِنُونَ﴾ أي الكاملون الإيمان ﴿الَّذِيْنَ إِذا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ خافت لذكره تعظيماً له، أو إذا ذكر وعيده تركوا المعاصي خوفاً من عقابه ﴿وَإِذا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَاياتُهُ زادَتْهُمْ إِيماناً﴾ تصديقاً لرسوخ اليقين بتظاهر الحجج ﴿وَعَلى رَبِّهِم يَتَوَكَّلُونَ﴾ به، يثقون وإياه يرجون ويخشون لا غيره.

[٣] ـ ﴿الَّذِيْنَ يُقِيمُونَ الصَّلوةَ وَمِمَّا رَزَقْناهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ فسر في البقرة.[٢]

[٤] ـ ﴿أُوْلئِكَ﴾ المستجمعون لهذه الخصال ﴿هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ أي إيماناً حقاً لا يشوبه شك، أو حق ذلك حقاً ﴿لَهُمْ دَرَجاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ في الجنة يرتقونها بأعمالهم ﴿وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيْمٌ﴾ دائم كثير في الجنة.

[٥] ـ ﴿كَما أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ﴾ «كما» متعلق بما دلّ عليه «الأنفال لله والرسول»، أي جعلها لك وان كرهوا ولم يعلموا انها صالح لهم كإخراجك من وطنك المدينة للحرب وإن كرهوه.

أو خبر محذوف أي هذه الحال في كراهتهم لها كإخراجك في كراهتهم له ﴿وَإِنَّ فَرِيْقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكارِهُونَ﴾ حال أي أخرجك في حال كراهتهم، وذلك «أن عير قريش أقبلت من الشام وفيها أبو سفيان وجماعة، فعلم بها النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم

(١) جوامع الجامع ٢/ ١ وتفسير البرهان ٢/ ٥٩.

(٢) سورة البقرة: ٢/ ٤.

فانتـدب أصحابه ليغنموهـا ، فخرجوا هم ثلثمائة وثـلاثة عشر رجلاً ، فعلمـت قريش فخرج أبو جهـل بأهل مكة ليذبّوا عنهـا وهم النفير، فأخذت العيـر الساحل فنجت، فأشيـر على أبـي جهل بـالرجـوع فأبـى ، وسار الـى «بدر» وقـد وعـد الله نبيه إحـدى الطائفتيـن فاستشار أصحـابه ، فكره بعضهم قتـال النفير، وقالـوا لم نتأهب لـه ، انما خرجنـا للعير، فقال : العير مضت ، وهـذا أبو جهل قد أقبل ، فـرادّوه ، فغضب النبيّ صلّى الله عليه وآله .

فقال «سعد بن عبادة» و«المقداد» و«سعـد بن معاذ» : إمض لما أردت فإنّا معك لم يتخلف منّا أحد عنك ، فسرّ بذلك وقال : سيروا على بركة الله .

[٦] ـ ﴿يُجادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ﴾ أي القتال ، إذ قالوا هلا أخبرتنا لنستعد له ﴿بَعْدَ ما تَبَيَّنَ﴾ ظهر وعـرفوا صـوابه ﴿كَأَنَّما يُسـاقُونَ إِلَى الْمَـوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾ أي هم فـي كراهتهم له كمن يساق الى الموت وهو يعاين أسبابه .

[٧] ـ ﴿وَإِذْ﴾ واذكـروا إذ ﴿يَعِدُكُـمُ الله إِحدَى الطـائفَتَيْنِ﴾ العيـر أو النفيـر. و«احدى» ثاني مفعولى «يعدكم» ﴿أَنَّهَا لَكُمْ﴾ بدل اشتمال منه ﴿وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ﴾ أي تريـدون العـير لقـلـة النـاس والسلـاح فـيها دون النـفير لكثرة عددهم .(١)

والشوكة : الحدة ، كني بها عن الحرب ﴿وَيُرِيْدُ الله أَنْ يُحِقَّ الْحَدَّ﴾ يثبته ويظهره ﴿بِكَلِماتِهِ﴾ السابقـة بالـوعد بظهـور الإسلام ﴿وَيَقْطَـعَ دَابِرَ الْكـافِرْينَ﴾ آخـرهم أي يستأصلهم بظفركم بالنفير.

[٨] ـ ﴿لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبـاطِلَ﴾ أي أمـركم بقتـال النفيـر ليظهر الإسـلام ويمحق الكفر ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾ ذلك .

[٩] ـ ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُون رَبَّكُمْ﴾ متعلق بـ«ليحقّ» أو بمضمر أي أُذكروا إذ تطلبون منه

(١) وفي تفسير البيضاوي : والشوكة : الحدة ، مستعار من واحدة الشوك .

الغوث بنصركم عليهم ﴿فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِي مُمِدُّكُمْ﴾ أَنِي معينكم، قيل: كسرها «أبوعمرو»[1] على ارادة القول أو لأن الإستجابة منه ﴿بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلائكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ متبعين بعضهم بعضاً، من أردفته جئت بعده، أو متبعين أنفسهم المؤمنين من أردفته الشيء اتبعته أياه فردفه، وفتح «نافع» الدال[2] أي متبعين أمدهم أولاً بها ثم صارت ثلاثة آلاف ثم خمسة كما في «آل عمران».[3]

[١٠] ـ ﴿وما جَعَلَهُ اللهُ﴾ أي الإمداد ﴿إلاّ بُشْرَى﴾ بشارة لكم بالنصر ﴿وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُم﴾ تسكن إليه من الروع ﴿وما النَّصْرُ إلاّ مِنْ عِنْدِ اللهِ﴾ لا من العدد والعُدد والملائكة، وإنما أمدهم بشارة وتقوية لقلوبهم ﴿إِنَّ اللهَ عَزِيْزٌ﴾ لا يغالب ﴿حَكِيْمٌ﴾ يفعل المصلحة.

[١١] ـ ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُعاسَ﴾ بدل من «إذ تستغيثون» أو متعلق بـ«جعل» أو بالنصر، أو بإضمار «اذكر» وخففه نافع[4] من «أغشيته الشيء» أي غشيته إياه، وقرأ «ابن كثير» و«أبو عمرو»: «يغشاكم[5] النعاس» بالرفع ﴿أَمَنَةً مِنْهُ﴾ أمناً من الله، مفعول له لـ«يغشيكم النعاس» و«يغشاكم» لأنهما بمعنى تنعسون.

والأمنة فعلهم، أو يراد بها الأمان فهي فعل المغشي ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيكُمْ مِنَ السَّماءِ ماءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ﴾ من الجنابة والحدث أو منهما ومن الخبث ﴿وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطانِ﴾ الجنابة، لأنها من تخييله أو وسوسته لكم.

قيل نزلوا على تلِ رمل تسوخ فيه أقدامهم فباتوا على غير ماء فاحتلم أكثرهم،

---

(١) تفسير الكشّاف ٢: ٦.

(٢) حجة القراءات: ٣٠٧.

(٣) آل عمران: ٣/ ١٢٤و١٢٥.

(٤) حجة القراءات٣٠٩.

(٥) حجة القراءات: ٣٠٨.

وقد غلب المشركون على الماء فتمثل لهم إبليس وقال: تزعمون انكم على الحق وقد سبقتم الى الماء، وتصلّون بالجنابة والحدث وأنتم ظماء، فامطروا وتلبد الرمل لتثبت عليه أقدامهم، فصنعوا الحياض واغتسلوا وتوضؤوا اطمأنوا وزالت الوسوسة ﴿ولِيَرْبِطَ عَلى قُلُوبِكُمْ﴾ باليقين والثقة بالنصر ﴿وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدامَ﴾ أي بالمطر بتلبيده الرمل، أو بالربط.

[١٢] ـ ﴿إِذْ يُوْحِي رَبُّكَ﴾ بدل ثاني، أو متعلق بـ«يثبت» ﴿إِلى الْمَلائكَةِ أَنّي مَعَكُمْ﴾ بالنصر في إعانتهم ﴿فَثَبِّتُواْ الَّذِيْنَ ءَامَنُوا﴾ بالتبشير بالنصر، أو بقتل أعدائهم، فيؤيد القول بأنهم قاتلوا، ويكون ﴿سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِيْنَ كَفَرُواْ الرُّعْبَ﴾ كالبيان لـ«أني معكم» فثبتوا، ومن منع قتالهم جعله خطاباً للمؤمنين على تغيير الخطاب ﴿فَاضْرِبُواْ فَوْقَ الْأَعْنَاقِ﴾ أي الرؤوس ﴿وَاضْرِبُواْ مِنْهُمْ كُلَّ بَنانٍ﴾ أطراف ايديهم وأرجلهم.

[١٣] ـ ﴿ذَلِكَ﴾ الضرب ﴿بِأَنَّهُمْ شاقُّواْ اللهَ وَرَسُولَهُ﴾ أي بسبب مخالفتهم لهما ﴿وَمَنْ يُشاقِقِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللهَ شَدِيْدُ الْعِقابِ﴾ بالإهلاك في الدنيا وبالنار في الآخرة.

[١٤] ـ ﴿ذَلِكُمْ﴾ أي الأمر ذلكم ﴿فَذُوقُوهُ﴾ أيها الكفار في الدنيا ﴿وَأَنَّ لِلْكافِرِيْنَ﴾ عطف على «ذلكم» ﴿عَذابَ النَّارِ﴾ في الآخرة.

[١٥] ـ ﴿يا أَيُّهَا الَّذِيْنَ ءَامَنُواْ إِذا لَقِيْتُمُ الَّذِيْنَ كَفَرُواْ زَحْفًا﴾ متدانين لقتالكم، كأنهم لكثرتهم يزحفون، أو يدنون اليكم وتدنون اليهم ﴿فَلا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبارُ﴾ منهزمين.

[١٦] ـ ﴿وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ﴾ أي يوم لقائهم ﴿دُبُرَهُ إِلاّ مُتَحَرِّفًا لِقِتالٍ﴾ منعطفاً يريهم الفرّ وهو يريد الكرّ مكيدة ﴿أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلى فِئَةٍ﴾ منحازاً الى جماعة من المسلمين يستعين بها. ونصب «متحرفاً» و«متحيزاً» حالاً، أو على الإستثناء أي إلاّ رجلاً متحرفاً أو متحيزاً ﴿فَقَدْ باءَ﴾ رجع ﴿بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ وَمأْوَاهُ جَهَنَّمُ وبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾

المرجع هي، هذا إذا لم يزد العدوّ على الضعف.

[١٧] ـ ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ﴾ ببدر بقوتكم ﴿ولكِنَّ الله قَتَلَهُمْ﴾ بنصره لكم و إرعابهم.

قيل:[١] لما التقى الجمعان رماهم النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم بقبضة من الحصى، فلم يبق مشرك إلاّ دخل في عينيه شيء منها فهزموا، وردفهم المؤمنون يقتلونهم ويأسرونهم، ثم رجعوا يتفاخرون بقتلهم فنزلت. والفاء جواب شرط مقدر أي إن افتخرتم بقتلهم فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم ﴿وَما رَمَيْتَ﴾ وما بلغت أعينهم الحصى يا محمّد ﴿إِذْ رَمَيْتَ﴾ بها نحوهم ﴿وَلَكِنَّ اللهَ رَمَى﴾ بلّغ، إذ لا قدرة لبشر أن يبلغ كفاً من الحصى أعين الجيش الكثير. وخفف «ابن عامر» و«حمزة» و«الكسائي» «لكن» في الموضعين[٢] ورفعوا ما بعدها ﴿وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلاءً حَسَنًا﴾ أي فعل ذلك ليقهر المشركين ولينعم على المؤمنين نعمه بالنصر والغنيمه ﴿إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ﴾ لدعائهم ﴿عَلِيمٌ﴾ بأحوالهم.

[١٨] ـ ﴿ذَلِكُمْ﴾ أي الأمر ذلكم الإبلاء ﴿وَأَنَّ اللهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكافِرِيْنَ﴾ عطف على «ذلكم» وشدد «ابن كثير» و«نافع» «موهن» منوناً، وخففه الباقون ونوّنوه، إلاّ «حفصاً»[٣] إضافة.

[١٩] ـ ﴿إِنْ تَسْتَفْتِحُواْ﴾ تطلبوا الفتح أيْ النصر، أو الحكم أيها الكفار، إذ قال أبو جهل يوم بدر: اللهم من كان أقطعنا للرحم وآتانا بما لا يعرف فانصر عليه أو فأهلكه ﴿فَقَدْ جاءَكُمُ الْفَتْحُ﴾ نصر ـ محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ عليكم، أو الحكم بهلاك أبي جهل وقتلاكم ﴿وَإِنْ تَنْتَهُوا﴾ عن الكفر وحرب الرسول ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾

---

(١) وردت في ذلك احاديث راجع تفسير البرهان ٢: ٧٠ وعليه جماعة من المفسرين ومنهم ابن عباس ـ كما في تفسير مجمع البيان ٢: ٥٣٠ـ.

(٢) حجة القراءات: ٣٠٩.

(٣) حجة القراءات: ٣٠٩ ـ ٣١٠.

عاجلاً وآجلاً ﴿وَإِنْ تَعُودُواْ﴾ لحربه ﴿نَعُدْ﴾ لنصره ﴿وَلَنْ تُغْنِيَ﴾ تدفع ﴿عَنكُمْ فِئَتُكُمْ﴾ جماعتكم ﴿شَيْئًا﴾ من العذاب ﴿وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ بالنصر وفتح «إنّ» «نافع» و«ابن عامر» وحفص» على تقدير اللام.[1]

[٢٠] ـ ﴿يا أَيُّها الَّذِيْنَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَوَلَّوْا﴾ تعرضوا ﴿عَنْهُ﴾ عن الرسول ﴿وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ﴾ القرآن والمواعظ.

[٢١] ـ ﴿وَلا تَكُونُواْ كَالَّذِيْنَ قَالُواْ سَمِعْنا﴾ كالكفرة في دعواهم السماع ﴿وَهُمْ لا يَسْمَعُونَ﴾ سماع قبول، فكأنهم لم يسمعوا.

[٢٢] ـ ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ﴾ ما دب على وجه الأرض ﴿عِنْدَ اللهِ الصُّمُّ﴾ عن سماع الحق ﴿الْبُكْمُ﴾ عن قوله ﴿الَّذِيْنَ لا يَعْقِلُونَ﴾ جُعلوا شراً من البهائم لإبطالهما ميزوا به.

[٢٣] ـ ﴿وَلَو عَلِمَ اللهُ فِيْهِم خَيْرًا﴾ انتفاعاً باللطف ﴿لأَسْمَعَهُمْ﴾ للطف بهم حتى يسمعوا الحق ويقبلوه ﴿وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ﴾ وقد علم أن لا خير فيهم ﴿لَتَوَلَّواْ وهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ عن قبوله عناداً.

[٢٤] ـ ﴿يا أَيُّهـا الَّذِيْنَ ءَامَنُواْ اسْتَجِيْبُواْ للهِ وَلِلرَّسُولِ﴾ بالطاعة ﴿إِذا دَعاكُمْ﴾ الرسول ﴿لِما يُحْيِيكُمْ﴾ من العقائد والأعمال المورثة للحياة الباقية أو العلم لأنه حياة، والجهل موت، أو الجهاد لأنه يمنع عن غلبة العدو، أو الشهادة لقوله ﴿بَل أحياء﴾[2] ﴿وَاعْلَمَواْ أَنَّ اللهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرءِ وَقَلِبِهِ﴾ بالموت ونحوه، فلا يمكنه تلافي ما فات فبادروا الى الطاعات قبل الحيلولة، أو أنه أقرب إليه من قلبه فاحذروه نظير ﴿ونحن أقرب إليه من حبل الوريد﴾[3] أو أنه يتملك عليه قلبه فيفسخ عزائمه ففوضوا اموركم إليه ﴿وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ فيجزيكم بأعمالكم.

---

(١) حجة القراءات: ٣١٠.

(٢) سورة آل عمران: ٣/ ١٦٩.

(٣) سورة ق: ٥٠/ ١٦.

[٢٥] ـ ﴿وَاتَّقُواْ فِتْنَةً﴾ عذاباً أي موجبه كإقرار المنكر بين أظهركم، وترك الأمر بالمعروف ﴿لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خاصَّةً﴾ جواب الأمر، أي إن إصابتكم لاتخصّ الظالمين بل تعمهم وغيرهم.

وسوغ التوكيد مع منافرته لجواب الشرط تضمنه النهي، كـ﴿ادخلوا مساكنكم لايحطمنكم﴾[1] أو صفة لـ«فتنة» و«لا» للنهي بتقدير القول، لاللنفي، لشذوذ النون فيه في غير القسم، أو نهي بعد أمر كأنه قيل اتقوا عذاباً ولا يخصّنّ العذاب الظالمين، أي لاتظلموا فإن وبال الظلم يخصّ الظّالم ويؤيده قراءة أمير المؤمنين والباقر عليهما السّلام: «لتصيبن»[2] ﴿واعْلَمُواْ أَنَّ اللهَ شَدِيْدُ العِقابِ﴾ للعصاة.

[٢٦] ـ ﴿وَاذْكُرُواْ﴾ معشر المهاجرين ﴿إِذْ أَنتُمْ قَلِيْلٌ﴾ قبل الهجرة ﴿مُسْتَضْعَفُونَ﴾ لقريش ﴿في الْأَرْضِ﴾ أرض مكّة ﴿تَخافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النّاسُ﴾ يأخذونكم بسرعة كفار قريش أو غيرهم ﴿فَآواكُمْ﴾ إلى المدينة ﴿وَأَيَّدَكُمْ﴾ قوّاكم ﴿بِنَصْرِهِ﴾ يوم بدر بالملائكة أو بالأنصار ﴿وَرَزَقَكُمْ مِن الطيّباتِ﴾ الغنائم ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ نعمه.

[٢٧] ـ ﴿يا أَيُّهَا الَّذِيْنَ ءَامَنُواْ لا تَخُونُواْ اللهَ وَالرَّسُولَ﴾ بترك الفرائض والسنن، أو بترك شيء من الدين.

قيل: حاصر صلّى الله عليه وآله وسلّم «قريظة» أياماً، فسألوه الصلح كما صالح «النظير» على أن يسيروا الى إخوانهم بالشام، فأبى إلاّ نزولهم على حكم «سعد» فأبوا، وقالوا ابعث الينا «أبا لبابة» وكان عياله وماله فيهم، فبعثه فاستشاروه، فأشار لهم انه الذبح.

قال فما زالت قدماي حتى عرفت اني قد خنت الله ورسوله، فنزلت، فشدّ نفسه

---

(١) سورة النمل: ١٨/ ٢٧.

(٢) تفسير الصافي ٢: ٢٩٠.

على سارية في المسجد، وآلى لايذوق شيئاً حتّى يموت أو يتاب عليه، فمكث سبعة حتى غشى عليه، ثم تاب الله عليه فقيل له: تِيْبَ عليك، فحلّ نفسك، فآلى لا يحلها حتى يحله النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم فجاءه فحلّه[1] ﴿وَتَخُونُواْ أَمَانَاتِكُمْ﴾ ما آمنتم عليه من الدين وغيره. جزم عطفاً على النهي، أو نصب جواباً له ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ انها أمانة أو قبح الخيانة.

[٢٨] ـ ﴿وَاعْلَمُواْ أَنَمـا أَمْوالُكُمْ وَأَوْلادُكُـمْ فِتْنَةٌ﴾ بليّة من الله ليبلوكم فيهم فلا تعصوه لأجلهم كـ«أبي لبابة» ﴿وَأَنَّ اللهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ من أطاعه فيهم وآثر رضاه عليهم فالتمسوه.

[٢٩] ـ ﴿يا أَيُّهَا الَّذِيْنَ ءَامَنُواْ إِنْ تَتَّقُواْ اللهَ﴾ بطاعته وترك معاصيه ﴿يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقاناً﴾ هداية في قلوبكم، تفرقون بها بين الحق والباطل، أو نصراً يفرق بينكم وبين أعدائكم بإعزازكم وإذلالهم.

أو نجاة مما تخافون في الدارين ﴿وَيُكَفِّرْ﴾ يستر ﴿عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ بالعفو عن ذنوبكم ﴿وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ يبتدىء بالنعم قبل استحقاقها فلا يمنعها مستحقاً بتقواه.

[٣٠] ـ ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِيْنَ كَفَرُوا﴾ واذكر إذ يحتالون بمكة في أمرك ﴿لِيُثْبِتُوكَ﴾ ليحبسوك ﴿أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾ من مكة وذلك انهم تشاوروا في أمره بدار الندوة، فقال بعضهم: احبسوه في بيت حتى يموت، وآخر قال: احملوه على جمل واخرجوه على وجهه.

وقال أبو جهل اقتلوه بأن يجتمع عليه من كل بطن رجل فتضربوه ضربة واحدة، فيتفرق دمه في القبائل، فلا يقوى بنو هاشم على حرب الكل، فيرضوا بالدية، فصوب ابليس رأيه، وكان قد أتاهم بصورة شيخ نجديّ ـ وخطّأ الأوّلين، فأجمعوا

---

(١) روي معناه عن الباقر والصادق عليهم السلام في تفسير البرهان ٣: ٧٣.

على ذلـك.

فأخبر جبرائيل النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم وأمره بالهجـرة، فبيّت عليّاً عليه السّلام في فراشه وخرج الى الغار ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ﴾ بمجازاتهم بمكـرهم أو برده عليهم، أو بمعـاملة المـاكر بهم بمبيـت عليّ عليه السّلام في الفـراش ﴿وَاللهُ خَيْرُ الْمَـاكِرِيْنَ﴾ أعلمهم بالتدبير.

[٣١] ـ ﴿وَإِذا تُتْلَى عَلَيْهِمْ ءَاياتُنا﴾ القرآن ﴿قالُـواْ قَدْ سَمِعْنا لَوْ نَشـاءُ لَقُلْنا مِثْلَ هذا﴾ قاله: «النضر بن الحارث» وأسند الى الجمع لأنه رئيسهم وقاضيهم أو التأمرون في شأنه صلّى الله عليه وآله وسلّم، قالوه مع ظهور عجزهم عـن معارضة سورة بعد التحدّي مكابرة وعناداً ﴿إِنْ هذَا إلاّ أَساطِيْرُ الْأَوَّلِينَ﴾ ما سطروه من القصص.

[٣٢] ـ ﴿وَإِذْ قَالُوْا اللَّهـمَّ إِنْ كانَ هَذا﴾ الذي يتلوه محمّد صلّى الله عليه وآلـه وسلّم أو قوله في علي عليه السّلام: من كنت مولاه فعلي مولاه[1] ﴿هُوَ الْحَقَّ﴾ الثابت تنزيله ﴿مِنْ عِنْدِكَ فَأَمطِرْ عَلَيْنا حِجارَةً مِنَ السَّماءِ أَو ائتِنا بِعَذابٍ أَلِيمٍ﴾ على حجوده.

قاله النضر أو أبو جهل أو أبو النعمان بن الحارث تهكماً واظهاراً للجزم ببطلانه.

[٣٣] ـ ﴿وَما كانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيْهِمْ﴾ بيان لسبب إمهالهم عمّـا سألوه وهو كون النبيّ صلّى الله عليه وآلـه وسلّم بين أظهـرهم إذ لـم يستأصل الله أمـة ونبيّها مقيـم فيها. واللام لتوكيد النفي ﴿وَما كانَ اللهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ حيث يقولون: ﴿غفرانك ربنا﴾[2] أو فرضاً أي لو استغفـروا لـم يعذبوا أو وهـم يستغفر فيهم بقيـة المؤمنين الذين لـم يهاجروا عجزاً.

[٣٤] ـ ﴿وَما لَهُمْ أَلاّ يُعَـذِّبِهُمُ اللهُ﴾ وأي شيء لهم يمنع تعذيبهـم بعد خروجك وخروج البقية وقد عذّبهـم بالسّيف ببدر وغيره ﴿وَهُمْ يَصُدُّونَ﴾ يمنعون النبيّ صلّى الله

(١) اتفق على نقله العامة والخاصه للتفصيل انظر«عمدة عيون صحاح الأخبار» الفصل الرابع عشر.

(٢) سورة البقرة: ٢/ ٢٨٥.

عليه وآله وسلّم والمؤمنين ﴿عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ بإلجائهم الى الهجرة واحصارهم عام الحديبيّة ﴿وَما كانُواْ أَوْلِياءَهُ﴾ كما زعموا أنهم ولاة البيت الحرام ﴿إِنْ أَوْلِياؤُهُ إِلاّ الْمُتَّقُونَ﴾ لا المشركون ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾ أن لا ولاية لهم عليه. ويفيد ان بعضهم يعلم ويعاند إن لم يرد بالأكثر الكلّ.

[٣٥] ـ ﴿وَما كانَ صَلاَتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلاّ مُكاءً﴾ صفيراً من مكا يمكو: صفر ﴿وَتَصْدِيَةً﴾ تصفيقاً من الصدى، أي وضعوا ذلك مكان الدعاء، أو الصلاة التي أمروا بها، فمن كانت هذه صلاته لا يصلح لولاية السجدة.

قيل كانوا يفعلون ذلك في طوافهم عراة رجالاً ونساءً،[١] وقيل يفعلونه إذا صلّى النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم ليخلطوا عليه[٢] ﴿فَذُوقُواْ الْعَذابَ﴾ أي القتل ببدر، أو عذاب الآخرة ﴿بِما كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ بكفركم.

[٣٦] ـ ﴿إِنَّ الَّذِيْنَ كَفَرُواْ يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمْ﴾ في حرب الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم ﴿لِيَصُدُّواْ عَنْ سَبِيْلِ اللهِ﴾ ليصرفوا الناس عن دينه.

قيل نزلت في المطعمين يوم بدر وكانوا اثني عشر، كل يوم يطعم واحد منهم عشر جزر،[٣] أو في «أبي سفيان» استأجر يوم أحد ألفين من الأحابيش سوى من احتاش من العرب، وانفق عليهم أربعين أوقية، أو في أهل العير أعانوا بمالهم الثائرين بقتلى بدر ﴿فَسَيُنْفِقُونَها﴾ بأجمعها ﴿ثُمَّ تَكُونَ﴾ تصير في العاقبة ﴿عَلَيْهِمْ حَسْرَةً﴾ غماً لفواتها وفوات مقصودهم ﴿ثُمَّ يُغْلَبُونَ﴾ في الحرب ﴿وَالَّذِيْنَ كَفَرُواْ﴾ أي من ثبتوا على الكفر منهم ﴿إِلى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾ يساقون.

[٣٧] ـ ﴿لِيَمِيزَ﴾ وشدده «حمزة» و«الكسائي»:[٤] من التمييز أي ليفصل ﴿اللهُ الْخَبِيْثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ الكافر من المؤمن أو نفقة الكافرين في حرب رسول الله صلّى الله

(١-٣) نقله البيضاوي في تفسيره ٢: ٢٦٥.

(٤) تفسير البيضاوي ٢: ٢٦٥.

عليه وآله وسلّم ونفقة المـؤمنين في نصره. ومتعلق اللام «يحشـرون» أو «تكون» ﴿وَيَجْعَلَ الْخَبِيْثَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعاً﴾ يجمعه حتـى يتراكب بعضـه على بعض لازدحـامهم، أو يضمّ مـا انفقوه اليهم ليعـذّبـوا به كـالكانـزين ﴿فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَئِكَ﴾ المنفقون ﴿هُمُ الْخاسِرُونَ﴾ أنفسهم إذا اشتروا لها العذاب بأموالهم.

[٣٨] ـ ﴿قُلْ لِلَّذِيْنَ كَفَرُواْ﴾ لأجلهم كأبـي سفيان وأصحـابه ﴿إِنْ يَنْتَهُواْ﴾ عن الكفر وحرب الرسول ﴿يُغْفَرْ لَهُمْ مَّا قَدْ سَلَفَ﴾ من ذنوبهم ﴿وَإِنْ يَعُودُواْ﴾ الى حربه ﴿فَقَدْ مَضَـــتْ سُنَّةُ الأَوَّلِينَ﴾ أي دأب الله فيهـــم بالتـدميــر إذا حـــاربوا أنبيـاءهم فيجري فيهم.

[٣٩] ـ ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ لا يوجد شرك ﴿وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لله﴾ بالإجتماع على الدين الحق ﴿فَإِنِ انْتَهُواْ﴾ عن الكفر ﴿فَإِنَّ اللهَ بِما يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فلا يضيع أجرهم.

[٤٠] ــ ﴿وَإِنْ تَوَلَّواْ﴾ عـن ديـن الله ﴿فَـاعْلَمُواْ أَنَّ اللهَ مَـوْلاكُمْ﴾ متولي أمـركم وناصركم ﴿نِعمَ المولَى﴾ يحفظ من تولاه ﴿وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ لا يخذل من نصره.

[٤١] ـ ﴿وَاعْلَمُواْ أَنَّما غَنِمْتُمْ﴾ الذي أخذتم من الكفار قهراً، وقد يعمم في كل ما فيه الخمس، إذ الغنيمة الفائدة ﴿مِّنْ شَيْءٍ﴾ وان قلّ ﴿فَأَنَّ للهِ خُمُسَهُ﴾ خبر محذوف أو مبتـدأ حـذف خبـره أي فـالحكم، أو فـواجـب أنّ لله خمسـه ﴿وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبى﴾ وهو الإمام عند أكثرنا، وبه أخبار.[١]

وقال بعضنـا؛ «بنو هـاشم» لظاهـر الآية وبعض الله خبـار وعليه بعض العـامة[٢]

---

(١) راجع احاديثه في تفسير البرهان ٢: ٨٣ وتفسير نور الثقلين ٢: ١٥٥.

(٢) تفسير ابوالفتوح ٥: ٩٠، وانظر تفسير البيضاوي ٢: ٢٦٦.

وقال، بعضهم. بنو هاشم والمطلب، [١] وبعضهم جميع قريش. [٢] ﴿وَالْيَتَامى وَالْمَساكِيْنِ وَابْنِ السَّبِيْلِ﴾ من بني هاشم عند جلّ أصحابنا وبه اخبار.

ومنّا من عمم الحكم في الأصناف الثلاثة من جميع المسلمين [٣] لظاهر الآية واخبار وعليه الجمهور.

ثم إن مقتضى العطف بالواو أن يقسم الخمس ستة سهام: سهم الله، وسهم رسوله، وسهم ذي القربى للرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم، وبعده للإمام والثلاثة الآخر لأصناف الثلاثة ويدلّ عليه اخبار، [٤] وعليه اكثرنا وبعض العامة، إلاّ أنه قال سهم الله للكعبة والباقي لمن ذكره الله. [٥]

ومنّا من قال: يقسم خمسة [٦] إذا لمعنى فان للرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم وما عطف عليه خمسه، وذكر الله للتعظيم كأنه قيل: فإن لله خمسه، يصرف الى هؤلاء ويعضده اخبار، وعليه جمهورهم.

واختلفوا في سهم النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم بعد وفاته فقيل يصرف في المصالح، [٧] وقيل للإمام، [٨] وقيل للأصناف الأربع [٩] وقيل: يسقط هو وسهم ذي القربى بموته، ويصير الكل للثلاثة الأخر [١٠] ﴿إِنْ كُنْتُمْ ءَامَنْتُمْ بِاللهِ﴾ جوابه محذوف دل عليه «واعلموا» أي إن كنتم آمنتم بالله فاعلموا حكمه في الخمس واعملوا به ﴿وَما

---

(١) تفسير الكشّاف ٢: ١٦ـ وتفسير البيضاوي ٢: ٢٦٦.

(٢ـ٣) تفسير البيضاوي ٢: ٢٦٦.

(٤) تفسير البرهان ٢: ٨٤ الحديث٦.

(٥) رواه البيضاوي في تفسيره ٢: ٢٦٧.

(٦) تفسير ابو الفتوح ٥: ٨٩.

(٧) تفسير الصافي ٢: ٣٠٤ ـ وتفسير البيضاوي ٢: ٢٦٧.

(٨ـ٩) تفسير الصافي ٢: ٣٠٤.

(١٠) نقله البيضاوي في تفسيره ٢: ٢٦٧.

أَنْزَلْنا عَلى عَبْدِنا﴾ من الفتح والآيات ﴿يَوْمَ الْفُرْقانِ﴾ يوم بـدر، إذ فرّق فيـه بين الحق والباطل ﴿يَوْمَ الْتَقَى الْجَمعانِ﴾ المسلمون والكفار ﴿واللهُ عَلى كُلِّ شَيءٍ قَدِيْرٌ﴾ ومنه نصركم وانتم أقل منهم.

[٤٢] ـ ﴿إِذْ﴾ بدل «يوم الفرقان» ﴿أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيا﴾ جانب الوادي الأدنى من المدينـة، وكسر عينها «ابن كثير» و«أبـوعمرو»، [1] وضمها البـاقون ﴿وَهُمْ﴾ أي النفير ﴿بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى﴾ جانبه الأبعد منها ﴿والرَّكْبُ﴾ العير بمكان ﴿أَسْفَلَ مِنْكُمْ﴾ خبرٌ نصب ظرفاً، والجملة حـال عن الظرف قبلها ﴿وَلَوْتَوا عَدْتُّمْ﴾ أنتم والنفير للقتـال ثم علمتم ضعفكـم وقـوتهم ﴿لاَخْتَلَفْتُمْ﴾ أنتـم ﴿فِي الْمِيْعادِ﴾ رهبـة منهـم ﴿وَلَكِنْ﴾ جمعكم بلا ميعاد ﴿لِيَقْضِيَ اللهُ أَمْراً كانَ مَفْعُولاً﴾ واجباً كونه، وهـو نصركم وقهرهم. أشير الى ضعفهم وقوة عـدوّهم بذكر مركزيهم، إذ العدوة الدنيـا تسوخ فيها الأقدام، وليس بها ماء بخلاف القصوى، وباستظهار النفير بالعير وتصميمهم على الثبات في المقـاتلة عنهـا، وبتخلفهم عن الميعـاد رهبـة منهم ليعلم ان نصـرهم معجـز من الله تعالى ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾ متعلق بـ«مفعولاً» أي ليموت مـن مات، أو ليكفر من كفـر بعد حجة واضحـة قامت عليـه وهي وقعة بـدر، فإنها آيـة بينة ﴿وَيَحْيٰى مَنْ حَيَّ﴾ وفكّه «نافع» و«ابن كثيـر» و«أبوبكر»[2] ﴿عَنْ بَيِّنَةٍ﴾ أي ويعيش من عـاش، أو ويؤمـــن من آمـن عن حجـة واضـــحـــة ﴿وإنَّ اللهَ لَسَمِيعٌ﴾ للأقـــوال ﴿عَلِيْمٌ﴾ بالعـــقائد والأعمال.

[٤٣] ـ ﴿إِذْ﴾ اذكر إذ ﴿يُرِيْكَهُمُ اللهُ فِي مَنامِكَ قَلِيلاً﴾ أي يقللهم في عينـك في نـومـك لتخبـر أصحـابك، ليجتـروا عليهـم ﴿وَلَـوْ أَراكَهُمْ كَثِيـرًا لَفَشِلْتُـمْ﴾ جبنتـم ﴿وَلَتَنازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ أمر القتال من الاقدام والاحجام ﴿ولكِنَّ اللهَ سَلَّمَ﴾ سلمكم من الفشل والتنازع ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ بما يحدث في القلوب.

[٤٤] ـ ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ﴾ أيها المؤمنون ﴿إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً﴾ سبعين أو

---

(١) حجة القراءات: ٣١١.

(٢) تفسير البيضاوي ٢: ٢٦٧.

مائة وهم نحو الف لتثبتوا لهم ﴿وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ﴾ ليجترو عليكم ولا يتهيأوا لكم ﴿لِيَقْضِيَ اللهُ أَمْراً كانَ مَفْعُولاً﴾ كرر لأن المراد بـالأمر هناك الإلتقاء علـى تلك الصفة وهنا إعزاز الإسلام وإذلال الشرك ﴿وَإلى الله تُرْجَعُ الأُمُورِ﴾ .

[٤٥] ـ ﴿يا أَيُّهـا الَّذِيْـنَ ءَامَنُواْ إذا لَقِيْتُمْ فِئَـةً﴾ قاتلتـم جماعة كـافرة ﴿فَاثْبُتُوا﴾ لقتالهم ولا تنهزموا ﴿وَاذْكُرُواْ اللهَ كَثِيْرًا﴾ مستعينين بذكره ودعـائه على قتالهم ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ تظفرون بالنصر والثواب.

[٤٦] ـ ﴿وَأَطِيْعُواْ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَنازَعُواْ﴾ باختلاف كلمتكم ﴿فَتَفْشَلُواْ﴾ فتجبنوا: جواب النهي ﴿وَتَذْهَبَ رِيْحُكُمْ﴾ دولتكم. استعير لها الريح لمشـابهتها لها في نفاذ الأمر ﴿وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِيْنَ﴾ بالنصر والحفظ.

[٤٧] ـ ﴿وَلا تَكُونُواْ كَالَّذِيْنَ خَرَجُواْ مِنْ دِيارِهِمْ﴾ أي قريش، خرجـوا من «مكّة» لمنع غيرهم ﴿بَطَراً وَرِئاءَ النَّاسِ﴾ حالان أو مفعولان له.

قيل بعث اليهم أبو سفيان: ارجعوا فقد نجـت عيركم، فقال أبو جهل: لا نرجع حتّى نرد بـدراً وننحر الجزر ونشـرب الخمور، وتعرف لنـا القيان، وتسمع بنـا الناس، فوافوها ولقوا ما لقوا ﴿وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيْلِ اللهِ﴾ عطفاً على «بطراً» ﴿واللهُ بِما يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ علماً فيجازيهم به.

[٤٨] ـ ﴿وَإِذْ﴾ واذكر إذ ﴿زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيطانُ أَعْمالَهُمْ﴾ من حرب الرسول وغيره بوسوسته اليهم ﴿وَقالَ﴾ بتخييله لهم ﴿لا غالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ﴾ لكثرة عددكم وعُددكـم. و«لكم» خبر «غـالبَ» أو صفته لا صلتـه وإلاّ لنصب ﴿وَإِنِّي جارٌ لَكُمْ﴾ مجيركم ﴿فَلَمَّا تَراءَتِ الْفِئَتانِ﴾ تلاقى الجمعان ﴿نَكَصَ عَلى عَقِبَيْهِ﴾ رجع هارباً أي بطل كيده ﴿وَقالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ﴾ رجعت عن جواركم ﴿إِنِّي أَرَى ما لا تَرَوْنَ﴾ من الملائكة ﴿إِنِّي أَخافُ اللهَ﴾ أن يهلكني بأيديهم.

وقيل:[1] لما قصدت قريـش المسير خافوا «كنانة» لحرب بينهـم، فجبنوا فأتاهم ابليس بصورة «سراقة بن مالك الكناني وقال: لا غالب لكم واني مجيركم من «كنانة»

(١) قاله عبدالله بن عباس ومحمّد بن اسحاق والسديّ والكلبي ـ كما في تفسير ابي الفتوح ٥: ٩٦ـ.

فلما رأى الملائكة نكص، فقالوا له أتخذ لنا على هذه الحال؟ فقال إني أرى ما لا ترون، وانطلق وانهزموا، فقدموا مكة وقالوا هزم الناسَ «سراقة» فبلغه ذلك فقام: والله ما شعرت بمسيركم حتى بلغني هزيمتكم، فلما اسلموا علموا أنه إبليس، وروي[١] ذلك عن الصادقين عليهما السّلام. وفتح «الحرميان» و«أبوعمرو»: ياء «اني أرى» وياء «اني أخاف»[٢] ﴿وَاللهُ شَدِيْدُ الْعِقاب﴾ من كلامه أو مستأنف.[٣]

[٤٩] - ﴿إِذْ يَقُولُ الْمُنافِقُونَ والَّذِيْنَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ شك في الإسلام مع إظهاره ﴿غَرَّهَؤُلاءِ﴾ أي المسلمين ﴿دِيْنُهُمْ﴾ اذخرجوا مع قتلهم الى قتال الجيش الكثير ظانين النصر بسببه فاجيبوا ﴿وَمَنْ يَتَوكَّلْ عَلى اللهِ فَإِنَّ اللهَ عَزِيْزٌ﴾ غالب لا يغلب حزبه وان قلّ ﴿حَكِيْمٌ﴾ في تدبيره.

[٥٠] - ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِيْنَ كَفَرُواْ الْمَلائكَةُ﴾ ببدر ومفعول «ترى» مقدر أي الكفرة حين تتوفا هم الملائكة. وقرأ[٤] «ابن عامر» بالتاء ﴿يَضْرِبُونَ وَجُوهَهُمْ﴾ حال منهم، أو من «الملائكة» أو منهما ﴿وَأَدْبارَهُمْ﴾ ظهورهم أو أستاههم ﴿وَذُوقُواْ﴾ أي يقولون لهم ذوقوا ﴿عَذابَ الْحَرِيقِ﴾ أي نار الآخرة، أو مقامع حديد، كلما ضربوا التهبت ناراً. وجواب «لو» حذف تهويلاً.

[٥١] - ﴿ذَلِكَ﴾ العقاب ﴿بِما قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ أي بسبب ما فعلتم ﴿وَأَنَّ﴾ وبسبب انّ ﴿اللهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ بتعذيبهم بغير ذنب لا بتركه من مستحقه، إذ العفو لا يسمّى ظلماً.

[٥٢] - ﴿كَدَأْبِ﴾ أي دأب هؤلاء وهو عادتهم مثل دأب ﴿ءَالِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ من الامم ﴿كَفَرُواْ بِآياتِ اللهِ﴾ بيان لدأبهم ﴿فَأَخَذَهُمُ اللهُ﴾ بالعقاب ﴿بِذُنُوبِهِمْ﴾ كأخذه هؤلاء ﴿إِنَّ اللهَ قَوِيٌّ﴾ لا يمنع ﴿شَدِيدُ الْعِقابِ﴾ لمستحقّه.

---

(١) تفسير الصافي ٢: ٣٠٨.

(٢) النشر في القراءات العشر ٢: ٢٧٧.

(٣) في تفسير البيضاوي ٢: ٢٦٩ـ: والله شديد العقاب يجوز ان يكون من كلامه وان يكون مستأنفاً.

(٤) حجة القراءات: ٣١١.

[٥٣] ـ ﴿ذَٰلِكَ﴾ التعذيب لهم ﴿بِأَنَّ﴾ بسبب انّ ﴿اللهَ لَمْ يَكُ﴾ حذفت نونه تخفيفاً ﴿مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ﴾ مبدلاً لها بنفقمة ﴿حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ﴾ يبدلوا ﴿مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ من النعم بكفرها كتبديل قريش بعث الرسول منهم اليهم و إطعامهم وأمنهم غبّ جوع وخوف بالكفر ومعاداة الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم والمؤمنين وقتالهم ﴿وَأَنَّ اللهَ سَمِيعٌ﴾ لأقوالهم ﴿عَلِيمٌ﴾ بأفعالهم.

[٥٤] ـ ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنِ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُواْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا ءَالَ فِرْعَوْنَ﴾ كرر تأكيداً ﴿وَكُلٌّ﴾ من الأمم المكذّبة ﴿كَانُواْ ظَالِمِينَ﴾ أنفسهم بالكفر.

[٥٥] ـ ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللهِ الَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ لإصرارهم على الكفر.

[٥٦] ـ ﴿الَّذِينَ عَاهَدْتَّ مِنْهُمْ﴾ بدل البعض من «الذين كفروا» للتخصيص و«من» لتضمين المعاهدة معنى الأخذ ﴿ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ﴾ عاهدوا فيها وهم «قريظة» عاهدهم النبيّ صلىّ الله عليه وآله وسلّم أن لايعينوا المشركين عليه بالسلاح فأعانوهم وقالوا نسينا، ثم عاهدهم فأعانوهم يوم الخندق ﴿وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ﴾ الله في نقض العهد.

[٥٧] ـ ﴿فَإِمَّا﴾ «إن» الشرطية أُدغمت في «ما» الزائدة ﴿تَثْقَفَنَّهُمْ﴾ تدركنّهم ﴿فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ﴾ ففرّق ونكّل بقتلهم ومعاقبتهم ﴿مَنْ خَلْفَهُمْ﴾ من الكفرة ﴿لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ لعل من خلفهم يتّعظون بهم.

[٥٨] ـ ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ﴾ عاهدوك ﴿خِيَانَةً﴾ نقض عهد بإمارة تجدها ﴿فَانْبِذْ﴾ فاطرح عهدهم ﴿إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ﴾ أي مستوياً أنت وهم في العلم بنقض العهد، بأن تعلمهم به قبل حربك لهم لئلا يتهموك بالخيانة ﴿إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾ استئناف يعلل الامر بالنبذ على سواء.

[٥٩] ـ ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ﴾ [1] يا محمّد، ومفعولاه ﴿الَّذِينَ كَفَرُواْ سَبَقُواْ﴾ فأتوا الله. وقرأ

(١) في المصحف الشريف حفص: «ولايحسبن» ـ كما سيشير اليه المؤلّف ـ.

«ابن عامر» و«حمزة» و«حفص»: بالياء[1] بجعل فاعله «الـذين كفروا» والمفعول الاول مـحـذوف أي أنفسهم ﴿إِنَّهُمْ لا يُعْجِزُونَ﴾ استئناف يعلل النهي، وفتحها «ابن عامر»[2] بتقدير اللام، أي لا تحسبنهم فأتوا الله لأنهم لا يفوتونه. نزلت فيمن أفلت «ببدر» من المشركين.

[٦٠] ـ ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُمْ﴾ لحربهم ﴿مَّا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ مما يتقوى به في الحرب، وروى[3] أنها الرمي ﴿وَمِنْ رِّباطِ الْخَيْلِ﴾ «فعال» بمعنى مفعول، أي التي تربط في سبيل الله، أو مصدر، أي ربطها وحبسها فيه ﴿تُرْهِبُونَ﴾ تخوفون ﴿بِهِ عَدُوَّ اللهِ وعَدُوَّكُمْ﴾ أي كفار مكة ﴿وَءَاخَرِيْنَ مِنْ دُونِهِمْ﴾ من غيرهم من اليهود أو المنافقين أو الفرس ﴿لا تَعْلَمُونَهُمْ﴾ بأعيانهم ﴿الله يَعْلَمُهُمْ وَمـا تُنْفِقُواْ مِنْ شَىءٍ فِي سَبِيلِ اللهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ﴾ أجره ﴿وَأَنْتُمْ لا تُظْلَمُونَ﴾ بنقص شيء منه.

[٦١] ـ ﴿وَإِنْ جَنَحُواْ﴾ مالوا. يعدّى باللام وإلى ﴿لِلسَّلْمِ﴾ للصلح، وكسره «أبوبكر»[4] ﴿فَاجْنَحْ لَها﴾ وهو منسوخ بآية السيف، أو خاص بأهل الكتاب ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ﴾ ثق به فإنه يكفيك ما تخافه منهم ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيْعُ﴾ لأقوالهم ﴿الْعَلِيْمُ﴾ بأسرارهم.

[٦٢] ـ ﴿وَإِنْ يُرِيدُواْ أَنْ يَخْدَعُوكَ﴾ بالصلح ﴿فَإِنّ حَسْبَكَ﴾ كافيك ﴿اللهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾ جميعاً.

[٦٣] ـ ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ مع حميّتهم وتضاغنهم في أدنى شيء، حتّى صاروا كنفس واحدة أو بالأنصار: الاوس والخزرج، كانت بينهم ترات وإحن، فألّف بينهم وصيّرهم اخواناً ﴿لَوْ أَنْفَقْتَ ما فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ من المال لتألّف بينهم ﴿مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ لشدة عداوتهم ﴿وَلكنَّ اللهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾ بقدرته معجزةً لك ﴿إِنَّهُ عَزِيزٌ﴾ غالب لايعجزه شيء ﴿حَكِيْمٌ﴾ في صنعه.

(١و٢) حجة القراءات: ٣١٢.

(٣) تفسير الصافي ٢: ٣١١.

(٤) حجة القراءات: ٣١٢.

[٦٤] - ﴿ياأَيُّها النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤمِنِينَ﴾ «من» عطف على «الله» أي كافيك الله والمؤمنون، أو على «الكاف» على رأي، أو مفعول معه.

[٦٥] - ﴿يا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ حثّهم ﴿عَلى الْقِتالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُواْ مِأَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُواْ أَلْفاً مِنَ الَّذِيْنَ كَفَرُواْ﴾ خبرٌ معناه الأمر بمقاومة الواحد للعشرة، والوعد بالغلبة ان صبروا. وقرأ «نافع» و«ابن كثير» و«ابن عامر»[1] «تكن منكم مائة» بالتاء في الآيتين ومثلهم «أبو عمرو» في الثانية[2] ﴿بِأَنَّهُمْ﴾ بسبب انهم ﴿قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ﴾ انهم مغالبون الله، ومغالبه مغلوب، أو يجهلون الآخرة فلا يرجون ثوابها فلا يثبتون لكم.

[٦٦] - ﴿الآنَ خَفَّفَ اللهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا﴾ عن مقاومة الواحد للعشرة، وفتحه «عاصم» و«حمزة» وضمه الباقون[3] ﴿فَإِنْ يَكُنْ مِنكُمْ مِأئَةٌ صابِرةٌ يَغْلِبُواْ مِأئَتينِ وَإِنْ يَكُنْ مِنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُواْ أَلْفَيْنَ بِإِذْنِ اللهِ﴾ نسخ عنهم مقاومة عشرة أمثالهم لما ثقلت عليهم، أو كثروا بمقاومة مثليهم تخفيفاً عنهم ﴿وَاللهُ مَعَ الصَّابِرِيْنَ﴾ بالعون والحفظ.

[٦٧] - ﴿مَا كَانَ لِنَبِيّ أَنْ يَكُونَ﴾ وقرأ «أبو عمرو» بالتاء[4] ﴿لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ﴾ يكثر قتل الكفار ويذلّهم ﴿تُرِيْدُونَ﴾ أيها المؤمنون ﴿عَرَضَ الدُّنْيا﴾ حطامها بأخذ الفداء ﴿وَاللهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ﴾ أي ثوابها بقتلهم وقهرهم ﴿وَاللهُ عَزِيْزٌ﴾ غالب لا يغالب ﴿حَكِيْمٌ﴾ في تدبيره.

روى[5] انه صلّى الله عليه وآله وسلّم شاور أصحابه في أسارى بدر، فاختلفوا بين مشير بأخذ فدائهم ومشير بقتلهم، ثم خيّرهم فأخذوا الفداء وهو صلّى الله عليه وآله وسلّم كاره لأخذه، فنزلت عتاباً لهم دونه، فلا تدلّ على انّ النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم يجتهد ويخطىء، ويجوز أيضاً انه كان مخيّراً بين القتل والفداء وكان القتل أولى والعتاب على تركه.

(١و٢) حجة القراءات: ٣١٣.

(٣و٤) حجة القراءات: ٣١٣.

(٥) رواه عبدالله بن مسعود ـ كما في تفسير ابي الفتوح ٥: ١١.

قال[1] ابن عباس: كـان انكار الفداء حال قلـة المسلمين، فلما كثروا خيّـروا بينه وبين المنّ بقوله: ﴿فإمّا منّاً بعد وإمّا فداء﴾.[2]

[٦٨] ـ ﴿لَوْ لاَ كِتابٌ﴾ حكم ﴿مِنَ اللهِ سَبَقَ﴾ وهو أنه لا يعذب بمـا لـم ينه عنه صـريحاً، أو لا يعـاقب من أخطـأ في اجتهـاده، أو سيحل لكم الفـداء ﴿لَمَسَّكُمْ﴾ لأصابكم ﴿فِيما أَخَذْتُمْ﴾ من الفداء ﴿عَذابٌ عَظِيْمٌ﴾ والخطاب لغيره صلّى الله عليه وآله وسلّم لعصمته وكراهته الفداء.

[٦٩] ـ ﴿فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمْتُمْ﴾ من الغنائم. قيل امسكوا عنها فنزلت، أو من الفداء فإنه من الغنائم ﴿حَلالاً﴾ حال مـن «ما» أو أكلاً حـلالاً وكذا ﴿طَيِّبًا وَاتَّقُـواْ اللهَ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ﴾ غفر ذنوبكم ﴿رَّحِيْمٌ﴾ أباحكم ما غنمتم.

[٧٠] ـ ﴿يـا أَيُّهَا النَّبِـيُّ قُلْ لِمَّن فِـي أَيْـدِيْكُمْ مِنَ الأَسْـرى﴾ وقـرأ «أبو عمـرو» «الأسارى»[3] ﴿إِنْ يَعْلَمِ اللهُ فِي قُلُـوبِكُمْ خَيْرًا﴾ ايماناً خالصاً ﴿يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنكُمْ﴾ من الفداء ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَّحِيْمٌ﴾ نزلت في العباس كلفه النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم أن يفدى نفسـه وابني أخويه عقيل ابـن أبي طالب، ونوفـل بن الحارث، فأظهر الفقـر، فقال له: أيـن الذهب الذي دفعتـه الى أم الفضل حين خـرجتَ وقلت لها: ان حـدث فيّ حدث فهو لك ولأولادي؟ فقـال ما يدريك، فقال: اخبـرني ربي به، فقال أشهد أنك صادق وأن لا إله إلاّ الله وانك رسوله، لم يطلع عليه إلاّ الله، قال فابـدلني الله منها عشرين عبـداً، ادناهم يضرب بعشـرين ألفاً، وأعطاني «زمـزم» وانا انتظر المغفرة من ربي.

[٧١] ـ ﴿وَإِنْ يُرِيدُواْ﴾ أي الأسرى ﴿خِيانَتَكَ﴾ بإظهار الإيمان ﴿فَقَدْ خانُواْ اللهَ﴾ بالكفر ﴿مِنْ قَبْلُ فَـأَمْكَنَ مِنْهُمْ﴾ المـؤمنين ببـدر، فإن عـادوا فسيمكـن منهم ﴿وَاللهُ عَلِيْمٌ﴾ بنياتهم ﴿حَكِيْمٌ﴾ في صنعه بهم.

(١) نقل القرطبي معناه عن ابن عباس في تفسيره الجامع ٨: ٤٨.

(٢) سورة النساء: ٤/ ٤٧.

(٣) تفسير البيضاوي ٢: ٢٧٣.

[٧٢] ـ ﴿إِنَّ الَّذِيـنَ ءَامَنُواْ وَهَـاجَرُواْ﴾ ديـارهـم ﴿وَجَاهَدُواْ بِأَمْوالِهِمْ﴾ بالإنفاق ﴿وَأَنْفُسِهِمْ﴾ بالقتـال ﴿فِي سَبِيْـلِ اللهِ﴾ وهـم المهـاجـرون ﴿وَالَّذِيْنَ ءَاوَوْا﴾ النبـيّ والمهاجرين ﴿ونَصَرُواْ﴾ المـذكوريـن على اعـدائهم وهم الأنصـار ﴿أُولئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِياءُ بَعْضٍ﴾ في النصرة أو الميراث.

كان المهاجرون والأنصـار يتوارثون بالهجرة دون الأقارب فنسخـه ﴿واولو الأرحام بعضهم أولى ببعض﴾[1] ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُـواْ وَلَمْ يُهاجِرُواْ مـا لَكُمْ مِّنْ وَلا يَتِهِمْ﴾ وكسرها «حمزة»[2] ﴿مِّنْ شَيْءٍ﴾ فلا توارث بينكم وبينهم ﴿حَتَّى يُهاجِرُواْ وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُم فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ﴾ فواجب عليكم ﴿النَّصْرُ﴾ على الكفار ﴿إِلاّ عَلى قَـوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيْثاقٌ﴾ عهد، فلا تنصروهم عليهم وتنقضوه ﴿وَاللهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيْرٌ﴾.

[٧٣] ـ ﴿وَالَّذِيْنَ كَفَـرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِياءُ بَعْضٍ﴾ في النصرة أو الميـراث ومفهومه نفي الولاية بينهم وبين المؤمنين ﴿إِلاّ تَفْعَلُوهُ﴾ أي تولي بعضكم بعضاً أيهـا المؤمنون وقطع الكفار ﴿تَكُنْ﴾ تحصل ﴿فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ﴾ قوة الكفر ﴿وَفَسادٌ كَبِيْرٌ﴾ ضعف الإسلام.

[٧٤] ـ ﴿وَالَّذِيْنِ ءَامَنُواْ وَهاجَرُواْ وَجاهَدُواْ فِي سَبِيْلِ اللهِ وَالَّذِينَ ءَاوَوْا وَّنَصَرُواْ أُوْلئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ أي حق ايمـانهم حقـاً وهـم الكـاملون في الإيمـان ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيْمٌ﴾ في الجنة.

[٧٥] ـ ﴿وَالَّذِيْنَ ءَامَنُواْ مِنْ بَعْدُ﴾ أي بعد السابقين بـالإيمان والهجرة ﴿وَهاجَرُوا وجَاهَـدُوا مَعَكُمْ فَأُوْلئِـكَ مِنْكُمْ﴾ أيهـا المهاجـرون والأنصـار ﴿وَأُوْلُوالأَرْحَامِ﴾ ذووا القـرابات ﴿بَعْضُهُمْ أَولى بِبَعْضٍ﴾ فـي الميـراث مـن الأجانب ﴿فِي كِتابِ اللهِ﴾ فـي حكمه أو اللوح أو القرآن ﴿إِنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ومنه مصلحة الميراث.

---

(١) سورة الأنفال: ٨/ ٧٥.

(٢) تفسير البيضاوي ٢: ٢٧٣.

الفهرست